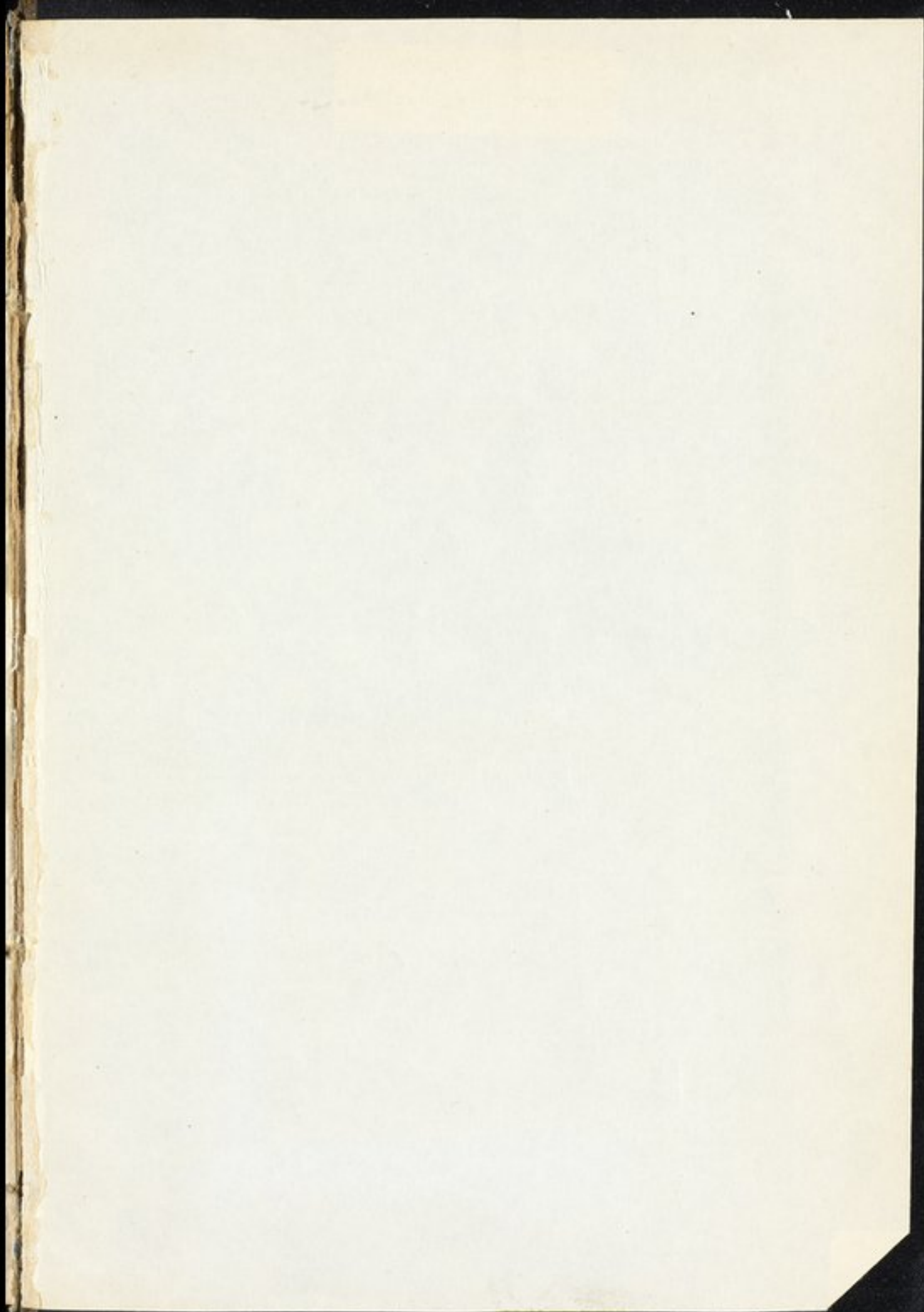




PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 015067141



WAR. 1398.

Muhammad ibn al-Hasan, al-Tāsi

تَفْسِيرُ

التَّبْيَانِ

al-Tibyān

لِشَيْخِ الْقَائِمَةِ الطُّوسِيِّ نُذَيْرِ بْنِ

٣٨٥ - ٤٦٠ هـ

المجلد السادس

تَحْقِيقٌ وَتَصْحِيحٌ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ قَسْرَةَ الْقَائِمِيِّ

مَدْرَسَةُ الشُّعْرَاءِ

للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ
تَلْحُمٍ فَارِثِ الْيَسْمِينِ
فَلْيَعْبُدْهُ وَشَكَرْ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَامِ إِنَّهُ
كَانَ الْعَاذِرَ الْكَافِرِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا لأتمام طبع المجلد الخامس من هذا السفر النفيس ، وسهل
لنا السبل لانجاز المجلد السادس والشكر له وحده فانه المتفضل باصول النعم
والحمد له على إلهامنا الحمد ، والشكر له على إلهامنا الشكر ، ولا حول لنا ولا
قوة إلا به وماأبنا اليه واتكالنا عليه نسأله أن يلهمنا الصواب ، ويوفقنا الى ما
فيه مرضاته ، وصلى الله على نبينا محمد وآله الذي أرسله الله لهداية خلقه وتبليغ
كتابه وتطبيق تشريعه في الارض وإظهار كلمة التقوى ، وكلمة الله العليا ، فقام
بإداء الرسالة خير قيام ، وقد بلغ عن ربه ما أمر به على تمام وكال ، وقام بعده
أهل العلم بما وجب عليهم ، ومنهم المؤلف قدس الله روحه الطاهرة (راجع ترجمته
في المقدمة بقلم آية الله الآغا بزرك الطهراني - مد ظله العالی -) .

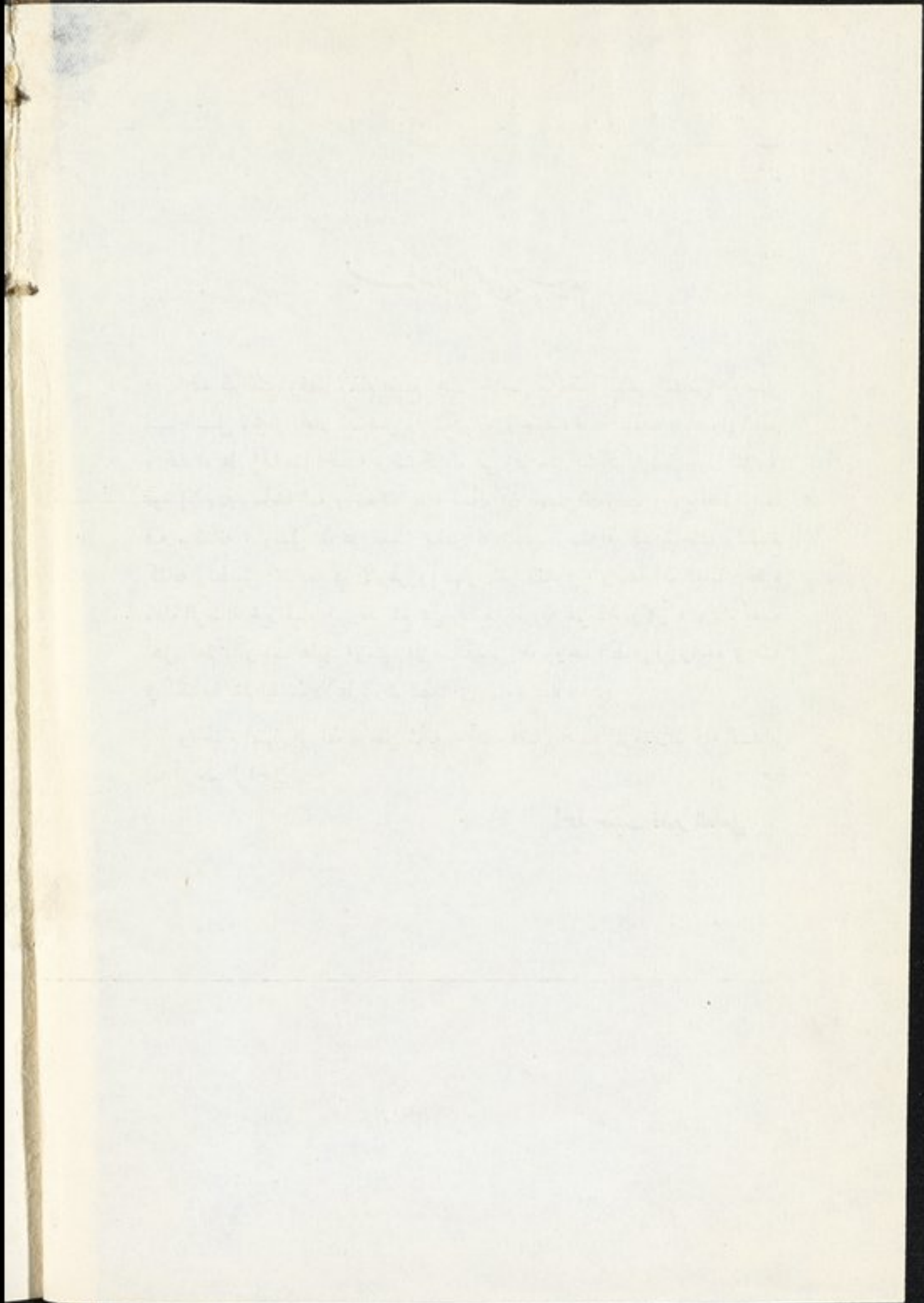
وبالختام ابتهل الى الله - جل شأنه - أن يوفقنا وجميع المؤمنين لما فيه السداد
انه أرحم الراحمين .

أحمد حبيب قصير العاملي

11-14-62 PL-980

2273
.8237

v.6



قوله تعالى :

(وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) (٥٠) آية بلا خلاف

قوله « اخاهم » نصب بتقدير (ارسلنا) كأنه قال : وأرسلنا إلى عاد أخاهم ودل عليه ما تقدم من قوله « ولقد أرسلنا نوحاً » و (عاد) مصروف ، لأن المراد به الحي وقد يقصد به القبيلة ، فلا يصرف قال الشاعر :

لو شهد عاد في زمان عاد لا بتزها مبارك الجلال^(١)

وإنما سمي هوداً أخا عاد مع انهم كفار ، وهو نبي لان المراد بذلك الاخوة في النسب ، لا في الدين ، فحذف لدلالة الحال عليه .

وقوله « ما لكم من إله غيره » حكاية ما قال هود (ع) لهم وأمرهم ان يوجهوا عبادتهم الى الله ونفى ان يكون معبود يستحق العبادة غيره .

ومن ضم الراء حمله على الموضع ، لأن فيها معنى الاستثناء ، فكأنه قال ما لكم من إله إلا هو ، ولا يجوز في هذا الاستثناء الحمل على اللفظ ، لأن الواجب لا يدخله (من) الزائدة .

ومن جره حمله على اللفظ . وقال بعضهم تقديره ما لكم إله غيره و (من) زائدة ، فلذلك رفع .

وقوله « ان انتم إلا مفترون » أخبار من الله تعالى : حكاية ما قال هود لهم بأنه ليس انتم إلا متخرون . وإنما سماهم مفترين بعبادة غير الله ، لأنهم في حكم من قال هي جائزة لغير الله ، فلذلك قال لهم ذلك . ومساكن عاد كانت بين بلاد الشام واليمن تعرف بالأحقاف ، وكانوا أصحاب بساتين وزروع ، ويسكنون

(١) مجمع البيان ٣ : ١٦٩ وروايته (لاقبها) بدل (لابتزها) .

الرمال ، دعاهم هود الى الايمان بالله وتوجيه العبادة اليه ، فكفروا به فأهلكهم الله بالريح ، فذكر انها كانت تدخل في أفواههم فتخرج من استاهم فتقطعهم عضواً عضواً ، نعوذ بالله منها .

قوله تعالى :

(يا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن هود أنه قال لقومه : لست أطلب منكم - على دعائي لكم الى عبادة الله - أجراً ، لأنه ليس جزائي في ذلك إلا على الله الذي خلقني ، فهلا تتفكرون - بعقولكم - في ذلك ، فتعلمون أن ذلك محض النصيحة لأنه لو كان لغيره لطلبت عليه الأجر .

اللفظة

والسؤال والطلب معناهما واحد ، الا ان الطلب قد يكون في غير معنى السؤال ، لأن من ضاع منه شيء يطلبه ، او طلب المااء اذا استعذبه أو طلب المعادن ، لا يقال فيه (سأل) ولا هو سائل . و (الاجر) هو الجزاء على العمل على عمل الخير بالخير . وقد يستحق الاجر على الشكر ، كالاجر الذي يعطيه الله العبد على شكره لنعمه . و (الفطر) الشق عن أمر الله ، كما ينفطر الورق عن الثمر ، ومنه فطر الله الخلق . ومنه قوله « اذا السماء انفطرت »^(١) و « هل ترى من فطور »^(٢) ومنه فطر الله الخلق لأنه بمنزلة ما شق عنه فظهر . وقوله « افلا تعقلون » يقال لمن عدل عن الاستدلال: لا يعقل ، لأنه بمنزلة من لا يعقل ،

(١) سورة الانفطار آية ١ .

(٢) سورة الملك آية ٣ .

في انه لا ينتفع بموجب العقل . وقيل ان المعنى « أفلا تعقلون » أني اطلب بذلك نصيحتكم وصلاحكم فتقبلوه ولا تردوه .

قوله تعالى :

(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)
(٥٢) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما قبلها ، وفيها حكاية ايضاً عما قال هود لقومه ، فانه ناداهم ، وقال « يا قوم استغفروا ربكم » اي اطلبوا منه المغفرة « ثم توبوا اليه » وانما قدم الاستغفار قبل التوبة ، لأنه طلب المغفرة التي هي الغرض ، ثم بين مسابه يتوصل اليها هو التوبة ، والغرض مقدم في النفس ، لان الحاجة اليه ثم السبب ، لأنه يحتاج اليه من اجله . وقيل ان (ثم) في الآية بمعنى الواو ، كما قال « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها »^(١) وكان جعل الزوج منها قبل جميع البشر . وقيل ان المعنى استغفروا ربكم من الوجه الذي يصح ، من الايمان به وتصديق رسله ، والاقلاع عن معاصيه ، والتوبة من القبائح « ثم توبوا اليه » بمعنى استديموا على ذلك وجددوا التوبة بعد التوبة ، لئلا يكونوا مصرين . وكل ذلك جائز .

وظاهر هذه الآية يقتضي أن الله تعالى يجعل الخير بالتوبة ترغيباً فيها ، لأنه وعد متى تاب العاصي يرسل السماء عليهم مدراراً وهو الدرر الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزائد المفسد المضر ، ونصبه على الحال .

وروي انهم كانوا أجذبوا ، وانهم متى تابوا أخصبت بلادهم واثمرت اشجارهم وانزل عليهم الغيث الذي يعيشون به .

(١) سورة الزمر آية ٦ .

و (مفعال) صفة للمبالغة كقولهم : منجار، ومعطار، ومغزار. ومثله «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب»^(١) ولولا هذا الوعد لما وجب ذلك . واما الثواب على التوبة فمعلوم عقلاً .

وقوله « ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » معنا ان الله تعالى اذا تبتم « يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى » القوة التي فعلها فيكم ، ويجوز ان يريد بذلك تمكينهم من النعم التي ينتفعون بها ويلتذون باستعمالها ، فان ذلك يسمى قوة .

وقوله «ولا تتولوا مجرمين» تمام الحكاية عنه انه قال لقومه لا تتولوا من عصا الله وترك عبادته .

قوله تعالى :

(قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) (٥٣) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية عما قاله قوم هود له حين دعاهم الى عبادة الله وترك ما سواه بأنهم قالوا له يا هود لم تجئنا ببينة يعني بحجة دالة على صدقك ولسنا نترك عبادة آلهتنا لأجل قولك ولسنا مصدقيك، ولا معترفين بعبادة إلهك الذي تدعي انك رسوله ، فالبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل . والبيان فصل المعنى من غيره حتى يظهر للنفس متميزاً مما سواه ، ويجوز ان يكون حملهم على رفع البينة مع ظهورها أمور :

احدها - تقليد الآباء والرؤساء فدفعوها لذلك .

ومنها اتهامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها .

ومنها انهم دخلت عليهم الشبهة في صحتها .
ومنها اعتقادهم لاصول فاسدة تدعوهم الى جحدها .
واما الداعي الى عبادة الاوثان فيحتمل ان يكون احد اشياء :
احدها - انهم ظنوا انها تقريهم الى الله زلفى اذا عبدوها .
الثاني - ان يكونوا على مذهب المشبهة فجعلوا وثناً على صورته فعبدوه .
الثالث - ان يكون القبي اليهم ان عبادتها تحظي في دار الدنيا .
وقوله « عن قولك » معناه بقولك ، وجعلت (عن) مكان الباء ، لان معنى
كل واحد من الحرفين يصح فيه . وقال الرماني : من عبد إلهاً في الجملة هو ممن
عبد غير الله ، لان كل واحد منها لم تخلص العبادة له ولا اوقعها على وجه
يستحق به الثواب .

قوله تعالى :

(إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ
اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) (٥٤) آية .

في هذه الاية تمام الحكاية عن جواب قوم هود لهود ، وهو انهم قالوا مع
جحدهم لنبوته « ان نقول » لسنا نقول « إلا اعتراك » أصابك من قولهم عراه
يعروه إذا أصابه ، قال الشاعر :

من القوم يعروه اجترام ومأثم^(١)

وقيل « اعتراك » أصابك يحنون خبل عقلك ، ذهب اليه ابن عباس ، وبجاهد .
وانما جاز ان يقول « إلا اعتراك » مع انهم قالوا اشياء كثيرة غير هذا ، لان المعنى

(١) قاله ابو خراش : بجمع البيان ٣ : ١٦٩ ، وتفسير الطبري ١٢ : ٣٥ وبجاز القرآن
١ : ٢٩٠ وصدرة : (تذكر داخلا عندنا وهو فانك)

ما نقول في سبب الخلاف الا اعتراك ، فحذف ، لان الحال يقتضي ان كلامهم في الخلاف وسببه .

وقوله « قال اني اشهد الله » اخبار عما اجابهم به هود بأن قال : اشهد الله على ادائي اليكم ونصحي اياكم ، وعلى ردكم ذلك علي وتكذيبكم اياي و«اشهدوا» انتم ايضاً انني بريء مما تشركون ، وانما اشهدهم - على ذلك وان لم يكونوا اهل شهادة من حيث كانوا كفاراً فساقاً - اقامة للحجة عليهم لالتقوم الحجة بهم ، فقبل هذا القول اعذاراً وانذاراً ، ويجوز ان يكون يريد بذلك اعلموا كما قال « شهد الله » بمعنى علم الله .

قوله تعالى :

(مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ) (٥٥) آية

بلا خلاف .

في هذه الآية دلالة على صحة النبوة ، لانه قال لقوم من اهل البأس والنجدة « كيدوني جميعاً ثم لا تنظرون » اي لا تمهلوني ثقة بأنهم لا يصلون اليه بسوء ، لما وعده الله (عز وجل) من العز والغلبة . ومثله قال نوح لقومه « فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمّة ثم اقضوا الي ولا تنظرون » (١) وقال نبينا ﷺ « فان كان لكم كيد فكيدون » (٢) .

والفرق بين الانظار والتأخير ان الانظار امهال لينظر صاحبه في امره ، والتأخير خلاف التقديم من غير تضمين .

وفي هذه الآية تضمين بما قبلها ، لان التقدير اني بريء مما تشركون من دونه ، وههنا يحسن الوقف ويحسن ايضاً ان يقف على قوله « تشركون » كان ذلك وقفاً كافياً ، لانه يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن استئناف ما بعده . واما الوقف التام

(١) سورة يونس آية ٧١

(٢) سورة المراسلات آية ٣٩

فهو الذي يحسن الوقف عليه ويحسن استئناف ما بعده نحو قوله «واياك نستعين» ثم يستأنف «اهدنا الصراط المستقيم»^(١).

والكيد طلب الغيظ بالسر وهو الاحتيال بالسر ، تقول : كاده يكيد كيداً وكايدته مكابدة مثل غايظه مغايظة .

قوله تعالى :

(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٥٦) آية بلا خلاف.

هذه الآية فيها حكاية ما قال هود لقومه بعد ذكر ما قدم من القول فيه اني توكلت على الله . والتوكل تفويض الامر الى الله تعالى على طاعته فيما امر به ، لان ذلك من تسليم التدبير له ، لان افعاله كلها جارية على ما هو اصلح للخلق .

وقوله « ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها » معناه ليس من حيوان يدب الا وهو تعالى آخذ بناصيته اي قادر على التصرف فيه ، وتصريفه كيف شاء . و (الناصية) قصاص الشعر ومنه قوله « فيؤخذوا بالنواصي والاقدام »^(٢) وفي جر الرجل بناصيته اذلال له . واصل الناصية الاتصال من قولهم : (مفازة بناصي مفازة) اذا كانت الاخيرة متصلة بالاولى قال الشاعر :

فيء تناصيها بلا دفيء^(٣)

وقال ذو الرمة :

ينصو الجاهين^(٤)

ونصوته انصوه نصواً اذا اتصلت به .

(٣) مجمع البيان ٣ : ١٦٩

(٤) لم اجده

(١) سورة الفاتحة اية ٥ - ٦

(٢) سورة الرحمن اية ٤١

وقال ابو النجم :

ان يمس رأسي اشمط العناصي كأنما فرقه مناصي^(١)

اي يجاذب ليتصل به في مره ، وانما قال اخذ بناصيتها مع انه مالك لجميعها لما في ذلك من تصوير حالها على عادة معروفة من امرها في اذلالها ، فكل دابة في هذه المنزلة في الذلة لله تعالى . وقوله « ان ربي على صراط مستقيم » معناه ان امر ربي في تدبير خلقه على صراط مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب ، فهو يجري على سبيل الصواب لا يعدل الى اليمين والشمال والفساد . والفائدة هنا ان ربي وإن كان قادراً على التصريف في كل شيء فانه لا يفعل إلا العدل ولا يشاء الا الخير .

قوله تعالى :

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) آية بلا خلاف .

معنى الآية حكاية ما قال هود لقومه من قوله لهم ان توليتم ، فليس ذلك لتقصير في ابلاغكم وانما هو لسوء اختياركم في الاعراض عن نصيحتكم ، ويجوز ان يكون ذلك حكاية ما قال الله لهود انهم ان تولوا فقل لهم فقد ابلغتكم . وقال الزجاج : التقدير فان تتولوا فحذف احدى التائين ، لدلالة الكلام عليها ، فعلى هذا تقديره قل لهم فان تتولوا ، ومثله قال الجبائي . والتولي الذهاب الى خلاف جهة الشيء وهو الاعراض عنه . والمعنى هنا التولي عما دعوتكم اليه من عبادة الله ، واتباع امره ، والابلاغ إلحاق الشيء بنهايته ، وذلك انه قد يلحق الحرف بالحرف على جهة الوصل ، فلا يكون إبلاغاً ، لانه لم يستمر الى نهايته .

(١) اللسان (نسا) وجمع البيان ٣ : ١٦٩

وقوله «ويستخلف ربي قوماً غيركم» فالاستخلاف جعل الثاني بدل الاول يقوم مقامه فيما كان عليه الاول، فلما كانوا قد كلفوا، فلم يجيبوا، جعل الثاني بدلاً منهم في التكليف .

وقوله «ولا تضرونه شيئاً» معناه انه اذا استخلف غيركم ، لا تقدرن له على ضر ولا نفع . وقيل ان معناه لا ينقصه هلاككم شيئاً ، لانه يجمل عن الحاق المنافع والمضار به .

وقوله «ان ربي على كل شيء حفيظ» لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها . وقيل معناه يحفظني من ان تنالوني بسوء .

قوله تعالى :

(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) (٥٨) آية .

المعنى ولما جاء امرنا بهلاك عاد ، ودلائله «نجينا هوداً» والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ» يعنى من عذاب الدنيا والآخرة فسلموا من الامرين .

والنجاة السلامة من الهلاك ، وقد تكون السلامة من اصابة الم ما ، والرحمة قد تكون مستحقة بدلالة قوله «ونجيناهم برحمة منا» ويجوز ان يكون المراد بما اريناهم من الهدى والبيان الذي هو رحمة . والرحمة مستحقة بالوعد وحسن التدبير في الفصل بين الولي والمدور . والغليظ عظيم الجثة والكثيفة ، وانما وصف به العذاب لانه بمنزلته في الثقل على النفس وطول المكث .

قوله تعالى :

(وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) (٥٩) آية بلا خلاف .

قوله «وتلك» اشارة الى من تقدم ذكره ، وتقديره و « تلك » القبيلة « عاد
جحدوا بآيات ربهم » والجحد الخبر بأن المعنى ليس بكائن على صحة ، فعلى هذا
جحدوا هؤلاء الكفار بآيات الله ، اي اخبروا بأن المعنى لا نعرف صحته ، والنفي
خبر بعدمه .

وقال صاحب العين : الجحد انكارك بلسانك ما تستيقنه نفسك .

وقوله « وعصوا رسله » فيه اخبار انهم مع جحدهم دلالة رسل الله ، وانكارهم
آيات الله ، خالفوا ما اراده الدعاء الى الله ، على طريق الايجاب بالترغيب
والترهيب فالرسول دعاهم الى عبادة الله ، فخالفوه وانما قال « عصوا رسله »
وهم عصوا هوداً ، لأن الرسل قد تقدمت عليهم بمثل ذلك ، وذلك عصيان لهم
فيا امروا به ودعوا اليه من توحيد الله وعدله وان لا يشركوا به شيئاً .

وقوله « واتبعوا امر كل جبار عنيد » والعنيد العاتي الطاغى ، عند يعند عنداً
وعنوداً اذا حاد عنه كثيراً قال الشاعر .

اني كبير لا اطيق العندا^(١)

قوله تعالى :

(وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا)

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٩١ وتفسير الطبري ١٢ : ٣٥ والقرطبي ٩ : ٥٤ وصدوره :
اذا رحلت فاجعلوني وسطاً .

كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) آية بلاخلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان عاداً لما عصوه ، وكفروا به ، وكذبوا هوداً ألحق الله بهم الهلاك واتبعهم في دار الدنيا لعنة ، بمعنى انه اخبر نبينا والأمم المستقبلية باهلاكهم وانه لعنهم وامر بلعنهم ، وعرفهم انه ابعدهم من رحمته .

واللعنة الدعاء بالابعاد من قولك لعنه اذا قال عليه لعنة الله ، واصله الابعاد من الخير يقال ذنب لعين اي طريد ، ولا يجوز ان يلعن شيء من البهائم ، وان كانت مؤذية ، لأنه لا يجوز ان يدعى عليها بالابعاد من رحمة الله .

وقوله « ويوم القيامة » اي ويتبعون لعنة يوم القيامة ، يعني يوم يقوم الناس من قبورهم للجزاء والحساب ، كما قال « يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون »^(١) وقوله « ألا ان عاداً كفروا ربهم » (ألا) معناها التنبيه ، وما بعدها أخبار بأن قوم عاد كفروا ربهم .

وقوله « الا بعداً لعاد قوم هود » نصب (بعداً) على المصدر ، والمعنى ابعدهم الله بعداً ، ووقع (بعداً) موضع ابعاد ، كما وقع نباتات موضع انبات في قوله « انبتكم من الارض نباتاً »^(٢) .

قوله تعالى :

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) (٦١) آية بلاخلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية أنه أرسل «إلى ثمود أخاهم صالحاً» ونصب

(١) سورة المارج آية ٤٣ .

(٢) سورة نوح آية ١٧ .

(أخام) بأرسلنا ، عطف على ما تقدم ، وانه « قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، وقد فسرناه^(١) . وقوله « هو انشأكم من الارض ، قيل في معناه قولان :

احدهما - انه خلقكم من آدم وآدم من تراب .

الثاني - انه خلقكم من الارض ، والاول اختيار الجبائي وهو الأقوى . والانشاء الایجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الاسباب ، وهما نشأتان الاولى في الدنيا والثانية في الآخرة .

وقوله « واستعمرکم فيها » اي جعلكم قادرين على عمارة الأرض ، ومكنكم من عمارتها والحاجة الى سكنها . والاستعمار جعل القادر يعمر الارض كعمارة الدار . وقال مجاهد معنى « استعمرکم فيها » أي اعمرکم بأن جعلها لكم طول اعمارکم . ومنه العمري المسألة المعروفة في الفقه .

وفي الآية دلالة على فساد قول من حرم المكاسب ، لانه تعالى امتن على خلقه بأن مكنهم من عمارة الأرض فهو كان ذلك محرماً لم يكن لذلك وجه ، والعبادة لا تستحق إلا بالنعم المخصوصة التي هي أصول النعم فلذلك لا يستحق بعضنا على بعض العبادة ابتداء ، وان استحق الشكر ، ولذلك لا تحسن العبادة ابتداء ، كما لا يحسن الشكر إلا في مقابلة النعم .

وقوله « فاستغفروا ربکم ثم توبوا اليه » قد بينا معناه^(٢) وقوله « ان ربي قريب مجيب » معناه أنه قريب الرحمة لا من قرب المكان ، لكنه خرج هذا المخرج لحسن البيان في المبالغة . وقيل ان بلاد ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام ، وكانت عاد باليمن .

(١) في تفسير آية . هـ من هذه السورة صفحة هـ من هذا المجلد .

(٢) انظر هـ : ١٤٤ في تفسير آية ٣ من هذه السورة .

قوله تعالى :

(قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهِينَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)
(٦٢) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما أجاب به قوم صالح له حين قالوا له يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا ، ومعناه قد كنا نرجو منك الخير ، ونطمع فيه من جهتك قبل هذا لما كنت عليه من الاحوال الجميلة ، فالآن يئسنا منك .

والرجاء تعلق النفس بمجيء الخير على جهة الظن ، ومثله الأمل والطمع .
وقوله «اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا» معناه تحظر علينا عبادة كان يعبدها آباؤنا .

وقوله «اننا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب» معناه إن الذي أتيتنا به لا يوجب العلم بل يوجب الشك فنحن في شك مما جئتنا به . والريبة هي الشك إلا ان مع الريبة تهمة للمعنى ليست في نقيضه ، والشك قد يعتدل فيه النقيضان .

قوله تعالى :

(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِّنهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ)
(٦٣) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجاب به صالح قومه ثمود بأن قال لهم «أريت ان كنت على بينة» أي حجة من ربي ودليل من جهته . ولا مفعول

ل (رأيتم) لانه يلغى كما يلغى اذا دخل عليه لام الابتداء في قولك (رأيت لزيد خير منك) فكذلك الجزاء . وجواب (إن) الاولى الفاء ، وجواب (إن) الثانية محذوف ، وتقديره ان عصيته فمن ينصرتي ، إلا انه يستغني بالاول ، فلا يظهر . وقوله «فمن ينصرتي من الله ان عصيته» صورته صورة الاستفهام ، ومعناه النفي كأنه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته ، ومعنى الكلام أعلمت من ينصرتي من الله ان عصيته بعد بيعة من ربي ونعمة ، وانما جاز إلغاء (رأيت) لانها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انفردت عن غيرها ، و (من) يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها .

وقوله «فما تزيد ونبي غير تحسير» قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - ليس تزيدونني باحتجاجكم بعبادة آباءكم اي ما تزدادون انتم الا خساراً ، هذا قول مجاهد .

والثاني - قال قوم : تزيدونني لانهم يعطونه ذاك بعد اول امرهم .

الثالث - قال الحسن معناه ان اجبتكم الى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران .

وقال اخرون معناه ما تزيدونني على ما انا عندهم الا خساراً .

قوله تعالى :

(وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) (٦٤) .

في هذه الآية حكاية ما قال صالح لقومه بعد ان انذرهم وخوفهم عبادة غير الله ، وحذرهم معاصيه . «ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية» وأشار الى ناقته التي جعلها الله معجزة ، لان الله تعالى اخرجها لهم من جوف صخرة وهم يشاهدونها على تلك الصفة ، وخرجت وهي حامل كما طلبوا ، انها كانت تشرب يوماً فتنفرد به ولهم يوم وتأتي المرعى يوماً والوحش يوماً .

وقوله «ولا تمسوها بسوء» نهي منه لهم ان يمسوا الناقة بسوء اي بعقر او ضرر. والمس واللمس متقاربان. وفرق بينها الرماني بان المس يكون بين جمادين واللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الادراك، وقوله «فياخذكم عذاب قريب» جواب النهي بالفاء وكذلك نصبه. والمعنى ان مستموها بضر اخذكم عذاب عاجل.

قوله تعالى

(فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ
مَكْذُوبٍ) (٦٥) آية بلا خلاف.

اخبر الله تعالى عن قوم صالح بانهم عصوه فيما امرهم وارتكبوا ما نهام عنه من اذى الناقة وانهم عقروها والعقر قطع العضو الذي له سراية في النفس قال امرؤ القيس:

يقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرء القيس فانزل^(١)

وكان سبب عقورهم لها انهم كرهوا ان يكون لها يوم، ولهم يوم في الشرب لضيق الماء عليهم والمرعى على ماشيتهم فعقرها (احمر ثمود) وضربت به العرب المثل في الشؤم، فلما فعلوا ذلك قال لهم صالح «تمتعوا في داركم ثلاثة ايام» أي تلذذوا، فيما يريدون من المدركات الحسان من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس، ويقال للبلاد: دار، لانها تجمع اهلها كما تجمع الدار. ومنه قولهم: ديار ربيعة، وديار مضر.

وقيل معنى «في داركم» اي في دار الدنيا. وايام اصله (ايام) فقلبت الواو ياء وادغمت الياء الاولى فيها فصارت ايام لاجتماعها وسكون الاولى وانما وجب ذلك لاشتراكها في انها حرفا علة. وقوله «ذلك وعد غير مكذوب» معناه إن

(١) ديوانه ١٢٧ (الطبعة المصرية).

ما وعدتكم به من نزول العذاب بعد ثلاثة أيام وعد صدق ليس فيها كذب .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) (٦٦) آية
بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة إلا اسماعيل والكسائي والبرجمي والسموني «يومئذ» بفتح الميم ، هنا وفي المعارج . الباقون بكسر الميم على الإضافة . قال أبو علي قوله «يومئذ» ظرف - كسرت أو فتحت - في المعنى إلا أنه اتسع فيه فجعل اسماً كما اتسع في قوله «بل مكر الليل والنهار» فاضيف المكر اليها وإنما هو فيها ، فكذلك العذاب والخزي والفرع اضفن إلى اليوم ، والمعنى على أن ذلك كله في اليوم كما أن المكر في الليل والنهار .

ومن كسر الميم من «عذاب يومئذ» فلان يوماً اسم معرب اُضيف إليه ما اُضافه من العذاب والخزي والفرع ، فأنجر بالإضافة ، ولم تفتح اليوم فتبنيه لإضافته إلى المعنى ، لان المضاف منفصل عن المضاف إليه ولا يلزمه الإضافة ؛ والمضاف لم يلزم البناء .

ومن فتح فقال : من عذاب يومئذ فيفتح معانه في موضع جر ، فلان المضاف يكتسب من المضاف إليه التعريف والتنكير ، ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو غلام من تضرب اضربه ، فلما كان يكتسب من المضاف إليه هذه الأشياء اكتسب منه الأعراب والبناء أيضاً ، اذا كان المضاف من الأسماء الشائعة المبنية نحو (ابن . وكيف) ولو كان المضاف مخصوصاً نحو (رجل وغلام) لم يكتسب منه البناء كما اكتسبت من الأسماء الشائعة . ومن اُضيف على تقدير من عذاب يومئذ ومن خزي

يومئذ ، فلانها معارف تعرفت بالاضافة الى اليوم .

اخبر الله تعالى انه لما جاء امره باهلاك قوم صالح الذين هم ثمود نجبا صالحا
والمؤمنين معه برحمة منه تعالى .

وقوله «ومن خزري يومئذ» فالخزري العيب الذي تظهر فضيحته ويستحي من
مثله ، خزري يخزى خزيا اذا ظهر له عيب بهذه الصفة .

وقوله «ان ربك هو القوي العزيز» فالقوي هو القادر ، والعزيز هو القادر على
منع غيره من غير ان يقدر أحد على منعه . واصله المنع فمنه عز علي الشيء اذا امتنع
بقلبه ومنه العز الارض الصلبة الممتنعة بالصلابة ، ومنه تعزز بفلان اي امتنع به
ويقال (من عزب) اي من غلب سلب .

وكانت علامة العذاب في ثمود ما قال لهم صالح : آية ذلك ان وجوهكم تصبح
في اليوم الاول مصفرة وفي اليوم الثاني حمرة وفي الثالث مسودة ، ذكره الحسن ،
هذا من حكيمته تعالى وحسن تدبيره في الانذار بما يكون من العقاب قبل ان
يكون ، للمظاهرة في الحججة .

ولم يختر ابو عمرو بناء (يوم) إذا اضيف الى مبني كما اختير في قوله «على حين
غفلة»^(١) لأن هذا اضيف الى اسم مبني ، وذلك اضيف الى فعل مبني فباعده عن
التمكن باكثر مما باعده الاول .

قوله تعالى :

(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)

(٦٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه لما نجبا صالحا والمؤمنين وأراد اهلاك الكفار أخذ الذين
ظلموا الصيحة ، وهي الصوت العظيم من الحيوان . وقال الجبائي لا تكون

(١) سورة القصص اية ١٥ .

الصيحة إلا حدوث صوت في فم وحلق حيوان . وقيل ان جبرائيل عليه السلام صاح بهم ، ويجوز ان يكون الله تعالى احدث الصيحة في حلق حيوان ، وانما ذكر اللفظ لأنه حمله على المعنى ، لان الصيحة والصبح واحد . ويجوز تأنيثه حملاً على اللفظ ، كما جاء في موضع آخر^(١) . وقوله «فاصبحوا في ديارهم جائئين» معناه أنه لما اتهم الصيحة ليلاً أصبحوا في ديارهم خامدين على هذه الصفة ، والعرب تقول في تعظيم الأمر: (واسوأة صباحاه) . والجثوم السقوط على الوجوه . وقيل هو القعود على الركب ، يقال : جثم على القلب إذا ثقل عليه ، وذكرهم الله بالظلم هنا دون الكفر ليعلم أن الكفر ظلم النفس إذ يصير الى أعظم الضرر بعذاب الأبد .

قوله تعالى :

(كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا

لِتَمُودَ) (٦٨) آية بلا خلاف .

قرأ الكسائي وحده «لتمود» بخفض الدال وتنوينها . والباقون بغير صرف . وقرأ حمزة وحفص ويعقوب «ألا إن تمود» وفي الفرقان . و «عاداً وتمود» وفي العنكبوت «وتمود فما ابقى» بغير تنوين فيهن وافقهم يحيى والعليمي والسموني في سورة (النجم) ..

قال الفراء قلت للكسائي : لم صرفت (تمود) هنا ؟ فقال : لانه قرب من المنصوب ، وهو مجرور ، وانما صرف تمود في النصب دون الجر والرفع ، لأنه لما جاز الصرف اختيار الصرف في النصب ، لانه اخف .

قال ابو علي الفارسي : الاسماء التي تجري على القبائل والاحياء على اضرب

(١) سورة هود آية ٩٥ وسورة الحجر آية ٧٣ ، ٨٣ ، وسورة المؤمنون آية ١٠١ وغيرها كثير والآيات التي ذكرناها الفعل فيها مؤنث .

احدها - ان يكون اسماً للحى او للاب .

والثاني - ان يكون اسماً للقبيلة .

الثالث - ان يكون غلب عليه الاب دون الحى والقبيلة .

والرابع - ان يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ، ولا يكون لاحد الوجهين مزية على الآخر في الكثرة ، فما جاء اسماً للحى قولهم ثقيف وقريش ، وكلما لا يقال فيه بنو فلان . واما ما جاء اسماً للقبيلة فنحو تميم بنت مرة قال سيبويه سمعناهم يقولون : قيس ابنة عيلان ، وتميم صاحبة ذلك ، وقال تغلب ابنة وابل . واما ما غلب عليه اسم ام الحى او القبيلة ، فقد قالوا باهلة ابن اعصر ، وقالوا يعصر ، وباهلة اسم امرأة ، قال سيبويه جعل اسم الحى ، ومحوس لم يجعل اسم قبيلة ، وسدوس اكثرهم يجعله اسم القبيلة ، وتميم اكثرهم يجعله اسم قبيلة . ومنهم من يجعله اسم الأب . واما ما يستوي فيه اسم قبيلة ، وان يكون اسماً للحى ، فقال سيبويه نحو ثمود وعاد ، وسماهما مرة للقبيلتين ومرة للحيين ، فكثرتها سواء . قال : وعاداً وثمروداً ، وقال «ألا إن ثمود كفروا ربهم» وقال «واتينا ثمود الناقة» فاذا استوى في ثمود ان يكون مرة للقبيلة ومرة للحى ولم يكن لمله على احد الوجهين مزية في الكثرة :

فمن صرف في جميع المواضع كان حسناً ، ومن لم يصرف ايضاً كذلك ، وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر إلا انه لا ينبغي ان يخرج عما قرأت به القراء لان القراءة سنة ، فلا يجوز ان تحمل على ما يجوز في العربية حتى تنضم اليه الرواية .

معنى قوله «كان لم يغنوا» أي كأن لم يقيموا فيها لانقطاع آثارهم بالهلاك وما بقي من اخبارهم الدالة على الخزي الذي نزل بهم ، يقال غنى بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل قال النابغة :

غنيت بذلك اذ هم لك جيرة منها يعطف رسالة وتودد^(١)

واصل الغنى الاكتفاء فمنه الغنى بالمال والغناء الصوت الذي يتغنى به، والغناء الاكتفاء بحال الشيء، وغنى بالمكان اذا اقام به، لاكتفائه بالاقامة فيه، والغانية الشابة المتزوجة . و (ألا) معناها التنبيه وهي الف استفهام دخلت على (لا) فالالف يقتضي معنى و (لا) ينفي معنى ، فاقضى الكلام بها معنى التنبيه مع نفي الفعلية .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) (٦٩) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي «قال سلم» بكسر السين وسكون اللام من غير الف هنا ، وفي الذاريات . قال محمد بن يزيد المبرد (السلام) في اللغة يحتمل اربعة اشياء ، منها مصدر سلمت ، ومنها جمع سلامة ، ومنها اسم من اسماء الله ، ومنها اسم شجرة ، ومنه قول الاخطل :

الاسلام وحرمل

وقوله «دار السلام»^(٢) يحتمل ان يكون مضافاً الى الله تعظيماً لها ، ويجوز ان يكون دار السلام من العذاب لمن حصل فيها . واما انتصاب قوله «سلاماً» فانه لا يحكى شيئاً تكلموا به فيحكى كما تحكى الجمل ، ولكن هو ما تكلمت به الرسل ، كما ان القائل اذا قال لا اله الا الله ، فقلت له قلت حقاً او قلت اخلاصاً اعلمت القول في المصدر لانك ذكرت معنى ما قال ، فلم يحكى نفس الكلام الذي هو جملة يحكى ، فكذلك نصب سلاماً هنا ، لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس

(١) ديوانه : ٦٥ : وجمع البيان ٣ : ١٧٨ وتفسير الطبري ١٥ : ٥٦ ، ٤٦٥ .

(٢) سورة الانعام ١٢٧ وسورة يونس اية ٢٥ .

القول بعينه . وقوله «إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»^(١) قال بسببويه زعم أبو الخطاب : ان مثله يراد به مثل قولك سبحان الله الذي ، تفسيره براءة الله من السوء ، وقولك للرجل سلاماً تريد مسلماً منك لا ابتلي بشيء من امرك . وقوله «سلام» مرفوع ، لانه من جملة الجملة المحكية ، وتقديره سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله «فصبر جميل»^(٢) اي فصبر جميل امثل او يكون المعنى امري سلام وشأني سلام ، كما يجوز ان يكون في قوله «فصبر جميل» المحذوف منه المبتدأ ، ومثله على حذف المبتدأ قوله تعالى «فاصفح عنهم وقل سلام»^(٣) او حذف الخبر ويكون سلام مبتدأ واكثر ما يستعمل (سلام) بغير الف ولام لأنه في معنى الدعاء ، فهو مثل قولهم خير بين يديك ، فمن ذلك قوله «قال سلام عليك سأستغفر لك ربي»^(٤) وقوله «سلام عليكم بما صبرتم»^(٥) وقوله «سلام على نوح»^(٦) و «سلام على ابراهيم»^(٧) وقوله «سلام على عباده الذين اصطفى»^(٨) وقد جاء بالالف واللام قال تعالى «والسلام على من اتبع الهدى»^(٩) و «السلام على يوم ولدت»^(١٠) وزعم ابو الحسن ان من العرب من يقول : السلام عليكم ، ومنهم من يقول سلام عليكم فمن ألحق فيه الالف واللام حمله على المعهود . ومن لم يلحقه حمله على غير المعهود ، وزعم أن منهم من يقول سلام عليكم بلا تنوين ، وحمل ذلك على وجهين :

أحدهما - انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الاصل في نحو لم يسك ولا ادر ويوم يأت .

- | | |
|----------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة الفرقان آية ٦٣ . | (٢) سورة يوسف آية ١٨ ، ٨٣ . |
| (٣) سورة الزخرف آية ٨٩ . | (٤) سورة مريم آية ٤٧ . |
| (٥) سورة الزعد آية ٢٦ . | (٦) سورة الصافات آية ٧٩ . |
| (٧) سورة الصافات آية ١٠٩ . | (٨) سورة النمل آية ٥٩ . |
| (٩) سورة طه آية ٤٧ . | (١٠) سورة مريم آية ٣٣ . |

والآخر - انه لماكثر استعمال هذه الكلمة، وفيها الالف والام جاز حذفها منها
لكثرة الاستعمال كما حذفوا من اللهم فقالوا: لا هم كما قال الشاعر :
لا هم لا هم ان عامر المعجوز قد حبس الخيل على يعمور

ومن قرأ (سلم) بلا الف احتمل امرين : احدهما - ان يكون بمعنى (سلم)
والمعنى أمرنا سلم وسلم عليكم ، ويكون سلام بمعنى سلم ، كقولهم حل وحلال ،
وحرم وحرام ، انشد الفراء :

وقفنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكيل بالبرق الغمام اللوائح^(١)

وروي كما انكل . ثم قال الفراء في رفع سلام انه حين نكروهم ، قال هو سلم
ان شاء الله ، من أنتم ؟ فعلى هذا القراءتان بمعنى واحد . والآخر أن يكون
(سلم) خلاف العدو ، والحرب . كأنهم لما كفوا عن تناول ما قدم اليهم فنكروهم واوجس
منهم خيفة ، قال انا سلم ، ولست بحرب ولا عدو ، فلا تمتنعوا من تناول طعامي ،
كما يمتنع من تناول طعام العدو ، وقوله «ولقد» دخلت اللام لتأكيد الخبر ، كما
يؤكد القسم ، ومعنى (قد) هنا ان السامع لقصص الأنبياء يتوقع قصة بعد قصة ،
و (قد) للتوقع فجاءت لتؤذن أن السامع في حال توقع . أخبر الله تعالى أنه لما
جاءت رسل ابراهيم يبشرونه .

وقيل في البشارة بماذا كانت قولان :

احدهما - قال الحسن كانت بأن الله تعالى يهب له اسحاق ولدأ ويعمله رسولا
الى عباده .

وقال غيره كانت البشارة باهلاك قوم لوط . وقوله «قالوا سلاماً» حكاية ما
قال رسل الله لابراهيم مجيباً لهم «سلام» .

(١) تفسير الطبري ١٢ : ٣٩ واللسان (سلم) وقد روى ايضاً :

وقفنا فقلنا ايه سلم فسلمت فا كان الا ومؤها بالحواجب

وقوله « فما لبث ان جاء بعجل حنيد » معنى ذلك لم يتوقف حتى جاء - على عادته في اكرام الاضياف وتقديم الطعام اليهم - بعجل ، وهو ولد البقرة يسمى بذلك لتعجيل امره بقرب ميلاده . ويقال : فيه عجول وجمعه عجاجيل ، و « الحنيد » المشوي ومعناه محنوذ ، فجاء « فعيل » بمعنى « مفعول » كطبيخ ومطبوخ ، وقتيل ومقتول تقول : حنذه حنذاً ويحنذه قال المعجاج :

ورهباً من حنذه أن يهجر^(١)

يعني الحمراء الوحشية أي حنذها حر الشمس على الحجارة . وقال الحسن حنيد بمعنى نضيج مشوي . وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد : نضيج .

وحكى الزجاج أن الحنيد هو الذي يقطر ماءؤه تقول العرب أحنذ هذا الفرس أي جلله حتى يقطر عرقاً .

وانما قدم الطعام اليهم وهم ملائكة لأنه رآهم في صورة البشر ، فظنهم أضيافاً .

وقال الحسن : جاؤوه فاستضافوه ، والا لم يخف عليه أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون . وقوله « أن جاء » في موضع نصب بوقوع لبث عليه ، كأنه قال فما ابطأ عن مجيئه بعجل ، فلما حذف حرف الجر نصب .

قال الفراء : ويحتمل « ان جاء بعجل » أن يكون في موضع رفع بأن تجعل (لبث) فعلاً له كأنك قلت فما ابطأ مجيئه بعجل حنيد ، قال الفراء : (الحنيد) ما حفرته له في الأرض ثم عمته وهو فعل أهل البادية . قال الفراء وغيره : وانما

(١) ديوانه : ٩ و مجاز القرآن ١ : ٢٩٢ وتفسير الطبري ١٢ : ٤١ واللسان (حنذ) ، (هرج) .

خافهم ابراهيم من حيث لم ينالوا طعامه ، لان عادة ذلك الوقت اذا قدم الطعام إلى قوم فلا يمسونه ظنوا أنهم أعداء .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لَّوْطِيٌّ) (٧٠) آية بلا خلاف .

قيل في وجه اتیان الملائكة ابراهيم عليه السلام في صورة الاضياف قولان :

احدهما - قال الحسن أنهم اتوه على الصفة التي كان يحبها ، لانه كان يقري الضيف .

والآخر - انهم أروه معجزاً من مقدور الله في صورتهم مع البشارة له بالولد على الكبر، فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لما رآهم ممتنعين من تناول الطعام وان ايديهم لا تصل اليه، والعقل لم يكن مانعاً من أكل الملائكة الطعام وإنما علم ذلك بالاجماع وبهذه الآية ، والا ما كان يجوز أن يقدم ابراهيم الطعام مع علمه بانهم ملائكة . ويجوز بأن يأكلوه وانما جاز ان يتصور الملائكة في صورة البشر مع ما فيه من الايهام لأنهم أتوه به دلالة، وكان فيه مصلحة فجرى مجرى السراب الذي يتخيل انه ماء من غير علم انه ماء .

وقوله «نكرهم» يقال نكرته وانكرته بمعنى . وقيل نكرته اشد مبالغة وهي لغة هذيل واهل الحجاز ، وانكرته لغة تميم قال الاعشى في الجمع بين اللغتين :
وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا^(١)

(١) ديوانه: ٧٢ القصيدة ١٣ وتفسير الطبري ١٢ : ٤١ والاغاني ١٦ : ١٨؛ والصاح، والتاج واللسان (نكر) وتفسير القرطبي ٩ ، ٦٦ . وجمع اليان ٣ : ١٧٧ وتفسير الشوكاني ٢ : ٤٨٦ .

وقال ابو ذؤيب :

فنكرنه فنفرن وافترست به هوجاء هاربة وهاد خرسع (١)

وقوله « اوجس منهم خيفة » اي اضم الحوف منهم ، والايحاس الاحساس
قال ذو الرمة :

وقد توجس ركزاً مغفراً ندى نبأة الصوت ما في سمعه كذب (٢)

اي تجسيس . وقيل أوجس أضم ، وانما خافهم حين لم ينالوا من طعامه لانه
راهم شاباً اقوياء وكان ينزل طرفاً من البلد لم يأمن - من حيث لم يتحرموا بطعامه
- ان يكون ذلك لبلاء حتى قالوا له لا تخف يا ابراهيم « انا ارسلنا الى قوم لوط »
بالعذاب والاهلاك وقيل انهم دعوا الله فاحيا العجل الذي كان ذبحه ابراهيم وشواه
فظهر ورعى ، فعلم حينئذ انهم رسل الله .

قوله تعالى :

وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَاءِ
إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) آية بلا خلاف

قرأ ابن عباس وحمزة وحفص ويعقوب (فبشرناها) بنصب الباء . الباقون
بالرفع . قال ابو علي من رفع فباحد امرين : احدها بالابتداء ، والآخر بالظرف
على مذهب من رفع وذلك بين . ومن فتح احتمل ثلاثة اشياء :

احدها - ان يكون في موضع جر والمعنى فبشرناها باسحاق ويعقوب ، وقال
ابو الحسن : وهو قوي في المعنى ، لانها قد بشرت به قال وفي اعمالها ضعف ،
لانك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف كما لا يجوز مررت بزيد في الدار والبيت

(١) مجمع البيان ٣ : ١٧٨

(٢) مجمع البيان ٣ : ١٧٨

عمرو . وقال الرماني لا يجوز ذلك لانه يجب منه العطف على عاملين ، وذلك لا يجوز ، لأنه أضعف من العامل الذي قام مقامه وهو لا يجر ولا ينصب .

الثاني - بحمله على موضع الجار والمجرور كقول الشاعر :

إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدا^(١)

وكقراءة من قرأ « حوراً عيناً » بعد قوله « يطاف عليهم » بكذا^(٢) ومثله قوله :

فلسنا بالجبال ولا الحديد^(٣)

وكقول الشاعر:

جنني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل اسرة منظور بن سيار
أو عامر بن طفيل في مراكبه أو حارثاً حين نادى القوم يا جار^(٤)

فنصب (عامراً) و(حارثاً) كأنه قال أو جنني بعامر فلما اسقط حرف الجر نصب .
الثالث - أن تحمله على فعل مضمر ، كأنه قال فبشرناه بأسحاق ، ووهبنا له يعقوب .

قال ابو علي الفارسي : والوجه الاول نص سيبويه في فتح مثله نحو مررت بزید اول امس وأمس عمرو ، وكذلك قال ابو الحسن قال : لو قلت مررت بزید اليوم وامس عمرو ، كان حسناً ولم يحسن الحمل على الموضع على حد مررب بزید وعمراً ، فالفصل فيها ايضاً قبح الحمل على الجار وغير الجار ، فهذا في القياس مثل الجار في القبح لأن الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل ، وبه يصل

(١) لم اجده

(٢) سورة الصافات اية ٤٥ وسورة الزخرف اية ٧١ وسورة الدهر اية ١٥

(٣) مر هذا البيت في ٣ : ٥٥ : تاماً

(٤) تفسير الطبري ١٢ : ٤٣ (الطبعة الاولى)

الفعل الى المفعول به ، كما يصل الجار فاذا قبح الامر ان وجب أن تحمل قراءة من قرأ بالنصب على تقدير فعل آخر مضمرة يدل عليه (بشرنا) .

وقيل في معنى قوله « وامراته قائمة » ثلاثة اوجه :

أحدها - انها كانت قائمة بحيث ترى الملائكة فضحكت سروراً بالسلامة وأردف ذلك السرور بما كان من البشارة .

والثاني - انها كانت قائمة من وراء الستر تستمع الى الرسل .

والثالث - انها كانت قائمة تخدم الاضياف و ابراهيم جالس .

وقال مجاهد : معنى فضحكت حاضت ، قال الفراء : لم أسمع ذلك من ثقة وجدته كتابة قال الكميت .

واضحكت السباع سيوف سعد لقتلى ما دفن ولا ودينا^(١)

يعني بالحيض وقالوا للحرب بن كعب: تقول ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع والبسر، وقالوا الضحك الطلع وسمع من يحكي أضحكت حوضك إذا ملأته حتى فاض، وانشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر :

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم القا^(٢)

وقال قوم : الضحك العجب وانشد لابي ذؤيب .

فجاء بمزج لم يرَ الناس مثله هو الضحك إلا انه عمل النحل^(٣)

وقيل في معنى « ضحكت » ثلاثة اقوال :

- (١) تفسير الطبري ١٢ : ٤٢ وجمع البيان ٣ : ١٨٠ .
 (٢) جمع البيان ٣ : ١٨٠ وتفسير القرطبي ٨ : ٦٦ والطبري ١٢ : ٤٢ والشوكاني ٢ : ٤٨٦ .
 (٣) تفسير القرطبي ٨ : ٦٧ والطبري ١٢ : ٥٤٣ .

احدها - انها ضحكت تعجباً من حال الاضياف في امتناعهم من اكل الطعام مع أن ابراهيم وزوجته سارة يخدمانهم .

وثانيها - قال قتادة : ضحكت تعجباً من حال قوم لوط اتاهم العذاب وهم في غفلة .

وثالثها - قال وهب بن منية : انها ضحكت تعجباً من ان يكون لها ولد ، وقد هرما ، فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير ، كأنه قال فبشرناها باسحاق فضحكت بعد البشارة .

قوله «فبشرناها» يعني امرأة ابراهيم سارة باسحاق انها تلده ومن بعد اسحاق يعقوب من ولده فبشرت بني بين نبيين ، وهو اسحاق أبوه نبي وابنه نبي .

وقال الزجاج : انما ضحكت لأنها كانت قالت لابراهيم اضمم لوطاً ابن اخيك اليك فاني أعلم ان سينزل على هؤلاء القوم عذاب فضحكت سروراً لما اتى الأمر على ما توهمت .

وقال ابن عباس والشعبي والزجاج يقال لولد الولد هذا ابني من ورائي هو ابن ابني .

قوله تعالى :

(قَالَتْ يَا وَيْلَتِي ۗ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) (٧٢) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار عما قالت امرأة ابراهيم حين بشرت بانها تلد اسحاق وهو ان قالت يا ويلتي . ومعنى يا ويلتي الانذار بورود الأمر الفظيع تقول العرب يا للدراهي اي تعالين فانه من ازمانك بحضور ما حضر من اشكالك . والف (يا ويلتي) يجوز ان يكون الف ندبة . ويحتمل ان يكون للاضافة انقلبت من الياء

وكان هذا القول من امرأة ابراهيم على وجه التعجب بطبع البشرية ، إذ ورد عليها ما لم تجرب به العادة قبل ان تفكر في ذلك كما ولي موسى مديراً حين انقلبت العصاحية حتى قيل له «أقبل ولا تخف»^(١) وإلا هي كانت مؤمنة عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك .

قال الرماني : والسبب في ان العجوز لا تلد أن الماء - الذي يخلق الله (عز وجل) منه الولد مع نطفة الرجل - قد انقطع بدلالة ارتفاع الحيض ، فجعل الله الولد على تلك الحال معجزاً لنبيه ابراهيم (ع) .

وقال مجاهد : كان لابراهيم في ذلك مئة سنة ولها تسع وتسعون سنة .

وقال ابن اسحاق : كان لابراهيم مئة وعشرون سنة ، ولسارة تسعون سنة .

والبعل الزوج ، واصله القائم بالأمر ، فيقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الانهار والعيون : بعل ، لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له ، ومالك الشيء القيم بتدبيره : بعل ، ومنه قوله تعالى «اتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين»^(٢) .

و (شيخاً) نصب على الحال ، والعامل فيه ما في هذا من معنى الاشارة أو التنبيه . وفي قراءة ابن مسعود بالرفع . ويحتمل الرفع في قوله سيبويه والحليل أربعة أوجه ، فيرفع (هذا) بالابتداء ، و (بعلي) خبره ، و (شيخ) خبر ثاني ، كأنه قال هذا شيخ ، ويجوز ان يكونا خبرين لهذا ، كقولك هذا حلو حامض ، ويجوز ان يكون (بعلي) بدلاً من (هذا) وبياناً له و (شيخ) خبره .

وقوله « ان هذا شيء عجيب » ان يكون الولد بين عجوزين شيخين شيء يتعجب منه .

(١) سورة القصص آية ٣١ .

(٢) سورة الصافات آية ١٢٥ .

قوله تعالى :

(قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (٧٣) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية عما قالت الملائكة لامرأة ابراهيم حين تعجبت من ان تلد
بعد الكبر ، فانهم قالوا لها «أتعجبين من أمر الله» وهذه الألف للاستفهام ومعناها
ههنا التنيبه ، وليست الف انكار ، وانما هي تنيبه وتوقيف . والعجب يجري على
المصدر وعلى المتعجب منه كقولك : هذا أمر عجب ، ولا يجوز العجب من أمر
الله ، لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل شيء من الاجناس ، لا يعجزه شيء ، وما
عرف سببه لا يعجب منه .

وقوله «رحمة الله وبركاته عليكم» يحتمل معنيين :

احدهما - الدعاء لهم بالرحمة والبركة .

الثاني - التذكير بنعمة الله وبركاته عليهم ، والإخبار لهم بذلك .

وقوله «اهل البيت» يدل على ان زوجة الرجل تكون من اهل بيته في -
قول الجبائي - وقال غيره إنما جعل سارة من اهل البيت لما كانت بنت ، عمه على
ما قاله المفسرون .

وقوله «انه حميد مجيد» معناه مستحمد الى عباده . وقال ابو علي : يحمد
المؤمنين من عباده ، والمجيد الكريم - في قول الحسن - يقال : مجد الرجل يمجده
مجداً اذا كرم قال الشاعر :

رفعت مجد تميم باهلل لها رفع الطراف على العلياء بالعمد^(١)

(١) لم اجده في ما حضرني من المصادر .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) (٧٤) آية في الكوفي والمدني .

أخبر الله تعالى انه حين ذهب عن ابراهيم الروع، وهو الافزاع، يقال : راعه يروعه روعاً اذا افزعه قال عنتره :

ما راعني الا حمولة اهلها وسط الديار تسف حب الخمخم^(١)

أي ما افزعني ، وارتاع ارتباعاً اذا خاف . و (الروع) بضم الراء النفس ، يقال ألقى في روعي ، وهو موضع الخفاة و « جاءته البشري » يعني بالولد « يجادلنا » وتقديره جعل يجادلنا ، فجواب (لما) محذوف لدلالة الكلام عليه ، لان (لما) تقتضيه، والفعل خلف منه . وقال الاخفش (يجادلنا) بمعنى جادلنا . وقال الزجاج : يجوز ان يكون ذلك حكاية حال قد جرت ، والا فالجيد ان تقول : لما قام قتت ، ولما جاء جئت . ويضعف ان تقول : لما قام اقوم ، والتقدير في الآية لما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشري اقبل يجادلنا، واخذ يجادلنا .

وقوله « يجادلنا » يحتمل معنيين احدهما يجادل رسلنا من الملائكة - في قول الحسن - الثاني - يسألنا في قوم لوط . والمعنى انه سأل الله، إلا انه استغني بلفظ (يجادلنا) لأنه حرص في السؤال حرص المجادل .

وقيل في ما به جادل ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن : انه جادل الملائكة بأن قال لهم : « ان فيها لوطاً »^(٢) كيف تهلكونهم ، فقالت له الملائكة « نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله »^(٣) .

(١) ديوانه (دار بيروت) : ١٧ والمعلقات العشر : ١٢٤ وتفسير الطبري ١٥ : ٤٠١ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٣٢ .

الثاني - قال قتادة انه سألهم : أتعدون خمسين من المؤمنين ان كانوا؟ قالوا: لا ، ثم نزل الى عشرة فقالوا : لا .

الثالث - قال ابو علي : جادلهم ليعلم بأي شيء استحقوا عذاب الاستئصال وهل ذلك واقع بهم لا محالة أم على سبيل الاخافة ؟ ليرجعوا الى الطاعة .

قوله تعالى :

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) (٧٥) آية في الكوفي والمدني

وهذا آخر الآية مع الاولى في البصري .

هذا إخبار من الله تعالى عن حال ابراهيم ، وصفه بأنه كان أوّاهاً . وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن : الأوّاه الرحيم . وقال مجاهد هو الرجّاع ، وقال الفراء : هو كثير الدعاء .

وقال قوم : هو المتأوه . وقال قوم : هو الرجّاع المتأوه خوفاً من العقاب ، ومثل ذلك حصل له الامان لتمكين الاسباب الصارفة عن العصيان . و (الحليم) هو الذي يمهّل صاحب الذنب ، فلا يعاجله بالعقوبة .

وقيل : كان ابراهيم ذا احتمال لمن آذاه وخنى عليه لا يتسرع الى المكافاة ، وان قوي عليه . والائاة السكون عند الحال المزعجة عن المبادرة ، وكذلك التأنّي : التسنن عند الحال المزعجة من الغضب ، ويوصف الله تعالى بأنه حلیم من حيث لا يعاجل العصاة بالعقاب الذي يستحقونه لعلهم بما في العجلة من صفة النقص .

و (المنيب) هو الراجع الى الطاعة عند الحال الصارفة ، ومنه قوله «وانيبوا الى ربكم» والتوبة الانابة ، لانها رجوع الى حال الطاعة ، وكون ابراهيم منيباً

الى طاعة الله لا يدل على انه كان عاصياً قبل ذلك ، بل انه يفيد انه كان يرجع الى طاعته في المستقبل ، وان كان على طاعته أيضاً فيما مضى ، وقال ابو علي : كان يرجع الى الله في جميع أموره ويتوكل عليه .

قوله تعالى :

(يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) آية .

في هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لابراهيم (ع) فانها نادته بأن قالت « يا ابراهيم اعرض عن هذا ، والقول . والاعراض الذهاب عن الشيء في جهة العرض ، ويكون انصرفاً عنه بالوجه والتفكير .

والاشارة بقوله « عن هذا » الى الجدل ، وتقديره يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدل في قوم لوط ، لان العذاب نازل بهم لا بحالة .

وقوله « جاء أمر ربك » يحتمل أمرين : احدهما - جاء امره لنا بالعذاب . والثاني - جاء اهلاكه لهم بما لا مرد له .

وقوله « غير مردود » اي غير مدفوع ، والرد اذهاب الشيء الى حيث جاء منه ، تقول رده رده رداً ، فهو راد والشيء مردود والرد والدفع واحد ، ونقيضه الاخذ . والفرق بين الدفع والرد ، ان الدفع قد يكون الى جهة القدم والخلف ، والرد لا يكون إلا الى جهة الخلف .

قوله تعالى :

(وَمَا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) (٧٧) آية بلا خلاف .

في هذه الآية إخبار من الله تعالى أنه لما جاءت رسله لوطاً سيء بهم ، معناه ساءه مجيؤهم ، وأصله سوى بهم فنقلت حركة الواو الى السين ، وقلبت همزة ، والضمير في « بهم » عائد الى الرسل ، ويجوز تخفيف الهمزة بإلقاء الحركة على ما قبلها ، ومنهم من يشدد على الشذوذ .

وقوله « وضاق بهم ذرعاً » قال ابن عباس ساء بقومه « وضاق بهم ذرعاً » أي باضيافه ، وانه لما رأى لهم من جمال الصورة ، وقد دعوه إلى الضيافة ، وقومه كانوا يسارعون الى امثالهم بالفاحشه ، فضاق بهم ذرعاً ، لهذه العلة .

والمعنى انه ضاق بهم ذرعه : ضاق بأمره ذرعاً اذ لم يجد من المكروه مخلصاً .

وقوله « ضاق » بحفظهم من قومه ذرعه . حيث لم يجد سبيلاً الى حفظهم من فجّار قومه .

والفرق بين السوء والقبيح ان السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه ، والقبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله .

وقوله « وقال هذا يوم عصيب » حكاية ما قاله لوط في ذلك الوقت بأن هذا يوم شديد الشر ، لان العصيب الشديد في الشر خاصة ، كأنه التف على الناس بالشر او يكون التف شره بعضه على بعض يقال يوم عصيب ، قال عدي بن زيد :

وكنت لزاز قومك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب^(١)

وقال الراجز :

(١) تفسير الطبري ١٥ : ٤٠٩ والاغاني (دار الثقافة) ٢ : ٩٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٩٤
وقد روى (خصمك) بدل (قومك) والبيت من قصيدة قالها وهو في حبس النعمان بن المنذر . و (الزاز) هو شدة الخصومة . ومعنى (لم اعرد) لم احجم ، ولم انكص .

يوم عصيب يعصب الأبطالا عصب القوي السلم الطوالا^(١)

وقال آخر :

فانك إن لا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب^(٢)

وقال كعب بن جميل :

ويلبون بالحضيض قيام عارفات منه بيوم عصيب^(٣)

قوله تعالى :

(وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هُوَ لَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا
تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) (٧٨).

اخبر الله تعالى عن قوم لوط أنهم حين أحسوا بمن نزل بلوط، وظنوم أضيافه
جاءوا لوطاً «يهرعون» أي يسرعون، والاسراع : الاهراع في الشيء - في قول
بجاهد، وقتادة، والسدي - وانما أهرعوا لطلب الفاحشة، لما اعلمتهم عجوز
السوء : امرأة لوط بمكان الاضياف، فقالت ما رأيت احسن وجوهاً، ولا اطيب
ريحاً، ولا انطق لساناً وثنايا منهم . وقال الشاعر :

بمعجلات نحوه مهارع^(٤)

(١) تفسير الطبري ١٥ : ٤١٠ ومجاز القرآن ١ : ٢٩٤ وروح المعاني ١٢ : ٩٥
ولم يعرف قائله .

(٢) تفسير الطبري ١٥ : ٤١٠ ومجاز القرآن ١ : ٢٩٤ .

(٣) تفسير الطبري ١٥ : ٤١٠ ومجاز القرآن ١ : ٢٩٤ وروايته (فنام) .

(٤) تفسير الطبري ١٥ : ٤١٢ ومجاز القرآن ١ : ٢٩٤ .

وقال مهلهل :

فجاؤا يهرعون وهم أسارى نقودهم على رغب الأنوف^(١)

وقوله « ومن قبل كانوا يعملون السيئات » وهي اتيان الذكور في الادبار ، ومعناه انهم كانوا قبل هذا المجيء يعملون ذلك . وقيل من قبل ألفوا الفاحشة ، فجاهروا بها ، ولم يستحيوا منها .

وقوله « قال يا قوم » يعني لوطاً لما رآهم هموا باضيافه عرض عليهم النكاح المباح ، وأشار الى نساء فقال « هؤلاء بناتي هن اطهر لكم » قال قتادة . كن بناته لصلبه . وقال مجاهد كن بنات امته فكن كالبينات له ، فان كل نبي ابو أمته وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم .

وقوله « فاتقوا الله » امر من لوط لهم بتقوى معاصي الله وأن لا يفضحوه في اضيافه . وقوله « أليس منكم رجل رشيد » خرج نخرج الانكار عليهم وان كان لفظه لفظ الاستفهام . والرشيد هو الذي يعمل بما يقتضيه عقله ، لانه يدعو الى الحق ، ومنه الارشاد في الطرق ، فقال : أما منكم من يدعو الى الحق ويعمل به . ونقيض الرشد الغي .

ولا يجوز نصب (أطهر) في - قول سيبويه واكثر النحويين - لأن الفصل إنما يدخله مع الخبر ليؤذن بأنه معتمد الفائدة دون ما هو زائد في الفائدة ، او على معنى الصفة ، فلماذا لم يخبر في الحال . وأجمعوا على انه لا يجوز (قدم زيد هو ابنك) الا بالرفع . ومن اجازته فانما يميزه مع المبهم من (هذا) ونحوه تشبيهاً بخبر (كان) . وقرأ الحسن وعيسى بن عمرو بالنصب .

وقيل في وجه عرض المسلمة على الكفار قولان :

قال الحسن : ان ذلك كان جائزاً في شرع لوط ، وفي صدر الاسلام أيضاً ،

(١) اللسان (هرع) وتفسير الطبري ١٥ : ٤١٢ وتفسير روح المعاني ١٢ : ٩٥ ، وغيرها .

ولذلك زوج النبي ﷺ بنته بابي العاص قبل أن يسلم. ثم نسخ بقوله «ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا» (١).

والثاني - قال الزجاج إن ذلك عرض بشرط ان يؤمنوا ، على ما هو شرط النكاح الصحيح .

والضيف يقع على الواحد والاثنين والجماعة .

قوله تعالى :

(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُرِيدُ) (٧٩) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به قوم لوط حين عرض عليهم بناته ونهائم عن الفواحش ، ودعاهم الى النكاح المباح ؛ بأن قالوا «ما لنا في بناتك من حق» وقيل في معناه قولان :

قال ابن اسحاق والجبائي : معناه انهن لسن لنا بازواج .

والآخر - اننا ليس لنا في بناتك من حاجة ، فجعلوا تناول ما ليس لهم فيه حاجة بمنزلة ما لا حق لهم فيه . فمن قال بالاول رده على ظاهر اللفظ . ومن قال بالثاني حمله على المعنى . وقوله «وانك لتعلم ما نريد» تمام حكاية ما قالوه للوط ، كأنهم قالوا له انك تعلم مرادنا من اتيان الذكران دون الاناث .

قوله تعالى :

(قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) (٨٠)
آية بلا خلاف .

هذه حكاية ما قال لوط عند أبياسه من قبول قومه ، بأنه قال «لو ان لي بكم قوة»

ومعناه اني لو قدرت على دفعكم وقويت على منعمكم من اضيائي لملت بينكم وبين ما جئتم له من الفساد ، وحذف لدلالة الكلام عليه .

وقوله «او آوي الى ركن شديد» معناه لو كان لي من استعين به في دفاعكم .
وقيل معناه لو كان لي عشيرة ، قال الراجز :

ياوي الى ركن من الاركان في عدد طيس ومجد بان^(١)

والركن معتمد البناء بعد الاساس ، وركنا الجبل جانباه . وإنما قال هذا القول مع انه كان ياوي الى الله تعالى ، لأنه انما أراد العدة من الرجال ، وإلا ، فله ركن وثيق من معونة الله ونصره ، إلا انه لا يصح التكليف إلا مع التمكين . والقوة القدرة التي يصح بها الفعل ، ويقال للعدة من السلاح قوة ، كقوله «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة»^(٢) والشدة يجمع يصعب معه التفكك ، وقد يكون بعقد يصعب معه التحلل .

قوله تعالى :

(قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) (٨١)
آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ أهل الحجاز (فاسر) بوصل الهمزة من سریت . الباقون بقطعها . وقرأ ابن كثير وابو عمرو «إلا امرأتك» بالرفع . الباقو بالنصب .

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٩٤ وتفسير الطبري ١٥ : ٤٢٢ ومعنى (عدد طيس) عدد كثير .

(٢) سورة الانفال آية ٦١ .

فحجة من قرأ بقطع الهمزة قوله تعالى «سبحان الذي اسرى بعبده»^(١) ومن وصل الهمزة فالمعنى واحد .

اللفظة والمعنى :

يقال اسرى اسرى وسرى يسرى، فهو سار لغتان بمعنى واحد . والاسراء: سير الليل قال امرؤ القيس :

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحق الجياد ما يقدن بارسان^(٢)
وقال النابغة :

اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد^(٣)

اخبر الله تعالى عما قالت الملائكة رسلا للوط حين رآته كثيراً بسببهم «انا رسل ربك» بعثنا الله لاهلاك قومك ، فلا تغتم ، فانهم لا ينالونك بسوء (فاسر باهلك ، اي امض ومعك اهلك بالليل .

وقوله «بقطع من الليل» والقطع القطعة العظيمة تمضي من الليل . وقال ابن عباس : طائفة من الليل . وقيل هو نصف الليل كأنه قطع نصفين ، ذكره الجبائي وقيل معناه في ظلمة الليل .

وقوله «ولا يلتفت منكم احد» قيل في معناه قولان :

احدهما - قال مجاهد لا ينظر احد وراه ، كأنهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة .

والآخر - قال أبو علي لا يلتفت منكم احد الى ماله ولا متاعه بالمدينة ، وليس

(١) سورة الاسرى آية ١ .

(٢) ديوانه : ٢١٠ وروايته (مطوت) بدل (سريت) والمعنى واحد لأن المطو: هو امتداد السير . و(مطيهم) ما يركبونه من خيل او جمال . والارسان هي الحبال التي يقودون الخيل بها .

(٣) ديوانه ٣١ وجمع البيان ٣ : ١٨٢ .

المعنى لا يلتفت من الرؤية ، كأنه أراد ان في الرؤية عبرة ، فلم ينهوا عنها وإنما
نہوا عما يفترهم عن الجد في الخروج من المدينة .

ومن رفع (امراتك) جعله بدلاً من قوله « ولا يلتفت منكم أحد » ومن نصبه
جعله استثناء من قوله « فأسر بأهلك » كأنه قال فأسر بأهلك إلا امرأتك، وزعموا
ان في مصحف عبدالله وأبي « فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك » ، وليس
فيه « ولا يلتفت منكم احد » وجاز النصب على ضعفه . والرفع الوجه . وقيل
ان لوطاً لما عرف الملائكة اذن لقومه في الدخول الى منزله ، فلما دخلوه طمس
جبرائيل (ع) اعينهم فعميت - هكذا ذكره قتادة - وعلى أيديهم ، فجفت
حكاها الجباني .

وقوله « ان موعدم الصبح اليس الصبح بقريب » معناه إن موعد اهلاكم
عند الصبح . وإنما قال « اليس الصبح بقريب » لأنه لما اقتضى عظيم ما قصدوا له
- من الفحش - إهلاكهم ، فقالت الملائكة هذا القول تسلية له .

وقيل انه قال لهم اهلكوهم الساعة ، فقالت الملائكة له ان وقت اهلاكم
الصبح « اليس الصبح بقريب » .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا
مِّنْ سَجِيلٍ * مَّنْضُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ
بِبَعِيدٍ) (٨٣) آيتان تمام الآية الاولى في المدني قوله « سجيل » وعند
الباقيين قوله « منضود » .

قيل في قوله « فلما جاء امرنا » ثلاثة أقوال .

احدها - جاء امرنا الملائكة باهلاك قوم لوط .

الثاني - جاء امرنا يعني العذاب، كأنه قيل (كن) على التعظيم وطريق المجاز، كما قال الشاعر :

فقال له العينان سمعاً وطاعة وحدرتا كالدر لما ينقب^(١)

والثالث - ان يكون الأمر نفس الاهلاك، كما يقال : لأمر ما، أي لشيء ما وقال الرماني : انما قال امرنا بالاضافة ولم يميز مثله في شيء ، لان في الأمر معنى التعظيم ، فمن ذلك الأمر خلاف النهي ، ومن ذلك الامارة ، والتأمر .

وقوله « جعلنا عاليها سافلها » معناه قلبنا القرية أسفلها أعلاها « وامطرنا عليها » يعني أرسلنا على القرية حجارة بدل المطر حتى أهلكتهم عن آخرهم . والامطار إحدار المطر من السماء .

وقوله « من سجيل » قيل في معنى سجيل ثمانية أقوال :

احدها - انها حجارة صلبة ليست من جنس حجارة الثلج والبرد . وقيل هو فارسي معرب (سنل، وكل) ذكره ابن عباس وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير . والثاني - قال الفراء من طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الآجر ، ويقويه قوله « لترسل عليهم حجارة من طين »^(٢) . وقال ابو عبيدة انها شديدة من الحجارة وانشد لابن مقبل :

ضرباً توأصى به الابطال سجيناً^(٣)

إلا ان النون قبلت لأمأ .

الثالث - من مثل السجيل في الارسال ، والسجيل الدلو ، وقال الفضل ابن العباس :

من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو الى عقد الكرب^(٤)

(١) مر تخريجه في ١ : ٤٣١ وهو في مجمع البيان ٣ . ١٨٥ .

(٢) سورة الذاريات آية ٣٣ .

(٣) مجمع البيان ٣ . ١٨٣ ومجاز القرآن ١ . ٢٩٦ واللسان (سجل) ، (سجن) وتفسير

الطبري ١٥ . ٤٣٤ .

(٤) تفسير الطبري ١٥ . ٤٣٥ .

الرابع - من اسجلته اذا أرسلته، فكأنه مثل ما يرسل في سرعة الارسال .
 الخامس - من اسجلته اذا اعطيته ، فتقديره مرسل من العطية في الادرار .
 السادس - من السجل وهو الكتاب ، فتقديره من مكتوب الحجارة ، ومنه قوله « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم »^(١) وهي حجارة كتب الله ان يعذبهم بها ، اختاره الزجاج .
 السابع - من سجين اي من جهنم ثم ابتدلت النون لاما .
 الثامن - قال ابن زيد من السماء الدنيا ، وهي تسمى سجيلا .
 ومعنى « منضود » قيل فيه قولان :

احدهما - قال الربيع نضد بعضه على بعض حتى صار حجراً ، وقال قتادة مصفوف في تتابع ، وهو من صفة سجيل ، فلذلك جره .
 وقوله « مسومة » يعنى معمة ، وذلك انه جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب ، فاهلكوا بها ، قال قتادة : كانوا أربعة آلاف الف . وقيل : كانت مخططة بسواد وحمرة ذكره الفراء فتلك تعليمها ، ونصب (مسومة) على الحال من الحجارة .

وقوله « عند ربك » معناه في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا باذنه ، فاذا أمر الملك ان يطررها على قوم فعل ذلك باذنه . واصل المسومة من السياء ، وهي العلامة ، وذلك ان الابل السائمة تختلط في المرعى ، فيجعل عليها السياء لتمييزها .

وقوله « وما هي من الظالمين ببعيد » قيل في معناه قولان :
 احدهما - ان مثل ذلك ليس ببعيد من ظالمي قومك يا محمد اراد به اذهاب قريش ، وقال ابو علي ذلك لا يكون إلا في زمان نبي أو عند القيامة ، لأنه معجز .
 والثاني - قال « وما هي من الظالمين ببعيد » يعنى من قوم لوط انها لم تكن تخطيهم . وقال مجاهد : إن جبرائيل (ع) ادخل جناحه تحت الارض السفلى من قوم

(١) سورة المطففين آية ٧ - ٩ .

لوط ثم أخذهم بالجنح الايمن فاخذهم مع سرحهم ومواشيهم . ثم رفعها الى سماء الدنيا حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم . ثم قلبها ، فكان اول ماسقط منها شرافها ، فذلك قول الله تعالى « فجعلنا عاليها سافلها » قال السدي وهو قوله « والمؤتفكة اهوى »^(١) وإنما أمطر الله عليهم الحجارة بعد أن قبلت قريتهم تغليظاً للعذاب وتعظيماً له ، وقيل قتل بها من كان بقي حياً ، وقرية قوم لوط يقال لها : سدوم ، بين المدينة والشام . وقيل إن إبراهيم (ع) كان يشرف عليها فيقول : سدوم يوم ما لك .

قوله تعالى :

(وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا أَمْكِيالَ وَأَمْلِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) (٨٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه أرسل شعيباً - أخا مدين - اليهم نبياً ، وانما سمي شعيباً أخاهم ، لأنه كان من نسبهم . وقيل : انهم من ولد مدين بن ابراهيم . وقيل ان مدين اسم القبيلة او المدينة التي كانوا فيها - في قول الزجاج - فعلى هذا يكون التقدير ، والى اهل مدين أخاهم كما قال « واسأل القرية » فقال لهم شعيب : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ، فانه ليس لكم إله يستحق العبادة سواه ، ونهاهم ان يبخسوا الناس فيما يكيلوا به لهم ويزينونه لهم ، وقال لهم إني أراكم بخير ، يعني برخص السعر ، وحذرهم الغلاء - في قول ابن عباس والحسن - وقال قتادة وابن زيد : اراد بالخير زينة الدنيا والمال . وقال لهم « إني أخاف عليكم عذاب يوم محيط » يعني يوم القيامة ، لانه يحيط عذابه بجميع الكفار في قول الجبائي ، فوصف اليوم بالاحاطة ، وهو من نعت العذاب في الحقيقة ، لأن اليوم

محيط بعذابه بدلاً من إحاطته بنعيمه، وذلك أظهر في الوصف وأهول في النفس. والنقصان اخذ الشيء عن المقدار والزيادة ضم الشيء الى المقدار، وكله خروج عن المقدار أو نقصه عنه. والوزن تعديل الشيء بغيره في الحقة والثقيل بآلة التعديل، وإذا قيل شعر موزون معناه معدل بالعروض.

قوله تعالى :

(وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (٨٥) آية بلا خلاف.

وهذا أيضاً حكاية ما قال شعيب لقومه، وإنه امرهم ان يوفوا المكيال والميزان بالقسط يعني بالعدل والسوية، « ولا تبخسوا الناس اشياءهم » أي لا تنقصوهم « ولا تعتوا في الارض مفسدين » أي لا تضطربوا بالقبيح.

اللفظة :

يقال عشي يعشي عشاء، وعاش يعيث عيشاً، بمعنى واحد، والوفاء تمام الحق. والوفاء به إتمامه يقال: وفي يفي وأوفى لغتان، ونقيض الوفاء البخس. والفرق بين البخس والظلم أن الظلم أعم، لأن البخس نقصان الحق اللازم، وقد يكون الظلم الألم بغير حق.

قوله تعالى :

(بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنُونَ * وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيفٍ) (٨٦) آية .

البقية تركه شيء من شيء قد مضى، والمعنى بقية الله من نعمه. وقيل « بقية الله، طاعة الله - في قول الحسن ومجاهد - لأنه يبقى ثوابها أبداً، وكانت هذه البقية خيراً من تعجيلهم النفع بالبخس في المكيال والميزان، وإنما شرط أنه خير بالآيمان في قوله « ان كنتم مؤمنين » وهو خير على كل حال، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله

عرفوا صحته . ووجه آخر - ان المراد « إن كنتم مؤمنين » فهو ثابت .

وقوله « وما انا عليكم بحفيظ » معناه ههنا ان هذه النعمة التي انعمها الله عليكم لست أقدر على حفظها عليكم . وإنما يحفظها الله عليكم . إذا اطعمتموه ، فان عصيتموه أزالها عنكم .

وقال قوم « وما انا عليكم بحفيظ » احفظ عليكم كيحكم ووزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم ، ولا تظلموهم ، وإنما علي ان انهاكم عنه .

قوله تعالى :

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (٨٧)
آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «أصلاتك» على التوحيد . الباقر على الجمع .

هذا حكاية ما قال قوم شعيب له (ع) حين نهاهم عن بنس المكيال والميزان وأمرهم بإيفاء الحقوق « يا شعيب اصلاتك تأمرك » بهذا ، قال الحسن وأرادوا بالصلاة الدين أي ادينك . وقال الجبائي يريدون ما كانوا يرونه من صلته لله وعبادته إياه ، وإنما اضاف ذلك الى الصلاة ، لانها بمنزلة الامر بالخير ، والتناهي عن المنكر ، وقيل أدينك ، على ما حكيناه عن الحسن .

وقوله « ان نترك ما يعبد ابائنا » كرهوا الانتقال عن دين آباءهم ودخلت عليهم شبهة بذلك ، لأنهم كانوا يعظمون آباءهم وينزهونهم عن الغلط في الأمر ، فقالوا لولم يكن صواباً ما فعلوه ، وان خفي عنا وجهه . وقوله « انك لانت الحليم الرشيد » قيل في معناه قولان :

احدهما - أنهم قالو ذلك على وجه الاستهزاء - في قول الحسن وابن جريج وابن زيد . والآخر - أنهم ارادوا « أنت الحلیم الرشید » عند قومك ، فلا يليق هذا الأمر بك ، وقال المؤرج « الحلیم الرشید » معناه الاحتمق السفیه ، بلغة هذيل ، والحليم الذي لا يعاجل مستحق العقوبة بها ، والرشيد المرشد .

قال الزجاج « او ان نفعل » موضع (أن) نصب والمعنى او تأمر ان نترك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء ، والمعنى إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا . وقال الفراء : معناه انا نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء ، ف (ان) مردودة على نترك . ووجه آخر ، وهو ان يجعل الأمر كالنهي ، كأنه قال أصلاتك تأمرك بذا أو تنهاها عن ذا ، فهي حينئذ مردودة على (ان) الاولى ولا اضمار فيه ، كأنك قلت تنهاها ان نفعل في اموالنا ما نشاء ، كما تقول اضربك ان تسيء ، كأنه قال انهاك بالضرب عن الاساءة . ويقرأ « ان نفعل في اموالنا ما نشاء » . والذي نقوله ان قوله « ان نفعل » ليس بمعطوف على (ان) الاولى ، وانما هو معطوف على (ما) وتقديره فعل ما نشاء في اموالنا ، وليس المعنى اصلاتك تأمر ان نفعل في اموالنا ما نشاء ، لأنه ليس بذلك امرهم .

و « الرشيد » معناه رشيد الأمر ، في امره إياهم ان يتركوا عبادة الالهة . وقيل ان قوم شعيب عذبوا في قطع الدراهم وكسرها وحذفها .

قوله تعالى :

(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (٨٨) آية بلا خلاف .

جواب (أن) في الآية محذوف، والتقدير يا قوم إن كنت على حجة ودلالة من ربي ، ومع ذلك رزقني منه رزقاً حسناً ، وإنما وصفه بأنه حسن مع ان جميع رزق الله حسن لامرين :

احدهما - انه اراد به (حسناً) حسن موقعه لجلالته وعظمته .

والثاني - انه اراد ما هو عليه على وجه التأكيد . وقيل إن الرزق الحسن ههنا النبوة . وقال البلخي معناه الهدى والايان ، لانها لا يوصل اليهما إلا بدعائه وبيانه ومعونته ولطفه، وتريدون أن أعدل عما انا عليه من عبادته مع هذه الحال الداعية اليها؟ ، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه ، والرزق عطاء الخير الجاري في حكم المعطي، والعطية الواصلة من الانسان رزق من الله . وصلة من الانسان، لإدرار الخير على العبد في حكمه .

وقوله « وما أريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه » . قيل في معناه قولان :

احدهما - ليس نهيي لكم لمنفعة اجرها الى نفسي بما تتركون من منع الحقوق .

والثاني - أنا لا انهي عن القبيح وافعله مثل من ليس بمستبصر في امره ، كما

قال الشاعر :

لاتنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم^(١)

وقوله « ان أريد الا الاصلاح » معناه لست أريد بما آمركم به وانهاكم عنه الا

اصلاح حالكم ما قدرت عليه .

وقوله « وماتو فيقي الا بالله » والتوفيق عبارة عن اللطف الذي تقع عنده

الطاعة وذلك بحسب ما يعلم الله تعالى . وإنما لم يكن الموفق للطاعة الا الله ، لان

احداً لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة - من غير تعليم - سواه تعالى .

وقوله « عليه توكلت » معناه على الله توكلت وفوضت أمري اليه على وجه

الرضا بتدبيره مع التمسك بطاعته « واليه أنيب » قيل في معناه قولان :

(١) مر هذا البيت في ١ : ١٩١ و ٢ : ١٩٣ و ٣ : ٤ و ٥ : ١٢٥

احدهما - قال مجاهد : اليه ارجع . والثاني - قال الحسن : اليه ارجع بعلمي
وبنيتي اي اعمل اعمالا لوجه الله .

قوله تعالى :

(ويا قوم لا يحرج منكم شقائي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم
ببعيد) (٨٩) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما قال شعيب لقومه حين لم يقبلوا امره ونهيه « يا قوم لا
يحرج منكم » وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال الحسن وقتادة لا يحملنكم .

والثاني - قال : الزجاج معناه لا يكسبنكم ، كانه قال لا يقطعنكم اليه بحملكم عليه .
والشقاق والمشاققة المباعدة بالعداوة الى جانب المباينة ، وشقها . وكان سبب
هذه العداوة دعاؤه لهم الى مخالفة الابهاء والاجداد في عبادة الاوثان . وما يثقل
عليهم من الايفاء في الكيل والميزان .

وقوله « ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح » قيل
اهلك الله قوم نوح بالغرق ، وقوم هود بالريح العقيم ، وقوم صالح بالرجفة ، وقوم
لوط بالإتفانك ، فحذرهم شعيب ان يصيبهم مثل ذلك .

وقوله « وما قوم لوط منكم ببعيد » قيل في معناه قولان :

احدهما - قريب منكم في الزمان الذي بينهم وبينكم ، في قول قتادة .
والاخر - ان دارهم قريبة من دارهم فيجب ان يتعظوا بهم .

قوله تعالى :

(وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ

وَدُّودٌ (٩٠) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما قال شعيب أيضاً لقومه بعد تحذيره اياهم عذاب الله وحشهم على ان يطلبوا مغفرة الله . ثم يرجعوا الى طاعته ، واخبرهم ان الله رحيم بعباده ، يقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم ، ودود بهم أي محب لهم ، ومعناه مرید لمنافعهم .

وقيل في معنى « استغفروا ربكم ثم توبوا اليه » قولان :
 احدهما - اطلبوا المغفرة من الله بأن يكون غرضكم . ثم توصلوا اليها بالتوبة .
 الثاني - استغفروا ربكم ثم اقيموا على التوبة .
 ووجه ثالث - ان معناه استغفروا ربكم على معاصيكم الماضية . ثم ارجعوا اليه بالطاعات في المستقبل .
 والمودة على ضربين : احدهما - بمعنى المحبة ، تقول وددت الرجل اذا احببته ، والثاني - وددت الشيء اذا تمنيته أود فيهما مودة وانا واد ، والودود المحب لاغير .

قوله تعالى :

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا ۖ إِنَّمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) (٩١)
 آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما اجاب به قوم شعيب له (ع) فقالوا له حين سمعوا امته الرعظ والتخويف : لسنا نفقه أي لسنا نفهم عنك معنى كلامك ، والفقة : فهم الكلام على ما تضمن من المعنى ، وقد صار علماً لضرب من علوم الدين ، فصار الفقة عبارة عن علم مدلول الدلائل السمعية ، واصول الدين علم مدلول الدلائل العقلية .

وقوله « وانا لترك فينا ضعيفاً » قيل في معناه اربعة اقوال : قال الحسن : معناه مهينا ، وقال سفيان : معناه ضعيف البصر ، وقال سعيد بن جبير وقتادة : كان اعمى . قال الزجاج ويسمى الاعمى بلغة حمير ضعيفاً .

وقال الجبائي معناه : ضعيف البدن .

وقوله « ولولا رهطك » فالرهط عشيرة الرجل وقومه ، واصله الشد ، والترهط شدة الاكل ، ومنه الرهطاء جحر اليربوع لشدة وتوثيقه ليخبيء فيه ولده .

وقوله « لرجمنك » فالرجم الرمي بالحجارة ، والمعنى لرمينك بالحجارة .

وقيل معناه لسبتينك « وما انت علينا بعزيز » اي علينا لست بممتنع ، فلا نقدر عليك بالرجم ، ولا أنت بكرم علينا ، وانما تمتنع لمكان عشيرتك . وعشيرته كانوا على دينه .

قوله تعالى :

(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (٩٢) آية .

هذا حكاية ما قال شعيب لقومه حين قالوا « لولا رهطك لرجمنك » يا قوم اعشيري وقومي أعز عليكم من الله . والاعز الأقوى الا منع . والاعز نقيض الاذل ، والعزة نقيض الذلة والعزير نقيض الذليل .

وقوله « واتخذتموه وراءكم ظهريا » فالأخذ اخذ الشيء لامر يستمر في المستأنف كاتخاذ البيت واتخاذ المركوب ، والظهري جعل الشيء وراء الظهر قال الشاعر :
وجدنا نبي البرصاء من ولد الظهر^(١)

(١) قائله ارطاة ابن سببة ، انظر نسبه في الاغانى ١٣ : ٢٧ (دار الثقافة) . والبيت في اللسان (ظهر) ومجاز القرآن ١ : ٣٩٨ وتفسير الطبري (دار المعارف) ١٥ : ٥٩٠ وصدوره : فمن مبلغ ابنا مرة أتنا ...

وقال آخر :

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا علي جوابها^(١)

وقيل فيما تعود الهاء اليه من قوله « اتخذتموه » ثلاثة اقوال : فقال ابن عباس والحسن : انها عائدة على الله . وقال مجاهد : هي عائدة على ما جاء به شعيب . وقال : الزجاج : هي عائدة على أمر الله .

وقوله « ان ربي بما تعملون محيط » قيل في معناه ههنا قولان :

احدهما - انه محص لاعمالكم لا يفوته شيء منها .

الثاني - انه خبير باعمال العباد ليجازيهم بها - ذكره الحسن - قال سفيان كان شعيب خطيب الأنبياء .

قوله تعالى :

(وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٩٣)
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ
رَقِيبٌ) (٩٤) آيتان .

فقال لهم شعيب ايضاً « يا قوم اعملوا على مكانتكم ، والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمل ما ، فقال لهم قد مكنتم في الدنيا من العمل ، كما مكن غيركم ممن عمل بطاعة الله ، وسترون منزلتكم من منزلته . وهذا الخطاب وإن كان ظاهره ظاهر الأمر فالمراد به التهديد ، وتقديره كأنكم انما أمرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والعصيان . وفي هذا نهاية الخزي والهوان .

وقوله « سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه » معناه انكم تعلمون في المستقبل

(١) قائله الفرزدق ديوانه ١ : ٩٥ وقد مر في ٣ : ٧٤ وهو في اللسان (ظهر) ورواية

الديوان (زيد لا تهون) بدل (قيس لا تكونن) .

من يحل به العذاب الذي يخزيه اي يفضحه ويذله ، وهو أشد من العذاب الذي لا يفضح « ومن هو كاذب » وتعرفون من هو الكاذب مني ومنكم .

وقوله « وارتقبوا » معناه انتظروا ما وعدتكم به من العذاب ، يقال رقبه يرقبه رقبوا وارتقبه ارتقاباً وترقبه ترقباً « اني معكم رقيب » اي منتظر لنزول ذلك بكم . وموضع « من يأتيه » ان جعلت (من) بمعنى الذي نصب ، وقوله « ومن هو كاذب » عطف عليه ، وان جعلتها للاستفهام كان موضعها الرفع ، ذكره الفراء وادخلوا (هو) في قوله « ومن هو » لانهم لا يقولون : من قائم؟ ولا من قاعد؟ وانما يقولون : من قام؟ ومن يقوم؟ أو من القائم؟ فلما لم يقولوا إلا المعرفة او يفعل ، ادخلوا (هو) مع قائم ، ليكونا جميعاً في مقام (فعل ، ويفعل) لانها يقومان مقام اثنين ، وقد ورد في الشعر من قائم ؟ قال الشاعر :

من شارب مريح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار^(١)

قال الفراء : وربما خفضوا بعدها ، فيقولون : من رجل يتصدق عليّ؟ بتأويل هل من رجل ؟

قوله تعالى :

(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (٩٥)
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه « لما جاء أمر » الله باهلاك قوم شعيب ، وقد بينا معناه فيما مضى^(٢) « نجينا شعيباً » اي خلصناه ، ونجينا معه من كان مؤمناً من قومه برحمة

(١) قائله الاخطل ديوانه ١٠٧ واللسان (سور) وروايته : (وشارب عج) .

(٢) في ٤ : ٤٦٢ - ٥٠٤ .

من جهته تعالى ، ويجوز ان يكون في نجاة شعيب ، ومن آمن معه لطف لمن سمع بأخبارهم فيؤمن ، كما انه متى كان في نجاة الظالمين لطف وجب تخلصهم ، وكذلك ان كان المعلوم من حال الكافر انه يؤمن فيما بعد وجب تبقيته - عند أبي علي ومن وافقه - وعند قوم آخرين لا يجب .

وقوله «وأخذت الذين ظلموا الصيحة» انث الفعل ههنا لانه رده الى الصيحة ، وفيما قبل (١) ذكر ، لانه رده الى الصباح .

وقوله «فاصبحوا في ديارهم جائئين» قال الجبائي : معناه منكبين على وجوههم . وقال قوم : الجنو على الركب . وقال قوم : معناه خامدين موتي . قال البلخي يجوز ان تكون الصيحة صيحة على الحقيقة ، كما روي ان الله تعالى امر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا كلهم من شدتها ، ويجوز ان يكون ضرباً من العذاب اهلكهم واصطلمهم تقول العرب : صاح الزمان بآل فلان إذا هلكوا . قال امرؤ القيس :

دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل (٢)
(معنى صيح في حجراته) اي اهلك وذهب به .

قوله تعالى :

(كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدَيِّنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ) (٩٦)

آية بلا خلاف .

شبه الله تعالى هلاك قوم شعيب وانقطاع آثارهم منها بحالهم لو لم يكونوا فيها يقال : غنى بالمكان إذا اقام به على وجه الاستغناء به عن غيره . واتخاذ وطناً وماوى يأوي اليه ، ولذلك قيل للمنازل المغاني ، وانما شبه حالهم بحال ثمود خاصة ، لانهم اهلكوا بالصيحة كما اهلكت ثمود مثل ذلك مع الرجفة .

(١) آية ٦٧ من هذه السورة .

(٢) ديوانه : ١٧٤ واللسان (حجر) .

وقوله «ألا بعداً لمدين» دعاء عليهم بانتفاء الرحمة عنهم كما أهلك الله تعالى ثمود، فلم يرحمهم، وجعل انتفاء الرحمة بعداً من الرحمة، لانه أظهر فيما يتصور، فكأنهم يرونها حسرة لانها لا تصل اليهم منها منفعة لما يحصلون عليه من مضرة الحسرة، و (كان) هذه يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة على ان يضم فيها، كالاضمار في (ان) من قوله «وآخر دعوانهم ان الحمد لله رب العالمين»^(١) ويجوز ان تكون (ان) التي تنصب الفعل بمعنى المصدر. وبعدت وبعثت بالكسر والضم لغتان. وكانت العرب تذهب بالرفع الى التباعد، وبالكسر الى الدعاء، وهما واحد. وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي كما بعثت بضم العين. والآخر بعداً فنصب على المصدر، وتقديره ألا أهلكهم الله فبعثوا بعداً.

قوله تعالى:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) (٩٨)
آيتان بلا خلاف.

اخبر الله تعالى واقسم انه ارسل موسى نبياً بالآيات، وهي الحجج والمعجزات الدالة على نبوته «وسلطان مبین» اي وحجة ظاهرة مخلصه من تلبيس وتمويه، على اتم ما يمكن فيه. والسلطان، والآيات وإن كان معناهما الحجج، فأما عطف احدهما على الأخرى، لاختلاف اللفظ، ولان معناهما مختلف، لان الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها، والسلطان من جهة القوة العظيمة على المبطل، وكل علم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من اهل الباطل تشبهه، فله سلطان. وقد قيل إن سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة، والسلطان متى كان محققاً حجة

(١) سورة يونس آية ١٠.

وجب اتباعه ، واذا كان بخلافه لا يجب اتباعه .

وقال الزجاج . سمي السلطان سلطاناً ، لانه حجة الله في ارضه ، واشتقاقه من السليط وهو مما يستضاء به ، ومن ذلك قيل للزيت السليط .

وقوله « الى فرعون وملائه » معناه انه ارسل موسى الى فرعون واشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم .

وقوله « فاتبعوا امر فرعون » فالاتباع طلب الثاني للتصرف بتصرف الاول في اي جهة اخذ ، والامر هو قول القائل لمن دونه : (افعل) . وفيه اخبار ان قوم فرعون اتبعوه على ما كان يأمرهم به . ثم اخبر تعالى ان امر فرعون لم يكن رشيداً . والرشيد هو الذي يدعو الى الخير ويهدي اليه فأمر فرعون بضد هذه الحال ، لانه يدعو الى الشر ويصد عن الخير .

واستدل قوم بهذه الآية على ان لفظه الأمر مشتركة بين القول والفعل ، لانه قال « وما أمر فرعون برشيد » يعني وما فعل فرعون برشيد ، وهذا ليس بصحيح ، لانه يجوز ان يكون اراد بذلك الأمر الذي هو القول ، او يكون مجازاً .

قوله تعالى :

(يَاقَوْمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
الْمُورُودُ) (٩٩) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى ان فرعون يوم القيامة يقدم قومه ، ومعناه يمشي على قدمه يقودهم الى النار ، ولو قال يسبق ، لجاز ان يوجد الله (عز وجل) قبلهم في النار . والقيامة هو وقت قيام الناس من قبورهم للجزاء والحساب باعمالهم .

وقوله « فأوردتهم النار » معناه اوجب ورودهم الى النار ، واليراد ايحباب الورد الى الماء او ما يقوم مقامه . قال ابو علي : انما لم يقل يوردتهم النار ، لانه

ذكر ليوم القيامة انه يقدمهم فيه ، يدل على انه فعل مستقبل فأجرى الماضي مجرى المستقبل لدلالة الكلام عليه .

وقوله « وبئس الورد المورود » قال ابو علي : انه مجاز ، والمعنى بئس وارد النار . وقال البلخي : بل هو حقيقة ، لانه تعالى وصف النار بانها بئس الورد المورود ، وهي كذلك . والورد الماء الذي ترده الابل ، والورد الابل التي ترد الماء ، والورد ما يجعله عادة لقراءة أو تلاوة للقرآن . والورد ورد الحمى ، كل ذلك بكسر الواو ، وحكي عن ابن عباس ان الورد الدخول . والمعنى ان ما وردوه من النار هو المورود بئس الورد لمن ورده . ويقال إنهم اذا وردوه عطاشاً فيردون على الحميم والنيران ولا يزيدون بذلك إلا عذاباً وعطشاً . وانما وصف بأنه بئس ، وان كان عدلاً حسناً لما فيه من الشدة مجازاً .

قوله تعالى

(وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) (١٠٠) آية بلا خلاف .

معنى قوله « واتبعوا في هذه لعنة » ان الله لعنهم والملائكة والمؤمنون ، فاختصر على وجه ما ذكرنا على ما لم يسم فاعله ، لان الايجاز لا يخل بهذا المعنى . واللعن من العباد الدعاء والمسألة لله تعالى بالابعاد من الرحمة - في قولهم لعنة الله - والذم الوصف بالقبيح على وجه التحقير .

ومعنى الآية انهم كيف تصرفوا ، وحيث كانوا ، فاللعنة تتبعهم . واللعنة من الله الابعاد من رحمته بان يحكم بذلك ، فمن لعنه الله فقد حكم بابعاده من رحمته وانه لا يرحمه .

وقوله « ويوم القيامة بئس الرفد » والرفد العون على الأمر ، وانما قيل

هنا - رُفِدَ ، لان اللعنة جعلت بدلا من الرُفْدِ بالعطية ، ويقال : رُفِدَهُ وهو يرفده رُفْدًا ، ورفد - بفتح الراء وكسرها - قال الزجاج كل شيء جعلته عوناً لشيء واسندت به شيئاً فقد رُفِدته ، يقال عهدت الحائط ورفدته بمعنى واحد ، والرُفْدُ القرح العظيم ، وروي - بفتح الراء - في الآية وهي لغة شاذة .

قوله تعالى :

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ)
(١٠١) آية بلا خلاف .

قوله « ذلك » اشارة الى النبأ كأنه قال النبأ من انباء القرى ، وقد تقدم ذكره . ثم وقعت الاشارة اليه ، والانباء جمع نبأ كالاخبار جمع خبر الا انه لا يقال نبأ الا في خبر عظيم ، يقال لهذا الأمر نبأ اي خبر عظيم .

قوله « نقصه عليه » فالقصص الخبر عن الامور التي يتلو بعضها بعضاً ، يقال قص قصصاً وهو يقص اثره اي يتبع اثره ، واقتص منه اي يتبعه بجنائته .

وقوله « منها قائم وحصيد » فالقائم المعمور ، والحصيد الخراب من تلك الديار ، لان الاهلاك قد اتى عليها ولم تعمر فيما بعد . وقيل « منها قائم » على بنائه وان كان خالياً من اهله ، والحصد قطع الزرع من الاصل ، فالحصيد منهم كلزراع المحصود ، وحصدهم بالسيف اذا قتلهم .

قوله تعالى :

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه بما فعله بالامم التي اهلكها لم يظلم احداً منهم ، ولكن ظلموا هم انفسهم بأن ارتكبوا المعاصي التي استحقوا بها الهلاك فكان ذلك ظلمهم لانفسهم ، وبين انه « ما أغنت عنهم آهنتهم ، يعني الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله ما دفعت عنهم ولا اعانتهم بشيء لما جاء امر الله واهلاكه وعذابه » وما زادوهم غير تقييب ، بمعنى غير تخسير - في قول مجاهد وقتادة - مأخوذ من تبت يده أي خسرت ، ومنه تباله ، وقال جرير :

عرادة من بقية قوم لوط ألا تبالاً لما فعلوا تبالاً^(١)

وانما قال يدعون من دون الله ، لانهم كانوا يسمونها آلهة ويطلبون الحوائج منها ، كما يطلب الموحدون من الله . ومعنى « من دون الله » من منزلته ادنى من منزلة عبادة الله ، لانه من الأدون ، وهو الأقرب الى جهة السفلى .

قوله تعالى :

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (١٠٣) آية بلا خلاف .

وجه التشبيه في قوله « وكذلك اخذ ربك » ان اخذه الظالم الذي يساوي من تقدمه في ظلمه وحاله في بطلان الفلاح ببقائه ، كأخذه الذي قبله ، لانه ليس هناك محاباة لاحد من خلقه . والاخذ نقل الشيء الى جهة الآخذ ، فلما نقلهم الله الى جهة عقابه كان قد اخذهم به ، والظالم الفاعل للظلم والعاقل الفاعل للعدل . ثم اخبر تعالى ان اخذه للظالم مؤلم شديد ، والشدة تجمع يصعب معه التفكك ، ويقال للنقص شدة ، وشدة الألم لجمعه على النفس بما يعسر زواله .

(١) ديوانه : ٧٢ من قصيدة في هجاء الراعي النميري ، وهو في تفسير الطبري ١٥ : ٧٢ ،

قوله تعالى :

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ) (١٠٤) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان فيما أخبر به - من إهلاك من ذكره على وجه العقوبة لهم على
كفرهم - آية أي علامة عظيمة بما فيها من البيان عن الامر الكثير قال الشاعر :
بآية تقدمون الخيل زوراً كأن على سنانكها مداماً^(١)

قوله « لمن خاف عذاب الآخرة » أي لمن خشي عقوبة الله يوم القيامة ،
والخوف انزعاج النفس بتوقع الشر ونقيضه الامن ، وهو سكون النفس بتوقع
الخير . والفرق بين العذاب والالم أن العذاب استمرار الالم قال عبيد :
فالمرؤ ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب^(٢)

وقوله « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » معناه ان يوم القيامة
يوم يجمع فيه الناس ويشهده جميع الخلائق ، وليس يوصف في هذه الصفة يوم
سواه ، والجمع ضم احد الشينين الى الآخر . وقيل هو جعل الشينين فصاعداً في
معنى ، والقبض ضم الشيء الى الوسط كقبض البساط ، وهو نقيض بسطه من
غير تبري اجزائه .

قوله تعالى :

(وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ) (١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) (١٠٦) آيتان بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلا الكسائي وابن عامر يوم (يأت) بغير ياء . البااقون بياء في

(١) اللسان (أيا) وروايته (شعنا) بدل (زورا)

(٢) مر هذا البيت في ٥ : ٢١٦

الوصل دون الوقف ، إلا ابن كثير ، فانه أثبت الياء في الحالين .

قال أبو علي : من أثبت الياء في الوصل ، فهو القياس البين ، لأنه لا شيء - ههنا - يوجب حذف الياء في الوصل ، ومن حذفها في الوقف شبهها بالفاصلة ، وان لم يكن فاصلة ، لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة بدلالة انهم قد حذفوها كما حذفوا الحركة ، فكما ان الحركة تحذف في الوقف ، فكذلك ما يشبهها من هذه الحروف ، فكان في حكمها ، ومن اثبتها في الحالين فقد أحسن ، لأنها أكثر من الحركة في الصوت ، فلا ينبغي اذا حذفت الحركة للوقف ان تحذف الياء له ، كما لا تحذف سائر الحروف ، ومن حذف الياء في الحالين جعلها في الحالين بمنزلة ما يستعمل محذوفاً مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو (لم يك ، ولا أدر) وهي لغة هذيل ، قال الشاعر :

كفالك كفاً لا تليق درهماً جواداً وأخرى تعط بالسيف الدما^(١)

فحذف الياء في تعط ، وليس هذا ما يوجب حذفها .

والضمير في قوله « وما تؤخره » عائد على قوله « يوم مشهود » وهو يوم الجزاء . ومعناه الاخبار بأنه تعالى ليس يؤخر يوم الجزاء إلا ليستوفي الاجل المضروب لوقوع الجزاء فيه . وانما قال « لأجل » ولم يقل الى اجل ، لان قوله « لاجل » يدل على الغرض ، وان الحكمة اقتضت تأخيره . ولو قال الى اجل لما دل على ذلك . وقوله « يوم يأتي » يعنى يوم القيامة الذي تقدم ذكره بأنه مشهود . والضمير في (يأتي) حين الجزاء ، لانه قد تقدم الدليل عليه في قوله « يوم مشهود » واحسن الاضمار ما يدل الكلام عليه ، وانما أضاف (يوم) الى الفعل ، لانه اسم زمان فناسب الفعل للزمان من حيث انه لا يخلو منه ، وانه يتصرف بتصرفه . وانه لا يكون حادثاً الا وقتاً ، كما ان الزمان لا يبقى .

ومعنى قوله « لا تكلم نفس إلا باذنه » أي لا تتكلم فحذف إحدى التائين

(١) تفسير القرطبي ٩ : ٩٨ واللسان (ليق)

لدلالة الكلام عليه . وقيل في معنى « لا تكلم » قولان :

احدهما - ان فيه وقتاً يمنعون من التكلم إلا بالحق فهو باذنه تعالى .

والاخر - انه لا يتكلم بكلام ينفع إلا بإذنه : من شفاعته ووسيلة ، بدلالة قولهم « والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (١) » .

وقال الجبائي : الاذن الجاؤم الى الحسن ، لانه لا يقع منهم ذلك اليوم قبيح .

وقوله « فمنهم شقي وسعيد » اخبار منه تعالى بأنهم ينقسمون قسمين منهم الاشقياء ، وهم المستحقون للعقاب ، ومنهم السعداء وهم المستحقون للثواب .

والشقاء قوة أسباب البلاء ، والشقي من شقي بسوء عمله في معاصي الله ، والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله ، وانما وصف الاجل بأنه معدود ، لانه متناه منقوض ، لان كل معدود قد وجد عدده ، لا يكون ذلك الا متناهيًا .

فان قيل كيف قال - ههنا - « يوم يأتي لا تكلم نفس إلا باذنه » وقال في موضع آخر « هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون » (٢) وقال في موضع آخر « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » (٣) وقال « وقفوهم انهم مسؤولون » (٤) وقال في موضع آخر « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » (٥) وهل هذا إلا ظاهر التناقض؟! .

قلنا : لا تناقض في ذلك لان معنى قوله « وقفوهم انهم مسؤولون » انهم يسألون سؤال توبيخ وتقرير وتقريع ، لا يجاب الحججة عليهم لا سؤال استفهام ، لانه تعالى

(٢) سورة المرسلات ٣٥ - ٣٦

(٤) سورة الصافات آية ٢٤

(١) سورة الانعام آية ٢٤ - ٢٥

(٣) سورة النحل آية ١١١

(٥) سورة الرحمن آية ٣٩

عالم بذلك لنفسه . وقوله « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » (١) اي لا يسأل ليعلم ذلك منه حيث انه تعالى قد علم اعمالهم قبل ان يعملوها . وقيل ان معناه إنه لا يسأل عن ذنب المذنب إنس ولا جان غيره ، وانما يسأل المذنب لا غير ، وكذلك قوله « يوم لا ينطقون » (٢) أي لا ينطقون بحجة ، وانما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضاً ، وطرح بعضهم على بعض الذنوب ، فاما المتكلم بحجة ، فلا . وهذا كما يقول القائل لمن يخاطبه بخطاب كثير فارغ من الحجة : ما تكلمت بشيء ، وما نطقت بشيء ، فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه له : غير متكلم ، كما قال « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » (٣) وهم كانوا يبصرون ويسمعون إلا انهم لا يقبلون ولا يفكرون فيما يسمعون ، ولا يتأملون ، فهم بمنزلة الصم ، قال الشاعر :

أصم عما ساءه سميع (٤)

وقال بعضهم ان ذلك اليوم يوم طويل له مواضع ، ومواطن ، ومواقف ، في بعضها يمنعون من الكلام ، وفي بعضها يطلق لهم ذلك بدلالة قوله « يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه » وكلاهما حسن والاول احسن .

قوله تعالى :

(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ فِي النَّارِ لَهْمٌ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ (١٠٧)
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ
رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) (١٠٨) آيتان بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين شقوا باستحقاقهم عذاب النار جزاء بسوء اعمالهم داخلون في النار ، وانما سمي الشقي شقياً قبل دخوله في النار ، لانه

(٢) سورة المرسلات ٣٥

(١) سورة الرحمن آية ٣٩

(٤) مر تخريجه في ٢ : ٤٠٨٠ : ١٣٤ : ٥٠ : ٤٣٩

(٣) سورة البقرة آية ١٧١

على حال تؤديه الى دخولها ، من قبائح اعماله . فاما ما روي من قوله (ع) (إن الشقي شقيّ في بطن امه) ، فجاز ، لان المعنى ان المعلوم من حاله انه سيشفى بارتكاب المعاصي التي تؤديه الى عذاب النار ، كما يقال لولد شيخ هرم هذا يتيم ومعناه انه سيتيم .

وقوله « لهم فيها زفير وشهيق » قال أهل اللغة : الزفير أول نفاث الحميم ، والشهيق آخر نفاثها ، قال رؤبة :

حشرج في الجوف سحيلاً أو شق حتى يقال ناهق وما نهق^(١)

والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع قال الجعدي :

خيظ على زفيرة فتم ولم يرجع الى دقة ولا هضم^(٢)

وأصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق المزفور ، والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدة ، قال الشاعر :

طوال انضية الاعناق لم يجردوا ربح الاماء إذا راحت بأزفار^(٣)

والزفر السيد ، لانه يطبق عمل الشدائد ، وزفرت النار اذا سمع لها صوت في شدة توقدها ، والشهيق صوت فطيع يخرج من الجوف عند النفس . واصله الطول المفرط من قولهم : جبل شاقق أي ممتنع طولا .

وقوله « خالدين فيها ما دامت السموات والارض » فالخلود الكون في الامر أبداً ، والدوام البقاء أبداً ، ولهذا يوصف الله تعالى بأنه دائم ، ولا يوصف بأنه خالد .

وقوله « إلا ما شاء ربك » اختلفوا في هذا الاستثناء على عدة أقوال : فالذي نختاره - ويليق بمذهبنا في الارحاء - ان الله تعالى أخبر ان الاشقياء

(١) ديوانه ١٠٦ وتفسير القرطبي ٩ : ٩٨ واللسان (حشرج) وتفسير الطبري ١٥ : ٧٩٤

(٢) اللسان (زفر)

(٣) اللسان (زفر)

المستحقين للعقاب يحصلون في النار ثم استثنى من أراد من فساق أهل الصلاة إذا أراد التفضل بإسقاط عقابه، أو من يشفع فيه النبي ﷺ فإنه عند ذلك لا يدخله النار وتكون - على هذا - (ما) معناها (من) كأنه قال الا من شاء ربك، فلا يدخله النار، وهو قول ابن عباس وقتادة والضحاك، وجابر بن عبد الله، وابي سعيد الخدري وجماعة من المفسرين. ويجوز على هذا المذهب أن يكون استثناء من الخلود، فكأنه قال إلا ما شاء ربك بأن لا يخلدهم في النار بل يخرجهم عنها.

وقال قتادة: ذكر لنا أن ناساً يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابوا، ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحمته يقال لهم الجهنميون، قال قتادة وحدثنا أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال يخرج قوم من النار. وقال قتادة: ولا نقول ما يقول أهل حروراء.

وروي عن ابن عباس أنه قال قوله « لاثنين فيها أحقابا » (١) وقوله « خالدين فيها إلا ما شاء ربك » في أهل التوحيد. وروي عن ابن مسعود أنه قال: لياتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد. وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقابا. وقال الشعبي: جهنم أمرع الدارين عمرانا، وأسرعها خراباً.

ثانيها - قال ابن زيد وحكاه الرماني: إن المعنى خالدين فيها ما دامت السموات سموات، والارض أرضاً إلا ما شاء ربك، من الزيادة المضاعفة.

وثالثها - قال الجبائي: إن المعنى ما دامت السموات لأهل الآخرة وأرضهم إلا ما شاء ربك مما كان قبل أن يدخلوها من أوقات وقوفهم في صدر يومهم في الموقف، لان الله تعالى قال « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ».

ورابعها - ما ذكره كثير من أهل العربية كالفرء والزجاج وغيرهم: ان (إلا) في الآية بمعنى (سوى) والتقدير ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك كما يقول القائل: لو كان معنا رجل إلا زيد أي سوى زيد، ولك عندئذ ألف درهم

الا الألفين التي لك عندي، أي سوى الألفين. ومثله قوله « ولا تنكحوا ما نكح
أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » (١) أي سوى ما قد سلف ، لأن قوله « ولا
تنكحوا » مستقبل « وإلا ما شاء ربك » ماض، والمعنى على هذا « خالدين فيها »
مقدار دوام السموات والأرض سوى « ما شاء ربك » من الخلود والزيادة .

وخامسها - ما قال الفراء : إن (الا) بمعنى الواو كما قال الشاعر :

وكل أخ مفارقة أخوه لعمر أبيك الا الفرقدان (٢)

وعلى هذا لو قال القائل لك عندي ألف الا الفين لزمه ثلاثة آلاف درهم ،
لأنه استثناء الزائد من الناقص ، فكأنه قال الا ألفين منفردين . ولو قال ما لك
عندي الف الا الفين فانما أقر بالفين كأنه قال ما لك عندي سوى الفين . ولو
قال لك عندي ألف الا ألفان بالرفع أقر بالف فقط ، لأنها صفة مثبتة ، كأنه
قال الف لا ألفان .

وسادسها - أن ذلك تعليق لما لا يكون بما لا يكون ، كأنه قال « الا ما
شاء ربك » وهو لا يشاء ان يخرجهم منها وتكون الفائدة أن لو شاء أن يخرجهم
لقدر ، ولكنه قد أعلمنا انهم خالدون أبداً .

وسابعها - ذكره الزجاج : ان الاستثناء وقع على أن لهم زفيراً وشهيقاً إلا
ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم يذكرها .

وثامنها - ذكره البلخي : ان المراد بذلك الا ما شاء ربك من وقت نزول
الآية الى دخولهم النار ، ولولا هذا الاستثناء لوجب ان يكونوا في النار من
وقت نزول الآية أو من يوم يموتون .

فان قيل كيف يستثنى من الخلود فيها ما قبل الدخول فيها ؟!

قلنا : يجوز ذلك إذا كان الاخبار به قبل دخولهم .

(١) سورة النساء آية ٢٢ .

(٢) امالي السيد المرتضى ٨٨:٢ وسيبويه ٣٧١:١ وتفسير القرطبي ١٠١:٩ وقد نسب الى

عمرو بن معد كرب .

وتاسعها - ما ذكره قوم من اصحابنا في التفسير إن المعنى انهم فيها يعني في النار في حال كونهم في القبور دائمين فيها ما دامت السموات والارض ، فانها اذا عدت انقطع عقابهم الى أن يبعثهم الله للحساب .

وقوله « الا ما شاء ربك » مما يكون في الآخرة .

وقوله « إن ربك فعال لما يريد » معناه انه كلما أراد شيئاً فعله ، لانه لا يجوز عليه البداء بالرجوع عما أراده ، ولا المنع من مراده ولا يتعذر عليه شيء منه مع كثرة بارادة من أفعاله .

قوله تعالى :

(وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (١٠٩) آية بلا خلاف .

القراءة واللفظة :

قرأ أهل الكوفة الا أبا بكر « سعدوا » بضم السين . الباكون بفتحها .

قال ابو علي : حكى سيبويه : سعد يسعد سعادة ، فهو سعيد . وينبغي أن يكون غير متعد ، كما أن خلافه الذي هو (شقي) كذلك ، واذا لم يكن متعدياً لم يجب أن يبني منه المفعول به ، وإذا كان كذلك ، ضم السين مشكل الا ان يكون سمع فيه لغة خارجة عن القياس أو يكون من باب (فعل وفعلته) نحو غاض الماء وغضته ، وحزن وحزنته ، ولعلمهم استشهدوا على ذلك بقولهم (مسعود) فانه على سعد فهو مسعود ، ولا دلالة في ذلك ، لأنه يجوز ان يكون مثل أجنه الله فهو مجنون ، واحبه فهو محبوب ، فالمفعول جاء في هذا على أنه حذف الزيادة منه ، كما حذف من اسم الفاعل في نحو (ويكشف جمانة دلو الدالي) وانما هو المدلي ،

ومثله « وارسلنا الرياح لواقح »^(١) يعني ملاقح فجاء على حذف الزيادة ، فعلى هذا يكون أصله أسعدوا بحذف الزائد. وحكى البلخي انها لغتان - ضم السين - لغة هذيل ، وفتحها لغة سائر العرب .

المعنى :

لما اخبر الله تعالى أن الذين شقوا بفعالهم المعاصي واستحقوا الخلود في النار ، اخبر ان الذين سعدوا بطاعات الله والانتها عن معاصيه يكونون في الجنة « ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك » ومعنى ما دامت السموات والارض المصدر ، كأنه قال دوام السموات والارض الامشيئة ربك ، وفيه حسن التقابل ، وفيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلا الوجهين الذين ذكرناهما في جواز إخراج بعض الاشقياء ممن تناول الوعيد لهم وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها ، فان ذلك لا يجوز - ههنا - لاجماع الأمة على أن كل مستحق للثواب لا بد أن يدخل الجنة ، ولا يخرج منها بعد دخوله فيها .

وقيل فيه وجه آخر يوافق ما قلناه في الآية الاولى ، وهو أن يكون المعنى « ان الذين سعدوا بطاعات الله يدخلون الجنة خالدين فيها ، واستثنى من جملتهم من كان مستحقاً للنار ، واراد الله عقابهم . ثم إخراجهم منها فكأنه قال خالدين فيها الا مدة ما كانوا معاقبين في النار ، ذهب اليه الضحاك وهو يليق بقولنا في الارجاء .

وقوله « عطاء غير مجذوذ » يعني غير مقطوع - في قول ابن عباس ، وبجاهد ، وقتادة ، والضحاك - يقال جذه يجذّه جذاً فهو جاذ ، وجذ الله أثرهم قال النابغة :

يجذّ السلوقي المضاعف نسجه ويوقد بالصفاح نار الجباحب^(٢)

(١) سورة الحجر آية ٢٢ .

(٢) ديوانه : ٤٤ وتفسير القرطبي ٩ : ١٠٣ واللسان (حبیب) ، (سلق) ، (صفح) وروايته (تقد) بدل (يجذ) و (توقد) بدل (يوقد) .

ويقال جذه الله جذ الصليانة، وهي نبات. وقوله (عطاء) نصب على المصدر بما يدل عليه الأول كأنه قال اعطاهم النعيم عطاء غير مجدوذ .

قوله تعالى :

(فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ
آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ) (١١٠)
آية بلا خلاف .

نهى الله تعالى نبيه - والمراد به أمته - ان يكونوا في شك من عبادة هؤلاء
يعني الكفار الذين تقدم ذكرهم ، وانه باطل . و (المرية) - بكسر الميم وضمها -
الشك مع ظهور الدلالة البينة . وأصله مري الضرع ليدر بعد دروره ، فلا معنى
له إلا العبث بفعله .

وقوله « ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل » أنهم مقلدون في عبادتهم
الأوثان ، كما كان آباؤهم كذلك .

وقوله « وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » أخبر الله تعالى انه يعطيهم
- على جهة الوفاء - قسمتهم من خير أو شر على قدر استحقاقهم - في قول ابن
عباس - وقال ابن زيد : ما يستحقونه من العذاب من غير ان ينقص منه شيء
على وجه العقوبة بعد أن يوفوا ما حكم لهم به من الخير في الدنيا .

و (النصيب) القسمة الميعول لصاحبه ومنه انصباء الورثة . والنصيب الحظ
والنقص البخس والمنقوص المبخوس .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقْضِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١١)
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه أعطى موسى الكتاب يعني التوراة وإن قومه اختلفوا فيه يعني في صحة الكتاب الذي انزل اليه ، وأراد بذلك تسليمة النبي ﷺ عن تكذيب قومه إياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه ، فبين له أنه كذلك فعل قوم موسى بموسى ، فلا تحزن لذلك ، ولا تغتم له . ثم قال « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم » معناه ولولا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء الى يوم القيامة لما في ذلك من المصلحة ، لعجل الثواب والعقاب لأهله . (والكلمة) واحدة الكلم ولذلك ، يقال للقسيمة : كلمة . ثم أخبر عن حال كفار قوم النبي ﷺ أنهم لفي شك مما اخبرناك به مريب ، و(الريب) أقوى الشك . (والاختلاف) ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر ، وهو على ثلاثة أوجه :
احدها - اختلاف النقيضين فهذا لا يجوز أن يصحاحاً معاً ، فاحدهما مبطل لصاحبه .

والآخر اختلاف الجنسين ، كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة ، فهذا يجوز أن يصحاحاً ، لأنه تابع للمصلحة ولا تناقض في ذلك ، ومنه اختلاف المجتهدين في الفروع على مذهب من قال يجوازه .

قوله تعالى :

(وَإِنَّ كَلًّا لَمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

(١١٢) آية بلا خلاف .

القراءة :

اختلف القراء في قوله « وان كلاً لما » على اربعة اوجه :
قرأ ابن كثير ونافع بتخفيف (إن) وتخفيف (لما) وقرأ ابن عامر وحزرة

وحفص عن عاصم بتشديدهما معاً . وقرأ أبو عمرو والكسائي بتشديد الأولى وتخفيف الثانية .

وقرأ أبو بكر عن عاصم بتخفيف الأولى وتشديد الثانية .

الفة والاعراب والمعنى :

وقيل في معنى (لماً) بالتشديد خمسة أوجه :

أولها - قول الفراء إنها بمعنى (لن ما) فاجتمعت ثلاث ميّات ، فحذفت واحدة ثم ادغمت الأولى في الثانية ، كما قال الشاعر :

وانسى لماً أصدر الأمر وجهه إذا هو أعيأ بالسبيل مصادره^(١)

ثم تخفف ، كما قرأ بعض القراء : « والبغي يعظكم »^(٢) فحذف إحدى اليائين ذكره الفراء .

والثاني - ما اختاره الزجاج: أن (لماً) بمعنى (إلا) كقولهم سألتك لما فعلت ، ومثله « إن كل نفس لما عليها حافظ »^(٣) لأنه دخله معنى ما كلهم إلا لنوفيتهم . وقال الفراء هذا لا يجوز إلا في التمييز ، لأنه لو جاز ذلك لجاز أن تقول جاءني القوم لماً زبداً بمعنى الاتّ زبداً ، هذا لا يجوز بلا خلاف .

الثالث - اختاره المازني : أنها هي المخففة شددت للتأكيد . قال الزجاج : هذا لا يجوز ، لأنه إنما يجوز تخفيف المشددة عند الضرورة ، فأما تشديد المخففة ، فلا يجوز بحال .

الرابع - حكاه الزجاج : لأنها من لمت الشيء ألمه لماً إذا جمعته إلا أنها

(١) قائله المعجاج تفسير الطبري ١٥:٩٤٤ وتفسير القرطبي ٩:١٠٥ وجمع البيان ٣:٢٠٠

(٢) سورة النحل آية ٩٠ .

(٣) سورة الطارق آية ٤ .

بنيت على (فعلى) فلم تصرف نحو (تترى) كأنه قال وإن كلا جميعاً ليوفينهم .
الخامس - قراءة الزهري (لما) بالتنوين بمعنى شديداً ، كقوله « وتأكفون
التراث اكلاً ، (١) .

واللام في قوله (لما) يحتمل أن تكون لام القسم دخلت على (ما) التي
للتوكيد ، ويحتمل أن تكون لام الابتداء دخلت على (ما) بمعنى الذي ، كقوله
« فانكحوا ما طاب لكم من النساء » (٢) ومثله « وان منكم لبيطثن » (٣) قال الشاعر :

فلو ان قومي لم يكونوا أعزة لبعد لقد لاقيت لا بد مصرعا (٤)

وحكي عن العرب اني لبعهد الله لصالح قال أبو علي من قرأ بتشديد (إن) و
وتخفيف (لما) فوجهه بين ، وهو انه نصب (كلا) بـ (إن) و (إن) تقتضي
أن يدخل على خبرها أو اسمها لام ، فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على
الخبر في قوله « وان كلا لما » وقد دخلت الخبر لام اخرى وهي التي يتلقى بها
القسم ، وتختص بالدخول على الفعل ويلزمها في اكثر الامر النونين ، فلما اجتمعت
اللامان واتفقا في تلقى القسم ، واتفقا في اللفظ فصل بينهما ، كما فصل بين (إن)
واللام ، فدخلت (ما) لهذا المعنى ، وان كانت زائدة لتفصل ، كما جاءت النون
- وإن كانت زائدة - في قوله « فاما ترين من البشر » (٥) وكما صارت عوضاً من
الفعل في قولهم : أما لي ، فهذا بين ، ويبي هذا الوجه في البيان قول من خفف
(ان) ونصب (كلا) وخفف (لما) ، كما قال الشاعر :

كأن ثدييه حقان (٦)

- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) سورة الفجر آية ١٩ | (٢) سورة النساء آية ٣ |
| (٣) سورة النساء آية ٧٢ | (٤) تفسير الطبري ١٥ : ٤٩٨ |
| (٥) سورة مريم آية ٢٦ | (٦) الكتاب لسبويه ١ : ٢٨٠ والفيء ابن |
| عقيل ١ : ٣٣٤ الشاهد ١٠٨ وتفسير الطبري ١٥ : ٤٩٧ ونظام البيت : | كأن ثدياه حقان |
| وصدر مشرق النحر | |

وأراد (كأن) المشددة ، فخفف ، واعمل ، لان سيبويه حكى عن يثق به أنه سمع من العرب من يقول : ان عمراً لمنطلق ، قال وأهل المدينة يقرؤون « وان كلا لما جميع لدينا محضرون »^(١) يخفون وينصبون ، ووجه النصب بها مع التخفيف ان (ان) مشبهة في نصبها بالفعل ، والفعل يعمل محذوفاً كما يعمل غير محذوف في نحو (لم يك زيد منطلقاً ، فلا تك منطلقاً) وكذلك « فلا تك في مرية » فاما من خفف (ان) ونصب (كلا) وشدد (لما) فقراءته مشكلة لأن (أن) اذا نصب بها وكانت مخففة كانت بمنزلة الثقلة و(لما) اذا شددت كانت بمنزلة (إلا) فكذلك قراءة من شدد (لما) وثقل (ان) مشكلة ، لانه كما لا يحسن أن تقول: ان زيد إلا منطلقاً فكذلك لا يحسن تثقيل (ان) وتخفيفها ويراد الثقلة مع تثقيل (لما) فاما قولهم : نشدتك الله لما فعلت ، والا فعلت ، فقال الخليل : معناه لتفعلن ، كما تقول : أقسمت عليك لتفعلن وإنما دخل (إلا ولما) لان المعنى الطلب ، فكأنه قال : ما أسألك إلا فعل كذا ، فلم يذكر حرف النفي في اللفظ ، وإن كان مراداً ، وليس في الآية معنى نفي ولا طلب ، وضعف ابو علي الوجه الذي حكيناه من ان اصله (لمن ما) فادغم النون في الميم بعد ما قلبت ميماً . قال : لان الحرف المدغم ، إذا كان قبله ساكن نحو (يوم مالك) لم يقو الادغام فيه على أن يحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم ، فاذا لم يجز ذلك فيه ، وكان التغيير أسهل من الحذف ، فانه لا يجوز الحذف الذي هو أجدر ، في باب التغيير من تحريك الساكن على أن في هذه السورة ميات اجتمعت في الادغام ، أكثر مما اجتمعت في (لن ما) ولم يحذف منها شيء نحو قوله « وعلى امم ممن معك »^(٢) ولم يحذف شيء منها فبان لا يحذف - ههنا - اجدر وحكي عن الكسائي أنه قال لا أعرف وجه التثقيب في (لما) قال ابو علي : ولم يبعد في ذلك ، قال أبو علي : ولو خفف مخفف (ان) ورفع (كلا) وثقل (لما) ويكون المعنى ما كل الا ليوفينهم ، كما قال « وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا »^(٣) لكان ذلك أبين من النصب في (كل) وتثقيب

(٢) سورة هود آية ٤٨

(١) سورة يس آية ٣٢

(٣) سورة الزخرف آية ٣٥

(لما) و (كل) في الآية معرفة ، والمعنى وإن كل المكلفين ليوفينهم ربك أعمالهم أو كل المختلفين على ما تقدم ذكره كما يقولون: مررت بكل قائماً ، والتوفية بلوغ المقدار من غير نقصان ، والتوفية مساواة المقدار في معناه ، لأنه إذا ساواه في جنسه لم يجب به توفية .

المعنى

أخبر الله تعالى في هذه الآية انه يوفي جميع المكلفين ما يستحقونه على أعمالهم من الثواب والعقاب ، لانه عالم بما فعلوه خبير به ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن ليس بعالم لا يمكنه ذلك ، لانه يجوز ان يكون قد خفي عليه كثير منه ، وهو تعالى لا يخفى عليه خافية .

قوله تعالى :

(فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١١٣) آية بلا خلاف .

أمر الله النبي ﷺ وأمه أن يستقيموا كما أمرهم الله ، وكذلك من رجع الى الله والى نبيه « ولا تطغوا » يعني في الاستقامة ، فيخرجوا عن حدها بالزيادة على ما أمرهم فرضاً كان أو نفلاً . وقيل : معناه لا تطغينكم النعمة ، فتخرجوا من الاستقامة .

و (الاستقامة) الاستمرار في جهة واحدة ، وان لا يعدل يمينا وشمالاً . و (الطغيان) تجاوز المقدار في الفساد . والطاغي كالباعث في صفة الذم ، وطغى الماء مشبه بحال الطاغي ، وانما خص من تاب دون ان أسلم من أول حاله للتغليب في الاكثر ويدخل فيه الأقل على وجه التبعية .

وقوله « انه بما تعملون بصير » اخبار منه تعالى أنه عالم بأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها .

قوله تعالى :

(وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (١١٤) آية بلا خلاف .

نهى الله تعالى في هذه الآية عباده المكلفين عن أن يركنوا الى الذين ظلموا نفوسهم وغيرهم . و(الركون) الى الشيء هو السكون اليه بالمحبة اليه والانصات اليه ، ونقيضه النفور عنه . وانما نهاهم عن الركون الى الظلمة لما في ذلك من الاستئناس به «تمسك النار» جواب النهي وبيان ، لانهم متى خالفوا هذا النهي ، وسكنوا الى الظالمين نالتهم النار ، ولم يكن لهم ناصر من دون الله يدفع عنهم ثم لا يجدون من ينصرهم ، ويدفع عنهم على وجه المغالبة ، والولي ضد العدو ، وجمعه اولياء . وقال الجبائي معنى «ثم لا تنصرون» انكم إن ركنتم الى الكفار والظالمين ، وسكنتم اليهم مستكم النار في الآخرة ثم لا تنصرون في الدنيا على الكفار .

قوله تعالى :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (١١٥) آية بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر (زلفا) بضم اللام . أمر الله تعالى في هذه الآية نبيه ﷺ وأمة نبيه باقامة الصلاة ، واقامتها هو الاتيان بأعمال الصلاة على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها . وقيل اقامة الصلاة هو عمل على استواء كالقيام الذي هو الانتصاب في الاستواء . وقيل هو الدوام على فعلها من قولهم : مرا قائم اي دائم واقف .

وقوله « طرفي النهار » يريد بها صلاة الفجر والمغرب - في قول ابن عباس والحسن وابن زيد والجبائي - وقال الزجاج يعني الغداة الظهر والعصر، وبه قال مجاهد، ومحمد بن كعب القرطبي، والضحاك. ويحتمل أن يريد بذلك صلاة الفجر والعصر، لان طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار. وقوله « وزلفاً من الليل » قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: يريد العشاء الآخرة وقال الزجاج يعني المغرب والعشاء الآخرة. و (الزلفة) المنزلة وجمعها زلف قال العجاج:

تاج طواه الاين بما وجفا طي الليالي زلفاً فزلفاً^(١)

قال الزجاج: ويجوز زلفاً بضم اللام، ونصبه على الظرف وهو واحد مثل الحلم، ويجوز أن يكون جمع زليف مثل قريب وقرب، ومنه اشتقاق المزدلفة لأن ازدلاف الناس اليها منزلة من عرفات.

ومن قال: المراد بـ (طرفي النهار) الفجر والمغرب، قال ترك ذكر الظهر والعصر لأحد أمرين:

احدهما ترك ذكرهما لظهورهما في انها صلاة النهار، والتقدير أم الصلاة طرفي النهار مع الصلاة المعروفة من صلاة النهار.

والآخر - انها ذكرا على التبع للطرف الاخير، لانها بعد الزوال، فهما أقرب اليه. وقد قال الله تعالى « أم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل »^(٢) ودلوكها زوالها.

(١) ديوانه: ٨٤ ومجاز القرآن ٣٠٠/١ وسيبويه ١: ١٨٠ واللسان (زلف ، حقف ، سما ، وجف) والصحاح ، والتاج (زلف) يصف الشاعر بعيره . وبعده :

★ سماوة الهلال حتى احقوقفا ★

والاين التعب ، والوجف السرعة في السير . شبهه بالهلال . لعوجاجه ، عند علوه وصعوده .

(٢) سورة الاسرى آية ٧٨ .

وقوله «ان الحسنات يذهبن السيئات» قيل فيه وجهان :

احدهما - تذهب به على وجه التكفير اذا كانت المعصية صغيرة .

والآخر - ان المراد بالحسنات التوبة تذهب بالسيئة أي تسقط عقابها ، لانه لاخلاف في ان سقوط العقاب عند التوبة . وقد قيل ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات فكأنها اذهبت بها .

وقوله «ذلك ذكرى للذاكرين» يعني ما ذكره من قوله «ان الحسنات يذهبن السيئات» فيه تذكاري لمن تذكر به وفكر فيه .

قوله تعالى :

(وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (١١٦)

آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر على أذى قومه وتكذيبهم إياه ، والتجملد عليه ، وعلى القيام بما افترض عليه من اداء الواجب ، والامتناع من القبيح ، وبين له انه لا يضيع ولا يهمل أجر المحسنين على احسانهم بل يكافئهم عليه أتم الجزاء ، وأكمل الثواب ، و(الصبر) حبس النفس عن الخروج الى ما لا يجوز من ترك الحق ، وضده الجزع قال الشاعر :

فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان^(٣)

والصبر على الباطل مذموم ، قال الله تعالى « وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم »^(٢) ويعين على الصبر شيان :

(١) مرهذ البيت في ١ : ٢٠٢ .

(٢) سورة ص آية ٦ .

احدهما - العلم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس له .
والثاني - استشعار ما في لزوم الحق من العز والأجر بطاعة الله . والصبر
مأخوذ من الصبر المر ، لأنه تجرع مرارة الحق بجبس النفس عن الخروج الى
المشهى .

قوله تعالى :

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ يَنْهَوْنَ عَنِ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٧) آية بلا خلاف .

معنى « فلولا كان » هلا كان ، ولم لا ، وألا كان ، ومعناه النفي وتقديره لم
يكن من القرون من قبلكم ، فهو تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من
كان قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود ، وسائر القرون الذين مر ذكرهم في القرآن ،
وأخبر الله بهلاكها « أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض » أي كان يجب
أن يكون منهم قوم باقون في الارض ينهون عن الفساد في الارض مع إنعام الله
عليهم بكمال العقل والقدرة ، وبعثة الرسل اليهم ، واقامة الحجج . وأولوا
بقية هم الباقون ، فعجب الله نبيه كيف لم يكن منهم بقية في الارض بأمر
فيها بالمعروف وينهون فيها عن المنكر ، وكيف اجتمعوا على الكفر حتى
استأصلهم الله بالعذاب والعقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له ثم استثنى بقوله « الا
قليلا » والمعنى انهم هلكوا جميعاً الا قليلاً من انجى الله منهم ، وهم الذين آمنوا
مع الرسل ، ونجوا معهم من العذاب الذي نزل بقومهم .

وقوله « واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين » معناه أنهم اتبعوا

التلذذ والتنعم بالاموال والنعمة التي أعطاهم الله اياها، وقضوا الشهوات وذلك من الحرام . وبين انهم كانوا بذلك مجرمين عاصين لله تعالى .

وقال الفراء والزجاج: ان قوله « الا قليلا » استثناء منقطع ، لأنه ايجاب لما تقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم تهجين لمخرج السؤال ، ولو رفع لجاز في الكلام . ومعنى « اترفوا فيه » اي عودوا الترفة بالتنعم واللذة ، وذلك ان الترفة عادة النعمة قال الشاعر :

يهدي رؤس المترفين الصداد الى أمير المؤمنين المتماد^(١)

اي المسؤل، وأبطر بهم النعمة حتى طغوا وبغوا، وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر ، لأنه تعالى ذمهم بترك النهي عن الفساد ، وانه نجس القليل بنهيم عنه ، فلو نهى الكثير كما نهى القليل لما اهلكوا ، ومعنى « أولوا بقية » اصحاب جماعة تبقى من نسلهم ، والبقية بمدوحة يقال في فلان بقية أي فيه فضل وخير ، كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي .

قوله تعالى :

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَٰصِلِحُونَ)

(١١٨) آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى انه لم يهلك أهل قرية فيما مضى ، ممن ذكر إهلاكهم مع أن أهلها او اكثرهم يفعلون الصلاح ، وإنما اهلكهم اذا افسدوا كلهم او اكثرهم والاصلاح فعل الصلاح . وقوله « بظلم » فيه ثلاثة أوجه : اولها بظلم صغير ، فيكون منهم لأنه يقع مكفراً بما معهم من الثواب الكثير .

(١) قائلة رؤبة وقد مر في ٦٣ / ٤ من هذا الكتاب وهو تفسير الطبري ٧٩ / ١٢ (الطبعة الاولى) .

الثاني - بظلم كثير من قليل منهم، مع أن أكثرهم المصلحون، لان القليل لا يعتد به في جنب الكثير .

الثالث - ان المعنى بظلم منا، كما قال الله تعالى «إن الله لا يظلم الناس شيئاً»^(١).

قوله تعالى :

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (١١٩) آيتان في الكوفي والبصري تمام الاولى عند قوله مختلفين وهي آية فيما سوى ذلك .

هذه الآية تتضمن الاخبار عن قدرته تعالى بأنه لو شاء تعالى لجعل الناس أمة واحدة أي على دين واحد، كما قال «إنا وجدنا آباءنا على أمة»^(٢) وقال «ولو لا ان يكون الناس أمة واحدة»^(٣) أي على دين واحد بأن يلجئهم الى الاسلام بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لو داموا على غير ذلك لمنعوا منه، لكن ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لأن الغرض به استحقاق الثواب .

وقوله «ولا يزالون مختلفين» معناه في الاديان كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من اختلاف المذاهب الباطلة في قول مجاهد وقتادة وعطا والاعمش والحسن في رواية، وفي رواية أخرى عن الحسن أنهم يختلفون بالارزاق والاحوال ويتعيز بعضهم لبعض . والاول أقوى .

(٢) سورة الزخرف آية ٢٢، ٢٣ .

(١) سورة يونس آية ٤٤ .

(٣) سورة الزخرف آية ٣٣ .

والاختلاف هو اعتقاد كل واحد نقيض ما يعتقدده الآخر ، وهو ما لا يمكن أن يجتمعاً في الصحة وان امكن ان يجتمعا في الفساد ، ألا ترى أن اليهودية والنصرانية لا يجوز أن يكونا صحيحين مع اتفاقهما في الفساد، ويجوز ان يكون في اختلاف اهل الملل المخالفة للاسلام حق، لأن باعتماد اليهودي ان النصرانية باطلة واعتقاد النصراني ان اليهودية فاسدة حق .

وقوله «الامن رحم ربك» استثناء منقطع، ولذلك جعل رأس آية، ولو كان متصلاً لم يجوز ذلك ، وانما كان استثناء منقطعاً ، لان الاول على انهم يختلفون بالباطل ، وليس كذلك من رحم لاجتماعهم على الحق . والمعنى « ولا يزالون مختلفين ، بالباطل » الا من رحم ربك ، بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون عنده ويستحقون به الثواب ، فان من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل .

وقوله « ولذلك خلقهم » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك ان المراد وللرحمة خلقهم وليس لاحد ان يقول لو اراد ذلك لقال: ولتلك خلقهم لأن الرحمة مؤنثة اللفظ وذلك ان تأنيث الرحمة ليس بتأنيث حقيقي، وما ذلك حكمه جاز ان يعبر عنه بالتذكير ، ولذلك قال الله تعالى « ان رحمة الله قريب من المحسنين »^(١) ولم يقل قريبة على انه لا يمتنع ان يكون المراد : ولأن يرحم خلقهم ، لأن الرحمة تدل على ذلك ، فعلى هذا يكون التذكير واقعاً موقعه .

الثاني - ان يكون اللام لام العاقبة ، والتقدير أنه خلقهم وعلم أن عاقبتهم تؤل الى الاختلاف المذموم ، كما قال « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً »^(٢) وكما قلنا في قوله « ولقد ذرانا لجهنم »^(٣) وهو المروي عن ابن عباس والحسن وعطاء ومالك ، وقد يكون اللام بمعنى (على) كقولك اكرمك على

(٢) سورة القصص آية ٨ .

(١) سورة الاعراف آية ٥٦ .

(٣) سورة الاعراف آية ١٧٩ .

برك بي اي لبرك بي ، فيكون التقدير ، وعلى ذلك خلقهم ، ولا يجوز ان يكون اللام لام الغرض ، ويرجع الى الاختلاف المذموم ، لان الله تعالى لا يخلقهم ويريد منهم خلاف الحق ، لانه صفة نقص يتعالى الله عن ذلك . وايضاً فلم أراد منهم ذلك الاختلاف ، لكانوا مطيعين له ، لأن الطاعة هي موافقة الارادة والأمر ، ولو كانوا كذلك لم يستحقوا عقاباً . وقد قال تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »^(١) . فبيّن تعالى انه خلقهم وأراد منهم العبادة ، فكيف يجوز مع ذلك ان يكون مريداً لخلاف ذلك ، وهل هذا الاتناقض؟! يتعالى الله عن ذلك .

على ان في اختلاف أهل الضلال ما يريد الله ، وهو اختلاف اليهود والنصارى في التثليث ، واختلاف النصارى لليهود في تأييد شرع موسى .

وقيل ان معنى الاختلاف هنا هو مضي قوم وبجيء قوم آخرين ، كما قال « هو الذي جعل الليل والنهار خلفه »^(٢) . وهذا الاختلاف يجوز ان يريد الله .

وقال الحسن قوله « ولذلك خلقهم » مردود على قوله « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »^(٣) والمعنى خلقهم ليكون عدله فيهم ، هذا ، لا أن يهلكهم وهم مصلحون .

وقوله « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » على الايمان ، وهذه مشيئة القدرة « ولذلك خلقهم » ان تكون مشيئته وقدرته عليهم ، « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » قال ليخالف اهل الحق اهل الباطل ، وهو كقوله « لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير »^(٤) .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٢ .

(٤) سورة الشورى آية ٧ .

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٣) سورة هود آية ١١٨ .

ويقوي هذا التأويل قوله « وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون » (١) . وقوله « قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد » (٢) ، فيكون الله خلقهم ليخالقوا الكافرين والمبطلين . وقال عمر عن الحسن : ان معنى « ولذلك خلقهم » ليكون أمر الكفار مختلفاً بكفرهم وتكذيبهم . وقال البلخي : أخبر أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم ، فانهم غير مختلفين ، هذا معنى الآية ، والا فلا معنى لها . ثم قال « ولذلك خلقهم » اي لان يكونوا أمة واحدة متفقين غير مختلفين .

وقوله « وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين » ، معناه التحذير لكل احد ان يكون ممن تملأ جهنم به ، وتماها وقوع نخبرها على ما تقدم بها ، وهذا يمين أقسم الله به ، وتقديره يمينا لا ملأ ، كما تقول : حلقي لا ضربتك ، وبدا لي لأضربك . وكل فعل كان تأويله كتأويل بلغني ، أو قيل لي أو انتهى اليّ ، فان (اللام) و (ان) يصلحان فيه ، فتقول بدا لي لأضربك ، وبدا لي ان اضربك ، فلو قيل وتمت كلمة ربك أن يملأ جهنم من الجنة والناس كان صواباً .

قوله تعالى :

(وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبَّتُ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (١٢٠) آية بلا
خلاف .

قوله « وكلا » نصب على المصدر ، وتقديره ، كل القصص نقص عليك . وقال قوم : نصب على الحال ، فقدم الحال قبل العامل ، كما تقول : كلا ضربت ، ويجوز ان يكون نصبا على انه مفعول به ، وتقديره : وكل الذي تحتاج اليه نقص عليك ،

(١) سورة يونس آية ٤١ .

(٢) سورة الكافرون آية ١ - ٢ .

ويكون « ما ثبت به فؤادك » بدلاً منه - في قول الزجاج - والقصص الخبر عن الأمور بما يتلو بغضه بغضاً ، مأخوذاً من قصة يقصه اذا اتبع أثره ، ومنه قوله « قالت لاخته قصيه »^(١) أي اتبعي أثره . والانباء جمع نبأ ، وهو الخبر بما فيه عظم الشأن ، وكذلك يقولون لهذا الأمر نبأ ، والتثنية تمكين اقامة الشيء ثبته تثبيته اذا مكنه ، ومعنى « ما ثبت به فؤادك » يحتمل ان يكون ذلك بتسكينه ، ويحتمل ايضاً ان يكون بالدلالة على وجوده . والفؤاد القلب مأخوذ من المقتاد ، وهو المشوي قال النابغة :

كان خارجاً من حيث صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد^(٢) .

ومعنى « وجاءك في هذه الحق » قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد : يعني في هذه السورة . وقال الجبائي يعني جاءك في هذه الأنباء . وقال الزجاج : يعني في هذه الأزمان . وقال قتادة : معناه في هذه الدنيا . والأول أصح ، والتقدير وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك في سائر السور .

ومعنى (الآية) الاعتبار بقصص الرسل لما فيه من حسن صبرهم على أمتهم واجتهادهم في دعائهم الى عبادة الله مع الحق الذي من عمل عليه نجاة ، ومع الوعظ الذي يلين القلب لسلوك طريق الحق ، ومع تذكير الخير والشر ، وما يدعو اليه كل واحد منها في عاقبة النفع أو الضرر .

وقوله « وموعظة » يعني جاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله .

وقوله (وذكرى للمؤمنين) معناه تذكيرة تذكير المؤمنين بالله ورسله كي لا يفعلوا غير الواجب .

(١) سورة القصص آية ١١ .

(٢) اللسان (فاد) وجمع البيان ٣ / ٢٠٣ .

قوله تعالى :

(وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ) (١٢١) وَأَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ (١٢٢). آيتان في الكوفي والبصري ، وإحدى المدينين تمام الاولى انا عاملون ، وآية فيما سوى ذلك .

أمر الله نبيه ﷺ ان يقول للكفار الذين لا يصدقون بتوحيد الله ولا يعترفون بنبوة نبيه ﷺ « اعملوا على مكانتكم » والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها ، ويقال : له مكانة عند السلطان - أي جاه ، وقدر - وهذا خرج مخرج التهديد ، وهو مثل قوله « اعملوا ما شئتم » (١) .

وقوله « انا عاملون » معناه انا عاملون على الايمان الذي أمرنا الله به ودعانا اليه .

وقوله « وانتظروا » أي توقعوا ، وقد فرق بينها بأن التوقع طلب ما يقدر أنه يقع ، لأنه من الوقوع . والانتظار طلب ما يقدر النظر اليه ، لأنه من النظر . والفرق بين الانتظار والترجي ، أن الترجي للخير خاصة ، والانتظار في الخير والشر . ولو دخلت الفاء في قوله « انا » لأفاد أن الثاني لأجل الأول وحيث لم تدخل لم تفد ذلك .

ومتعلق الانتظار يحتمل أمرين :

احدهما - انتظروا ما يعدكم الشيطان من الفرور ، فانا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو ، في قول ابن جريج .

(١) سورة حم السجدة آية ٤٠ .

الثاني - انتظروا ما يعدكم ربكم على الكفر من العذاب ، فانا منتظرون ما يعدنا على الايمان من الثواب .

قوله تعالى :

(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (١٢٣)
آية بلا خلاف .

قرأ نافع وحفص يرجع - بضم الياء وفتح الجيم - وقرأ أهل المدينة ، وابن عامر ، وحفص ، ويعقوب (يعملون) بالياء - ههنا ، وفي النمل . الباؤون بالتاء . من ضم الياء فلقوله «ثم ردوا الى الله مولاهم الحق» (١) ، والمعنى رد أمرهم الى الله .

ومن فتح الياء فلقوله «والأمر يومئذ لله» (٢) ، والمعنيان متقاربان . ومن قرأ بالتاء في «تعملون» جعل الخطاب للنبي ولأمته ، وهو أعم فائده . ومن قرأ بالياء في «يعملون» جعل ذلك متوجهاً الى من تقدم ذكره من الكفار ، وفيه ضرب من التهديد . أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن له غيب السموات والارض ، وخص الغيب بذلك لاحد امرين :

احدهما - لان ذلك يدل على ان له شهادة ايضاً .

(١) سورة الانعام اية ٦٢ ، وفي سورة يونس آية ٣٠ «وردوا الى الله» .

(٢) سورة الانقطار آية ١٩ .

الثاني - لعظم شأن الغيب الذي له . ومن كان له الغيب كان له الشهادة ، والغيب كون الشيء بحيث لا يلحقه الحس ، ومنه « عالم الغيب والشهادة » (١) . أي عالم الوجود والمعدوم ، وما يغيب عن احساس الناس وما يظهر لها ، ومعنى « وإليه يرجع الأمر كله » أي يذهب الى حيث ابتدأ منه ، فرجوع الأمر الى الله بالاعادة بعد النشأة الاولى . وقيل ترجع الأمور الى ان لا يملكها سواه تعالى - في قول أبي علي الجبائي .

وقوله « فاعبده » أي وجه عبادتك اليه وحده « وما ربك بغافل عما تعملون » فالغفلة السهو ، الا ان الغفلة يغلب عليها ان تكون بعد اليقظة ، كالنوم بعد الانتباه ، والسهو نقيض الذكر من غير علة في الصفة . والمعنى انه ليس ربك يا محمد ﷺ بساه عن اعمال عباده ، بل هو عالم بها وبجاز كلا على ما يستحقه من ثواب أو عقاب ، فلا يحزنك إعراضهم عنك ، وترك قبولهم منك . وقال كعب الا حبار خاتم التوراة خاتم هود .

(١) سورة التوبة آية ٩٥ ، ١٠٦ ، سورة المؤمنون آية ٩٣ ، سورة الزمر آية ٤٦ ، سورة الجمعة آية ٨ .

(١٢) سورة يوسف

مكية في قول مجاهد ، وقتادة ،
وهي مئة واحد عشر آية بلا خلاف في ذلك

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(الرُّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) (١) آية بلا خلاف.

لم يعدوا (الر) آية ، لأنه على حرفين ، ولا يشاكل رؤوس الآي ، فيعد من الفواصل بالوجهين ، لأنه بالحرفين يجري مجرى الاسماء الناقصة . وإنما يؤم بالفواصل التمام ، وإنما يعد (طه) لأنه يشبه رؤوس الآي . وقد بينا فيما تقدم اختلاف المفسرين في مبادئ السور بهذه الحروف (١) . وقلنا أن أقوى الأقوال قول من قال إنها أسماء للسور ، فلا وجه ، لاعادة القول فيها .

قوله « تلك آيات » قال قوم : هو اشارة الى ما تقدم من ذكره السورة في قول « الر » كأنه قال سورة يوسف « تلك آيات الكتاب المبين » .

الثاني - انه اشارة الى ما يأتي من ذكرها على وجه التوقع لها . وقال قوم :

(١) انظر ١ / ٤٧ - ٢٠٥٠ / ٤٠٣٨٨ / ٥٠٣٦٧ / ٥١١٠٣٨١ .

معناه هذه تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة ، كما قال « الم ذلك الكتاب المبين » معناه المظهر للحلال الله وحرامه والمعاني المرادة به ، وهو قول مجاهد وقتادة ، ويروي عن معاذ أنه قال (المبين) قال بين الحروف التي سقطت عن السن الاعاجم ، وهي ستة يعني حروف الحلق .

والبيان هو الدلالة . وقال الرماني البيان : إظهار المعنى من الطريق التي من جنسه . والبرهان إنما هو إظهار صحة المعنى بما يشهد به ، وإنما سميت (آيات) لما فيها من الدلالة القاطعة على صحة ما تضمنته الآية الدالة .

قوله تعالى :

(إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (٢)

آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنه أنزل هذا الكتاب قرآناً عربياً لكي يعقلوا معانيه وأغراضه ، وسمّاه (قرآناً) لما تضمن مجموع خبر يوسف وغير ذلك . و(القرآن) كلام في أعلا طبقة البلاغة ، ووجه بلاغة القرآن كونه في نهاية التلازم المنافي للتنافر في تأليف اللفظ والمعنى : مع تشاكل المقاطع في الفواصل بما يقتضيه المعنى ومع تصريف القول على احسن ما تصرف به المعنى .

والعقل مجموعة علوم يتمكن معها من الاستدلال بالشاهدين على الغائب ، ويفصل به بين الحسن والقبيح . ثم يجري على كل ما يعقله الانسان في نفسه من المعاني .

وفي الآية دليل على ان كلام الله محدث ، لانه وصفه بالانزال وبأنه عربي ، ولا يوصف بذلك القديم .

وفيه دلالة على أن القرآن غير الله ، لأنه وصفه بأنه عربي ، ومن يزعم أن الله عربي ، فقد كفر ، وما كان غير الله فهو محدث .

والهاء في قوله « انا أنزلناه » كناية عن الكتاب الذي تقدم ذكره . قال الزجاج: ويجوز ان يكون المعنى انا انزلنا خبر يوسف، وقصته، لأن علماء اليهود، قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً ﷺ لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر، وعن قصة يوسف، فانزل الله الآية ودليله قوله « لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين .

قوله تعالى :

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (٣) آية بلا خلاف .

أخبر الله انه يقص على نبيه احسن القصص، و(القصص) يتعدى بحرف الجر في عليك لان معناه يتلو بعض الحديث بعضاً، ولو قال: نخبرك، لتعدى بنفسه وقوله « أحسن القصص » يدل على ان الحسن يتفاضل ويتعاضم، لأن لفظ أفعل حقيقتها ذلك، وانما يتعاضم بكثرة استحقاق المدح عليه .

وقوله « بما أوحينا اليك هذا القرآن » دخلت الباء في بما اوحينا، لتبين أن القصص يكون قرآناً وغير قرآن، والقصص - ههنا - بالوحي: القرآن كأنه قال أوحينا اليك هذا القرآن، ونصب القرآن بإيقاع الوحي عليه، وكان يجوز فيه الجر على البديل من (ما) والرفع على ان يكون جواب (ما) (هذا) في قول الزجاج، ولم يقرأ بغير النصب .

وقوله « وان كنت من قبله لمن الغافلين » بمعنى كنت يا محمد ﷺ قبل وحينما اليك غافلاً عن الاحكام التي ذكرناها في القرآن حتى أتيناك بها، ودللتناك عليها، ولم تكن تهتدي اليها . وقيل معناه من الغافلين عن قصة يوسف وأخوته، حتى أخبرناك بها .

قوله تعالى :

(إذ قال يوسفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (٤) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر و ابو جعفر « يا أبت » بفتح التاء في جميع القرآن . الباقون بكسر
التاء ، وابن كثير يقف بالهاء . الباقون يقفون بالتاء ، وقرأ ابو جعفر أحد عشر
وتسعة عشر بسكون العين فيها . الباقون بفتحها .

العامل في (إذ) أحد أمرين : احدهما - اذكر « إذ قال يوسف » . والثاني -
نقص عليك « إذ قال » ، في قول الزجاج ، ولا يكون على هذا الوجه ظرفاً
للقصص في معنى نذكره ، ويجوز في « يا أبت » ثلاثة أوجه من الاعراب :

احدها - الكسر على حذف ياء الاضافة .

الثاني - (ياأبت) بفتح التاء على حذف الألف المنقلبة عن ياء الاضافة ، كأنه
أراد يا أبتا ، فحذف الالف كما تحذف الياء ، فتبقى الفتحة دالة على الالف ، كما
ان الكسرة دالة على الياء ، قال رؤبة :

* يا أبتا علك أو عساكا (١) *

فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم ألزموه القلب ، قال ابو علي الفارسي :
ويحتمل ان يكون مثل يا طلحة اقبل ، ووجهه ان الاسماء التي فيها تاء التانيث
أكثر ما ينادى مرخماً ، فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة في الترخيم وترك الامر
يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح ، فلم يعتد بالهاء ، واقحامها
كما قالوا : واجعت اليامة يريدون أهل اليامة ، قالوا : أجمعت أهل اليامة ، فلم يعتدوا
برد اهل .

(١) تفسير القرطبي ٩ : ١١٩ وصدوره :

★ تقول بنتي قد انى اناكا ★

الثالث - يا أبة بضم الهاء في قول الفراء ولم يحجره الزجاج ، قال : لأن التاء عوض من ياء الاضافة . قال الرماني هذا جائز لأن العوض لا يمنع من الحذف ، والوقف يجوز على التاء ، لان الاضافة مقدّرة بعدها ، وان قدر على حذف الالف لم يحز الوقف ، الا بالتاء وان قدر على الاقحام جاز الوقف كقول النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل اقاويه بطيء الكواكب^(١)

وانما دخلت الهاء في (يا أبت) للعوض من ياء الاضافة اذ يكثر في النداء ، مع لزوم معنى الاضافة ، فكان أحق بالعلامة لهذه العلة . وقال أبو علي : إنما وقف ابن كثير بالهاء ، فقال يا أبة ، لأن التاء التي للتأنيث تبدل منها الهاء في الوقف ، ولم يحز على تقدير الاضافة ، لأنه اذا وقف عليها سكنت للوقف واذا سكنت كانت بمنزلة ما لا يراد به الاضافة فأبدل منها الهاء كما اذا قال يا طلحة أقبل بفتح التاء ، واذا وقف عليها أبدل الهاء ياء .

وانما - أعاد ذكر «رأيتهم» لمرتين : احدهما - للتوكيد حيث طال الكلام . الثاني - ليدل انه رأيهم ورأى سجودهم ، وفي معنى سجودهم قولان :

احدهما - هو السجود المعروف على الحقيقة تكرمة له لا عبادة له .

الثاني - الخضوع - في قول ابي علي - كما قال الشاعر :

ترى الا كم فيه سجدا للحوافر^(٢)

وهو ترك للظاهر ، وقال الحسن : الاحد عشر اخوته ، والشمس والقمر أبواه ، وانما قال ساجدين بالياء والنون ، وهو جمع ما لا يعقل ، لأنه لما وصفها بفعل ما يعقل من السجود أجرى عليها صفات ما يعقل ، كما قال «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم»^(٣) لما أمروا امر من يعقل .

(١) مر تخريجه في ٥ : ٣٦٨ .

(٢) مر هذا الشعر في ١ : ١٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣١١ ، ٤٠٣ ، ٢٣٣ ، ٣٨٣ .

(٣) سورة النمل اية ١٨ .

و(كوكباً) منصوب على التمييز و (أحد عشر) الاسمان جعلاً اسماً واحداً ، وكذلك الى تسعة عشر ، واللغة الجيدة عند البصريين فتح العين ، وحكى مسكون العين ، وحكى الزجاج احدي عشر وهي لغة ردية .

قوله تعالى :

(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (٥) آية
بلا خلاف .

قرأ الكسائي الا أبا الحارث وقتيبة ، والعبسي ، وابن اليزيدي بامالة «رؤياك» والرؤيا في جميع القرآن، وروى ابو الحارث فتح «رؤياك» وامالة الباقي . وقرأ قتيبة امالة «الرؤيا» ونصب «رؤياك» .

وقرأ خلف في اختياره بامالة ما فيه ألف ولام . الباقون بالتفخيم .

وخفف الهمزة في جميع ذلك أبو جعفر ، وورش ، والسموني ، وشجاع والترمذي في الادراج ، إلا ان أبا جعفر يدغم الواو في الياء فتصير ياء مشددة ، قال ابو علي النحوي (الرؤيا) مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى إلا انه لما صار اسماً لهذا التخيل في المنام جرى مجرى الاسماء ، كما أن (درّ) لما كثر في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء، وخرج من حكم الاعمال: فلا يعمل واحد منها اعمال المصدر، ومما يقوي خروجه عن أحكام المصادر تكسيرهم لها (دري) فصادر بمنزلة (ظلم) والمصادر في الاكثر لا تكسر ، والرؤيا على تحقيق الهمزة ، فان حذفت قلبتها في اللفظ واو أو لم يدغم الواو في الياء ، لان الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة ، فلا يقع الاعتداد بها فلم تدغم ، وقد كسر اولها قوم فقالوا (ريا) فهؤلاء قلبوا الواو قلباً لا على وجه التخفيف ، ومن ثم كسروا الفاء ، كما كسروا من قولهم : قرن لوى وقرون لي .

في هذه الآية حكاية ما أجاب به يعقوب يوسف حين قص عليه رؤياه ومنامه، فقال له «يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك» أي لا تخبرهم بها فانك إن أخبرتهم بذلك حسدوك وكادوك واحتملوا عليك، وانما قال ذلك لعله بأن تأويل الرؤيا أنهم يخضعون له .

وقوله «يا بني» فيه ثلاث ياءات، الياء الاصلية، وياء الاضافة، وياء التصغير. وحذفت ياء الاضافة اجتزاء بالكسرة وادغمت احدى اليائين في الاخرى. وفتح الياء وكسرها لغتان. وانما صغر (بني) مع عظم منزلته، لانه قصد بذلك صغر السن، ولم يقصد به تصغير الذم.

والرؤيا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار، وذلك أن العقل مغمور بالنوم، فاذا تصور الانسان المعنى توهم أنه يراه.

والاخ المساوي في الولادة من أب أو أم أو منها، ويجمع أخوة وآخاء. والكييد طلب الغيظ بأذى الطالب لغيره كاده يكييد كيداً، فهو كائد.

وقوله «ان الشيطان للانسان عدو مبين» اخبار منه تعالى بأن الشيطان معاد للانسان، ويلقى العداوة بينهم، واللام في قوله (لك كيداً) لام التعدية، كما يقال قدمت له طعاماً، وقدمت اليه طعاماً. وقال قوم: هو مثل قولهم شكرته وشكرت له، لانه يقال كاده يكيده، وكاد له.

وحكى الكسائي أن قوماً يقولون: (الرياء) بكسر الراء وتشديد الياء فيقلبون الهمزة واواً ويدعمون الواو في الياء. و (رؤياً) فيها أربع لغات بضم الراء مع الهمزة وبالواو بلا همزة. وقد قرئ بهما، وبضم الراء والادغام. وبكسر الراء، ولا يقرأ بهاتين.

قوله تعالى:

(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

وَيَمِّتْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) آية بلا خلاف .

هذه حكاية ما قال يعقوب لابنه يوسف (ع) وقوله له ان الله يجتبيك ، ويجتارك ، ويصطفيك ويكرمك بذلك ، كما أكرمك بأن اراك في منامك هذه الرؤيا ، فوجه التشبيه وهو اعطاء الرؤيا باعطاء الاجتباء مع ما انضاف اليه من الصفات الكريمة المحمودة التي ذكرها . والاجتباء إختيار معالي الأمور للمجتبى مثل ما اختاره الله تعالى ليوسف من الخصال الكريمة والأمر السنية ، وقال الحسن: اجتباه الله بالنبوة، وبشره بذلك . وأصله من جبيت الشيء اذا اخلصته لنفسك ، ومنه جبيت الماء في الحوض .

وموضع الكاف من و (كذلك) نصب ، والمعنى مثل ما رأيت تأويله يجتبيك ربك .

« ويعلمك من تأويل الاحاديث » معناه أنه تعالى يعرفك عبارة الرؤيا - في قول قتادة ، ومجاهد - وذلك تأويل أحاديث الناس عما يرونه في منامهم ، وقيل كان أعبر الناس للرؤيا، ذكره ابن زيد . وقال الزجاج ، والجبائي : معناه يعلمك تأويل الاحاديث في آيات الله تعالى ودلائله على توحيده ، وغير ذلك من أمور دينه . والتأويل في الأصل هو المنتهى الذي يؤل اليه المعنى . وتأويل الحديث فقهه الذي هو حكمه ، لأنه اظهار ما يؤل اليه أمره مما يعتمد عليه وفائدته .

وقوله « ويتم نعمته عليك » فتمام النعمة هو أن يحكم بدوامها على اخلاصها من شائب بها فهذه النعمة التامة بخلوصها مما ينقصها، ولا تطلب الا من الله تعالى لانه لا يقدر عليها سواه . وقوله « كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق » اخبار من يعقوب ليوسف أن الله تعالى يديم عليه هذه النعمة ، كما أدامها على أبويه قبله : ابراهيم وإسحاق ، واصطفائه إياهما وجعله لهما نبيين رسولين الى خلقه

ثم أخبر مع ذلك أن الله تعالى عليم بمن يصلح أن يحتبى، حكيم في اجتباؤه من يحتبىه واضع للشيء في موضعه، وفي غير ذلك من أفعاله. قال الفراء: قوله «وكذلك يحتبىك ربك» جواب لقوله إني رأيت أحد عشر كوكبا، فقيل له، وهكذا يحتبىك ربك (فكذلك، وهكذا) سواء في المعنى، وقال ابن اسحاق إنما قص الله تعالى قصة يوسف علي محمد (ﷺ) ليعلم أنه بغى عليه أخوته وحسدوه، فيسليه بذلك من بغى قومه عليه وحسداه.

قوله تعالى :

(لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَائِلِينَ) (٧)

آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحده «آية للسائلين» على التوحيد الباقيون «آيات» على الجمع. قال أبو علي النحوي من أفرد جعل شأنه كله آية. ويقوي ذلك قوله «وجعلنا ابن مريم وامه آية»^(١)، فأفرد، وكل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال آية، فأفرد مع ذلك، ومن جمع جعل كل واحد من أحواله آية، ومن جمع على ذلك على أن المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالا على الكثرة كما يكون ذلك في غير الإيجاب قال الشاعر :

فقتلا بتقتيل وضرباً بضربكم جزاء العطاش لاينا من الشار^(٢)

اللام في قوله «لقد» هي اللام التي يتلقى بها القسم. أقسم الله تعالى في هذه الآية أنه كان في يوسف وفي إخوته آيات. والآية الدلالة على ما كان من الأمور العظيمة. والآية والعلامة والعبارة نظائر في اللغة. وقال الرماني: الفرق بين الآية والحجة: أن الحجة معتمد البينة التي توجب الثقة بصحة المعنى. والآية تكشف عن المعنى

(٢) مجمع البيان ٣ : ٢١٠

(١) سورة المؤمنون آية ٥١

الذي فيه أعجوبة . ووجه الآية في يوسف وأخوته أنهم نالوه للحسد بالأذى مع أنهم أولاد الانبياء : يعقوب واسحاق و ابراهيم ، فصصح وعفا ، وأحسن ورجع الى الأولى ، وكان ذلك خروجاً عن العادات .

وقال الزجاج : معناه بصيرة للذين سألوا النبي ﷺ فانبأهم بقصة يوسف - وهو ﷺ لم يقرأ كتاباً ، ولم يعلمه إلا من جهة الوحي - جواباً لهم حين سألوه . وفي يوسف لغتان ضم السين وكسرها ، وكذلك يونس بضم النون ، وكسرها ، والقراء على الضم فيها ، وحكى قطرب فتح النون في يونس وهي شاذة .

قوله تعالى :

(إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٨) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير ونافع والكسائي «مبين اقتلوا» بضم التنوين . الباقر بكسره قال أبو علي : من ضم التنوين اتبع حركة التنوين ضمة الهمزة بعده ، لان تحريكه ملازم لالتقاء الساكنين ، كما قالوا مذ به وفي ظلمات فاتبعوا الضمة وكذلك «مبين اقتلوا» وقالت اخرج ، ومن كسر لم يتبع ، وكسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين في الامر الاكثر .

والعامل في (اذا) اذكر ، وتقديره اذكر إذ قالوا ليوسف . ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في الآية الاولى من قوله « لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين . إذ قالوا ليوسف » .

وفي الآية اخبار عما قالت أخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب إياه . وقولهم : ان يوسف وأخاه لابييه وأمه ، وهو ابن يامين « احب الى أبينا » يعقوب « منا » مع انا عصبه أي جماعة ، والحب ضد البغض ، والحب

- بفتح الحاء - سمي به ، لانه مما يحب ، والحب - بكسر الحاء - المفرط لما فيه من الحب ، والاحباب ان يبرك البعير فلا يثور ، لانه يحب البروك والمحبة ، على ضربين :
احدهما - المحبة التي هي ميل الطباع .

والثاني - ارادة المنافع .

والفرق بين المحبة والشهوة أن الانسان يحب الولد ، ولا يشتهي به بأن يميل طبعه اليه ويرق عليه ويريد له الخير . والشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة .
والعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ، وقولهم « ونحن عصبة » أي جماعة يعين بعضها البعض ، وكانوا عشرة . والعصبة يقع على الجماعة من عشرة إلى خمسة عشر ، ولا واحد له من لفظه ، كارهط والقوم والنفر .

وقوله « ان ابانا لفي ضلال مبين » معناه الاخبار عن قولهم ان ابانا في ذهاب عن طريق الحق والصواب الذي فيه التعديل بيننا في المحبة . وقيل : انهم أرادوا انه غلط في تدبير أمر الدنيا إذ كانوا انفع له من يوسف وأخيه من أمه وأبيه إذ كانوا يقومون بأمواله ومواشيه ، ولم يريدوا الضلال في الدين ، لأنهم لو أرادوا ذلك ، لكانوا كفاراً ، وذلك خلاف الاجماع .

واكثر المفسرين على ان اخوة يوسف كانوا انبياء ، وقال قوم : لم يكونوا كذلك ، وهو مذهبنا ، لأن الأنبياء لا يجوز ان تقع منهم القبائح ، وخاصة ما فعلوه مع أخيه يوسف من طرحه في الحب ، وبيعهم إياه بالثمن البخس ، وادخالهم الغم به على أبيهم يعقوب ، وكل ذلك يبين أنهم لم يكونوا أنبياء . وقال البلخي : ذهب قوم الى أنهم لم يكونوا في تلك الحال بلغوا الحلم ، وقد يقع مثل ذلك ممن قارب البلوغ ، وان لم يبلغ ، ويعاتب عليه ويذم ، ويضرب على فعله .

ومن قال : كانوا بالغين غير انهم لم يكونوا انبياء استدل على بلوغهم بقوله « وتكونوا من بعده قوماً صالحين » ، وقولهم « يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا » وقال الانبياء الاسباط من بني يعقوب غير هؤلاء .

قوله تعالى :

(أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ
وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) (٩) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن اخوة يوسف انهم قال بعضهم لبعض « اقتلوا يوسف
أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم، وتكونوا من بعده قوماً صالحين، ومعناه
اطرحوه في أرض تأكله السباع أو يهلك بغير ذلك من الأمور . وقيل : معناه
اطرحوه في أرض يبعد عن أبيه ، ولا يقدر عليه .

وقوله « يخل لكم وجه أبيكم » جواب الأمر في قوله « اقتلوا يوسف » ولا يجوز فيه
غير الجزم، لأنه ليس فيه ضمير، والمعنى انكم متى قتلتموه أو طرحتموه في أرض
اخرى خلا لكم أبوكم وحن عليكم « وتكونوا من بعده قوماً صالحين » معناه إنكم
إذا فعلتم ذلك وبلغتم أغراضكم تبتم مما فعلتموه ، وكنتم من جملة الصالحين الذين
يفعلون الخيرات ، فيكفر عنكم عقاب ما فعلتموه . وقال الحسن : معناه تكونوا
قوماً صالحين في أمر دنياكم ، ولم يريدوا أمر الدين .

قوله تعالى :

(قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ
يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (١٠) آية بلا خلاف .

قرأ نافع و ابو جعفر « غيابات » على الجمع . الباقر « غيابة » على التوحيد، وقرأ
الحسن تلتقطه بالياء ، كما قالوا ذهبت بعض اصابعه ، قال ابو علي : وجه قول
من أفرد، أن الجب لا يخلوا ان يكون له غيابة واحدة أو غيابات، فغيابة المفرد
يجوز ان يعنى به الجمع ، كما يعنى به الواحد ، ووجه قول من جمع : انه يجوز ان
يكون له غيابة واحدة، فجعل كل جزء منه غيابة ، فجمع على ذلك ، كقولهم

شابت مفارقة ، ويجوز ان يكون عنده للجب غيابات ، فجمع على ذلك .
 اخبر الله تعالى في هذه الآية عن واحد من جملة القوم أنه قال على وجه المشورة
 عليهم «لا تقتلوا يوسف» ولكن اطرحوه في جب عميق قليل الماء . وقيل إنه كان
 اسم القاتل لذلك (روبيل) وكان ابن خالة يوسف - في قول قتادة وابن اسحاق -
 وقال الزجاج : كان يهوذا ، والغيابة الموضع الذي يغيب فيه صاحبه وغيابة البئر
 شبه الجاف او طاف فوق الماء وضعوه فيها . وكما غيب شيء عن الحس بكونه ،
 فهو غيابة . وقال الحسن يعني في قعر الجب قال المنخل :

فان انا يوم غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل^(١)
 والجب البئر التي لم تطو ، لانه قطع عنها ترايبها حتى طغى الماء من غير طي ،
 ومنه المجهوب قال الأعشى :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم^(٢)

و (السيارة) الجماعة المسافرون ، لانهم يسرون في البلاد . وقيل : هم مارة
 الطريق . و (الالتقاط) تناول الشيء من الطريق ، ومنه اللقطة واللقطة .
 وقيل : انهم أشاروا عليه بأن يقعد في دلو المدي إذا استسقى ليخرجه من البئر
 ففعل . ومعنى التقاطه أن يجده من غير ان يحسبه ، يقال وردت الماء التقاطاً
 إذا وردته من غير ان تحسبه .

قوله تعالى :

(قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)

(١١) آية بلا خلاف .

(١) الشاعر هو المنخل بن نسيح العنبري . تفسير القرطبي ٩ / ١٣٢ والتاج (غيب) ومجاز

القرآن ١ / ٣٠٢ .

(٢) ديوان (دار بيروت) ١٨٢ والصبح المنير ٨٤ ومجاز القرآن ١ / ٢ . ٣ وتفسير

القرطبي ٩ / ١٣٢ والكتاب لسبويه ١ / ٢٣١ .

كلهم قرأ «تأمننا» بفتح الميم وادغام النون الأولى في الثانية، والاشارة الى اعراب النون المدغمة بالضم اتفاقاً ، قال ابو علي وجه ذلك ان الحرف المدغم بمنزلة الموقوف عليه من حيث جمعها السكون ، فمن حيث اشموا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الادراج اشموا النون المدغمة في (تأمننا) وليس ذلك بصوت خارج الى اللفظ ، وانما هي هيئة العضو لاخراج ذلك الصوت به ليعلم بذلك أنه يريد ذلك المتبها له .

حكى الله تعالى عن أخوة يوسف لما تأمروا على ما يفعلونه بيوسف أنهم ، قالوا لأبيهم لم «لا تأمننا على يوسف» قال الزجاج: يجوز في (تأمننا) أربعة أوجه: تأمننا بالاضهار ورفع النون الأولى، لان النونين من كلمة ، و «تأمننا» بالادغام وهي قراءة القراء لالتقاء المثلين، و (تأمننا) بالادغام والاشمام ، وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن القراء ، للاشعار بالضممة ، و (تؤمننا) بكسر التاء وهي قراءة يحيى ابن وثاب، لأن ماضيه فعل ، كما قالوا تعلم ونعلم إلا ان القراءة بالادغام والاشمام . والأمن سكون النفس الى إنتفاء الشر ، وضده الخوف ، وهو انزعاج النفس لما يتوقع من الضر . وقوله «وانا له لنا صحنون» تمام الحكاية عنهم أنهم قالوا إنا ليوسف لنا صحنون مشفقون عليه . والنصح إخلاص العمل من فساد يتعمد ، ونقيضه الغش . والنصح في التوبة اخلاصها مما يفسدها . وذلك واجب فيها وهي التوبة النصوح .

قوله تعالى :

(أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (١٢)

آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو «رتع ونلعب» بالنون فيها . وكسر العين من «يرتع» من غير بلوغ الى الياء أهل الحجاز ، إلا المالكي . والقطار عن الزبيبي اثبات (ياء) في الوصل ، والوقف بعد العين . الباكون بسكون العين ، ولم

يختلفوا في سكون الباء من ويلعب، وقرأ نافع يرتع، ويلعب بالياء فيها، وكسر العين. وقرأ أهل الكوفة بالياء فيها، وجزم العين والباء. قال أبو علي: قراءة ابن كثير حسنة، لأنه جعل الارتفاع القيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر، وأسند اللعب إلى يوسف لصغره، ولا لوم على الصغير في اللعب، ولا ذم. والدليل على صغر يوسف قول أخوته «واناله لحافظون» ولو كان كبيراً ما احتاج إلى حفظهم. وإيضاً قال يعقوب أخاف أن يأكله الذئب، ولو لم يكن صغيراً ما خاف عليه، وإنما يخاف الذئب على من لا دفاع فيه، ولا ممانعة له: من شيخ، فإن أو صبي صغير قال الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا املك رأس البعير أن نفرا
والذئب أخشاه أن مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا^(١)

فأما اللعب فما لا ينبغي أن ينسب إلى أهل النسك والصلاح، ألا ترى إلى قوله: «أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين»^(٢) فقول اللعب بالحق فدل على أنه خلافه، وقال «ولئن سألتهم ليقولن» إنما كنا نخوض ونلعب»^(٣) وقال «وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً وهواً» فأما الارتفاع فهو افتعال من رعيت مثل سويت واستويت وكل واحد منها متعد إلى مفعول به، قال الشاعر:

ترتمي السفح فالكتيب فذا قا ر فروض القطا فذات الرثال^(٤)

وقال أبو عبيدة: ويجوز أن يقال نرتع ويراد ترتع إبلمهم ووجه ذلك أنه كان الأصل ترتع إبلمنا ثم حذف المضاف وأسند الفعل إلى المتكلمين، فصار نرتع وكذلك نرتعي على ترتعي إبلمنا، ثم يحذف المضاف فيكون نرتعي. وقال أبو عبيدة: نرتع نلهو، وقد تكون هذه الكلمة على غير معنى النيل من الشيء كقولهم في المثل العبد والرتعة، فكان على هذا النيل والتناول مما يحتاج إليه الحيوان.

(١) قاله الربيع بن ضبيح الفزاري. سيبويه ١: ٤٦ وجمع البيان ٣: ٢١٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٥٥، (٣) سورة التوبة ٩ آية ٦٥.

(٤) قاله الأعشى، ديوان: ١٦٣ واللسان (سفع)، (رأل).

وأما قراءة أبي عمرو ، وابن عامر ، فعلى أن معناه يرتع أبلنا ، أو على أننا ننال ما نحتاج إليه ومعناه ننال . فأما قوله « ونلعب » فحكى ابن أبا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب ، وهم انبياء ؟ فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ، فعلى هذا سقط الاعتراض ولا يجوز أن يكون المراد به مثل ما قال الشاعر :

حدت حداد تلاعب وتقسعت غمرات قالت ليسه حيران^(١)

فكان اللعب ههنا الذي لم يتشمر في امره ، فدخله بعض الهويناء ، فهذا أسهل من الوجه الذي قوبل بالحق ، وقد روي عن النبي ﷺ انه قال لجابر : (فهلاً بكراً تلاعبها وتلاعبك) وإنما اراد بذلك التشاغل بالمباح والعمل بما يتقوى به على العبادة والطاعة . وقد روي عن بعض السلف انه كان اذا اكثر النظر في مسائل الفقه قال احضونا ، وقد روي عن النبي ﷺ انه قال ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق فان المبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . فليس هذا اللعب من الذين « قال انما كنا نخوض ونلعب » في شيء .

ومن قرأ بالياء فإن كان يرتع من اللهو ، كما فسره ابو عبيدة ، فلا يمتنع ان يخبر به عن يوسف لصغره ، كما لا يمتنع ان ينسب اليه اللعب كذلك إن كان « يرتع » من النيل من الشيء ، فلذلك ايضاً لا يمتنع عليه ايضاً ، فوجهها بئس ، وهو أبين من قول من قال « ونلعب » بالنون ، لانهم سألوا ارساله ليتنفس بلعبه ، ولم يسألوا ارساله ليلعبوا هم .

والرتع الاتساع في البلاد بالذهاب في جهاتها من اليمين والشمال ، فلان يرتع في المال وغيره من ضرور الملاذ ، واصل الرتعة التصرف في الشهوات رتع فلان في ماله اذا انفق في شهواته قال القطامي :

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتعا^(٢)

(١) مجمع البيان ٣ : ٢١٤ وروايته :

جدت حداد بلاعب وتقسعت غمرات قالت ليسه حيران

(٢) مر في ٢٦/١ وتفسير الطبري (دار المعارف) ١٥ : ٥٦٩ ، والطبعة الاولى ١٢/٨٨ .

وقال مجاهد معنى « نرتع » يحفظ بعضنا بعضاً من الرعاية . واللعب يحتمل ما يستهجن ويستردل لطلب الفرح من غير مراعاة شيء من الحلم كفعل الصبي اذا قصد هذا القصد .

أخبر الله تعالى عن اخوة يوسف انهم قالوا لابيهم ارسل يوسف معنا ينال الملاذ ويتفرح ، ونحن حافظون له ومراعون لاحواله فلا تخشى عليه .

قوله تعالى :

(قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) (١٣) آية بلا خلاف .

قرأ الكسائي وخلف في اختياره ، و ابو جعفر وورش والاعشى واليزيدي في الادراج إلا سجادة ، ومدين من طريق عبد السلام « الذيب » بتخفيف الهمزة في المواضع الثلاثة . الباقر بالهمزة . والهمز وترك الهمز لغتان مشهورتان قال ابو علي : والاصل فيه الهمزة ، فان خفف جاز ، وان وقع في مكان الرفع قلب قلباً كما قال الشاعر :

كأن مكان الرفع منه على رال (١)

فقلب الهمزة الفأ .

أخبر الله تعالى حكاية عن يعقوب انه قال حين طلب اخوة يوسف انقاذ يوسف معهم ، واحتياهم في ذلك . واشفق من ذلك ، قال « اني ليحزنني » اي يؤلم قلبي . يقال حزنتك وأحزنتك لغتان ، والحزن ألم القلب بفراق المحب ويعظم اذا كان فراقه الى ما يبغض « أن تذهبوا به » اي ليحزنني اذهابكم به ، والذهاب

(١) قائله امرؤ القيس ، ديوانه : ١٦٥ وامالي الشريف المرتضى ٢٢٩:١ وصدوره :

وصم صلاب ما يقين من الوجي

وهو يصف حوافر الفرس بانها (صم) اي صلبة (لا يقين) ليس فيها تجويف (من الوجي) وهو الخفاء . و (مكان الرفع) الموضع الذي يردف عليه الراكب . و (الال) فرخ الغزال .

والمرور والانطلاق نظائر وبين ان يخاف عليه الذئب ان يأكله لان الذئب كانت ضارية في ذلك الوقت . والذئب سبع معروف ، واشتقاقه من تذاب الرياح اذا جاءت من كل جهة ، فالذئب يختل بالحيلة من كل وجه .

وقوله « وانتم عنه غافلون » جملة في موضع الحال وتقديره اخاف ان يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه ، والخوف والفرع والقلق نظائر ونقيضه الأمن .

قوله تعالى :

(قَالُوا لَئِنِ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَّاسِرُونَ)

(١٤) آية بلا خلاف .

لما قال لهم يعقوب ما ذكره في الآية الاولى ، قالوا في الجواب عن ذلك « لئن اكله الذئب ونحن جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ، فلا نمنع عنه » انا اذا لخاسرون « أي بمنزلة الخاسر الذي ذهب رأس ماله على رغم منه ، والخسران ذهب رأس المال ، والربح زيادة على رأس المال . واللام في قوله « لئن » هي التي يتلقى بها القسم ، فكأنهم أقسموا على ما قالوه . وأعظم الخسران ما يذهب بالثواب ، ويؤدي الى العقاب ، فلذلك أقسموا عليه ، وقال المؤرج : معناه انا اذا لمضيعون بلغة قيس عيلان .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ)

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (١٥)

آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى انه لما أذن يعقوب ليوسف في المضي معهم ، وذهبوا به « وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب » اي عزموا على فعل ذلك ، ولا يقال : أجمع الا اذا قويت الدواعي الى الفعل من غير صارف وأما من دعاه داع واحد ، فلا يقال فيه أنه أجمع ، فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي ، ويجوز ان يكون المراد انهم اتفقوا على إلقائه في غيابة الجب ، والجعل والتصيير والعمل نظائر في اللغة . والغيابة البقعة التي يغيب فيها الشيء عن الحس . وقيل طلبوا بشراً قليلة الماء تغيبه ولا تفرقه . وقيل بل جعلوه في جانب جبها ، وسمى البئر التي لم تطو جباً لأنه جبّ تراها عنها فقط ، كأنه ليس فيها إلا قطع التراب . وجواب (لما) محذوف وتقديره عظمت فتنهم أو كبر ما قصدوا له . وقال قوم: الواو في وأجمعوا مقحمة . والمعنى أجمعوا أن يجعلوه وهو مذهب الكوفيين ، وأنشدوا قول امرئ القيس :

فلما اجزنا ساحة الحيّ وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل^(١)

يريد، فلما اجزنا ساحة الحيّ انتحى ، وقال آخر :

حتى اذا قلت بطونكم ورأيتم ابناءكم شبّوا
وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الحُبُّ^(٢)

يريد قلبتم ، فادخل الواو . والبصريون لا يميزونه . وقوله « واوحينا اليه » يعني إلى يوسف ، قال الحسن أعطاه الله النبوة ، وهو في الجب « لتنبئهم بأمرهم هذا » معناه ستخبرهم بذلك في المستقبل و « هم لا يشعرون » قال ابن عباس والحسن وابن جريج لا يشعرون بأنه يوسف . وقال مجاهد وقتادة : لا يشعرون بأنه اوحى اليه .

والشعور ادراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة، ومنه المشاعر في البدن . وقال

(١) ديوانه : ١٤٩ من معلقته الشهيرة وتفسير الطبري ١٥ : ٥٧٥ وفي المعلقات العشر

(حفاف) بدل (قفاف) وقال وروي (حقف ذي ركام) .

(٢) انظر ٣ : ١٩ تعليقة ٤ .

قوم : معنى قوله « لتنبئهم بأمرهم » لتجازينهم على فعلهم ، تقول العرب للرجل : تتوعده بمجازاة سوء فعله : لأنبئتك ، ولأعرفنك ، يعني لأجازينك .

قوله تعالى :

(وَجَاؤَا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا
نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ
بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (١٧) آيتان بلا خلاف .

في الكلام حذف ، لان التقدير إنهم أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ،
وفعلوا ذلك ، فلما فعلوه جاؤوا حينئذ « أباهم عشاء يبكون » والمجيء والمصير
الى الشيء واحد ، وقد يكون المصير بالانقلاب ، كمصير الطين خزفاً ، وقد يكون
بمعنى الانتقال . والعشاء آخر النهار . ونصبه لانه من ظروف الزمان . ومنه
اشتق (الاعشى) لانه يستضيء ببصر ضعيف . والبكاء جريان الدمع من العين عند
حال الحزن ، فكانوا يعلمون أن اباهم يحزن لما جاؤا من خبر يوسف ، فبكوا مع
بكاؤه عليه ، وفي حال خبره لما تصوروا تلك الحال . وقيل : إنهم أظهروا البكاء
ليومئوا أنهم صادقون فيما قالوه .

وقوله « إنا ذهبنا نستبق » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال الزجاج : ذهبنا نتنصل مشتق من السباق في الرمي . وقال
الجبائي : نستبق في العدو لنعلم اينما أسرع عدواً « وتركنا يوسف عند متاعنا »
يعني تركناه عند الرحل ليحفظه .

وقوله « وما أنت بمؤمن لنا » أي لست بمصدق لنا « ولو كنا صادقين »
وجواب (لو) محذوف ، وتقديره : ولو كنا صادقين ما صدقتنا ، لانهامك لنا في
أمر يوسف ، ودل الكلام عليه . ولم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق ، لان المعنى

انه لا يصدقهم إتهاماً لهم لشدة محبته ليوسف يسئ الظن بهم ، ولا تسكن نفسه الى خبرهم .

قوله تعالى :

(وَجَاؤَا عَلَى قَيْصِيهِ بَدْمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ
أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (١٨)
آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن أخوة يوسف انهم جاؤا أباهم ، ومعهم قبيص يوسف ملطخ بدم . وقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب . وقال ابن عباس ومجاهد كان دم سخلة ، قال الحسن : لما رأى يعقوب القبيص صحيحاً ، قال : يا بني والله ما عهدت الذئب عليماً .

قال عامر الشعبي : كان في قبيص يوسف ثلاث آيات :

احداها - حين ألقى على وجه أبيه ، فارتد بصيراً ، وحين قدّم من دبر ، وحين جاؤا على قبيصه بدم كذب . ومعنى (كذب) مكذوب فيه ، كما قيل الليلة الهلال فيرفع ، وكما قال «فما ربحت تجارتهم»^(١) أي ما ربحوا في تجارتهم إلا انه وصف في المصدر ، وتقديره بدم ذي كذب ، لكن إذا بولغ في الصفة اجري على هذه الصفة ، وقال الفراء يجوز ان يكون المصدر وقع موقع مفعول ، كما يقع مفعول موقع المصدر في مثل قول الراعي القطامي :

حتى اذا لم يتركوا لعظامه لهما ولا لفؤاده معقولا^(٢)

(١) سورة البقرة آية ١٦ .

(٢) تفسير الطبري ١٥ : ٥٨٣ ، وجمهرة اشعار العرب : ١٧٥ ، ومجاز القرآن ١ : ٣٠٣ .

وامالي الشريف المرتضى ١ : ١٠٦ .

ولا يميزه سيبويه ، ويقول مفعول لا يكون مصدراً ، ويتأول قولهم : خذ ميسوره ، ودع معسوره أي خذ ما يسر ودع ما عسر عليه ، وكذلك : ليس لفؤاده معقولاً أي ما يعقل به .

وقوله « قال بل سولت لكم انفسكم امرأ » حكاية ما قال يعقوب لهم . والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن - في قول قتادة - وقيل معناه تقرير معنى في النفس على الطبع في تمامه ، وهو تقدير معنى في النفس على توهم تمامه .

وقوله « فصبر جميل » فالصبر الجميل هو الصبر الذي لا شكوى فيه على ما يدعو إليه العقل ، ويحتمل رفع الصبر أمرين : احدهما - ان يكون خبر ابتداء وتقديره فأمر صبر جميل . الثاني - ان يكون مبتدأ ، وخبره محذوف ، وتقديره فصبر جميل أولى من الجزع الذي لا ينبغي لي ، قال الشاعر :

يشكوا الي جملي طول السرى صبر جميل فكلانا مبتلى^(١)

ولو نصب لجاز ، ولكن الأحسن الرفع ، لأنه موصوف . وقوله « والله المستعان على ما تصفون » حكاية ما قال يعقوب عند ذلك ، بأن الله تعالى هو الذي يطلب منه المعونة على ما ذكره ؛ وتقديره استعين بالله على احتمال ما تصفونه ، وعلى الصبر كله .

قوله تعالى :

(وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى
هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (١٩)
آية بلا خلاف .

(١) امالي الشريف المرتضى ١ : ١٠٧ ، وروايته :

شكا الي جملي طول السرى يا جملي ليس الي المشتكى
الدرهمان كلغان ما ترى صبر جميل فكلانا مبتلى

قرأ أهل الكوفة « يا بشري » بغير الف . الباقون بالالف والياء ، وكان يجوز أن يقرأ بياء مشددة « بشري » وهي لغة هذيل غير انه لم يقرأ به احد ، قال أبو ذؤيب :

سبقوا هوي^١ واعنقوا لهوام^٢ فتخرموا ولكل جنب مصرع^(١)

قال ابو علي: من قرأ (يا بشراي) فاضافه الى الياء التي للمتكلم، كأن للألف التي هي حرف الاعراب موضعان من الاعراب :

احدهما - ان تكون في موضع نصب لانه منادى مضاف .

والآخر - ان تكون في موضع كسر، لأنه بمنزلة حرف الاعراب في غلامي . ومن قرأ « يا بشري » احتمل وجهين :

احدهما - ان يكون في موضع ضم مثل يارجل بالنداء لاختصاصه كاختصاص الرجل .

والآخر - ان يكون في موضع النصب لأنك اشعت النداء ولم تخص به ، كما فعلت في الوجه الاول كقوله « يا حسرتا على العباد »^(٢) .

اخبر الله تعالى أنه حين ألقى أخوة يوسف يوسف في غيابة الجب جاءت سيارة، وهم جماعة مسافرون مارة فبعثوا واردهم ، وهو الذي يصير الى الماء ليستسقي منه « فأدلى دلوه » يعني أرسل دلوه ليملاً ، يقال ادليت الدلو إذا أرسلتها لتملاً ، ودلوها إذا أخرجتها مملأة ، وقيل انه لما أرسل الدلو تعلق بها يوسف ، فقال المدلي « يا بشراي » هذا غلام ، في قول قتادة والسدي .

وقيل في معنى (بشراي) قولان :

(١) ديوانه ١ : ٢ وامالي الشريف المرتضى ١ : ٢٩٣ ورواية الامالي (لسبيلهم) بدل (لهوام) .
(٢) سورة يس آية ٣٠ .

احدهما - انه بشر اصحابه بأنه وجد عبداً .
 الثاني - قال السدي كان اسمه (بشري) فناداه .
 وقوله « واسرّوه بضاعة » قيل في معناه قولان :
 احدهما - قال مجاهد والسدي أسره المدلي ، ومن معه من باقي التجار لثلا
 يسألوهم الشركة فيه .

الثاني - قال ابن عباس اسره اخوته يكتفون أنه أخوهم وتابعهم على ذلك
 يوسف لثلا يقتلوه . والبضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء
 اذا قطعتة ، ومنه المبضع ، لأنه يبضع به العرق . ومعنى « وأسرّوه » أنهم لما
 وجدوه أحبوا أن لا يعلم أنه موجود ، وان يوهوا أنه بضاعة دفعها اليهم أهل
 الماء ، ونصب بضاعة على الحال .

وقوله « والله عليم بما يعملون » اخبار منه تعالى بأنه عالم بافعالهم ، فيجازيهم
 على جميعها ، وان اسروا بها ، وفي ذلك غاية التهديد .

قوله تعالى :

(وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ
 الزَّالِمِينَ) (٢٠) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن اخوة يوسف أنهم باعوا يوسف . يقال شريت أشري اذا
 بيعت . ومنه قوله « ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون »^(١) وقال يزيد
 ابن مفرغ الحميري :

وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه^(٢)

(٢) مر هذا البيت في ١ : ٣٤٨ ، ٣٠٣ : ٢٥٧

(١) سورة البقرة آية ١٠٢

وقوله « بثمان بخرس دراهم معدودة » أي بثمان ذي بخرس أي ناقص . وقيل بثمان ذي ظلم ، لأنه كان حرّاً ، لا يحل بيعه ، فالثمان هو بدل الشيء من العين أو الورق . ويقال في غيرهما أيضاً مجازاً . والبخرس النقص من الحق ، يقال : بخرسه في الوزن أو الكيل إذا نقصه من حقه فيها . ومعنى « معدودة » أي قليلة ، لأن الكثير قد يمنع من عدده لكثرتة . وقيل : عدوها ولم يزنها . وقيل : انهم كانوا لا يزنون الدراهم حتى تبلغ أوقية ، وأوقيتهم أربعون درهماً . وقال عبدالله بن مسعود وابن عباس وقتادة : إنها كانت عشرين درهماً . وعن ابي عبدالله (ع) إنها كانت ثمانية عشر درهماً . وقال ابن عباس ومجاهد : ان الذين باعوه اخوته ، وانهم كانوا حضوراً ، فقالوا هذا عبد لنا ابق ، فباعوه . وقال قتادة الذين باعوه السيارة .

وقوله « وكانوا فيه من الزاهدين » يعني الذين باعوه ، زهدوا فيه ، فلذلك باعوه بثمان بخرس ، وتقديره وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين يجهلهم بما له عند الله من المنزلة الرفيعة ، وانما قدموا الظرف ، لأنه أقوى في حذف العامل من غيره ، ولا يجوز قياساً على ذلك (وكانوا زيدا من الضاربين) .

قوله تعالى :

(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٢١) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن من اشترى يوسف (ع) من بايعه من أهل مصر أنه قال : لامرأته حين حمله اليها « أكرمي مثواه » يعني موضع مقامه ، وانما امرها باكرام مثواه دون اكرامه في نفسه ، لان من أكرم غيره لاجله كان اعظم منزلة ممن يكرم في نفسه فقط ، والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام ، وهو يتعاضم

فأعلاه منزلة ما يستحق بالنبوة، وادناه ما يُستحق لخصلة من الطاعة أدناها كإماطة الأذى من الطريق وغيره .

وقوله « عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا » ، بين أنه إنما يأمرها باكرامه لما يرجو من الانتفاع به فيما بعد أو للتبني به . وقال ابن مسعود : احسن الناس فراسة ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته « اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا » وابنة شعيب حين قالت في موسى « يا أبت استأجره »^(١) وأبو بكر حين ولى عمر .

وقوله « وكذلك مكننا ليوسف في الأرض » ووجه التشبيه فيه انه تعالى شبه التمكين له في الأرض بالتوفيق للأسباب التي صار بها الى ما صار بالنجاة من الهلاك والخراج الى اجلّ حال .

وقوله « ولنعلمه من تأويل الاحاديث » اللام فيه محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه في الأرض ، ولنعلمه من تأويل الاحاديث .

وقوله « والله غالب على امره » معناه أنه قادر عليه من غير مانع حتى يقع ما أراد ، ومنه وقوع المقهور بالغلبة في الذلة . وقيل غالب على امر يوسف يدبره ويحوطه .

وقوله « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » اخبار منه تعالى ان اكثر الخلق غير عالمين بحسن تدبير الله لخلقهم ، وما يجريه اليهم من مصالحهم وانه قادر لا يقالب ؛ بل هم جاهلون بتوحيده ، ولا يدل ذلك على ان من فعل ما كرهه الله يكون قد غالب الله ، لان المراد بذلك ما قلناه من انه غالب على ما يريد فعله بعباده . فاما ما يريد على وجه الاختيار منهم فلا يدل على ذلك ، ولذلك لا يقال إن اليهودي المقعد قد غلب الخليفة حيث لم يفعل ما اراده الخليفة من الايمان ، وفعل ما كرهه من اليهودية وهذا واضح .

قوله تعالى :

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (٢٢) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان يوسف لما بلغ أشده ، وهو كمال القوة . وقال قوم هو من ثماني عشرة سنة الى ستين سنة ، وقال ابن عباس من عشرين . وقال مجاهد من ثلاث وثلاثين سنة ، والاشد جمع ، لا واحد له من لفظه مستعمل . وفي القياس واحده شد ، كواحد الاضرّ ضرّ ، وواحد الاشر شر قال الشاعر :

هل غير ان كثر الاشر واهلكت حرب الملوك اكاثر الاموال (١)

وقوله « آتيناه حكماً وعلماً » يعني أعطيناه ذلك ، والحكم القول الفصل الذي يدعو الى الحكمة ويقال تقديراً لما يوتى له بعبارة : يعلم من دليل الحكم ومن غير دليل الحكم . والاصل في الحكم تبين ما يشهد به الدليل ، لأن الدليل حكمة من اجل أنه يقود الى المعرفة . وقيل : معناه آتيناه الحكم على الناس . وقيل آتيناه الحكمة في فعله بالطافنا له ، والحكيم العامل بما يدعو اليه العلم . والعلم ما اقتضى سكون النفس . وقال قوم هو تبين الشيء على ما هو به ، وزاد فيه الرماني : ما يحل في القلب تحرزا من الرؤية ، لانها يبين بها الشيء على ما هو به ، لكنه معنى يحل في العين . ومن قال الادراك ليس بمعنى لا يحتاج الى ذلك .

وقوله « وكذلك نجزي المحسنين » معناه مثل ما جازينا يوسف نجازي كل من أحسن وفعل الافعال الحسنة من الطاعات . والاحسان هو النفع بالحسن الذي يستحق به الحمد ، فعلى هذا يصح أن يحسن الانسان إلى نفسه كما يصح أن يسيء الى

(١) مجمع البيان ٣ : ٤٢١ وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٢ : ٩٨ وروايته (الاشد) بدل (الاشر) .

نفسه ، ولا يصح ان ينعم على نفسه ، لأن النعمة تقتضي استحقاق الشكر عليها ،
ولا يصح ذلك بين الانسان ونفسه .

قوله تعالى :

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْاَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنَ مَثْوَايَ اِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ) (٢٣) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمرو ، وعاصم وحمزة والكسائي (هيت) بفتح الهاء والتاء ، وقرأ
ابن كثير بفتح الهاء، وضم التاء. وقرأ نافع وابن عامر (هيت) بكسر الهاء وفتح
التاء . وروى هشام بن عامر عن ابن عامر (همت) بالهمز من تهيأت ، وكسر
الهاء ، وضم التاء ، وانكر الهمزة أبو عمرو بن العلاء والكسائي، قال طرفة :

ليس قومي بالابعدين إذا ما قال داع عن العشيّة هيت
هم يجيبون ذا هلم سراعاً كالأبائيل لا يغادر بيت^(١)

فهذا شاهد لابن كثير قال ابو عبيدة : « هيت لك » معناه هلم، قال: وقال :
رجل لعلي (ع) :

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتينا

ان العراق واهله سلم اليك فهيت هيتا^(٢)

قال ابو الحسن : وكسر الهاء لغة ، وقال بعضهم بالهمز من تهيأت لك ، وهي
حسنة إلا ان المعنى الاول أحسن ، لأنها دعتهم ، والمفتوحة أكثر اللغات ، ففيه
ثلاث لغات .

(١) مجاز القرآن ١ : ٣٠٣ ، وتفسير القرطبي ٩ : ١٩٤ ، وتفسير الشوكاني (الفتح

القدير) ٣ : ١٥ ، وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٢ : ١٠٠ .

(٢) انظر تخريجه في الصفحة التي بعدها .

ومعنى قوله «وراودته» أي طالبته ، والمرادة المطالبة بأمر للعمل به ، ومنه المرود لانه يعمل به ، ولا يقال في المطالبة بدين راوده . ومعنى «التي هو في بيتها» يعني امرأة العزيز «وغلقت الأبواب» فالتغليق اطباق الباب بما يعسر فتحة . وإنما قيل (غلقت) لتكثير الاغلاق او المبالغة في الاغلاق ، وألف (باب) منقلبة من الواو لقولهم : يوبب وأبواب .

ومعنى «هيت لك» تعال وهلم الى ما هو لك ، أنشد ابو عمرو بن العلاء :

أبلغ أمير المؤمنين اخا العراق اذا اتيت

ان العراق واهله سلم اليك فهيت هيت^(١)

ويقال للواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى (هيت) بلفظ واحد . وقال ابن عباس والحسن وابن زيد معنى «هيت لك» هلم لك .

وقوله «معاذ الله» حكاية عن يوسف أنه قال ذلك . والمعنى أعوذ عياداً بالله أن أجيب الى هذا أو ان يكون هذا أي اعتصم بالله من هذا . وقوله «ان ربي احسن مثواي» معناه ان الملك الذي هو زوجها ، مالكي في الحكم «أحسن مثواي» باكرامي وبسط يدي ورفع منزلي ، وهو قول مجاهد وابن اسحاق والسدي والجبائي ، وقال الحسن يعني العزيز ، وقال الزجاج يجوز ان يكون اراد ان الله ربي احسن مثواي أي في طول مقامي . وقوله «انه لا يفلح الظالمون» حكاية ان يوسف قال : ان من ظلم نفسه بارتكاب المعاصي لا يفلح ولا يفوز بشيء من الثواب .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّا بُرْهَانَ رَبِّهٖ كَذٰلِكَ

(١) اللسان (هيت) ومجاز القرآن ١ : ٣٠٥ ، وتفسير القرطبي ٩ : ١٩٤ وتفسير الشوكاني (الفتح القدير) ٣ : ١٥ ، وتفسير الطبري ١٢ : ٩٩ .

لِنَصْرِيفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)
آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة ، ونافع «المخلصين» بفتح اللام . الباقر بكسرها . قال أبو علي حجة من كسر اللام قوله «أخلصوا دينهم»^(١) ومن فتح اللام ، فيكون بنى الفعل للمفعول به ، ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحد ، فإذا أخلصوا هم دينهم فهم مخلصون ، وإذا أخلصوا فهم مخلصون .

ومعنى (الهم) في اللغة على وجوه ، منها : العزم على الفعل ، كقوله «إذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم»^(٢) ، أي أرادوا ذلك وعزموا عليه . ومثله قول الشاعر :

همت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلاله^(٣)

وقال حاتم طي :

ولله صعابك تساور همه ويمضي على الأيام والدمر مقديما^(٤)

ومنها : خطور الشيء بالبال ، وان لم يعزم عليه . كقوله «اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليها»^(٥) والمعنى ان الفشل خطر ببالهم ، ولو كان لهم ههنا عزمًا لما كان الله وليها ، لأنه قال «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة فقدباء بغضب من الله»^(٦) ، واردة المعصية والعزم عليها معصية بلا خلاف ، وقال قوم : العزم على الكبير كبير ، وعلى الكفر كفر ، ولا يجوز أن يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرته نبيه ﷺ ويقوى ذلك ما قال كعب ابن زهير :

(١) سورة النساء آية ١٤٥ .
(٢) تفسير القرطبي ٩ : ١٦٦ وجمع البيان ٣ : ٢٢٣ .
(٣) جمع البيان ٣ : ٢٢٣ .
(٤) سورة الانفال آية ١٦ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٢٢ .

فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير إن هم أو عزم
ففرق بين الهم والعزم وظاهر التفرقة يقتضي اختلاف المعنى، ومنها المقاربة
يقولون : هم بكذا ، وكذا أي كاد يفعله قال ذو الرمة :

أقول لمسعود يجرعاء مالك وقد هم دمعي ان تسيح اوائله^(١)
والدمع لا يجوز عليه العزم ، وإنما أراد كاد ، وقارب ، وقال ابو الاسود
الدؤلي :

وكننت متى تهمم يمينك مرة لتفعل خيراً يعتقبها شمالكا^(٢)
وعلى هذا قوله تعالى « جداراً يريد ان ينقض »^(٣) أي يكاد وقال الحارثي :
يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل^(٤)

ومنها الشهوة وميل الطباع ، يقول القائل فيما يشتهي ويميل طبعه ونفسه
اليه هذا من همي ، وهذا أهم الاشياء الي . وروي هذا التأويل في الآية عن
الحسن . وقال : اما همها وكان اخبث الهم ، واما همها فما طبع عليه الرجال من
شهوة النساء ، واذا احتمل الهم هذه الوجوه نفينا عنه (ع) العزم على القبيح
واجزنا باقي الوجوه ، لان كل واحد منها يليق بحاله ، ويمكن ان يحمل الهم في
الآية على العزم ، ويكون المعنى ، وهم بضرها ودفعها عن نفسه ، كما يقول القائل
كنت هممت بفلان اي بأن اوقع به ضرباً او مكروهاً ، وتكون الفائدة على
هذا الوجه في قوله « لولا ان رأى برهان ربه » مع ان الدفع عن نفسه طاعة لا
يصرف البرهان عنها ، إنه لما هم بدفعها اراه الله برهاناً على انه ان اقدم على ما هم
به ، اهلكه اهلها وقتلوه ، وانها تدعي عليه المرادة لها على القبيح وتقذفه بأنه
دعاها اليه وضرها لامتناعها منه ، فأخبر تعالى انه صرف بالبرهان عنه السوء

(١) الاغانى (دار الثقافة) ١٧ : ٣٠٨ .

(٢) مجمع البيان ٣ : ٢٢٤ .

(٣) سورة الكهف آية ٧٨ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ١٠٠ ، ومجمع البيان ٣ : ٢٢٤ .

والفحشا اللذين هما القتل والمكروه او ظن القبيح واعتقاده فيه .

فان قيل هذا يقتضي ان جواب (لولا) تقدمها في ترتيب الكلام ، ويكون التقدير : لولا ان رأى برهان ربه لهم بضرها ، وتقدم جواب (لولا) قبيح او يقتضي ان تكون (لولا) بغير جواب ! .

قلنا : اما تقدم جواب (لولا) فجائز مستعمل وسنذكر ذلك فيما بعد ، ولا نحتاج اليه في هذا الجواب ، لان العزم على الضرب والهم به وقعا إلا انه انصرف عنها بالبرهان الذي رآه ، ويكون التقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان رأى برهان ربه ، لفعل ذلك ، فالجواب المتعلق بـ (لولا) محذوف في الكلام ، كما حذف في قوله «ولولا فضل الله عليكم ورحمته . وان الله رؤف رحيم»^(١) معناه ، ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله «كلا لو تعلمون علم اليقين»^(٢) لم تنافسوا في الدنيا وتحرصوا على حطامها ، وقال امرؤ القيس :

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا^(٣)

والمعنى فلو انها نفس تموت سوية لنقصت وفنيت ، فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه ، ولا بد لمن حمل الآية على انه هم بالفاحشة ان يقدر الجواب ، لان التقدير ، ولقد همت بالزنا وهم بمثله ، و«لولا ان رأى برهان ربه» لفعله . وانما حمل همها على الفاحشة وهمته على غير ذلك ، لأن الدليل دل من جهة العقل والشرع على ان الانبياء ، لا يجوز عليهم فعل القبائح ، ولم يدل على انه لا يجوز عليها ذلك بل نطق القرآن بأنها همت بالقبيح ، قال الله تعالى « وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه . وقوله حاكياً عنها « الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وقال «قالت فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم» واجمعت الأمة من المفسرين واصحاب الاخبار

(١) سورة التور آية ٢٠ .

(٢) سورة التكاثر آية ٥ .

(٣) ديوانه : ١١٧ واللسان «جمع» وامالي السيد المرتضى ١ : ٤٧٩ . ورواية اللسان

«جميعه» بدل «سوية» .

على انها همت بالمعصية، وقد بين الله تعالى ذلك في مواضع كثيرة ان يوسف لم يهجم بالفاحشة . ولا عزم عليها منها قوله « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » وقوله « انه من عبادنا المخلصين » ومن ارتكب الفاحشة لا يوصف بذلك وقوله « ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغييب » ولو كان الأمر على ما قاله الجهال من جلوسه مجلس الخائن وانتهائه الى حل السراويل ، لكان خائناً ، ولم يكن صرف عنه السوء والفحشاء . وقال ايضاً « ولقد راودته عن نفسه ، فاستعصم » وفي موضع آخر حكاية عنها « أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » وقوله حكاية عن العزيز حين رأى القميص قد من دبر « انه من كيد كن إن كيد كن عظيم » فنسب الكيد اليها دونه، وقوله ايضاً « يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين » فخصها بالخطاب وأمرها بالاستغفار دونه . وقوله « رب السجن احب اليّ مما يدعونني اليه . وإلا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن » والاستجابة تقتضي براءة ساحتها من كل سوء، ويدل على انه او فعل ما ذكره ، لكان قد صبا ولم يصرف عنه كيدهن . وقوله « قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء » والعزم على المعصية من اكبر السوء . وقوله حاكياً عن الملك « ائتوني به استخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين » ومن فعل ما قاله الجهال لا يقال له ذلك . ووجه آخر في الآية: إذا حمل الهم على ان المراد به العزم ، وهو ان يحمل الكلام على التقديم والتأخير ، ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم: قد كنت هلكت، لولا اني تداركتك، وقتلت لولا اني خلصتك ، والمعنى لولا تداركي لك هلكت ولولا تخليصي لك لقتلت ، وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر :

فلا يدعني قومي صريحاً لحره لئن كنت مقتولاً ويسلم عامر^(١)

(١) الكتاب لسبوية ١ / ٢٧ : وامالي الشريف المرتضى ١ / ٤٨٠ وجمع البيان ٣ / ٢٢٦

وقال آخر :

فلا يدعني قومي صريحا لحرّة^(١) لئن لم أعجل طعنة أو أعجل^(١)

فقدم جواب (لئن) في البيتين جميعاً . وقال قوم : لو جاز هذا لجاز أن تقول : قام زيد لولا عمرو ، وقصد زيد لولا بكر ، وقد بينا ان ذلك غير مستبعد ، وان القائل قد يقول : قد كنت قمت لولا كذا ، وكذا ، وقد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان ، وان لم يقع قيام ولا قصد . على ان في الكلام شرطاً ، وهو قوله « لولا ان رأى برهان ربه » فكيف يحمل على الاطلاق .

والبرهان الذي رآه ، روي عن ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وبجاهد : انه رأى صورة يعقوب عاضاً على أنامله .

وقال قتادة: انه نودي يا يوسف أنت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء .

وروي في رواية أخرى عن ابن عباس : انه رأى الملك .

وهذا الذي ذكره كلفه غير صحيح ، لان ذلك يقتضي الاجاء وزوال التكليف ، ولو كان ذلك لما استحق يوسف على امتناعه من الفاحشة مدحاً ولا ثواباً ، وذلك ينافي ما وصفه الله تعالى . من انه صرف عنه السوء والفحشاء ، وانه من عبادنا المخلصين .

ويحتمل ان يكون البرهان لطفاً لطف الله تعالى له في تلك الحال او قبلها ، اختار عنده الامتناع من المعاصي ، وهو الذي اقتضى كونه معصوماً ويجوز ان تكون الرؤية بمعنى العلم ، وقال قوم : البرهان هو ما دل الله تعالى يوسف على تحريم ذلك الفعل ، وعلى ان من فعله استحق العقاب ، لان ذلك صارف عن الفعل ومقوي لدواعي الامتناع ، وهذا ايضا جائز ، وهو قول محمد بن كعب القرظي واختيار الجبائي .

قوله تعالى :

(وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا
الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٢٥) آية بلا خلاف.

معنى قوله « واستبقا الباب » اي طلب كل واحد من يوسف وامرأة العزيز
السبق الى الباب، والسبق تقدم الشيء لصاحبه في مجيئه .

وقوله «وقدت قميصه من دبر» اي شقته طولاً، والقد شق الشيء طولاً، ومنه :
قد الادم يقده قدماً ، فهو مقدود ، إذا كان ذاهباً في جهة الطول على استواء .

وقوله « من دبر » اي من جهة الخلف . والقبل جهة القدام ، يقال اتاه
قبلاً ، ودبراً ، اذا أتاه من الجهتين ومعنى « الفيا سيدها » صادفاه ، ألفى يلفي
الفا قال ذو الرمة :

ومطعم الصيد هبّال لبغيته ألفى اباه بذاك الكسب يكتسب^(١)

وقوله «قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً» حكاية ما قالت المرأة للملك ،
وما في مقابلة من اراد باهلك سوءاً ، والجزاء مقابلة العمل بما هو حقه من خير
او شر يقال : جزاه يجازيه مجازاة ، وجزاءاً « إلا ان يسجن او عذاب أليم »
معناه انه ليس مقابله إلا سجنه أو يعذب على فعله عذاباً مؤلماً موجعاً . وعطف
العذاب - وهو إسم - على الفعل ، وهو قوله «ان يسجن» لأن تقديره إلا السجن
أو عذاب اليم .

قوله تعالى :

(قَالَ هِيَ رَأودَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ

(١) اللسان « طعم »

قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقْتُ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ
 قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرِ فَكَذَبْتُ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى
 قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرِ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ
 (٢٨) ثلاث آيات بلا خلاف .

حكى الله تعالى في الآية الأولى عن يوسف انه قال للملك حين قذفته زوجته
 بالسؤ: هي طالبتني عن نفسي، وانا بريء الساحة، وشهد له بذلك شاهد من أهل
 المرأة . قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير - في رواية عنهما - وابو هريرة : انه
 كان صبياً في المهدي . وفي رواية اخرى عن ابن عباس ، وابن جبير ، وهو قول
 الحسن وقتادة : انه كان رجلاً حكيماً ، واختاره الجبائي ، قال : انه لو كان طفلاً
 لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه الى الثاني ، فلما قال الشاهد إن كان قميصه
 كذا، وكذا ذهب الى الاستدلال بأنه لو كان هذا المراد، لكان القميص مقدوداً
 من قبل ، وحيث هو مقدود من دبر علم أنها هي المرادة ومع كلام الطفل لا
 يحتاج الى ذلك .

وقوله « ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين » حكاية ما قال
 الشاهد ، وكذلك قوله « وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين »
 تمام الحكاية عن الشاهد .

و (من) في قوله « قد من دبر ... و ... من قبل » لابتداء الغاية ، لان
 ابتداء القدر كان منها . والتي في قوله « من الكاذبين » للتبعيض ، لانه بعض
 الكاذبين واسقط (أن) من شهد أنه ان كان لانه ذهب مذهب القول في
 الحكاية ، كما قال « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين »^(١) لان التقدير
 يوصيكم الله في اولادكم ان المال ، وقال ابو العباس المبرد : معنى « ان كان

قيصه ، ان يكن ، وجاز ذلك في كان ، لانها ام الباب ، كما جاز ما كان ابردها . ولم يجز ما أصبح ابردها . وقال ابن السراج : إن يكن بمعنى ان يصح قد قيصه من دبر .

وقوله « فلما رأى قيصه قد من دبر » حكاية من الله ان الملك لما سمع قول الشاهد ورأى قيصه قد من دبر اقبل عليها وقال : « إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم » وقال قوم إن ذلك من قول الشاهد . والكيد طلب الشيء بما يكرهه ، كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه ويأباه .

وقوله « فلما رأى » تحتل الرؤية أمرين :

احدهما - ان يكون المعنى رؤية العين ، فلا يكون رؤية للقد ، لانه حال ، وانما بين رؤية القميص .

والاخر - ان يكون بمعنى العلم فيكون رؤية للقد ، لانه خبر . والهاء في قوله (إنه) يحتمل ان تكون عائدة الى السوء ، ويحتمل ان تكون عائدة الى ما تقدم ذكره من معنى الكذب .

والنون في قوله « كيدكن » نون جماعة النساء ، وشددت لتكون على قياس نظيرها من المذكر في ضربكموا في انه على ثلاثة احرف . وقال قوم ان ذلك من قول الزوج . وقال آخرون من قول الشاهد .

قوله تعالى :

(يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) (٢٩) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما نادى زوج المرأة يوسف ، فقال له يا يوسف ، ولذلك قال قوم : إنه لم يكن له غيره . وروي عن ابن عباس انه قال ذلك من قول الشاهد واسقط حرف النداء لانه اسم علم ولم يجز ذلك في المبهم « اعرض عن هذا » اي اصرف وجهك عنه . والاعراض صرف الوجه عن الشيء الى جهة العرض ،

فكانه قال اجعله بمنزلة ما تصرف وجهك عنه بأن لا تذكره واستغفري لذنبك ، اي اطلي المغفرة من الله من خطيئتك ، والذنب الخطيئة ، والخطيئة العدول عما تدعوا اليه الحكمة الى ما تزجر عنه ، ويقال لصاحبه خاطيء اذا قصد ذلك ، فاذا وقع عن غير قصد قيل اخطأ المقصد ، فهو مخطيء ، وان لم يكن صفة ذم . واصل الخطأ العدول عن الغرض الحكيم بقصد أو غير قصد ، فان كان بقصد قيل خطيء ، بخطأ خطأ فهو خاطيء قال أمية :

عبادك يخطئون وانت ربّ بكفيك المنايا والحياة^(١)

وانما قال «من الخاطئين» ولم يقل من الخاطئات تغليبا للمذكر على المؤنث اذا اختلطا ، كما تقول عبيدك واماءك جاؤني .

قوله تعالى

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ

نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٣٠) آية بلا

خلاف .

اخبر الله تعالى انه «قال نسوة في المدينة» التي كان فيها الملك وزوجته ويوسف إن امرأة العزيز تطلب فتاها عن نفسه ، والعزيز المنيع بقدرته عن ان يضام في أمره وسمي بذلك لانه كان ملكاً ممتنعاً بملكه واتساع قدرته قال أبو داود :

درة غاص عليها تاجر حليت عند عزيز يوم ظل^(٢)

والفتى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال الشاعر :

(١) جمع البيان ٣ / ٢٢٦ ، وتفسير الطبري « الطبعة الاولى » ١٢ / ١٠٩ وروايته

« الحثوم » بدل « الحياة »

(٢) تفسير الطبري ١٢ / ١١٠ وجمع البيان ٣ / ٢٢٩ . ورواية الطبري « عاص » بدل

« غاص » و « جلّيت » بدل « حليت »

كأنا يوم فريّ انما يقتل ايانا قتلنا منهم كل فتى ابيض حسانا^(١)

ومعنى « شغفها حباً » بلغ الحب شغاف قلبها، وهو داخله . وقوله « انا لتراها في ضلال مبين » معناه « انا لنعلمها في عدول عن طريق الرشد ، فعابوها بذلك وذلك ان تصير الى ما يذهلها ويبلغ صميم قلبها بحب إنسان . وإنما حذف حرف التأنيث في قوله « وقال نسوة » لانه تأنيث جمع قدم عليه الفعل ، وتأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل تأنيث المعنى ، لانه لا يجتمع في اسم واحد تأنيثان ، وكما يبطل تذكير المعنى في رجال ، فاذا صار كذلك جاز فيه وجهان، ان حمل على اللفظ انث ، وان حمل على المعنى ذكر .

وقيل في معنى الشغاف ثلاثة اوجه: شغاف القلب غلافه ، وهو جلدة عليه تقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب - في قول السدي وابي عبيدة - الثاني - قال الحسن: هو باطن القلب . الثالث - قال ابو علي الجبائي: هو وسط القلب قال النابغة :

وقد حال همّ دون ذلك داخل مكان الشغاف تبغيه الاصاب^(٢)

وروي شعفها بالعين اي ذهب بها الحب كل مذهب من شعف الجبال وهي رؤسها قال امرؤ القيس :

اتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شغف المهنؤة الرجل الطالي^(٣)

قال ابو زيد هما مختلفان فالشعف بالعين في البغض وبالغين في الحب .

(١) الكتاب لسبويه ١ / ٢٧١ ، ٣٨٣

(٢) ديوانه ٧٩ وروايته (شاغل) بدل (داخل) وتفسير القرطبي ٩ / ١٧٩ وتفسير الطبري

(الطبعة الاولى) ١٢ / ١١٠

(٣) ديوانه ١٦٢ ، وتفسير الطبري ١٢ / ١١١ والقرطبي ٩ / ١٧٧ والشوكاني (الفتح

القدر) ٣ / ١٩ ورواية الديوان :

ليقتلني اني شعفت فؤادها كما شغف المهنوءه الرجل الطالي

قوله تعالى :

(فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَنًا
وَأَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
اكَبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) (٣١) آية بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو ونافع في رواية الأصمعي عنه «حاشا» بالفاء. الباقون بلا الف، فمن
حجة أبي عمرو ، قول الشاعر :

حاشى ابي ثوبان إن به ضناً عن الملحاة والشتم^(١)

قال أبو علي الفارسي لا يخلوا قولهم : حاش لله من ان يكون الحرف الجار
في الاستثناء، كما ذكرناه في البيت أو فاعل من قولهم : حاشى بحاشي ، ولا يجوز
ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ، ولأن الحروف لا
تحذف اذا لم يكن فيها تضييف ، فاذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذاً من
الحشا الذي هو الناحية . والمعنى انه صار في حشا اي ناحية مما قذف به ،
وفاعله يوسف ، والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به « الله » اي لحوفه من الله ،
ومراقبة امره . ومن حذف الالف ، فكما حذف لم يك ، ولا أدر ، فاذا أريد به
حرف الجر يقال حاشا ، وحاش ، وحشا ، ثلاث لغات قال الشاعر :

حشا رهط النبي فان فيهم بحوراً لا تكدرها الذلاء^(٢)

حكى الله تعالى عن امرأة العزيز انها حين سمعت قول نسوة المدينة فيها

(١) تفسير القرطبي ١٨١/٩ ومجاز القرآن ٣١٠/١ ، والمفضليات . ١٩ ، والاصمعيات ٨٠ ،

واللسان والتاج « حشى » وتفسير الطبري « الطبعة الاولى » ١٢ / ١١٥

(٢) اللسان « حشا » وجمع البيان ٣ : ٢٢٩ .

وعذ لمن آياها ، ومكرهن بها . وقيل انهن مكرن بها لترين يوسف ، فلما اطلعتن على ذلك أشعن خبرها ، والمكر القتل بالحيلة الى ما يراد من الطلبة يقال : هي ممكورة الساقين بمعنى مفتولة الساقين ، وممكورة البدن أي ملتقنة . « أرسلت اليهن » أي بعثت اليهن تدعوهن الى دعوتها .

وقوله « واعتدت لمن متكننا » معناه اعدت ، ومعناه اتخذت من العتاد ، وقولهم : اعتدت من العدوان ، والألف فيه ألف وصل ، والمتكأ الوسادة ، وهو النمرق الذي يتكأ عليه . وقال قوم : انه الاترج . وانكر ذلك ابو عبيدة .

وقوله « وآتت كل واحدة منهن سكتينا » قيل انها قدمت اليهن فاكهة وأعطتهن سكتينا ليقطعن الفاكهة ، فلما رأينه - يعني يوسف - دهشن « وقطعن ايديهن » وقوله « اكبرنه » أي أعظمنه وأجللنه . وقال قوم : معنى ذلك انهن حضن حين رأينه وأنشد قول الشاعر :

يأتي النساء على اطهارهن ولا يأتي النساء اذا اكبرن اكبارا (١٣)

وانكر ذلك ابو عبيدة ، وقال : ذلك لا يعرف في اللغة ، لكن يجوز ان يكون من شدة ما أعظمنه حضن ، والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر .

وقوله « حاش لله » تنزيه له عن حال البشر ، وانه لا يجوز ان تكون هذه صورة للبشر ، وانما هو ملك كريم . وقال الجبائي : فيه دلالة على تفضيل الملائكة على البشر لانه خرج مخرج التعظيم ، ولم ينكره الله تعالى ، وهذا ليس بشيء ، لأن الله تعالى حكى عن النساء انهن أعظمن يوسف ، لما رأين من وقاره وسكونه وبعده عن سوء . وقلن : ليس هذا بشراً ، بل هو ملك يريدون في سكونه ، ولم يقصدن كثرة ثوابه على ثواب البشر ، وكيف يقصدنه ، وهن لا طريق لهن الى معرفة ذلك ، على ان هذا من قول النسوة اللاتي وقع منهن من الخطأ والميل

(١) تفسير القرطبي ٩ : ١٨٠ وتفسير الشوكاني ٣ : ٢٠

اليه ما لا يجوز ان يحتج بقولهن . وقوله لم ينكره الله ، انما لم ينكره ، لأنه تعالى علم انهن لم يقصدن ما قال الجبائي ، ولو كن قصدنه لأنكره ، على أن ظاهر الكلام انهن نفين ان يكون يوسف من البشر ، وفيه قطع على انه ملك ، وهذا كذب ، ولم ينكره الله . والوجه فيه انهن لم يقصدن الاخبار بذلك عن حاله ، وانما اخبرن بتشبيه حاله فيما قلناه بحال الملائكة ، فذلكن لم ينكره الله .

وقوله « ما هذا بشرأ » نصب بشرأ على مذهب اهل الحجاز في اعمال (ما) عمل ليس ، فيرفعون بها الاسم ، وينصبون الخبر ، فأما بنو تميم ، فلا يعاونها قال الشاعر :

لشتان ما أنوي وبنوي بنو أبي جميعاً فما هذان مستويان
تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتي وكل فتى والموت يلتقيان^(١)

وقد قرىء « ما هذا بشرى » أي ليس بمملوك ، وهو شاذ ، لا يقرأ به . وقرىء (متكأ) بتسكين التاء . قال مجاهد : معنا الا ترج ، وقال قتادة : معناه طعاماً ، وبه قال عكرمة وابن اسحق وابن زيد والضحاك ، وقال مجاهد وغيره : اعطي يوسف نصف الحسن ، وقيل ثلثه . وقيل ثلثاه . والباقي لجميع الخلق .

قوله تعالى :

(قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ
فَأَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ)
(٣٢) آية بلا خلاف .

هذه الآية فيها حكاية ما قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي عدلنها على محبتها ليوسف ،

وانها حين رأت ما فعلت النسوة للدهش بيوسف ، قالت لهن هذا هو ذلك الذي
لمتنني فيه ، واللوم الوصف بالقبيح على وجه التحقير ، ومثله الذم وضده
الحمد .

وقوله « ولقد راودته عن نفسه » اعتراف منها انها هي التي طلبته عن نفسه
وانه استعصم منها أي امتنع من ذلك ، والاستعصام طلب العصمة من الله بفعل
لطف من أطفاه ليمتنع من الفاحشة . وفيه دلالة على ان يوسف لم يقع منه
قبيح .

وقوله « ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن » اخبار عما قالت امرأة العزيز على وجه
التهديد ليوسف من انه ان لم يفعل ما تأمره به من المعصية ويحببها الي ملتسما
لتمنعته التصرف من مراده بالحبس ، تقول : سجنه يسجنه سجنًا ، والسجان المتولي
للسجن على وجه الحرفة .

وقوله « وليكونن من الصاغرين » هذه النون الحفيفة التي يتلقى بها القسم ،
واذا وقفت عليها وقفت بالألف ، تقول : وليكونا ، وهي بمنزلة التنوين الذي يوقف
عليه بالألف قال الشاعر :

وصل على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا (١)

اي فاعبدن ، فأبدل في الوقف من النون ألفاً . والصغار الذل بصغر القدر
صغر يصغر صغاراً ، ومنه قوله « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢) .

قوله تعالى :

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ)

(١) قائله الاعشى ، ديوانه ١٠٣ القصيدة ١٧ وروايته « فاحدا » بدل « فاعبدا » وهو في

مجمع البيان ٣ . ٢٣٠ . وتفسير الطبري ١٢ : ١٦ « فاعبدا » .

(٢) سورة التوبة آية ٢٩

عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن يوسف انه لما سمع وعيّد المرأة له بالحبس والصغار ان لم يجيبها الى ما تريده ، قال يا رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ، من ركوب الفاحشة ، وانما جاز ان يقول السجن أحب الي من ذلك ، وهو لا يجب ما يدعونه اليه ، ولا يريده ، ولا يريد السجن ايضاً ، لأنه ان اريد به المكاتب فذلك لا يراد ، وان اريد به المصدر ، فهو معصية منهى عنها ، فلا يجوز ان يريده لأمرين :

احدهما - ان ذلك على وجه التقدير ، ومعناه اني لو كنت مما اريد لكانت ارادتي لهذا أشد .

الثاني - ان المراد ان توطين نفسي على السجن أحب الي .

وقيل معناه ان السجن أسهل علي مما يدعونني اليه .

وقرأ الحس (السجن) بفتح السين و اراد المصدر ، وبه قرأ يعقوب ، وتأويله ما قلناه . والدعاء طلب الفعل من المدعو وصيغته صيغة الامر إلا ان الدعاء لمن فوقك والامر لمن دونك .

وقوله « إلا تصرف عني كيدهن » معناه ضرر كيدهن ، لأن كيدهن قد وقع ، والصرف نفي الشيء عن غيره بضده او بأن لا يفعل ، وصورته كصورة النهي إلا ان النهي مع الزجر لمن هو دونك ، وليس كذلك الصرف (والصبا) رقة الهوى ، يقال صبا يصبو صبا فهو صاب ، فكأنه قيل أميل هواي اليهن ، قال الشاعر :

الى هند صبا قلبي وهند مثلها يصي (٢)

وقال ايضاً :

(١) قائله زيد بن ضبة، تفسير القرطبي ٩ : ١٨٥ ومجاز القرآن ١ : ٣١١ واللسان (صبا)

وتفسير الشوكاني (الفتح القدير) ٣ : ٢١ وتفسير الطبري ١٢ / ١١٧ .

صبا صبوة بل لجج وهو لجوج وزالت له بالانعمين حدوج^(١)
 وقوله « وأكن من الجاهلين » معناه وأكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل ،
 لأنه بمنزلة من قد اعتقد الشيء على خلاف ما هو به ، وإلا فهو كان عالماً بأن
 ذلك معصية ، والغرض فيه بيان ان صفة الجهل من أغلظ صفة الذم .
 وقال البلخي والجبائي: في الآية دلالة على انه لا ينصرف احد عن معصية إلا
 بلطف الله عز وجل ، لأنه لو لم يعلم ذلك ، لما صح خبره به ، وليس في الآية
 ما يدل على ذلك ، بل فيها ما يدل على ان يوسف كان له لطف ، ولولاه لفعل
 المعصية ، وأما ان يدل على انه لا أحد ينتهي عن معصية إلا بلطف ، فلا ، بل
 ذلك مجوز ، وليس فيها ما يمنع منه ، ويحتمل قوله « أصب اليهن » على لفظ
 الجمع اشياء :

احدها - قال ابو علي الجبائي: ان كل واحدة منهن دعته الى مثل ما دعت
 إليه امرأة العزيز بدلالة هذا الكلام . وقال قوم : انهن قان لها نحن نسأله ان
 يفعل ما دعوته اليه ، فخلت كل واحدة منهن به . ويحتمل ان يكون المراد
 أصب الى قولهن في الدعاء الى اجابة امرأة العزيز .

قوله تعالى :

(فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

(٣٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه اجاب يوسف الى ما دعاه به وأراد منه ورغب اليه فيه
 وانه فعل ، لأنه دعاه به ، فهو اجابة له واستجابة والذي تعلق به الارادة مستجاب ،
 وقال ابو علي الجبائي : الاجابة من الله تعالى ثواب لقوله تعالى « وما دعاء

(١) قائله ابو ذؤيب الهذلي ، ديوانه ٥٠ / ١ وشواهد المغنى ١٠٩ ، والحزانة ١ / ١٩٤

ومجاز القرآن ١ / ٣١١ ومجمع البيان ٣ / ٢٢٩ .

الكافرين إلا في ضلال» (١) وهذا انما هو في الجملة ، قال الرماني : وصرف الله تعالى له عن الفعل بالزجر عنه واعلامه الذم على فعله ، وفرق بين الصرف عن الفعل والزجر عنه ، بأن الزجر عنه بالذم على ايقاعه . والصرف عنه اعلامه ان غيره أصلح له من غير ذم عليه لو عمله كما يجب في الزجر ، والظاهر بغير ذلك أشبه ، لأن يوسف (ع) كان عالماً بأن ما دعت اليه قبيح يستحق به الذم ، ومع ذلك سأل ان يصرف ضرر كيدهن عنه ، لأن كيدهن الذي هو دعاؤه هو دعاؤه وأغوائه ، كان قد حصل ، فكأنه قد سأل الله تعالى لطفاً من ألطافه بصرفه عنده عن اجابة النسوة إلى ما دعونه من ارتكاب المعصية ، لأن ظاهر القول خرج مخرج الشرط والجزاء المقتضين للاستقبال ، فكان ما قلناه أولى . فقوله « انه هو السميع العليم » معناه ههنا انه السميع للدعاء الداعي العليم باخلاصه في دعائه او ترك اخلاصه وبما يصلحه من الاجابة او يفسده ، قال الرماني : ولا يجوز ان يكون السميع للصوت بمعنى العليم بالصوت موجوداً ، لأنه قد يعلم الانسان موجوداً ، اذا كان بعيداً وهو لا يسمعه كعلمه بصوت المطارق في الحدادين ، وليس من طريق الحاسة وانما يعلمه بضرب من الاستدلال او يظن ذلك ، واذا علمه من طريق الحاسة علمه ضرورة ، فكان ذلك فرقاً بين الموضوعين .

وقال ابو علي الجبائي : في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم انه يكون ، لإن يوسف عالماً بأنه إن كان له لطف فلا بد ان يفعل الله به ، ومع هذا سأل . وليس في الآية ما يدل على ذلك لانه لا يمتنع ان يكون يوسف سأل لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ، ولو لم يدع له لم يكن ذلك لطفاً ، فما سأل الا ما جوز ان لا يكون لو لم يدع ، غير ان المذهب : ما قال ابو علي لانه تعالى تعبدنا بأن نقول « رب احكم بالحق » (٢) وقد علمنا انه لا يحكم الا بالحق ، ولكن الآية لا تدل على ذلك .

(١) سورة الرعد آية ١٥ وسورة المؤمن (غافر) آية ٥٠ .

(٢) سورة الانبياء آية ١١٢

قوله تعالى :

(ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُهُ حَتَّى حِينَ)
(٣٥) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى انه ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات، يقال بدأ يبدأ يبدأ ، وبدأ وبدأ ، والبدا في الرأي التلون فيه ، لانه كلما ظهر رأي مال اليه ، وإنما قال « لهم » ولم يقل (لهم) مع تقدم ذكر النسوة ، لامرين : احدهما - قال الحسن انه اراد بذلك الملك . والثاني - انه اراد ذكر الذكور معهن من اعوانها فقلب المذكر ، فقال لهم ، قال الرماني : وفاعل (بدأ) مضمر وتقديره ثم بدأ لهم بداء ، ودل عليه قوله « ليس جننه » .

والآيات التي أرها ، قال قتادة : هو قد القميص وحز الايدي وقال غيره : هو قطع الايدي والاستعظام ، وقد القميص .

وقوله « ليس جننه » انما هو فعل المذكر كما قال « بدأ لهم » ولم يقل (لهم) ودخلت النون الثقيلة جواباً للقسم وليس بفعل المؤنث ، ولو كان على صيغة فعل المؤنث قيل (ليسجن) (وليقتلن) ثم تدخل عليها نون التأكيده الشديدة فيصير ليسجنانه كقولك تقتلنانه .

وقوله « حتى حين » ف (حتى) تنصرف على اربعة اوجه ، تكون حرف جر ، وحرف عطف ، وناصبه للفعل ، وحرف من حروف الابتداء ، فالجارية نحو هذه التي في الآية ، والعاطفة كقولهم خرج الناس حتى الامير ، والناصبه كقوله « حتى يأتي وعد الله » (١) ، وحرف الابتداء كقولك سرحت القوم حتى زيد مسرّح .

قوله تعالى :

(وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثْنَا بِنُورِهِ إِنَّكَ نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (٣٦) آية بلا خلاف .

وفي الآية تقدير فسجن يوسف، ودخل معه فتيان يعني شاتان. والفتى الشاب القوي قال الشاعر :

يا عزّ هل لك في شيخ فتى ابداً وقد يكون شباب غير فتيان
وقال الزجاج: كانوا يسمون المملوك فتى، شيخاً كان أو شاباً. والفتيان قال
السدي وقتادة: كانا غلامي ملك مصر الأكبر أحدهما صاحب شرابه والآخر
صاحب طعامه، فمني إليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه . وظن ان الآخر
ساعده ومالاه على ذلك .

وقوله « قال احدهما » يعني احد الفتين ليوسف : « إني اراني اعصر خمرأ »
من رؤيا المنام ، والخمر عصير العنب اذا كان فيه الشدة والتقدير اعصر العنب
للخمر ، وقال الضحاك: هي لغة، تسمى العنب خمرأ ذكر جماعة انها لغة عمان .
وقال الزجاج : تقديره عنب الخمر .

وقوله « وقال الآخر إني اراني احمل فوق رأسي خبزاً » فالحمل رفع الشيء
بعماد، يقال: حمل يحمل حملاً ، واحتمل احتمالاً ، وتحمل تحملاً ، وحمله تحميلاً .
و (الخبز) معروف « تأكل الطير منه » وقوله « نبثنا بتأويله » اي اخبرنا
بتأويل رؤيانا « اننا نراك من المحسنين » معناه اننا نعلمك او نظنك بمن يعرف
تأويل الرؤيا . ومن ذلك قول علي (ع) (قيمة كل ما يحسنه) اي ما يعرفه .
والاحسان النفع الواصل الى الغير اذا وقع على وجه يستحق به الحمد واذا
اختصرت فقلت هو النفع الذي يستحق عليه الحمد جاز ، لان ما يفعله الانسان
لا يسمى احساناً . وقيل انه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم

ويجتهد في عبادة ربه . وقال الزجاج : كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود المريض . وقيل «من المحسنين» في عبارة الرؤيا، لانه كان يعبر لغيرهم ، فيحسن . ذكره الجبائي .

قوله تعالى :

(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ
أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا إِنَّمَا عَلَّمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (٣٧) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار بما اجاب به يوسف للفتيين اللذين سآلاه عن المنام ، فقال لهما ، لا يأتیکما طعام ترزقانه ، والطعام كل جسم فيه طعم يصلح للاكل ، غير انه يختلف باضافته الى الحيوان . والرزق العطاء الجاري في الحكم وكذلك لو اعطاه مرة واحدة ، وقد حكم بانه يجريه كان رزقا . وقال السدي وابن اسحاق : معنى ذلك اني عالم بتعبير الرؤيا اذ لا يأتیکما ما ترزقانه في منامكما ، الا نبأكما بتأويله في اليقظة . وقال ابن جريج : كان الملك اذا اراد قتل إنسان صنع له طعاما معلوما ، فأرسل به اليه ، فعلى هذا يرزقانه في اليقظة . وقيل إنه كان يخبر بما غاب كما كان عيسى (ع) ، وإنما عدل عن تعبیر الرؤيا إلى الجواب بهذا لاحد أمرين :

احدهما - ما قال ابن جريج : انه كره ان يخبرهما بالتأويل على احدهما فيه ، فلم يتركاه حتى أخبرهما . وقال ابو علي : إنما قدم هذا ، ليعلما ما خصه الله به من النبوة ، وليقبلا الى الطاعة ، والاقرار بتوحيد الله . والانباء : الاخبار بما يستفاد وذلك ان النبأ له شأن ، وفيه تعظيم الخبر بما فيه من الفائدة ، ولذلك اخذت منه النبوة . والتأويل : الخبر عما حضر بما يؤل اليه أمره ، فيما غاب . ولذلك قال « قبل ان يأتیکما » وتأويل القرآن ما يؤل اليه من المعنى أي يرجع

اليه والتعليم تفهيم الدلالة المؤدية الى العلم بالمعنى ، وقد يكون الاعلام بخلق العلم بالمعنى في القلب .

وقوله « اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون » اخبار من يوسف أنه إنما علمه الله تعالى تأويل ما سألاه لإيمانه بالله وحده لا شريك له وعدوله عن ملة الكفار وجحدهم البعث والنشور والجزاء بالثواب والعقاب ، و (هم) الثانية دخلت للتأكيد لأنه لما دخل بينها قوله « وبالآخرة » صارت الأولى كالمغاة ، وصار الاعتماد على الثانية ، كما قال « وهم بالآخرة هم يوقنون »^(١) وكما قال « ابعدم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون »^(٢) .

قوله تعالى :

(وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (٣٨) آية بلا خلاف .

في هذه الآية أخبار عن يوسف أنه قال لها : إني في ترك اتباع ملة الكفار وجحدهم البعث والنشور وفي إيماني بالله وتوحيدي له اتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ، فالاتباع اقتفاء الأثر وهو طلب اللحاق بالأول ، فاتباع الحق بالقصد الى موافقته من أجل دعائه . والملة مذهب جماعة يحمي بعضها بعضاً في الديانة ، واصله الحمى من المليلة وهي حمى ما يلحق الانسان دون الحمى . والآباء جمع أب وهو الذي يكون منه نطفة الولد ، والأم الأنثى التي يكون منها الولد والجد أب بواسطة ، ولا يطلق عليه صفة أب ، وإنما يجوز ذلك بقريظة تدل على انه أب بواسطة الأبن ، وجد الأب اب بواسطة .

(١) سورة النمل آية ٣ ، وسورة الروم آية ٤ . (٢) سورة المؤمنون آية ٣٥ .

وقوله « ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء » إخبار من يوسف أنه ليس له ، ولا لاحد من آبائه أن يشرك بالله شيئاً ، ودخلت (من) للنفي العام ، والاشراك بلوغ منزلة الجمع لعبادة غير الله الى عبادته - في عظم الجرم . واليهودي مشرك ، لانه بكفره بالنبي قد بلغ تلك المنزلة في عظم الجرم . وقوله « ذلك من فضل الله علينا » اعتراف منه ان ذلك العدول عن عبادة غير الله هو من فضل الله عليهم من حيث كان بلطفه وهدايته وتوفيقه . والفضل النفع الزائد على مقدار الواجب بوجود الدين الذي يستحق به الشكر ، وكل ما يفعله الله تعالى بالعبد ، فهو فضل من فضله . والعقاب ايضاً فضل ، لأنه زجر به عن المعاصي . وقيل ذلك من فضل الله علينا ان جعلنا أنبياء وعلى الناس ان جعلنا رسلاً اليهم - في قول ابن عباس - وقوله « على الناس » دال على ان الله قد عمّ جميع خلقه بفضله وهدايته إياهم الى التوحيد والايان .

قوله تعالى :

(يَا صَاحِبِي السَّجْنِ ۖ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ) (٣٩) آية .

هذا حكاية ما نادى به يوسف للمتسفتين له عن تأويل رأيهما ، فقال لهما « يا صاحبي السجن » اي يا ملازمي السجن . والصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص بوجه من الوجوه ، وهو خلاف ملازمة الاتصال ، ولذلك قيل لأصحاب مالك ، واصحاب الشافعي للاختصاص بمذاهبها ، واصحاب النبي للملازمة لهم ، والكون معه في حروبه ، وصاحبها السجن هما الملازمان له بالكون فيه . والسجن هو الحبس الذي يمنع من التصرف قال الفرزدق :

وما سجنوني غير اني ابن غالب واني من الأثرين غير الزعانف^(١)

(١) ديوانه ١ : ٥٣٦ وسيبويه ١ : ٣٦٦ وقد مر في ١ : ٣٢٠ من هذا الكتاب .

وقوله « ارباب متفرقون » فيه أقوال : قال قوم املاك متباينون خير أم المالك القاهر للجميع ، يدلهم بهذا على أنه لا يجوز ان يعتقدوا الربوبية إلا لله تعالى - عز وجل - وحده . وقال الحسن متفرقون من صغير وكبير ووسط ، يعني الأثرين . وقال قوم : معناه متفرقون بمباينة كل واحد للآخر بما يوجب النقص ، وانقاهر القادر بما يجب به الغلبة لا محالة والقهار مبالغة في الصفة يقتضى انـه القادر بما يجب به الغلبة لكل احد والخير الا بلغ في صفة المدح ، والشر الا بلغ في صفة الذم .

قوله تعالى :

(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٤٠)
آية بلا خلاف .

وهذا تمام ما قال يوسف للكفار الذين يعبدون غير الله ، فقال لهم لستم تعبدون من دون الله إلا أسماء سميتموها . وقيل في معناه قولان :

احدهما - انه لما كانت الاسماء التي سموها آلهتهم لا تصح معانيها صارت كأنها أسماء فارغة يرجعون في عبادتهم اليها فكأنهم إنما يعبدون الاسماء ، لأنه لا يصح معاني يصح لها من إله ورب .

الثاني - إلا اصحاب أسماء سميتموها لا حقيقة لها ، والعبادة هي الاعتراف بالنعمة مع ضرب من الخضوع في أعلى الرتبة ، ولذلك لا يستحقها إلا الله تعالى . وقوله « ما انزل الله بها من سلطان » أي لم ينزل الله على صحة ما تدعونه حجة ، ولا برهاناً ، فهي باطلة لهذه العلة ، لانها لو كانت صحيحة ، لكان عليها دليل .

وقوله «ان الحكم إلا لله» معناه ليس الحكم إلا لله فيما فعله او أمر به، والحكم فصل المعنى بما تدعو إليه الحكمة من صواب او خطأ. والأمر قول القائل لمن دونه (افعل) والصحيح انه يقتضي الايجاب. وقوله «امر ان لا تعبدوا إلا اياه» معناه أمر أن تعبدوه، وكره منكم عبادة غيره، لان الأمر لا يتعلق بأن لا يكون الشيء، لأنه انما يكون أمراً بارادة المأمور والارادة لا تتعلق الا بحدوث الشيء. وقوله «وذلك الدين القيم» معناه ان الذي أمر به من عبادته وحده، وان لا يشرك به شيء هو «الدين القيم» المستقيم الصواب، ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحة ما اقوله، لعدولهم عن الحق، والنظر والاستدلال.

قوله تعالى :

(يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا فَتَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا
الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ
تَسْتَفْتِيَانِ) (٤١) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار عما أجاب به يوسف للفتيين في تأويل رؤياهما حين راجعاه في معرفته، فقال «يا صاحبي اما أحدكما فيسقي ربه خمرأ» يعني سيده، ومالكه، لانه كان صاحب شرابه، واجرى عليه صفة الرب، لانه مضاف، كما يقال رب الدار، والضيعة. و «اما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه» فروي ان صاحب الصلب، قال ما رأيت شيئاً، فقال له قضي الامر الذي فيه تستفتيان. وهذا يدل على انه كان ذلك بوحي من الله ولفظ احدواحد من المضاف اليه، ما له مثل صفة المضاف في الافراد نحو احد الانسانين، واحد الدرهمين، فهو لإنسان ودرهم لا محالة. والبعض يحتمل ان يكون لاثنين فصاعداً، ولذلك اذا قال جاءني احد الرجال، فهم منه إنه جاءه واحد منهم. واذا قال جاءني بعض الرجال جاز ان يكون اكثر من واحد. والاستفتاء طلب الفتيا. والفتيا جواب بحكم

المعنى ، فهو غير الجواب بعينه .

قوله تعالى :

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ
فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (٤٢)
آية بلا خلاف .

وهذا حكاية عما قال يوسف (ع) للذي ظن انه ينجو منهما ، وقال ابو علي :
الظن ههنا بمعنى العلم لقوله « ظننت اني ملاق حسابه »^(١) وقال قتادة : الرؤيا
على الظن ، وقال غيره : إلا رؤيا الانبياء ، فانها يقين . والظن هو ما قوي عند
الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على خلافه . والنجاة
هي السلامة . وقوله « اذكرني عند ربك » يعني عند سيدك كما قال الشاعر :

وإن يك رب أذواد فحسي أصابوا من لقائك ما أصابوا^(٢)

وانما سأله ان يذكره عند سيده بخير ويعرفه علمه وما خصه الله تعالى من
الفضل والعلم ليكون ذلك سبب خلاصه . والذكر حضور المعنى للنفس ، وعلى
حال الذكر يتعاقب العلم واضداده من الجهل والشك . والنسيان ذهاب المعنى
عن النفس وعزوبه عنها . والهاء في قوله « فانساه » تعود الى يوسف في قول ابن
عباس - والتقدير فانسى يوسف الشيطان ذكر الله ، فلذلك سأل غيره حتى قال
بجماعة إن ذلك كان سبب للبه في السجن مدة من الزمان . وقال ابن اسحاق
والحسن والجبائي يعود على الساقى ، وتقديره فانسى الساقى الشيطان ذكر
يوسف .

(١) سورة الحاقة آية ٢٠

(٢) قائله النابغة الذبياني . ديوانه ١٩ (دار بيروت) وروايته :

وان تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا

وقوله « فلبث في السجن بضع سنين » فاللبث في المكان هو الكون فيه على طول من الزمان ، واللبث والثبوت والسكون نظائر . والبضع قطعة من الدهر . وقيل البضع من الثلث الى العشر - في قول ابن عباس - وقال قتادة ومجاهد الى التسع وقال وهب : الى سبع سنين . والسنة اثنا عشر شهراً ويجمع سنين وسنوات .

قوله تعالى :

(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) (٤٣) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية : إن الملك الذي كان يوسف في حبسه ، وكان ملك مصر فيما روي ، قال إنه رأى في المنام « سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » يعني مهازيل « وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » ثم أقبل على قومه ، فقال « يا أيها الملأ » اي يا أيها الاشراف والعظماء الذين يرجع إليهم « أفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُرُونَ الرُّؤْيَا » وتدعون العلم بتأويلها ، والملك القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير .

والرؤيا تخيل النفس للمعنى في المنام حتى كأنه يرى ، ويجوز فيها الهمزة وتركها . والبقرات جمع بقرة والسمن زيادة في البدن من الشحم واللحم وهو على الشحم أغلب ، والعجف يبس الهزال يقال : عجف يعجف عجفاً ، فهو أعجف . والانشى عجفاء ، والجمع عجاف ، وسنبلات جمع سنبل ، والعبارة : نقل معنى التأويل الى نفس السائل بالتفسير ، وهي من عبور النهر وغيره ، ومنه المعبر والعبارة ، وإنما دخلت اللام في قوله « للرؤيا » مع أن الفعل يتعدى بنفسه ، لانه

إذا تقدم المفعول ضعف عمله ، فجاز إدخال حرف الاضافة لهذه العلة ، ولا يجوز يعبرون للرؤيا ، لأنه في قوة عمله .

قوله تعالى :

(قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ)

(٤٤) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به الملائكة حين سأهم عن تعبير رؤياه ولم يعرفوا معناها ، قالوا : « أضغاث أحلام » أي هذه الرؤيا أضغاث أحلام ، والأضغاث جمع ضغت ، قال قوم : هو الحزمة من الحشيش ، والبقل ، وغيره . وقال آخرون : هو خلط قش المد ، وهو غير متشاكل ، ولا متلائم ، فشبها به تخليط المنام ، ونفوا ان يكونوا عالمين بمثل ذلك . وقال قتادة : هي اخلاط أحلام . وقال ابن مقبل :

خود كان فراشها وضعت به أضغاث ريحان عداه شمال^(١)

وقال آخر :

يحمي ذمار جنين قل مانعه طاوٍ لضغت الخلا في البطن ممتكن^(٢)

وقال آخر :

واستقل مني هذه قدر بطنها والقيت صغثاً من خلا متطيب^(٣)

والاحلام جمع حلم ، وهو الرؤيا في النوم ، وقد يقال : جاء بالحلم أي الشيء الكثير ، كأنه جاء بما لا يرى إلا في النوم لكثرتة . والحلم : الاناة ، حلم حلماً : إذا كان ذا أناة وإمهال . والحلم ضد الطيش . ومنه « ان ابراهيم لحليم أواه

(١ ، ٢) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٢ : ١٢٥ وروايته (غداة) بدل (عداه) .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣١٢ وجمهرة اشعار العرب ٢ : ٢٣ وقد نسب الى عوف بن عطية

ابن عمر بن الحارث بن تميم . انظر سمط اللآلي ٣٧٧ ، ٧٢٣ ومعجم البلدان ٢٧٧

منيب ، (١) والحليم : من له ما يصح به الأناة دون الخرق والعجلة . والله الحليم ، الكريم ، و (الحلم) بضم اللام ما يرى في المنام ، لانها حال أناة وسكون ودعة تقول: حلم يحلم حلاماً - بسكون اللام - اذا اردت المصدر ، والحلمة رأس الثدي ، لأنها ، تحلم الطفل ، والحلام الجددي الذي قد حلمه الرضاع ، ثم كثر حتى قيل لكل جدي .

قوله تعالى :

(وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) (٤٥) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية أن الذي نجى من الفتيين اللذين رأيا المنام ، وفسره لهما يوسف - وهو صاحب الشراب - على ما ذكره له يوسف ، فتذكر بعد وقت وحين من الزمان ، لأمر يوسف ، وقال لهم أنا اخبركم بما يؤل اليه هذا المنام ، فابعثوني حتى ابحت عنه .

و (النجاة) التخلص من الهلاك . والادكار طلب الذكر . ومثله التذكرة والاستذكار ، ووزنه (الافتعال) من الذكر وأصله الازتكار ، فقلبت التاء ذالاً وادغمت فيها الدال على أصل ادغام الاول في الثاني ويجوز اذكار ، على تغليب الأصلي على الزائد . و(الامة) المذكورة هي الجملة من الجبن ، وأصله الجماعة من الجبن ، وسميت الجماعة الكثير من الناس أمة ، لاجتماعها على مقصد في امرها . وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة : « بعد أمة » أي بعد حين ، وحكى الزجاج وغيره عن ابن عباس « بعد أمة » اي بعد نسيان ، يقال أمه يأمه أمها - بفتح الميم - ، وحكي عن ابي عبيدة - بسكون الميم - قال الزجاج هذا ليس بصحيح وأجازه غيره ، وروى هذه القراءة عن جماعة كقتادة وعكرمة وغيرهم .

وتأويل الرؤيا تفسير ما يؤل اليه معناه ، وتأويل كل شيء تفسير ما يؤل اليه معنى الكلام . وحكي عن الحسن أنه قرأ « أنا اجبكم بتأويله » وهو خلاف المصحف .

قوله تعالى :

(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يِمَانٍ يَا كَلْمُنَّ
سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ
إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) (٤٦) آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن الذي نجا من الفتيين انه جاء يوسف بعد أن قال لهم أبعثوني . وقال له يا «يوسف» وحذف حرف النداء ، لأنه إسم علم «أيها الصديق» والصديق الكثير التصديق بالحق للأدلة عليه ، وكل نبي صدّيق بهذا المعنى «أفتنا في سبع بقرات» أي اخبرنا عن حكم هذه الرؤيا ، و (الفتيا) جواب عن حكم المعنى ، وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يسمى فتيا .

وقوله «لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون» معنى (لعل) الشك ، لأنها طمع واشفاق ، وانما قال ذلك لطمعه أن يكون ، واشفق ان لا يكون ، ولو قال لأرجع الى الناس ليعلموا ، لكان فيه تعليل السؤال ، غير ان الشك في (لعل) قد يكون للمتكلم ، وقد يكون للمخاطب ، و (الرجوع) الى الشيء المرور الى الجهة التي جاء منها ، والرجوع عنه الذهاب عنه . وقوله «لعلهم يعلمون» يحتمل أمرين :
- أحدهما لعلهم يعلمون بمكانك ومنزلتك .

الثاني - لعلهم يعلمون تأويل الرؤيا .

قوله تعالى :

(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي

سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) آية .

حكى الله تعالى عن يوسف ما أجاب به المستفتي عن تعبير الرؤيا التي رآها الملك ، فقال له إنكم « تزرعون سبع سنين دأباً » أي مستمرة . وقيل : متوالية . وقيل : على عادتكم . والدأب استمرار الشيء على عادة ، يقال هو دأب بفعل كذا إذا استمر في فعله ، وقد دأب يدأب دأباً . وسكن القراء كلهم الهمزة ، إلا حفصاً فإنه فتحها ، وهي لغة مثل سمع ، وسمع ، ونهر ونهر . ونصب (دأباً) على المصدر أي تدأبون دأباً ، وكلهم همز إلا من مذهبه ترك الهمزة وأبو عمرو إذا أدرج .

وقوله « فما حصدم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون » حكاية عن تمام ما قال يوسف له : من أن ما تحصدونه لا تذرّوه ولا تدرسونه ، ودعوه في السنبل إلا القليل الذي تأكلونه . وقيل إنما أمرهم بذلك ، لأن السنبل لا يقع فيه السوس ، ولا يهلك ، وان بقي مدة من الزمان ، وإذا صفي أسرع اليه الهلاك ، و(الزرع) طرح الحب في الأرض بالدفن مع التعاهد له بالسقي ، تقول . زرع يزرع زرعاً ، وازرع ازراعاً ، وزارعه مزارعة ، و (الحصد) قطع الزرع ، حصده يحصده حصداً واستحصد الزرع إذا جاز حصاده .

قوله تعالى

(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) آية بلا خلاف .

وهذا تمام حكاية ما فسر به الرؤيا يوسف (ع) ، فقال لهم : إنه يجيء بعد هذه السنين التي زرعت فيها وحصدم ، سبع سنين آخر شداد وهي جمع شديدة ، والشدة قوة الالتفاف ، والشدة والصلابة والصعوبة نظائر . وشدة الزمان

وصعوبته بمعنى. وضدها الرخاء. وقيل الشدة تكون في سبعة أصناف في الاصل :
في العقد ، والمد ، والزمان ، والغضب ، والالم ، والشراب ، والبدن .

وقوله « يأكلن ما قدمتم هن » اضاف الأكل الى السنين ، لأنها بمنزلة ما يأكل
ذلك لوقوع الأكل فيها كما يكون الاكل في الآكل قال الشاعر :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم^(١)

والتقديم التقريب الى جهة القدام ، والتأخير التبعيد الى جهة الخلف ،
والاحصان الاحراز ، وهو إلقاء الشيء فيما هو كالحصن المنيع ، أحصنه إحصاناً
اذا أحرزه .

قوله تعالى :

(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَعَصِرُونَ) (٤٩) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي بالتاء (تعصرون) على الخطاب أي أنتم. الباقون بالياء على الرجوع
الى الناس ، وهذا حكاية ما بشر به يوسف المستفتي له أنه يأتي بعد هذه السنين
الصعبة سنة . والعام السنة مأخوذ من العوم ، لما لأهله فيه من السبح الطويل .
وقال الخليل : العام حول يأتي على شتوة وصيفة . والحول ، والسنة مثل ذلك .
وقوله « فيه يغاث الناس » فالغوث النفع الذي يأتي على شدة حاجة ينفي
المضرة ، والغيث المطر الذي يحيي في وقت الحاجة ، غائهم الله يغيشهم غيثاً ،
وأصابعهم غيث . والغيث الكلاً الذي يفتت من ماء السماء وجمعه غيوث. والغياث
أصله من الواو ، اغاثة الله اغاثة ، وغوث تغويثاً : اذا قال واغوثاه من يغيشني ،
ويقول الواقع في بلية : اغثنني اغاثةك الله ، و(يغاث) يحتمل ان يكون من الياء .

(١) تفسير القرطبي ٩ : ٢٩٤ وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٢ : ١٢٧

ويحتمل ان يكون من الواو « ويعصرون » قيل فيه ثلاثة أقوال :
 احدها - قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : يعصرون الثمار التي تعنصر في
 الخصب من العنب والزيتون والسمسم . وحكى بعضهم أنهم لم يعصروا - أربع
 عشرة سنة - زيتاً ولا عنباً ، فيكون المعنى تعصرون للخصب الذي أتاكم ، كما
 كنتم تعصرون في أيام الخصب .

الثاني - في رواية أخرى عن ابن عباس تحلبون .

الثالث - قال ابو عبيدة والزجاج : تنجون نجاء المعتصر بالماء عند الغصص ،
 كما قال عدي بن زيد :

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري (١)
 وقال ابو زيد الطائي :

صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود (٢)

واصل العصر عصر العنب ، ونحوه من الرطب المستخرج مأؤه وكذلك ما
 فيه الدهن ليستخرج دهنه ، ومنه العصاره ما يخرج بالعصر ، والاعتصار شرب
 الماء قليلاً قليلاً عند الغصص ، والمعصر الكاعب ، لانه يجري فيها ماء الشباب ،
 والمعصرات السحائب التي تنعصر بالمطر ، والاعصار ريح تثير السحاب او الغبار ،
 لانه كالمعتصر منها . والعصرة المنجاة كنجاة الغصان باعتصار الماء ، والعصرة
 الدنية في النسب ، لانه كالمعتصر من الرطب . وقرىء يعصرون بضم الياء ، وفتح
 الصاد شاذاً ومعناه يطرون .

وقال البلخي : وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول :
 ان الرؤيا على ما عبرت اولاً ، لانهم كانوا قالوا هي أضغات احلام ، فلو كان ما قالوه
 صحيحاً لما كان يتأولها .

(١) مر هذا البيت في ١ : ١٢٤

(٢) تفسير القرطبي ٩ : ٢٠٤ ومجاز القرآن ١ : ٣١٣ وتفسير القرطبي ١ : ٢٢٦

قوله تعالى :

(وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النُّسُوءِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) (٥٠) آية بلا خلاف .

قرأ البرجمي والسلموني « النسوة » بضم النون . والباقون بكسرها ، وهما لغتان . والكسر افسح . وفي الكلام حذف ، لأن تقديره إن الناجي الذي استفتى يوسف عن تفسير رؤيا الملك حين فسر له ، رجع الى الملك واخبره به ، وعرفه ان ذلك فسر له يوسف ، فقال الملك عند ذلك : اثتوني به والكلام دال عليه ، وذلك من عجائب القرآن ، وعظم فصاحته . ومعنى « اثتوني به » . أجيثوني به « فلما جاءه الرسول » يعني رسول الملك ، قال له يوسف ارجع الى سيدك . « فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن » وانما رد الرسول لبيّن للملك براءته مما قرف به ، وانه حبس بظلم من غير بينة ، ولا اعتراف بذنب ، وقال قتادة : طلب العذر .

وقوله « ان ربي بكيدهن عليم » قيل في معناه قولان :

احدهما - وهو الصحيح - انه أخبر ان الله تعالى عالم بكيد النسوة .

والثاني - ان سيدي العزيز عليم بكيدهن . والاول عليه اكثر المفسرين . والملك هو القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير ، وكان هذا الملك ملك مصر . ويجوز ان يمكن الله تعالى الظالم من الظلم ، وينهاه عن فعله ، ولا يجوز ان يملكه الظلم ، لأن ما يملكه ، فقد جعله له ، وذلك لا يليق بعدله . والتمليك تمكين الحي مما له ان يتصرف فيه في حكم الله تعالى بحجة العقل والسمع ، وعلى هذا اذا مكّن الله تعالى من الظلم او الغصب لا يكون ملكه ، لأنه لم يجعل له التصرف فيه ، بل زجره عنه ، قال الرماني : يجوز أن يسلب الله تعالى الخلق

ما ملكهم في الدنيا بسوء افعالهم ، كما يسلب بعضهم بكفرهم ، والا فهو له ، فان اخذ بالموت عنه على طريق العارية ثم يرد اليه ويعوض مما فاته بكرمه تعالى ، وقيل : إن يوسف انما قال ما بال النسوة جميع النساء ولم يخص امرأة العزيز حسن عشرة منه ، وقال قوم ذلك يدل على ان كل واحدة منهن دعته الى نفسها مثل امرأة العزيز .

قوله تعالى :

(قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) (٥١) آية
بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه حين رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف جمع النساء وقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ، والخطب الأمر الذي يخاطب به صاحبه ، مما يستعظم شأنه ، يقال هذا خطب جليل ، وما خطبك ، وما شأنك ؟ .

وقوله « قلن حاش لله » حكاية عما اجابته به النسوة ، فانهن قلن للملك على وجه التنزيه « حاش لله » اي عياذ بالله ، وتنزيهاً من هذا الأمر ، كقوله « معاذ الله » . وقد يستثنى به ، فيقال أتاني القوم حاشى زيد ، بمعنى إلا زيدا « ما علمنا عليه من سوء » اي لم نعلم عليه امرأ قبيحاً . قالت امرة العزيز عند ذلك معترفة بخطبها « الآن حصحص الحق » أي بان الحق يقال حصحص الأمر وحصحص الحق اي حصل على امكان وجوهه ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ، واصله حصّ من قولهم حص شعره اذا استأصل قطعة منه ، والحصة اي القطعة

من الشيء، فمعنى « حصحص الحق » انقطع عن الباطل بظهوره . ومثله كبوا وكبكبوا ، وكف الدمع وكفكفه ، ورده وردده ، فهو زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق ذكره الزجاج . واصله من حصحص البعير ثفناته في الارض إذا برك حتى يستبين آثارها فيها . قال حميد بن ثور الهذلي :

وحصحص في صم القنا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما^(١)

ويقال انحص الوبر عن جنب البعير وانحت اذا انحسر ومعنى « انا راودته » انا طالبت به بذلك ، « وانه لمن الصادقين » في امتناعه من ذلك .

قوله تعالى :

(ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) (٥٢) آية بلا خلاف .

اختلفوا في من هذا الكلام حكاية عنه ؟ فقال اكثر المفسرين كالحسن ومجاهد وقتادة والضحاك : انه من قول يوسف « ذلك » يعني ذلك الامر من فعلي من رد الرسول ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب ، وقطع الحكاية عن المرأة ، وجاز ذلك لظهور الكلام الدال على ذلك ، كما قال « وكذلك يفعلون » وقبله حكاية عن المرأة « وجعلوا أعزة اهلها اذلة »^(٢) وكما قال « فماذا تأمرون » ومثله حكاية قول الملأ « يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره »^(٣) وقال الجبائي والبلخي : انه من قول المرأة . والمعنى ان اعترافي على نفسي بذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب ، لان العزيز سألها ولم يكن يوسف حاضراً وكلا الأمرين جائزتان ، والاول أشبه ، والحيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، وضد الحيانة الامانة،

(١) اللسان (صمم) وروايته :

وحصحص في صم القنا ثفناته وناه بسلمى نوءة ثم صمما

(٢) سورة الاعراف آية ١٠٩ - ١١١

(٣) سورة النمل آية ٣٤

وهي تأدية الحق على ما وقع به العقد . والفرق بين الخيانة والغدر أن الخيانة تكون على وجه السر والغدر نقض العهد بخلاف الحق جهرأ ، والكيد الاحتيال في اىصال الضرر الى صاحبه ، كاده بكيده كيداً ، فهو كائد .

واللام في قوله « ليعلم » لام (كي) ومعناها تعليق ما دخلت عليه بالفعل الذي قبله ، بمعنى انه وقع من اجله ، وانما يتعلق بذلك الارادة . وقوله « وان الله لا يهدي كيد الخائنين » اي لا يدعوهم اليها ولا يرغبهم فيها وانما يفعلونها بسوء اختيارهم .

قوله تعالى :

(وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٥٣) آية بلا خلاف .

هذا اخبار عما قال يوسف على وجه التواضع لله لست أبريء نفسي من سوء ، والتبرئة ازالة الشيء عما كان لازماً له ، لان النفس امارة بالسوء اي تنازع الى سوء ، فلست أبريء نفسي من ذلك ، وان كنت لا اطواعها فيما نازعت اليه ، والأمارة الكثيرة الامر بالشيء ، والنفس بهذه المنزلة لكثرة ما تشتهيه وتنازع اليه مما يقع الفعل لأجله ، وهذا مجاز في الاصل غير انه كثير استعماله في العرف ، فيقال نفسي تأمرني بكذا وتدعوني الى كذا من جهة شهوتي له ، والا فلا يصح ان تأمر الانسان نفسه ، لانه يقتضي الرتبة ، لانه قول القائل لمن دونه (افعل) وذلك لا يصح بين الانسان وبين نفسه ، واكثر المفسرين على ان هذا من قول يوسف . وقال ابو علي الجبائي هو من كلام المرأة .

وقوله « الا ما رحم ربي » استثناء من الانفس التي يرحمها الله ، فلا تدعو الى القبيح ، بان يفعل معها من اللطاف ما تنصرف عن ذلك .

وقوله « ان ربي غفور رحيم » تمام الحكاية عن قائل ذلك انه اعترف بان الله تعالى غفور رحيم اي سائر عليهم ذنوبهم رحيم بهم بان يعفو عنهم ويقبل توبتهم .

قوله تعالى :

(وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُوتَنِي بِهِ اُسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَتَمَهُ قَالَ
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) (٥٤) آية بلا خلاف .

هذه السياقة تدل على ان ما مضى حكاية عن قول المرأة ، لان يوسف لم يكن حاضراً ذلك المجلس ، وان الملك حين سمع جميع ذلك قال اثتوني بيوسف استخلصه لنفسي ، وطلب هذا الملك ان يكون يوسف له وحده دون شريك فيه ، والاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك . وقال ابن اسحاق كان هذا الملك : الوليد ابن ريان .

وقوله « فلما كتمه » فيه حذف ، وتقديره انه لما امر باحضاره فأحضر قال له بعد ان كتمه « انك » يا يوسف « اليوم لدينا مكين امين » اي عرفنا امانتك ، وثقتك ، وانت على حالة يتمكن من كان عليها مما يريد ، يقال لفلان مكانة عند الملك ، وهو مكين عنده ، واصله يتمكن من الامر (والامين) الموثوق به ، والامانة حالة ثقة يؤمن معها نقض العهد بالفتح ، وذلك كالعقد في الوديعة وفي التولية والعقد في الدين ، والعقد في القيام بالحق .

قوله تعالى :

(قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (٥٥)
آية بلا خلاف .

وهذا حكاية ما قال يوسف حين قال له الملك انك اليوم لدينا مكين امين

« اجعلني على خزائن الارض » يعني ارضك ، والالف واللام يعاقبان حرف الكناية ، و اراد بذلك الارض التي هي ملكه ويجمع فيها ماله وطعامه ، طلب اليه ذلك ليحفظ ذلك عمن لا يستحقه ويوصله الى الوجوه التي يجب صرف الاموال لها ، فلذلك رغب الى الملك فيه ، لان الانبياء لا يجوز ان يرغبوا في جمع اموال الدنيا الا لما قلناه . وقوله « اني حفيظ عليم » معناه حافظ للمال عمن لا يستحقه عليم بالوجوه التي يجب صرفها اليه ، وفي الآية دلالة على جواز تقلد الامر من قبل السلطان الجائر اذا تمكن معه من اىصال الحق الى مستحقه .

قوله تعالى :

(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (٥٦)
آية بلا خلاف .

قرأ « نشاء » بالنون ابن كثير وحده . الباقون بالياء .
من قرأ بالنون ، فعلى معنى ان يوسف يتبوء من الارض حيث يشاء ، وطابق بينه وبين قوله « نصيب برحمتنا من نشاء » ، ويكون على احد معنيين :

احدهما - ان تكون المشيئة اسندت اليه ، وهي ليوسف ، لما كانت بأمره و ارادته كما قال « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »^(١) فأضاف الرمي الى الله ، لما كان بقدرته و ارادته .

والثاني - ان يكون الموضع المتبوء موضع نسك وعبادة او موضعاً يقام فيه الحق ، من أمر بمعروف ، او نهى عن منكر ، ويقوي النون قوله « نصيب برحمتنا من نشاء » .

(١) سورة الانفال آية ١٧

ومن قرأ بالياء حمله ، على انه يتبوء يوسف حيث يشاء هو نفسه .

اخبر الله تعالى أنه كما لطف ليوسف حين اخرجه من السجن وخلصه من المهالك كذلك مكنته من التصرف ، والمقام في الارض حيث يشاء كيف يشاء ، وقال الجبائي : كان هذا التمكين ليوسف ثواباً من الله على طاعته واحسانه الذي تقدم منه في الدنيا . وقال غيره : ليس في ذلك دلالة على انه ثواب ، ويجوز أن يكون تفضلاً عليه بذلك من غير ان ينقص من ثوابه شيء ، والتمكين الاقدار بما يتسهل به الفعل من رفع الموانع وايجاد الالات والالطاف وغير ذلك مما يحتاج اليه في الفعل . والتبوء هو اتخاذ منزل يرجع اليه واصله الرجوع من « باؤا بغضب من الله » قال الشاعر :

فان تكن القتلى بواء فانكم فتي ما قتلت آل عوف بن عامر^(١)

اي يرجع بدم بعضها على بعض ، فان هذا المقتول لا كفاء لدمه . وقوله « نصيب برحمتنا من نشاء » اخبار منه تعالى انه يفعل رحمة بمن يشاء من عباده على وجه التفضل عليهم والاحسان اليهم ، وانه لا يضيع اجر الذين يحسنون افعالهم ويفعلون ما أمرهم الله به على وجهه ، بل يثيبهم على ذلك . والاحسان على ثلاثة اوجه :

احدها - ان يحسن الى غيره ، فذلك انعام .

وثانيها - ان يحسن الى نفسه بأن ينفعها نفعاً حسناً .

وثالثها - ان يفعل حسناً مبهماً لا يضيفه الى نفسه ولا الى غيره .

واللام في قوله « مكنا ليوسف » يحتمل ان يكون مثل قوله « ردف لكم »^(٢) و « للرؤيا تعبرون »^(٣) بدلالة قوله « مكناهم فيما ان مكناكم فيه »^(٤) وقوله « مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم »^(٥) « ويتبوء » في موضع نصب على الحال .

(١) قاتلة ليلي الاخيلىة ، قد مر في ١ : ٣٧٨ وهو في اللسان (بوا)

(٢) سورة النمل آية ٧٢ (٣) سورة يوسف آية ٤٤

(٤) سورة الاحقاف آية ٢٦ (٥) سورة الانعام آية ٦

قوله تعالى :

(وَلَا أُجْرُ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (٥٧)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان الثواب الذي يثيب الله به الذين يؤمنون به ويتقون معاصيه في الآخرة ، وهي النشأة الثانية ، فان الدنيا هي النشأة الاولى والآخرة خير واعظم نفعاً من منافع الدنيا التي تناها الكفار .

وقال ابو علي الجبائي : اجر الآخرة خير من ثواب الدنيا ، لان ما تقدم في الآية الاولى يقتضيه .

قوله تعالى :

(وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ

مُنْكَرُونَ) (٥٨) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن اخوة يوسف الذين كانوا ألقوه في الجب ، وباعوه بثمن بخس انهم جاؤه ودخلوا عليه ، فعرفهم يوسف ولم يشك فيهم ، ولم يعرفه اخوته بل كانوا جاهلين بحاله منكرين له ، وكان سبب مجيئهم اليه مجيء سني القحط التي كان ذكرها يوسف في تعبير الرؤيا ، فجاؤا الى مصر يمتارون كما جاء غيرهم من الناس - في قول السدي ، وابن اسحق وغيرهما ، وليس لأحد ان يقول : كيف يجوز مع كمال العقل ان يعرفهم يوسف ، وهم يجهلونهم مع انه نشأ معهم ؟ . وذلك ان عنه جوابين .

احدهما - قال الجبائي : انهم فارقوه وهو صبي امرد ، فجاؤوه وقد التحى وكبر وتغيرت حاله ، فلم يعرفوه . وقال البلخي : ان ذلك مما خرق الله تعالى فيه العادة لنبيه (ع) .

قوله تعالى :

(وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اٰتُونِي بِاٰخِ لَكُمْ مِنْ اٰبِيكُمْ اَلَّا تَرَوْنَ اَنِّيْ اَوْفِي الْكَيْلِ وَاَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَ) (٥٩) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان يوسف لما أمر بتجهيز اخوته فجهزهم ، والجهاز فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد ، ومنه قولهم : فلان يجهز ، ومنه جهاز المرأة ، قال لهم جيتوني « بأخ لكم من أبيكم » ، وانما قال ذلك ، لانه كان اخا يوسف لابيه وامه ، وهو ابن يامين - في قول قتادة وغيره - وكان اخاهم لابيهم خاصة .

وقوله « الا ترون اني اوفي الكيل » خطاب من يوسف لاختوته ، فقال أليس قد عرفتم عدلي وإيفائي الكيل من غير بخس له . والوفاء تمام الامر على ما يوجبه الحق ، ويكون ذلك في الكيل ، وفي الوزن ، وفي الذرع ، وفي العدة ، وفي العقد . و (الكيل) مصدر كال يكيل ، وهو فصل المكيال بملئه . و (المكيال) مقدار يفصل عليه ما يطرح فيه .

وقوله « وانا خير المنزلين » فيه قولان : احدهما - قال مجاهد : خير المضيفين . والثاني - خير المنزلين في سعر الطعام . و (المنزل) واضح الشيء في منزلته ، وقد يكون للشيء منزلتان ، احدهما اولى من الاخرى ، فمن وضعها في الاولى فهو خير المنزلين كسعر الطعام الذي يضعه في اولى منزلتيه .

قوله تعالى :

(فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ) (٦٠) آية بلا خلاف .

ثم قال يوسف لاختوته بعد ان قال لهم « ائتوني بأخ لكم من ابيكم » متى ما لم تفعلوا ما امرتكم به من اتيانكم بأخيكم ، فأني لا اكيل لكم الطعام ، ولا ابايعكم ، ومع هذا فلا تقتربون يعني لا تجيئوني ، والذي اقتضى طلبه الاخ من ابيهم انه فإوضهم وساء لهم عن اخبارهم واحوالهم ، واخبار اهلهم ، كما يتساءل الناس عن مثل ذلك ، ودل الكلام على ذلك ، وهو من عجيب فصاحة القرآن ، وإنما استجاز ان يطلب اخاهم ولا معاملة بينه وبينهم ، لأنهم ذكروا ان اباهم آثره عليهم بالحببة مع حكيمته وفضله ، احب ان يراه وتطلعت نفسه الى ان يعلم السبب فيما يقتضي هذه الحال ، وإنما اخفاهم امره ولم يطلعهم على ما انعم الله عليه ، لانه خاف ان يكتفوا اياه امره لما تقدم لهم فيه واحب ان يجري تدبيره على تدريج لئلا يهجم عليه ما يشتد معه اضطرابهم .

قوله تعالى :

(قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) (٦١) آية

بلا خلاف .

هذا حكاية ما اجاب به اخوة يوسف يوسف حين حثهم على الاتيان بأخيهم بأنهم « قالوا سنراود عنه اياه » ونحن نفعل ذلك ، والمرادة المطالبة من قولهم راد يرود ، فهو رائد اي طلب ، وفلان يرئاد موضعاً اي يطلبه ، وفي المثل (الرائد لا يكذب اهله) ومنه الارادة وهي طلب الفعل بما هو كالسبب له ، لان الداعي الى الفعل داع الى ارادته ، لأن باجتماع الامرين يقع الفعل من عالم قادر ، والفاعل من جعل الشيء موجوداً بعد ان كان معدوماً ، وكل فاعل جاعل ، وليس كل جاعل فاعلاً ، لأنه قد يكون جاعلاً على صفة ، كالجاعل للجسم متحركاً . قال الرماني : الفرق بين العامل والفاعل ان العامل للشيء قد يكون المغير له ، والفاعل لا يكون إلا الموجد له ، والفرق بين العامل والجاعل ان العامل لا

يكون الا مغيراً له ، وقد يكون الجاعل غير مغير له ، لانه يجعله على صفة بحكمه فيه كالذي يجعله كافرأ بحكمه انه كافر .

وقال ابن اسحاق : الذي وعدوا بفعله الاجتهاد في المصير بأخيهم اليه لانهم جوزوا ان لا يجيبهم ابوهم الى الارسال به معهم . وقال ابو علي : وعدوه بان يصيروا به اليه ان ارسله ابوهم معهم ، فالعدة به كانت واقعة بشرط .

قوله تعالى :

(وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٦٢) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر « لفتياناه » الباقر « لفتيته » قال ابو الحسن كلام العرب قل : لفتيانك ، وما فعل فتيانك ، وان كانوا ايضاً في أدنى العدد إلا ان يقولوا : ثلاثة وأربعة .

اخبر الله تعالى عن يوسف انه أمر فتياناه بأن يجعلوا بضاعتهم في رحالهم . و (الفتي) الشاب القوي ، وجمعه فتية وفتيان . وقال قتادة : كانوا غلماناً . وقال غيره : كانوا بماليكة . و (البضاعة) : قطعة من المال التي للتجارة . و (الرحال) جمع رحل وهو الشيء المعد للرحيل من وعاء المتاع او مركب من مراكب الجمال ، وجمعه في القليل ارحل وفي الكثير رحال . وانما جعل بضاعتهم في رحالهم ، ليقوي دواعيهم في الرجوع اليه اذا رأوا إكرامه اياهم ، ورد بضاعتهم اليهم مع جدوب الزمان وشدته . ويجوز ان يكون جعلها في رحالهم ليرجعوا اليه متعرفين عن سبب ردها . وقال قوم معناه ليعلموا اني لست اطلب أخاهم للرجبة في ما لهم .

وقوله « لعلهم يعرفونها » معناه لكي يعرفونها ، وانما قال (لعل) لأنه جوز أن تشبه عليهم ، فيمسكوا فيها « إذا انقلبوا » أي اذا رجعوا الى اهليهم « لعلهم

يرجعون» اي لكي يرجعوا، واللام لام الغرض، وانما اتى بـ (لعل) لانه جوز أن لا يعودوا .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٦٣) آية
بلا خلاف .

قرأ (يكتل) بالياء حمزة والكسائي . الباقون بالنون .

من قرأ بالياء رد الكناية الى أخو يوسف ، ومن قرأ بالنون رده الى جماعتهم ، لقوله « ونمير اهلنا » .

حكى الله تعالى عن أخوة يوسف أنهم حين رجعوا الى ابيهم وحصلوا معه ، قالوا يا أبانا منعنا الكيل « فأرسل معنا أخانا » اي ابعثه « معنا نكتل » ونحن نحفظه ونحتاط عليه . والاكتيال هو الكيل للنفس ، وهو افتعال من الكيل ، وانما قال « منع منا الكيل » ، وهو قد كأل لهم ، لان المعنى منع منا الكيل ان لم نأت باخينا . لقوله « فلا كيل لكم عندي ولا تقربون » وهو قول الحسن والزجاج والجبائي . وهو الصحيح .

وقال قوم : معناه إنه لما كأل لهم كأل لكل واحد كيل بعير ومنعهم تمام الكيل الذي أرادوه .

قوله تعالى :

(قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (٦٤) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «حافظاً» على وزن فاعل . الباقون «حفظاً» على المصدر .

وهذا حكاية ما قال يعقوب لولده حين قالوا له «ارسل معنا اخانا» فانه قال لهم «هل آمنكم عليه» والامن إطمئنان القلب الى سلامة الأمر يقال: آمنه يأمنه . أمناً وائتمنه يأتمنه اثبتاناً . ومنه قوله «فليؤد الذي أوتمن أمانة»^(١) ثم أخبر تعالى ، فقال «فأخبرنا» فمن قال على لفظ الفاعل نصبه على الحال . ويحتمل ان يكون نصبه على التمييز ، ولم ينصبه على الحال ، والحال يدل على انه تعالى الحافظ . والتمييز يرجع الى من يحفظ بأمره من الملائكة وكلا الوجهين أجازهما الزجاج . ومن قرأ على المصدر نصبه على التمييز لا غير ، ولو قرىء (خير حافظ) على الاضافة لدل على ان الموصوف حافظ ، وليس كذلك التمييز ، وحقيقة (خير من كذا) انه أنفع منه على الاطلاق ، وانه لا شيء أنفع منه ، قال ابو علي الفارسي : وجه قراءة من قرأ (حفظاً) بغير ألف انه قد ثبت من قولهم «ونحفظ أخانا» وقولهم «وانا له لحافظون» انهم اضافوا الى انفسهم «حفظاً» فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم ، وان كان منهم تفريط في حفظ يوسف ، كما قال «ابن شركاني»^(٢) ولم يثبت لله شريك ، ولكن على معنى الشركاء الذين نسبتهم الي ، فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم ، والمعنى «فأخبرنا» من حفظكم الذي نسبتهم الي انفسكم . ومن قرأ (حفظاً) فعلى التمييز دون الحال .

قوله تعالى :

(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) (٦٥) آية بلا خلاف .

(١) سورة البقرة آية ٢٨٣ .

(٢) سورة النحل آية ٢٧ ، وسورة القصص آية ٦٢ ، ٧٤ .

أخبر الله تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما فتحو متاعهم ، والمتاع مبيع التجار مما يصلح للاستمتاع ، فالطعام متاع والبر متاع وأثاث البيت متاع ، والمراد به هنا أوعية الطعام « وجدوا بضاعتهم ردت اليهم » اي اصابوا بضاعتهم التي كانوا وزنوها بشري الطعام قد جعلت في وسط امتعتهم ، فلما رأوا ذلك « قالوا يا أبانا ما نبغي » وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال قتادة : ما نطلب ؟ على وجه الاستفهام .

والثاني - قال الجبائي : ما نبغي : فيما أخبرناك به عن ملك مصر ليس بالكذب ودليله ان هذه بضاعتنا ردت الينا ، واجاز الفراء ، والزجاج كلا الوجهين ، وقولهم « ونمير اهلنا » اي نجلب لهم الميرة ، والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد يقال : ماره يميره ميراً اذا حمل له الطعام الى بلده قال الشاعر :

بعثتك مائراً فكثت حولاً متى يأتي غياثك من تغيث^(٢)

وقوله « وتزداد كيل بعير » اي ويعطينا فضل كيل بعير ، لمكان أحنينا « ذلك كيل يسير » وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال الجبائي : ان ذلك كيل قليل ، لا يكفيننا نحتاج ان نضيف اليه كيل بعير أحنينا .

الثاني - قال الحسن : ان ذلك متيسر على من يكيل لنا ، واليسر إتيان الخير بغير مشقة ، وضده العسر . وكذلك اليسير والعسير .

قوله تعالى :

(قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي

(٢) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٣ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٢٢٤ ، واللسان (غوث) وروايته :

بعثتك مائراً فلبثت حولاً متى يأتي غواثك من تغيث

بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ
وَكَيْلٌ (٦٦) آية بلا خلاف.

هذه حكاية ما قال يعقوب - لبنيه حين سأله إنفاذ أخيه معهم، وان بضاعتهم ردت اليهم، وانه ان انفذه معهم ازدادوا كيل بعير - اني لست «ارسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله» ومعناه حتى تحلفوا لي بالله لتجيؤني به . والابتاء الاعطاء آتاه يؤتبه ابتاء، والاتبان به المجيء به ، والموثق العقد المؤكد بالقسم ، وانما قال موثقاً من الله ، وانما هو موثق من انفسهم ، لأن المعنى موثقاً من جهة اشهاد الله او القسم بالله ، فاما على انفسهم ، فهو العقد عليها بما لا يجوز حله لها .

وقوله «الا ان يحاط بكم» موضع (أن) نصب بأنه مفعول له ، وتقديره إلا لأحاطة بكم ، كما يقول القائل : ما تأتيني إلا ، لأخذ الدراهم ، وما تأتيني إلا ان تأخذ الدراهم - ذكره الزجاج - والاحاطة أصله ضرب السور حول الشيء . ومنه قيل يعلمه علم احاطة اي على التحديد . والمعنى ههنا إلا ان يحال بينكم وبينه .

وقوله « فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول و كيل » معناه انهم لما أجابوه الى اليمين ، وحلفوا له واشهدوا على انفسهم بذلك قال يعقوب «الله على ما نقول و كيل ، اي حافظ وقيم به . والوكيل القيم بالتدبير والقائم بالقسط فهو العدل في حكمه .

قوله تعالى :

(وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ
أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمُّ

إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)
آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن يعقوب أنه قال لبنيه حين أنفذ اخاهم معهم « يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة » وقيل في سبب قوله ذلك قولان :

احدهما - قال ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، والحسن : انه خاف عليهم العين ، لانهم كانوا ذوي صور حسنة وجمال وهيبة .

وقال الجبائي : انه خاف عليهم حسد الناس لهم ، وان يبلغ الملك قوتهم وشدة بطشهم فيقتلهم خوفاً على ملكه ، وانكر العين . وقال لم تثبت بحجة . وانما هو شيء يقوله الجهال العامة .

والذي قاله غير صحيح في امر العين بل غير منكر ان يكون ما قال المفسرون صحيحاً ، وقد روي عن النبي ﷺ انه قال : (العين حق) ، وانه عوذ الحسن والحسين (ع) ، فقال في عوذته : (وأعيذكما من كل عين لامة) وقد رويت فيه أخبار كثيرة ، وقد جرت العادة به . واختاره البلخي ، والرماني واكثر المفسرين ، وليس يمتنع ان يكون الله تعالى أجرى العادة لضرب من المصلحة أنه متى ما نظر انسان الى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصلحة اهلاكه أو إمرضه أو اتلاف ماله ، فالمنع من ذلك لا وجه له .

وقوله « وما اغني عنكم من الله من شيء » اعتراف منه بأنه لا يملك الامر ، ولا يغني عن يريده الله بسوء . والغنى ضد الحاجة .

وقوله « ان الحكم الا لله » اي ليس للفصل بين الامور على ما تقتضيه الحكمة الا الله .

وقوله « عليه توكلت » اي فوضت امري الى الله يدبره كيف يشاء . والتوكل من صفات المؤمنين .

قوله تعالى :

(وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٦٨) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان اخوة يوسف ، لما وردوا عليه ، ودخلوا عليه من ابواب متفرقة حسب ما امرهم به ابوهم ورغبتهم فيه لم يكن يعقوب يغني عنهم من الله شيئاً الا حاجة في نفس يعقوب قضاها من خوف العين عليهم أو الحسد على اختلاف القولين ، و (الا) بمعنى (لكن) لأن ما بعدها ليس من جنس ما قبلها . وقوله « وانه لدو علم لما علمنا » اخبار من الله تعالى ان يعقوب عالم بما علمه الله . وقيل في معناه قولان :

احدهما - ان ما ذكره الله من وصفه بالعلم كان ترغيباً فيه .

والاخر - انه ليس بمن يعمل على جهل ، بل على علم ، براءة له من الامر لولده بما لا يجوز له ، ولكن « اكثر الناس لا يعلمون » ذلك من حاله ، كما علمه الله .

قوله تعالى :

(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٦٩) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما دخلوا على يوسف آوى يوسف أخاه اليه ، والايواء ضم المحبوب وتصويره الى موضع الراحة . ومنه المأوى المنزل الذي يأوي اليه صاحبه للراحة فيه . وقال الحسن وقتادة : ضمه اليه وأنزله معه ، وقد اجتمعت في (آوى) حروف العلة كلها الالف والواو والياء ، والعلة في ذلك

أن الهمزة بمنزلة الحرف الصحيح ، لأنها ليست حرف مد ولين ، فجاز ذلك على قلبه لهذه العلة . وقال له حين اواه الى نفسه «إني انا أخوك» يوسف «فلا تبتئس بما كانوا يعملون» وإنما قال له ذلك ، لانه وإن كان علم ان له أخاً من أبيه وأمه إلا انه لا يعلم انه هذا ، والابتئاس والاكتئاب والاغتمام نظائر ، ومعناه اختلاط البؤس بالحزن ، وإنما جاز ان يأخذه بالصواع مع تعريفه انه أخوه لامرين :

احدهما - انه كان بمواطاة منه له .

والثاني - قال وهب بن منبه : انه أراد أنا أخوك مكان أخيك الذي هلك .
والأول اصح .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أُخِيهِ ثُمَّ أَدْنَى أُذُنَ مُؤَدِّنُ أَيَّتَهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) (٧٠) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان يوسف لما جهز أخوته بجهازهم يعني الطعام الذي اشتروه ليحملوه الى بلدهم . ومنه جهاز المرأة «جعل السقاية في رجل أخيه» والسقاية المراد بها ههنا صواع الملك الذي كان يشرب فيه . وقيل : كان من فضة . وقال ابن زيد كان كأساً من ذهب . وقيل انه صير مكيالاً للطعام . والسقاية في الأصل الاناء الذي يسقى فيه ، والرجل آلة السفر من وعاء أو مركب ، والمراد ههنا وعاء أخيه الذي يحمل فيه طعامه .

وقوله «ثم أذن مؤذن» اي نادى مناد . والايذان الاعلام بقول يسمع بالاذن . ومثله الأذن ، والاذن الاطلاق في الفعل بقول يسمع بالاذن ، و (والعير) قافلة الحمير - في قول مجاهد . وقيل هي القافلة التي فيها الاجمال . والاصل الحمير إلا انه كثر حتى صارت تسمى كل قافلة محملة عيراً تشبيهاً . وقوله «انكم لسارقون» فالسرقة أخذ الشيء من حرز في خفى بغير حق ، إلا ان الشرع قدر أنه لا يتعلق بها القطع

إلا إذا سرق مقداراً معيناً على خلاف بين الفقهاء ، فعندنا هو ما قدره ربع دينار ، وعند قوم عشرة دراهم ، وعند آخرين ثلاث دراهم .

وقيل في وجه نداءهم بالسرقة مع انهم لم يسرقوا شيئاً قولان :

احدهما - ان ذلك من قول اصحابه ، ولم يأمرهم يوسف بذلك ، ولا علم . وإنما كان أمر يجعل السقاية في رحل أخيه على ما أمره الله تعالى ، فلما فقدوها المولكون بها اتموهم بها . وهو اختيار الجبائي .

والثاني - انهم نادوهم على ظاهر الحال فيما يتغلب على ظنونهم ولم يكن يوسف أمر به ، وإن علم انهم سيفعلونه . وقال قوم قولاً ثالثاً : ان معناه إنكم سرقتم يوسف من أبيه حين طرحتموه في الجب . وقال آخرون : ان ذلك خرج نخرج الاستفهام ، وليس في جعل السقاية في رحل أخيه تعريضاً لأخيه بأنه سارق ، لانه إذا كان ذلك يحتمل السرقة ، ويحتمل الحيلة فيه حتى يمسكه عنده ، فلا ينبغي ان يسبق احد الى اعتقاد السرقة فيه ، وليس في ذلك ادخال الغم على أخيه لانا بينا انه كان اعلمه إياه ، وواطأه عليه ، ليتمكن من امساكه عنده على ما أمره الله تعالى به ، والنداء وان كان للغير فالمراد به اهل العير ، كما قال « واسأل القرية » وإنما أراد اهلها .

قوله تعالى :

(قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ

صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) (٧٢)
آيتان .

حكى الله تعالى عن اهل العير انهم حين سمعوا نداءهم بأنكم سارقون أقبلوا عليهم وقالوا اي شيء فقدتموه ، فقال لهم اصحاب يوسف انا فقدنا صواع الملك ، ومن جاء به ورده ، فله حمل بعير من الطعام . والاقبال مجيء الشيء الى جهة المقابلة

بوجهه، وضده الادبار. ومثله التوجه، والتحاذي. والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يدري اين هو، والفاقد من الوحش هي التي تغيب ولدها عنها قال الشاعر:

بكاء شكلي فقدت حميماً فهي ترثي بأبي وابني ما^(١)

والصواع مكيال الطعام. وكان هذا الصواع كأساً للملك يشرب فيه وجمعه صيعان وأصواع. وقال ابن عباس: كان من فضة، و (الجل) بالكسر على الظهر وبفتح الحاء في البطن، وجمعه احمال وحمول. والبعير الجمل وجمعه بعران وابعرة. وقوله «وانا به زعيم» اي كفيل به، وضمين له، وقائل، قال الشاعر:

فلست بأمن فيها بسلم ولكنني على نفسي زعيم^(٢)

وإنما قال وانا به زعيم وقبله ذكر جمع، لأن زعيم القوم متكلم عنهم فكانه قد كلم بذلك جميعهم قالت ليلي الاخيلية:

حتى اذا برزوا اللواء رأيتهم تحت اللواء على الخميس زعيماً^(٣)

وذلك انه زعيم القوم لرئاسته، زعم زعامة وزعاماً إذا صار رئيساً، قال ابو علي: اصله القول.

قوله تعالى:

(قَالُوا تَأْتِيهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا
كُنَّا سَارِقِينَ) (٧٣) آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما اجاب به اهل العير لما سمعوا النداء، وما يدل على رد الصواع

(١) قائلة روبة اللسان (بني) ويروي (ترثي بأبا وابنا ما).

(٢) تفسير الطبري (الطبعة الأولى) ١٣ : ١٣ ومجاز القرآن ١ : ٣١٥.

(٣) تفسير القرطبي ٩ : ٢٣٢ وسمط اللالي ٣ : ٤٣ وتفسير الطبري ١٣ : ١٣ وامالي السيد

المرتضى ١ : ٤٩٧ حاشية.

انهم اقساموا بالله انا لم نجيء للافساد في الارض وانا لم نكن سارقين . والفساد اضطراب التدبير على وجه قبيح ، ونقيضه الصلاح . ويقال فسد الشيء اذا تغير الى حال تضر كفساد الطعام ، وغيره من الأمور ، وقوله « تالله » التاء بدل من بدل ، لأنها بدل من الواو والواو بدل من الباء ، فضعفت عن التصرف ، فاختصت بدخولها على اسم الله لا غير دون غيره من الاسماء ، لانه لا يقال (تالرحمن) ودخلت التاء في تالله على وجه التعجب ، لأنها لما كانت نادرة في حروف القسم جعلت للنادر من المعاني يتعجب منه . وإنما قالوا « تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض » مع انهم لم يعلموا ذلك لأمرين :

احدهما - لما رأوا من صحة معاملتهم وشده توقيتهم لما لا يجوز لهم مما ينبيء عن مقاصدهم .

الثاني - قيل لانهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ظناً منهم أن ذلك عن سهو ، وهذا لا يليق بحال السراق من الناس . وضعف البلخي هذا الوجه ، وقال كيف يكون ذلك وهم لما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اظهروا السرور به والفرح ، وقالوا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا فكيف يردونها مع ذلك !

قوله تعالى :

(قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (٧٥) آيات .

حكى الله تعالى عن اصحاب يوسف انهم قالوا لاهل العير لما سمعوا ججودهم الصواع ، وانكروا ان يكونوا سارقين « ما جزاؤه ان كنتم كاذبين » في ججودكم وإنكاركم ، وقامت البينة على انكم سرقتموه ، وما الذي يستحق ان يفعل بمن

سرق؟ فأجابهم اهل العير، وقالوا من ادرك عنده الصواع، ووجد في رحله جزاؤه اخذ من وجد في رحله رقماً، فهو جزاؤه عندنا كجزائه عندهم لانه كان من عادتهم ان يسترقوا السارق - في قول الحسن، ومعمر، والسدي، وابن اسحاق - وفيه تقديران في الاعراب :

احدهما - جزاؤه استرقاق من وجد في رحله، فهذا الجزاء جزاؤه، كما تقول جزاء السارق القطع، فهو جزاؤه لتمكين البيان الاخير .

الثاني - جزاؤه من وجد في رحله، فالسارق جزاؤه، فيكون مبتدأ ثانياً، والفاء جواب الجزاء، والجملة خبر (من) و (من) ههنا يحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون بمعنى الذي، وتقديره جزاؤه الذي وجد في رحله مسترقاً .

والآخر - معنى الشرط، كأنه قال جزاء السارق إن وجد في رحل إنسان منا، فالموجود في رحله جزاؤه استرقاقاً . وقوله « كذلك نجزي الظالمين » اخبار منهم بأن ذلك عادتهم في مجازاة كل ظالم .

وقد قيل في تأويل الآية وجهان :

احدهما - ان يكونوا في ذلك على شرع لني من انبياء الله .

والآخر - ان يكون ذلك على عادة الملوك في اهل الجنايات لمصالح العباد لا على حقيقة الجزاء الذي يعمل بأمر الله بدلالة قوله فيما بعد « ما كان لياخذ أخاه في دين الملك، فاضاف الجزاء الى دين الملك دون الله .

قوله تعالى :

(قَبْدًا بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أُخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ
أُخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ
عَلِيمٌ (٧٦) آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب « يرفع درجات من يشاء » بالياء فيها على وجه الكناية عن الله .
الباقون بالنون فيها على وجه الاخبار منه تعالى عن نفسه . ونوّت التاء من
(درجات) اهل الكوفة . الباقون على الاضافة .

اخبر الله تعالى ان يوسف أمر اصحابه بأن يفتشوا او عيتهم ورحالاتهم ، وان
يبدووا بأوعية الجماعة قبل وعاء أخيه ليكون ابعد من التهم ، فلما لم يجدوا فيها
شيئاً أمر حينئذ باستخراجها من وعاء أخيه . ثم اخبر الله تعالى انه كاد ليوسف ،
والكيد التعريض للغيظ ، وكان التدبير على أخوة يوسف حتى اخذ منهم
أخوهم بما يوجب حكيم ، هو كالتعريض للغيظ من جهة اغتنامهم بما نزل من
ذلك الامر بهم . والتقدير كدنا اخوته له بما دبرنا في امره .

وقيل الكيد التعريض للضرر بما خفي ، وقد يعبر عن الجزاء على المعصية
بالكيد ، كقوله « واملي لهم ان كيدي متين » اي عقوبي .

وقوله « ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك » معناه إنه لم يكن يوسف ممن
يأخذ اخاه على دين الملك في جزاء من سرق ان يستعبد قال الشاعر :

تقول اذا درأت لها وضيبي اهذا دينه ابدأ وديني^(١)

اي هذا عادته ابدأ وعادتي . وقوله « الا ان يشاء الله » قال الحسن إنما قال
ذلك لانه تعالى كان امره بذلك بدلالة قوله « نرفع درجات من نشاء » اي بما
نريه من وجوه الصواب في بلوغ المراد .

وقوله « وفوق كل ذي علم عليم » قيل في معناه قولان :

(١) مر هذا الشعر في ١ : ٣٦ ، ٢ : ٤٨ ، ٣ : ٤٥ .

احدهما - قال ابن عباس ، والحسن ، وسعيد بن جبير : معناه « وفوق كل ذي علم ، معلم » « علم » وهو الله تعالى الغني بنفسه عن التعليم .

والثاني - ان معناه « وفوق كل ذي علم » بمن رفعه الله « علم » قد رفعه بالعلم من وجه آخر ، فهو أعلم بذلك الامر الآخر .

وفي ذلك دلالة على أنه تعالى عالم لنفسه ، لأنه لو كان عالم بعلم ، لكان فوقه علم ، وذلك باطل . والضمير في قوله تعالى « استخرجها » عائدة الى السقاية . وقال الزجاج هي عائدة الى الصواع وانه يذكر ويؤنث ، ومن قرأ درجات من نشاء ، على الاضافة ، فالمعنى نرفع منازل من نشاء رفع منازل ومرتبه في الدنيا بالعلم على غيره ، كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك على مراتب اخوته . ومن قرأ بتنوين « درجات » فالمعنى نرفع من نشاء درجات ومرتبات كما رفعنا ليوسف ، ف « من » منصوبة على هذه القراءة ، وعلى القراءة الاولى مخفوضة .

قوله تعالى :

(قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) (٧٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن اخوة يوسف انه لما استخرج الصواع من رحل أخيه ، قالوا إن كان هذا سرق ، فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف ، واختلفوا فيما نسبوه اليه من السرقة من قبل ، قال سعيد بن جبير ، وقتادة ، وابن جريج انه كان سرق صنماً كان لجدته أبي امه ، فكسره والقاه على الطريق ، فقال ابن اسحاق : إن جدته خبأته في ثيابه منطقة اسحاق لتملكه بالسرقة محبة لمقامه عندها . وقال قوم انه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين . وقوله « فاسرها

يوسف في نفسه ، يعني أخفى هذه الكلمة في نفسه ، « ولم يبدها لهم » أي لم يظهرها لهم .

واختلفوا فيما اسر في نفسه ، فقال ابن عباس والحسن وقتادة : اسر قوله « انتم شر مكانا » أي ممن قلمت له هذا « والله أعلم بما تصفون » انه كذب . وقال قوم : أسرها باضمار الكلمة للدلالة عليها قال حاتم طي :

اماوي ما يعني الثراء عن الفقى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(١)
وانما قال إن مكانكم شراً لما ظهر من الأمر الذي يقتضي هذا الوصف . والصفة والوصف مصدران بمعنى واحد مثل وعد وعدة ، ووجه وجهة . وقال الحسن لم يكن اخوة يوسف يومئذ انبياء ، وإنما اعطوا النبوة فيما بعد ، وعندنا إنهم لم يكونوا أنبياء في وقت ، لا في الحال ، ولا فيما بعد ، لان ما فعلوه بيوسف من الافعال القبيحة ينافي النبوة لأن النبي لا يقع - عندنا - منه قبيح أصلاً ، لا صغير ولا كبير .

وقال البلخي : كذبوا في قولهم «سرق أخ له من قبل» والله اعلم بما يعنون في ذلك وانه كذب ، وقال لم يصح عندنا ان اخوة يوسف كانوا انبياء وجوز ان يكون الاسباط غيرهم او كانوا من اولادهم .

قوله تعالى :

(قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ
إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (٧٨) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن أخوة يوسف انه لما أخذ يوسف أخاه منهم مظهراً لاسترقاقه قالوا له ، وهم لا يعرفونه « يا ايها العزيز » والعزير الممتنع

(١) مر هذا البيت في ٥ : ٦٣

بقدرته من ان يضام . والعزّ منع الضيم بسعة المقدور والسلطان «ان له أبا شيخاً كبيراً» يعنون يعقوب أبا اخيهم اي انه كبير السن ، ويجوز ان يريدوا : كبير القدر «فخذ احداً مكانه» اي خذ واحداً منا عبداً بدله - في قول الحسن وغيره - «إنا نراك من المحسنين» اليانا في الكيل ورد بضاعتنا . وقد أملنا ذلك منك .

قوله تعالى :

(قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ) (٧٩) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به يوسف أخوته حين قالوا له خذ واحداً منا بدله ، لأنه قال لهم « معاذ الله » أي اعتصاماً بالله أن يكون هذا . والاعتصام امتناع الهارب من الامر بغيره ، ولذلك يقال اعتصم بالجبل من عدوه . واعتصم بالله من شر عدوه ، فانا لا نأخذ « إلا من وجدنا متاعنا » يعني الصواع « عنده . إنا اذا لظالمون» ومعناه إنا لو أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لكننا ظالمين ، واضعين للشيء في غير موضعه . والعرب تقول معاذ الله ، ومعاذه الله وعوده الله وعباده الله . وتقول : اللهم عانداً بك اي اني أعوذ عانداً بك ، فكأنه قال استجير بالله من أن آخذ بريئاً بسقيم .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى

وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن اخوة يوسف حين آيسوا من تسليم أخيهم اليهم ، فاليأس ضد الطمع ، يقال : يئس يأساً واستيأس استيئاماً ، فهو يائس ، ومستئس ، وآيس يأس مثله .

وقوله « خلصوا نجياً » أي انفردوا من غير أن يكون معهم غيرهم بمن ليس منهم ، وهذا من عجيب فصاحة القرآن الخارقة للعادة لأن بقوله « خلصوا » دل على ما قلناه من معنى الكلام الطويل .

واصل الخلوص حصول الشيء من غير شائب فيه من غيره ، كخلوص الذهب من الشائب ، وسمي الخلوص لذلك ، وقوله « نجياً » مصدر يدل بلفظه على القليل والكثير ، والواحد والجمع . والنجوى مثله ، ولذلك قال تعالى في الواحد « وقربناه نجياً »^(١) وفي الجمع « خلصوا نجياً » قال الشاعر :

إني اذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الارشيه
هناك أوصيني ولا توصي به^(٢)

والمناجاة رفع المعنى من كل واحد الى صاحبه على وجه خفي . واصل النجوى الارتفاع من الارض . والمناجاة المسارة ونجى جمعه أنجية ، وهم يتناجون . « قال كبيرهم » يعني اكبرهم ، وقال قتادة وابن اسحاق : هوروبيل ، فانه كان اكبرهم سناً . وقال مجاهد : هو شمعون ، وكان اكبرهم عقلاً وعلماً دون السن . والأول أليق بالكلام والظاهر : « ألم تعلموا أن أباًكم قد اخذ عليكم موثقاً من الله » يعني أما علمتم أن أباًكم قد حلفكم واقسمتم له بالله في حفظ أخيكم ، وقبل هذا ما فرطتم في يوسف أي قصرتم في حفظه . واصل التفريط التقديم من قوله ﷺ (انا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم . والموثق والايثاق : العهد الوثيق . و (ما) في قوله

(١) سورة مريم آية ٥٢

(٢) مر هذا الشعر في ١ : ٢١٨ وهو في تفسير القرطبي ٩ : ٢٤١

« ما فرطتم ، يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب :

احدها - ان تكون منصوبة بـ (تعلموا) ، كأنه قال ألم تعلموا تقريرتكم في يوسف .

الثاني - رفع بالابتداء والخبر (من قبل) .

الثالث - ان تكون صلة لا موضع لها من الاعراب ، لأنها لم تقع موقع اسم معرب .

وقوله « فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي » لست أقوم من موضعي الا أن « يأذن لي ابي او يحكم الله » اي الى ان يحكم الله . وقيل معناه بمجازاة أو غيرهما مما أردت به أخي ابن يامين على ابيه ، وكانوا تناجوا بمحاربتة فلم يتفقوا على ذلك خوفاً من غم أبيهم بأن يقتل بعضهم في الحرب وقوله « وهو خير الحاكمين » اخبار من هذا القائل بأنه تعالى خير الحاكمين والفاصلين ، واعتراف منه برد الامر الى الله تعالى .

قوله تعالى :

(إرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَاقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) (٨١) آية بلا خلاف .

وهذا اخبار من الله تعالى بما قال احدهم المتخلف عنهم بمسر ، فانه قال لاخوته الباقيين ارجعوا الى ابيكم . ويحتمل ان يكون حكاية عما قال اخوة يوسف بعضهم لبعض ، فانهم قالوا ارجعوا الى ابيكم .

وقوله « يا ابانا ان ابنك سرق » يعنون ابن يامين ، على ما ظهر لنا من الامر ولا نشهد الا بما علمنا من الظاهر ، فأما الغيب والباطن فلا نعلمه ولا نحفظه . وقيل ما شهدنا إلا بما علمنا في قولنا لهم إن من يسرق يستعبد ، لأن ذلك متقرر عندنا في شرعنا - ذكره ابن زيد - والشهادة خبر عن مشاهدة أو اقرار او حال .

ويجوز أن يشهد الانسان بما علمه من جهة الدليل كشهادتنا بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال الرماني : علم الغيب هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده . والعالم بهذا المعنى هو الله وحده تعالى .

وقيل في معنى قوله « وما كنا للغيب حافظين » قولان :

احدهما - ما كنا نشعر ان ابنك سيسرق ، في قول الحسن ومجاهد وقتادة .
والثاني - انا لا ندري باطن الامر في السرقة ، وهو الاقوى . وروي عن ابن عباس وقراءة الكسائي في رواية قتيبة عنه « سرق » بتشديد الراء على ما لم يسم فاعله ، ومعناه انه قذف بالسرقة ، واختار الجبائي هذه القراءة . قال لأنها ابعد من ان يكونوا اخبروا بما لم يعلموا .

قوله تعالى :

(وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (٨٢) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما قال اخوة يوسف ليعقوب ابيهم حين رجعوا اليه وحكوا له ما جرى ، فقالوا له سل أهل القرية التي كنا فيها ، وأهل العير التي اقبلنا فيها عما أخبرناك به « وانا لصادقون » فيما أخبرناك به ، وحذف المضاف الذي هو الاصل ، واقام المضاف اليه - من القرية والعير - مقامه اختصاراً لدلالة الكلام عليه . والمراد بالقرية - هنا - مصر ، في قول ابن عباس والحسن وقتادة . وكل أرض جامعة لمساكن كثيرة بمحدود فاصلة تسمى - في اللغة - قرية ، وأصلها من قرية الماء اي جمعه ، والقرية والبلدة والمدينة نظائر في اللغة . وانما ارادوا بذلك أن من سألت من اهلها أخبروك بما ظهر في هذه القصة . وانا ما كذبتك .

قوله تعالى

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (٨٣) آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال يعقوب لبنيه حين قالوا له ما تقدم ذكره، فإنه قال « بل سولت لكم انفسكم » وقال قتادة معناه بل زينت . وقال غيره : معناه سهلت . والتسويل حديث النفس بما تطمع فيه ، ومنه السؤال ، والمنى ، ويقال اعطاك الله سؤالك ، فكانه قال هذا من تقدير النفس فيما تطمع ان يكون . ثم اخبر يعقوب ، فقال « صبر جميل » اي شأني او أمري صبر جميل ، فعلى هذا يكون واقع بأنه خبر الابتداء . ويجوز ان يكون ابتداء ، وخبره محذوف ، وتقديره فصبر جميل امثل من غيره ، والصبر حبس النفس عما تنازع اليه مما لا يجوز . والصابر على هذا الوجه من صفات المدح ، والجميل معناه - ههنا - ما يتقبله العقل ، وقد يسمى ما يتقبله الطبع بأنه جميل .

وقوله « عسى الله ان يأتيني بهم جميعاً » يعني روبيل وابن يامين ويوسف « انه هو العليم الحكيم » معناه - ههنا - انه عليم بحسرتي على فقد اولادي وصدق ما يقولونه من كذبه ، انه الحكيم في تدبيره بخلقه ، عسى ان يأتيني بهم اجمع .

قوله تعالى :

(وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) (٨٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن يعقوب أنه تولى عنهم بعد ان قال لهم ما تقدم ذكره بمعنى أعرض بوجهه عنهم ، والتولي والاعراض بمعنى واحد « وقال يا أسفى على يوسف »

اي يا حسرتاه، في قول الحسن وقتادة والضحاك . وانما نادى بالاسف على وجه البيان، لان الحال حال حزن كأنه قال : يا اسف احضر ، فانه من احيانك واوقاتك ، ومثله (واحزنناه) . والاسف الحزن على ما فات . وقيل : هو أشد الحزن يقال : أسف يأسف أسفاً وتأسف تأسفاً ، وهو متأسف .

وقوله « ابيضت عيناه » فالإبيضاض انقلاب الشيء الى حال البياض . والمعنى انه عمي فلم يبصر شيئاً . والعين حاسة الادراك للمرئيات . والحزن الغم الشديد ، وهو من الحزن ، وهي الارض الغليظة ، والكظيم هو المسك للحزن في قلبه لا يبيته بما لا يجوز الى غيره ، ومنه قوله « والكاذمين الغيظ »^(١) اي لا يتسرع بموجبه الى غيره . وقيل كظيم على الحزن لم يقل يا اسفاه - في قول مجاهد والضحاك ، والحسن - وقيل كظيم بالغيظ على نفسه ، لم ارسله مع إخوته - في قول السدي والجبائي .

قوله تعالى :

(قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَوُ تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) (٨٥) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما قال بنو يعقوب لأبيهم حين رأوه حزينا « تالله تفتؤ تذكرو »
معناه لا تزال تذكر ، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ، يقال فتؤ
يفتؤ فتؤا وفتؤاء ، وقال اوس بن حجر :

فما فتئت خيل ثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع^(٢)

اي فما زالت ، وحذفت (لا) من فتؤا ، لانه جواب القسم بمعنى نفى

(١) سورة آل عمران آية ١٣٤ .

(٢) ديوانه ٥٨ ومجاز القرآن ١ / ٣١٦ وتفسير القرطبي ٩ / ٢٥٠ .

المستقبل، لانه لو كان اثباتاً لم يكن بد من اللام والنون، فجاز لما فيه من الايجاز من غير إلتباس، كما قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله ابرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي^(١)
والحرض ذو المرض والبلى - في قول ابن عباس ومجاهد - وقال الحسن
وقتادة: معناه حتى تكون ذا الهرم او تكون من الميتين. واصل الحرض فساد
الفعل والجسم للحزن والحب، قال العرجي:

اني امرؤ ليج بي حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم^(٢)
ورجل محرض اذا كان مريضاً قال امرؤ القيس:

ارى المرء ذا الأذواد يصبح محرضاً كماحراض بكر في الديار مريض^(٣)
ولا يثنى حرض ولا يجمع لانه مصدر، يقال: حرضه على فلان اي أفسده
عليه بما يغريه، وإنما قالوا هذا القول إشفاقاً عليه وكفناً له عن البكاء اي لا تزال
تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك الى مرض لا تنتفع بنفسك
معه، لانه كان قد أشفى على زهاب بصره وفساد جسمه، او تموت بالغم.

والهلاك زهاب الشيء بحيث لا يدري الطالب له اين هو، فالليت هالك لهذا
المعنى.

قوله تعالى:

(قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٨٦) آية بلا خلاف.

(١) ديوانه ١٦١ وقد مر في ٢/٢٢٧، ٣/٢١٦.

(٢) مجاز القرآن ١/٣١٦ وتفسير القرطبي ٩/٢٥١ وتفسير الطبري (الطبعة الاولى)
٢٥/١٣.

(٣) ديوانه ١٢٩ وتفسير القرطبي ٩/٢٥١ والطبري ١٣/٢٥.

هذا حكاية ما أجاب به يعقوب بنديه لما قالوا له ما تقدم ذكره، أي انما أشكو، والشكوى صفة ما يجده من البلوى، وانما وصف (ع) ذلك لله طلباً للفرج من جهته، والبث تفريق الهمّ باظهاره عن القلب، يقال: بثه ما في نفسه بثاً وأبثه إثباتاً، وبث الخيل على العدو: إذا فرقها عليه. وقال ابن عباس معنى (بيثي) همي.

وقوله «واعلم من الله ما لا تعلمون» قيل في معناه قولان:

احدهما - قال ابن عباس: اعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني ساجد له.

والثاني - قال قتادة: أعلم من احسان الله (عزّ وجل) الي ما يوجب حسن ظني به، وانما جاز على يعقوب وهو نبي، ان يبكي حتى تبيض عيناه من الحزن، لان عظم المصيبة يهجم على النفس حتى لا يملك معه القرار بالصبر حتى يرتفع الحزن، مع انه على ولد لا كالأولاد، في جماله، وعقله، وعفافه، وعلمه، وأخلاقه، وبره، من غير تأس يوجب السلوة، ولا رجاء يقرب الحال الجامعة، ومع هذا فلم يكن منه الا ما يوجب الاجر العظيم والثواب الجزيل الكريم، والبكاء ليس بمنوع منه في الشرع، وانما الممنوع اللطم، والحدش، والجز، وتخريق الثياب، والقول الذي لا يسوغ، وكل ذلك لم يكن منه (ع) وانما جاز أن يخفى خبر يوسف على يعقوب مع قرب المسافة بينهما، لأن يوسف كان بمصر ويعقوب بأرض الجزيرة من أرض حران، ولم يعرف يوسف أباه مكانه ليزول همه، لانه في تلك المدة كان بين شغل وحجر على ما توجهه سياسة الملك، وبين حبس في السجن، لانه مكث فيه سبع سنين لما محن به من امرأة العزيز، فلما تمكن من التدبير تلتطف في ذلك لئلا يكون من أخوته حال تكرهه في ايصال خبره الى أبيه لشدة ما ينالهم من التهجين في أمره إذا وقف على خبره.

وانما جاز ان يستخرج الصواع من رحل أخيه مع ايجاب التهمة في ذلك عند الناس، وغمّ أبيه وأخيه خاصة وسائر اخوته عامة لوجوه:

احدهما - انه كان ذلك بمواطأة أخيه على ذلك بما يسر في باطنه.

ومنها انه ليس لاحد اتهامه بالسرقه مع امكان جعله في رحله بما لا صنع له فيه .
ومنها انعام ابيه بالأمر اليسير ليزيل عنه الغم العظيم ، وتأتيه البشرى بسلامتها على أجل حال يتمنى لهما ، وذلك يحسن ولا يقبح .

قوله تعالى :

(يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)
(٨٧) آية بلا خلاف .

هذا إخبار عما قال يعقوب لبنيه بعد ان قال ما تقدم ذكره « يا بني اذهبوا فتحسسوا ، والتحسس طلب الشيء بالحاسة فاما طلبه بالدعاء الى فعله ، فلا يسمى تحسسا ، والتحسس والتجسس بالحاء والجيم بمعنى واحد .

« ولا تياسوا من روح الله » اي لا تقطعوا رجاءكم منه . والروح والفرج نظائر ، وهو رفع ترح بلذة ، مأخوذ من الريح التي تأتي بما فيه اللذة .

وقوله « انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون » اخبار منه بأن الذي يانس من رحمة الله الكافرون ، وذلك يدل على ان الفاسق الملسي لا يياس منه ، بخلاف ما يقوله اهل الوعيد ، وقد أجاب عن ذلك اهل الوعيد بجوابين :

احدهما - ان ذلك على وجه التغليب ، فيدخل فيه الفاسق في الجملة .

والثاني - أنه لا يياس في حال التكليف إلا الكافر الذي لا يعرف الله تعالى ، فاما من يعرف الله فانه لا يياس منه ، لانه يسوّف التوبة .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ

وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) آية بلا خلاف.

اخبر الله تعالى ان اخوة يوسف لما قال لهم يعقوب « اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه » رجعوا الى يوسف ودخلوا عليه ، وقالوا له « يا ايها العزيز » لانهم كانوا يسمون الملك العزيز . والعزير في اللغة هو الواسع المقدور الذي لا يهتضم المنيع بسعة مقدوره « مسنا وأهلنا الضر » أي اصابنا الضر ، والمس ملابسة ما يحس ، ولما كان الضر بمنزلة الملامس لهم ، وهو مما يحس ، عبر عنه بأنه مسه . والاهل : خاصة الشيء الذي ينسب اليه ، ومنه قوله « ان ابني من أهلي »^(١) وتسمى زوجة الرجل بأنها أهله وكذلك اهل البلد واهل الدار ، وهم خاصته الذين ينسبون اليه .

وقوله « وجئنا ببضاعة مزجاة » قيل في معنى المزجاة ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير : إنها ردية لا تؤخذ الا بوكس . وقال الحسن ومجاهد وابراهيم وقتادة وابن زيد : إنها قليلة . وقال الضحاك : هي كاسدة غير نافعة . وروي انه كان معهم متاع البادية من الصوف والشعر والسمن والحبال البالية وغير ذلك . وأصلها القلة قال الاعشى :

الواهب المئة الهجان وعيدها عوداً يزجبي خلفها اطفالها^(٢)

اي يسوقهم قليلاً قليلاً ، وقال النابغة :

وهبت الريح من تلقاء ذت أرل تزجي مع الليل من صرّ ادهاصر ما^(٣)

يعنى تسوق ، وتدفع ، وقال آخر :

(١) سورة هود آية ٤٥

(٢) ديوانه ١٥٢ (دار بيروت) وتفسير الطبري ١٣ : ٢٩

(٣) ديوانه ١٠٢ واللسان (صرم) . وجمع البيان ٣ : ٢٥٩

وحاجة غير مزجاة من الحاج^(١)

وقيل الاصل الدفع بالسوق فهي مدفعه لا تنفق .

وقوله « فارف لنا الكيل » اي لا تنقصنا من كيلنا لنقصان بضاعتنا ،
وتصدق علينا . وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال سعيد بن جبير : سألوا التفضل بترك النقصان من السعر ، لان
الصدقة ما كانت تحل لهم . وقال سفيان بن عيينة . إنهم سألوا الصدقة وهم أنبياء
وكانت حلالا لهم ، وكان مجاهد يكره ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق
علي ، لان الصدقة بمن يتبغي الثواب . والصدقة العطية للفقراء ابتغاء الاجر ،
ولهذا يطلق ، فيقال : « إن الله يجزي المتصدقين » و « لا يضيع أجر المحسنين »^(٢)
من العباد ، والمعنى انه يثيبهم على ذلك .

قوله تعالى :

(قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ)

(٨٩) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به يوسف لإخوته حين سألوه التصديق عليهم وايفاء كيلهم ،
فرق لهم ، وقال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وإخيه؟ ! على وجه التوبيخ لهم
والتذكير لهم بما فعلوه من إلقاءه في الجب بعد ان كانوا عزموا على قتله ثم بيعهم
إياه عبداً للتاجر الذي حمله الى مصر ، وفعلوا بأخيه ما عرضوه به للغم بأن
أفردوه عن أخيه لأبيه وامه مع جفائهم له حتى كان لاذلالهم إياه لا يمكنه ان
يكلم احداً منهم الا كلام الذليل للعزيز ، فعاملوه هذه المعاملة ، وسلكوا في
امره هذه الطريقة . ومعنى قوله « اذ انتم جاهلون » انكم فعلتم ذلك في حال

(١) اللسان (زجا) ومجاز القرآن ١ : ٣١٧

(٢) سورة التوبة آية ١٢١ وسورة هود آية ١١٦ وسورة يوسف آية ٩٠

كنتم فيها جاهلين جهالة الصبي لاجهالة المعاصي ، وذلك يقتضي انهم الآن على خلافه ، ولولا ذلك لقال وانتم جاهلون . وانما ونحو بحال قد أقلعوا عنها وتابوا منها على وجه التذكير وليتنبهوا على حال من يخاطبهم ويعرفوه بها ، لا ان تلك الحال ذكرت بطريق التقييح لها . وقال السدي وابن اسحاق إن يوسف لما قالوا له ما قالوا أدركته الرقة ، فدمعت عينه وباح لهم بما كان يكتبه من شأنه وشأنهم .

قوله تعالى :

(قَالُوا أَأَتَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي
 قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ) (٩٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وابو جعفر «انك» بهمزة واحدة على الخبر . الباقران بهمزتين ، وحققهما ابن عامر ، وأهل الكوفة ، وروح ، إلا ان الحلواني عن هشام فصل بينها بألف . الباقران يخففون الأولى ويلينون الثانية . وفصل بينها بألف نافع إلا ورشاً وابو عمرو . قال ابو علي : الاجود الاستفهام لقوله «قال انا يوسف» وهذا جواب الاستفهام ، ومن قرأ على الخبر أراد الاستفهام ، وحذف حرف الاستفهام كما حكى ابو الحسن في قوله «وتلك نعمة تمنها علي»^(١) ومعناه اي تلك نعمة ، وحذف حرف الاستفهام .

هذا حكاية ما قال اخوة يوسف له حين قال لهم «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه» فانهم قالوا حينئذ له «أئنك لانت يوسف» على وجه الاستفهام له ، فانهم تنبهوا واستيقظوا غير انهم لم يقطعوا به ، فاستفهموه .

(١) سورة القصص آية ٢٢ .

وقال الزجاج يجوز في «أثك» اربعة اوجه في العربية :

تحقيق الهمزتين ، وهو مذهب اهل الكوفة واهل الشام .

الثاني - ادخال الألف بين الهمزتين (آإنك) وهو مذهب هشام ابن عمار عن ابن عامر .

الثالث - تليين الثانية بان يجعل بين بين أينك، وهو مذهب أبي عمرو، وابن كثير ونافع .

الرابع - بهمزة واحدة على الخبر .

فقال يوسف مجيباً لهم « أنا يوسف وهذا أخى » يعني ابن يامين - من أبي وأمي «قد منّ الله علينا» أي انعم علينا بنعمة قطعنا عن حال الشدة يقال: منّ الله عليه بمنّاً ، واصله القطع من قوله « لهم اجر غير ممنون »^(١) أي غير مقطوع ، ومنه منّ عليه في الصنعة اذا ذكرها بما يجري مجري التعبير بها، لانه قاطع عن شكرها. والمنون الموت، لانه يقطع عن تصرف الاحياء. ثم أخبر يوسف فقال إنه من يتق الله باجتناّب معاصيه، وفعل طاعاته ويصبر على بليته ويتجرع مرارة المنع، لما يشتهي من الأمر « فان الله لا يضيع اجر المحسنين » اي لا يذهب بثوابهم . والاضاعة هو الاهلاك وهو إذهاب الشيء بحيث لا يدري الطالب له اين هو . والأجر ما يستحق على العمل الصالح من الثواب، ومنه الاجارة . وتقول: أجره الله يأجره أجراً ، والاحسان فعل حسن يستحق به الحمد .

وحكى ابن كثير انه قرأ « من يتقي » بالياء في الوصل . والوجه فيه ان يجعل (من) بمعنى (الذي) فيكون (يتقي) في موضع رفع، ويكون قوله « ويصبر » حذف الحركة استخفافاً ، او جملة على الموضع ، كما قال « فاصدق واكن من »^(٢) ولا يجوز ان يكون مثل قول الشاعر :

(١) سورة حم السجدة آية ٨ وسورة الانشاق آية ٢٥ وسورة التين آية ٦ .

(٢) سورة المنافقون آية ١٠ .

ألم يأتيك ، والابناء تنمي^(١)

لان ذلك يجوز في الشعر ، والاجود قول من قرأ بحذف الياء .

قوله تعالى :

(قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) (٩١)

آية بلا خلاف .

هذا حكاية عما قال إخوة يوسف حين سمعوا اعتراف يوسف بأنه يوسف ، وان أخاهم الذي احتبسه أخوه ، وان الله من عليهم بذالك ، فقالوا له عند ذلك «تالله» على وجه القسم «لقد آثرك الله علينا» اي فضلك الله علينا . والايثار إرادة التفضيل ، لاحد الشئين على الآخر ومثله الاختيار ، ويقال : آثرت له ، وآثرت عليه ضده . وأصل الايثار الأثر الجميل ، فيما يؤثر على غيره بمنزلة ما له أثر جميل والآثار الاخبار ، لانها إخبار عن أثر ما تقدم في أمر الدين والدنيا . وقوله «وان كنا لخاطئين» اعتراف منهم بأنهم كانوا خاطئين . وقال قوم : إنهم كانوا صبيانا وقت ما فعلوا بأخيهم ما فعلوا وسموا أنفسهم «خاطئين» اي ابتداء فعلهم كان وهم صبيان . ثم بلغوا مقيمين على كتمان الأمر عن ابيهم موهمين له ما كانوا اخبروه به من شأنهم ، فالايهام معصية لا تبلغ تلك المنزلة . والخطيئة ازالة الشيء عن جهته الى ما لا يصلح فيه ، يقال خطيء بخطأ فهو خاطيء مثل أثم إنما فهو آثم . و (خطيء) اذا تعمد الخطأ و (أخطأ) إذا لم يتعمد الخطأ كمن رمى شيئا فأصاب غير ما أراد .

قوله تعالى :

(قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ

(١) قائلة قيس بن زهير العبسي . اللسان (اني) وعجزه :
بما لاقت لبون بني زياد

الرَّحِيمِينَ) (٩٢) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى عما قال يوسف لأخوته حين اعترفوا بأن الله فضله عليهم، وانهم خطئوا فيما فعلوه، بأن قال «لا تثريب عليكم اليوم» ومعناه لا بأس عليكم بما سلف له منكم، والتثريب تعليق الضرر بصاحبه من اجل جرم كان منه . وقال سفيان : معنى لا تثريب لا تعيير . وقيل : معناه لا تخليط بعائده مكروه . وقيل : معناه لا تثريب مكروه بتوبيخ ، ولا غيره .

وقوله « يغفر الله لكم » معناه يستر الله عليكم خطيئاتكم ولا يعاقبكم عليها ، وهو ارحم الراحمين ، فالرحمة النعمة على المحتاج ، ومن الرحمة ما هو واجب وفيها ما ليس بواجب ، فالواجبة ما لا يجوز الاحلال بها ، وان كان سببها تفضلاً ، كالثواب الذي سببه التكليف ، وهو تفضل .

وقيل : في معنى قوله « يغفر الله لكم » قولان :

احدهما - انه دعا لهم بالمغفرة ، ويكون الوقف عند قوله «لا تثريب عليكم اليوم» ثم ابتداء ، فقال « يغفر الله » وقد وقف بعضهم عند قوله «عليكم» والأول أجود .

الثاني - لما كان ظلمهم له معلقاً باحلاله أباهم منه حسن هذا القول ، لان الله هو الآخذ له بحقه إلا ان يصفح .

قوله تعالى :

(إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) (٩٣) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى بأن يوسف أعطى اخوته قميصه . وقال : احملوه إلى أبي يعقوب واطرحوه على وجهه ، فبانه يرجع بصيراً ، ويحول عنه العمى

وذلك معجز دال على نبوته ، لانه - على قول المفسرين كالحسن والسدي وغيرهما - كان قد عمي ، ولولا ان الله أعلمه انه يرجع اليه بصره لما أرسله اليه ، وإنما حمل اليه القميص ، لان الله تعالى كان جعله علامة له إذا شممه شم منه رائحة يوسف ، وبشارة له قبل لقائه .

وقوله « وأتوني بأهلكم اجمعين » ، معناه احموا أهاليكم أجمع الى عندي وجيؤني بهم .

قوله تعالى :

(وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا
أَنْ تُفَنِّدُونِ) (٩٤) آية بلا خلاف.

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه حين انصرفت العير من عند يوسف . قال : لهم أبوهم يعقوب اني لأجد ريح يوسف اي اني احس برائحته . وقال ابن عباس جاءت الريح برائحة يوسف من ثمانين ليال . وقال الحسن من مسيرة شهر . وقيل إنه كان بينهم ثمانين فرسخاً ، لأن يعقوب كان بوادي كنعان من ارض فلسطين . وقيل إنه كان بأرض الجزيرة ، ويوسف بمصر .

والفصل القطع بجاز بين الشين . ونقيضه الوصل ، ومثله الفرق . والعير قافلة الحمير ، وان كان فيها الجمال ، وكل جماعة خرجت من بلد الى بلد ، فهم قافلة .

وقوله « لولا ان تفندون » قال ابن عباس : معناه لولا ان تسفون . وقال الحسن ومجاهد : لولا ان تهرمون . وقال ابن اسحاق : معناه تضعفون . وقال الضحاك معناه تكذبون .

وانما قال يعقوب هذا القول لمن حضره من أهله وقرابته دون ولده ، لانهم

كانوا غيباً عنه لم يصلوا إليه . والتفنيد في اللغة هو تضييف الرأي يقال فنده
تفنيداً إذا نسهب إلى ضعف الرأي ، قال الشاعر :

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من امر بمرود^(١)

وفنده الدهر اي أفسده ، وقال ابن مقبل :

دع الدهر يفعل ما يشاء فانه اذا كلف الانسان بالدهر افندا^(٢)

وروي (إذا كلف الافناد بالناس فندا).

قوله تعالى :

(قَالُوا تَاللّٰهِ اِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيْمِ) (٩٥) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما اجاب به من خاطبه يعقوب من اهله «اني لاجد ريبح يوسف»
فانهم قالوا له « تالله انك لفي ضلالك القديم » والضلال هو الذهاب عن جهة
الصواب فيه ، وانما قالوا لنبي الله « انك لفي ضلالك القديم » لانهم قالوا كلمة
غليظة لم يجوز أن يقولوها لنبي الله ، فحق الأمر فيها أنهم قالوها اشفاقاً عليه من
شدة محبته ليوسف - في قول قتادة - وقال الحسن كان عندهم ان يوسف مات ،
فكان في لهوجه في تذكره ذاهباً عن الصواب في امره ، والقديم في اللغة هو كل شيء
متقدم الوجود ، وفي عرف المتكلمين عبارة عن الموجود لم يزل ، وانما جعلوا
الضلال قديماً على وجه المبالغة في الصفة ومثله «كالرجون القديم»^(٣) ويقال بناء
قديم ، ولا يجوز قياساً على ذلك ان يقال: هذا جسم قديم ، لما فيه من الابهام .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا اَنْ جَاءَ الْبَشِيْرُ اَلْقَاهُ عَلٰى وَّجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيْرًا قَالَ اَلَمْ

(١) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٣ : ٣٤ ومجاز القرآن ١ : ٣١٨

(٢) تفسير القرطبي ٩ : ٢٦١ والطبري ١٣ : ٣٤

(٣) سورة يس آية ٣٩

أَقْلُ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى إنه لما جاء المبشر بيوسف الى يعقوب ألقى القميص على وجهه فرجع بصيراً . والبشير الذي يأتي بالبشارة العظيمة . وجاء على لفظ (فعل) لما فيه من المبالغة يقال بشره تبشيراً ، ومعنى أبشرته : قلت له : استبشر ، كقوله « وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون »^(١) وقال الحسن ، ومجاهد ، والضحاك : كان البشير يهود بن يعقوب ، والإلقاء إيقاع الشيء على الشيء ، ويكون بمعنى إيجاد الشيء .

وقوله « فارتد بصيراً » فالارتداد انقلاب الشيء الى حال ، قد كان عليها ، وهو الرجوع بمعنى واحد . والبصير من كان على صفة يجب لاجلها ان يبصر المبصرات إذا وجدت ، و (ان) بعد قوله « فلما » زائدة للتوكيد ، كما قال « ولما ان جاءت رسلنا »^(٢) ولا موضع لها من الاعراب وهي تزداد مع (لما) و (حتى) على وجه الصلة تأكيداً ، تقول : قد كان ذلك حتى كان كذا وكذا ، وحتى ان كان كذا .

وقوله « اني اعلم من الله ما لا تعلمون » .. قيل في معناه قولان :

احدهما - اني اعلم من صحة رؤيا يوسف ، وإن تأويلها سيكون على ما رأى « ما لا تعلمون » من تأويل الرؤيا .

والثاني - « اني اعلم » من بلوى الانبياء بالشدائد والمحن التي يصيرون منها الى وقت الفرج « ما لا تعلمون » . ذكره الجبائي .

قوله تعالى :

(قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) (٩٧)

آية بلا خلاف .

(٢) سورة العنكبوت آية ٣٣ .

(١) سورة حم السجدة آية ٣٠ .

في الكلام حذف، لان تقديره إن اخوة يوسف وصلوا إلى أبيهم بعد ان جاء البشير وألقوا قميصه على وجهه ورد الله بصره عليه ، فلما رأوه قالوا له «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا» أي سل الله تعالى ان يستر علينا ذنوبنا ، ولا يعاقبنا عليها ، فأنا «كنّا خاطئين» فيما فعلناه بيوسف .

ومتى قيل: كيف سألوه الاستغفار مع انهم كانوا تابوا والتوبة تسقط العقاب ؟

قلنا أما على مذهبنا فلان التوبة لا تسقط العقاب وجوباً ، وإنما يسقطه الله تعالى عندها تفضلاً . وأما على مذهب مخالفنا ، فانهم سألوه ذلك ، لأجل المظلمة المتعلقة بصفح المظلوم ، وسؤال صاحبه ان لا يأخذ بظلمه ، لا بد انه توبة خاصة منه ووجه آخر ، وهو ان يبلغه منزلة بدعائه يصير بمنزلة عالية لمكان سؤاله .

قوله تعالى :

(قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٩٨)

آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به يعقوب حين قالوا له «استغفر لنا ذنوبنا» فانه قال في جواب ذلك سوف استغفر لكم ربي ، والمعنى إني أفعل ذلك في المستقبل ، ولم يستغفر لهم في الحال .

وروي عن ابي جعفر (ع) انه قال : أخرهم الى ليلة الجمعة .

وقال ابن مسعود و ابراهيم التيمي ، وابن جريج وعمرو بن قيس : انه اخرهم الى السحر ، لانه اقرب الى اجابة الدعاء . وقال الجبائي : وجه ذلك أنهم سألوه ان يستغفر لهم دائماً في دعائه ، فوعدهم بذلك في المستقبل .

وقوله « انه هو الغفور الرحيم » اخبار من يعقوب واعتراف منه بأن الله هو الذي يستر على عباده معاصيهم ، ويعفو لهم عن عقابها رحمة منه بعباده ورأفة منه بخلقه .

قوله تعالى :

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (٩٩) آية بلا خلاف .

في الكلام حذف ، لان تقديره ان يعقوب وبنيه واهلهم رحلوا الى يوسف ، فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه . « آوى اليه أبويه » يعنى أباه يعقوب وأمه ، فثني على لفظ الاب تغليبا للذكر على الانثى ؛ ولم يثن على لفظ الأم ، كما غلب المفرد على المضاف في قولهم : سنة العمرين . ومثله قوله « وورثه ابواه »^(١) يعنى أباه وامه .

قال الحسن وابن اسحاق والجبائي : كانت امه بحق ، وقال السدي كانت امه ماتت وتزوج يعقوب اختها ، وهي خالة يوسف ، فاقامها مقام الأم ، والاول حقيقة والثاني مجاز . والابواء ضم القريب بالحببة لصاحبه كضم المأوى يجمع شمله ، وانما قال لهم « ادخلوا مصر » بعد دخولهم عليه ، لاميرين : احدهما قال السدي وفرقد السحي : ان يوسف خرج يستقبل يعقوب وخرج معه أهل البلد ، فلما رجع قال « ادخلوا مصر إن شاء الله آمين » . وقال آخرون أراد « ادخلوا مصر » مقيمين « ان شاء الله آمين » والمشينة هي الارادة ، والأمن سكون النفس الى الامر . والخوف انزعاج النفس من الأمر . والامن التام الأمن من كل جهة ، فاما الأمن من جهة دون جهة ، فهو أمن ناقص .

وفي الناس من قال : ان قوله « ان شاء الله » متعلق بقوله « سأستغفر لكم » ان شاء الله ، لانه كان قاطعاً على انهم يدخلون مصر آمين ، وليس يحتاج الى ذلك لانه مطابق لقوله « ولا تقولن شيءً إنى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله » .^(٢)

(١) سورة النساء آية ١١

(٢) سورة الكهف آية ٢٣

قوله تعالى :

(وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ
هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي
إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (١٠٠) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن يوسف انه حين حضر عنده أبواه وأخوته ، ورفع أبويه
على العرش ، ورفع النقل الى جهة العلو . ومثله الاعلاء والاصعاد ، وضده
الوضع ، والعرش السرير الرفيع . وأصله الرفع من قوله «خاوية على عروشها»^(١)
اي على ما ارتفع من أبنيتها ، وعرش الكرم إذا رفعه ، وعمل عريشاً إذا عمل
مجلساً رفيعاً . وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده : العرش السرير .
وقوله «وخرّوا له سجداً» معناه انخطوا على وجوههم والخرّ الانحطاط على
الوجه ، ومنه «خرّ من السماء فتخطفه الطير»^(٢) والسجود في الشرع خضوع بوضع
الوجه على الارض وأصله الذل ، كما قال الشاعر :

ترى الأكم فيها سجداً للحوافر^(٣)

وقيل في وجه سجودهم قولان :

قال قوم : إن الهاء في قوله «له» راجعة الى الله ، فكأنه قال فخرّوا لله سجداً
شكراً على ما أنعم به عليهم من الاجتماع .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩ والكهف ٤٣ والحج ٤٥

(٢) سورة الحج آية ٣١

(٣) مر هذا البيت في ١ : ١٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣١١ ، ٤ : ٢٢٣ ، ٣٨٣

الثاني انهم سجدوا الى جهة يوسف على وجه القربة الى الله ، كما يسجد الى الكعبة على وجه القربة الى الله .

وقيل انه كانت تحية الملوك السجود ، قال اعشى بني ثعلبة :

فلما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا^(١)

وقوله « يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل » حكاية ما قال يوسف لأبيه بأن هذا تفسير رؤياي من قبل وما تؤول اليه ، وهو ما ذكره في أول السورة « اني رأيت أحد عشر كوكباً ، يعني أخوته « والشمس والقمر » يعني أبويه سجدوا له ، كما رآه في المنام .

والرؤيا تصور ما يتوهم انه يرى لغمور النوم ، ومتى قيل إذا كانت رؤيا الانبياء لا تكون الاصادقة ، فهلا تسلي يعقوب بأن تأويل الرؤيا سيكون ؟ قلنا عنه جوابان :

احدهما - انه قيل : انه رآها وهو صبي فلذلك لم يثق بها .

والآخر - ان طول الغيبة مع شدة المحنة يوجب الحزن كما يوجب مع الثقة بالالتقاء في الآخرة .

« وقد احسن بي اذ أخرجني من السجن » بأن لطف وسهل الي الخروج منه « وجاء بكم من البدو » اي اتى بكم من أرض فلسطين ، لأن مسكن يعقوب وولده فيما ذكر كان هناك . والبدو : البرية العظيمة مأخوذ من بدا يبدا بدوا بدوا . ويقال : بدو ، وحضر .

وقوله « من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي » والنزع التحريش بين الاثنين ، وهو مس بسوء بغضب ، ومنه قوله « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله »^(٢)

وقوله « ان ربي لطيف لما يشاء » معنا لطيف التدبير ، واللطف ما يدعو إلى

(١) ديوانه ٨٣ (دار بيروت) وروايته (عمارا) .

(٢) سورة الاعراف آية ١٩٩ وحم السجدة آية ٣٦ .

فعل الواجب وبصرف عن القبيح . وقال الحسن : كان بين الرؤيا وتأويلها ثمانين سنة . وقال سلمان ، وعبدالله بن سداد : كانت أربعين سنة . وقال ابن اسحاق : ثمانين سنة .

وقوله « انه هو العليم الحكيم » معناه إنه تعالى عالم بأحوال الخلق ، وما يصلحهم وما يفسدهم « حكيم » في افعاله لا يضع الشيء الا في موضعه .
وقال بعضهم : غاب يوسف عن أبيه وله سبع عشرة سنة ، وبقي بعد الاجتماع معهم في الملك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات ، وله مئة وعشرون سنة .

قوله تعالى :

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَاطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَوَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (١٠١) آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما قال يوسف حين اجتمع مع أبويه وأخوته وأهل بيته ، وانه قال يا « رب آتيتني من الملك » وحذف حرف النداء للدلالة عليه . وعلى وجه الاعتراف بأنواع نعمة الله عليه ، وان من جملتها أنه اعطاه الملك والسياسة والتدبير بين الخلق ، وأنه مع ذلك علمه ، وفهمه أنواع العلوم ، ونصب له الدلالة على علوم كثيرة . وقد يقال : علمه تعليماً إذا بين له الدليل المفضي الى العلم . والاعلام هو إيجاب العلم بايجاده والتعريض له . والمعنى فهمتني تأويل الاحاديث التي تؤدي الى العلم بما احتاج إليه . والاحاديث الاخبار عن حوادث الزمان .

وقوله « فاطر السموات والارض » فالفطر الشق عن أمر باختراعه عند انشاقه ، ففطر السموات والارض : اخترعها بما هو كائن كالشق عما يظهر فيه . ومنه فطر الشجر بالورق . ونصبه يحتمل أمرين :

احدهما - أن يكون صفة لقوله «رب قد آتيتني من الملك»، لانه مضاف، كما يقال : يقول يا زيد ذي الجملة .

والثاني - ان يكون على النداء بتقدير يا فاطر .

وقوله « أنت وليي » أي ناصرني، والولي النصير بما يتولى من المعارضة، فاذا وصف تعالى بانه ولي المؤمن، فلانه ينصره بما يتولى من معونته وحياطنه . واذا وصف المؤمن بانه ولي الله، فلان الله ينصره بمعونته، فتجري الصفة على هذا المعنى .

وقوله « توفي مسلما » معناه اقبضني اليك إذا امتني وأنا مسلم اي اللفظ لي بما أموت معه على الاسلام « والحقني بالصالحين » من آباي اسحاق و ابراهيم اي اجعلني من جملتهم .

(من) في قوله «من الملك» وقوله «من تأويل الاحاديث» دخلنا للتبويض لأنه لم يؤت الله جميع الملك، ولا علمه جميع الاشياء، ويحتمل ان تكون دخلت لتبيين الصفة، كما قال « اجتنبوا الرجس من الاوثان »^(١)

قوله تعالى :

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَتَوْا بِأَمْرِهِمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) (١٠٢) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ انه قال له «ذلك» يعنى الذي أخبرناك به من أخبار ما يعظم شأنه، لأن الأنبياء هي الأخبار بما له شأن . ومنه قولهم : لهذا نبأ اي شأن عظيم . و (الغيب) ذهاب الشيء عن الحس، ومنه « عالم الغيب والشهادة »^(٢) اي عالم بما غاب عن الحواس، وبما حضرها « نوحيه اليك »

(١) سورة الحج آية ٣٠

(٢) سورة الانعام آية ٧٣، والتوبة آية ٩٤، ١٠٥ والرعد ١٠ والمؤمنون ٩٣ والم

السجدة ٦ والزمر ٤٦ والحشر ٢٢ والتغابن ١٨ .

اي نلقيه . والايحاء إنهاء المعنى الى النفس ، فقد أفهم الله تعالى نبيه ﷺ تلك المعاني بانزال الملك بها عليه .

وقوله « وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم ، اي لم تحضرهم حين عزموا على أمورهم . وإجماع الأمر هو اجتماع الرأي على الأمر بالعزم عليه . والمكر : قتل الحيل عن الأمر ، واصل المكر من قولهم : ساق ممكورة اي مفتولة . ومثله الخديعة ، وكان مكرهم بيوسف إلقاءهم إياه في غيابت الجب - في قول ابن عباس والحسن وقتادة - وقال الجبائي : كان مكرهم احتياهم في امر يوسف حين القوه في الجب . وإنما قال ذلك لنبيه ، لأنه لم يكن ممن قرأ الكتب ولاخالط أهلها وإنما اعلمه الله تعالى ذلك بوحى من جهته ليبدل بذلك على نبوته ، وانه صادق على الله تعالى

قوله تعالى :

(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (١٠٣) آية بلا

خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ على وجه التسلية بقلة من آمن به بأن الناس كثيرون ، وان حرصت على ان يكونوا مؤمنين فانهم قليلون . والاكثر القسم الآخر من الجملة ، ونقيضه الأقل . والناس جماعة الانسان ، وهو من ناس ينوس نوساً إذا تحرك يمينا وشمالاً ، من نفسه لا بمحرك . والحرص طلب الشيء في اصابته ، حرص عليه يحرص حرصاً ، فهو حريص على الدنيا إذا اشتد طبله لها والتقدير : وما اكثر الناس بمؤمنين ، ولو حرصت على هدايتهم .

قوله تعالى

(وَمَا تَسْتَلْهُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (١٠٤)

آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى وخطاب لنبيه ﷺ انك يا محمد لست تسألهم يعني أمته الذين بعث اليهم على ما يعرفهم به من اخبار الماضين اجراً، ولا جزاء في مقابلته . وليس ذلك إلا ذكر للعالمين . والسؤال قول القائل لمن هو فوقه (افعل) اذا كان سؤال طلب ودعاء ، وان كان سؤال استخبار ، فهو طلب الاخبار بادلته ، والاجر جزاء العمل بالخير يقال : آجره الله يأجره أجرأ إذا جازاه بالخير ، ويدعا به ، يقال : آجرك الله . والذكر حضور المعنى للنفس ، وهو ضد السهو . وقد يقال للقول الذي يحضر المعنى للنفس ذكر . و (العالم) جماعة الحيوان الكثيرة التي من شأنها ان تعلم ، لانه مأخوذ من العلم ، ومنه معنى التكثير ، وفي عرف المتكلمين عبارة عن الفلك وما حواه عن طريق التبع للحيوان الذي ينتفع به ، وهو مجعول لأجله . ومعنى الآية إنك لست تسألهم على ابلاغك إياهم ما اوحى الله به اليك ، ولا على ما تدعوهم اليه من الايمان اجراً ، فيكون تركهم لذلك إشفافاً من إعطاء الاجر ، بل هم يزهدون في الحق مع أمنهم من اعطاء الأجر ، وليس ما تؤديه اليهم من القرآن ، وجميع ما ينزله الله من الاحكام إلا ذكر للعالمين ، اي طريقى الى العلم بما أوجب الله عليهم ، فذكر الدليل طريقى الى العلم بالمدلول عليه . والفكر سبب مولده ، فالذكر سبب مؤد ، والفكر سبب مولد . ويحتمل ان يكون المراد ليس هذا القرآن الا شرفاً للعالمين لو قبلوه وعملوا بما فيه .

قوله تعالى :

(وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) (١٠٥) آية بلا خلاف .

معنى (كأين) كم . والاصل فيها (أي) فدخلت عليها الكاف للتفخيم بالابهام ، وتقديره كالعدد ، فهو أبهم من نفس العدد ، لما فيه من التكثير والتفخيم ، وغلبت على (كأين) (من) دون (كم) لان (كأين) أشد إبهاماً ، فاحتاجت الى (من) لتدل على ان ما يذكر بعدها تفسير لها .

اخبر الله تعالى ان في خلق السموات والارض آيات ، ودلالات كثيرة تدل على ان لها صناعاً صنعها ، ومدبراً دبرها ، وعلى صفاته ، وعلمه ، وحكمته ، وأنه لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء ، وهو ما فيها من تدبير الشمس والقمر والنجوم والجماد والحيوان ، وما بينها من الاشجار والنبات ، وغير ذلك من الأمور الظاهرة للحواس المدركة بالعيان . وقال الحسن : من الآيات اهلاك من اهلك من الأمم الماضية ، يعرضون عن الاستدلال بها عليه وعلى ما يدلهم عليه من توحيده وحكمته ، مع مشاهدتهم لها ومرورهم عليها .

قوله تعالى :

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (١٠٦) آية بلا

خلاف .

قيل في معنى هذه الآية قولان :

احدهما - قال الحسن : الآية في اهل الكتاب ، لان معهم إيماناً وشركاً .

وقال ابن عباس ، ومجاهد وقتادة : المعنى «وما يؤمن اكثرهم بالله» في اقراره بأن الله خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان ، وهذا هو الأولى ، لان التقدير ما يصدقون بعبادة الله إلا وهم يشركون الأوثان معه في العبادة .

وقال الرماني : الآية دالة على ان اليهودي معه إيمان بموسى ، وكفر بمحمد ، لانها دلت على انه قد جمع الكفر والايان ، وانه لا ينافي ان يؤمنوا بالله من وجه ويكفروا به من وجه آخر ، كما قال «افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فسا جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب» (١) .

(١) سورة البقرة آية ٨٥ .

وعلى مذهب من قال بالموافاة من المرجئة لا يصح ذلك ، لان الاحباط عنده باطل ، فمن آمن بالله لا بد ان يوافي به .

والجواب على مذهبه ان يقال تأويل الآية انه لا يؤمن أكثرهم بالله ويصدق رسله في الظاهر الا وهو مشرك في باطنه ، فتكون الآية في المنافقين خاصة - يعني هذه الآية - وقد ذكره البلخي ايضاً .

قوله تعالى :

(افأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة
بغتة وهم لا يشعرون) (١٠٧) آية بلا خلاف .

هذا خطاب لهؤلاء الكفار الذين ذكرهم بأنهم لا يؤمنون إلا وهم مشركون ، وتوبيخ لهم وتعنيف ، وان كان متوجهاً الى غيرهم ، فهم المعنون به ، يقول : افأمن هؤلاء الكفار ان تجيأهم غاشية من عذاب ، وهو ما يتغشاهم من عذابه . والغاشية ما يتجلل الشيء بانبساطها عليه ، يقال : غشيه يغشاه ، فهو غاش ، وهي غاشية أو : تجيأهم القيامة بغتة أي فجأة . والبغتة والفجأة والغفلة نظائر ، وهي مجيء الشيء من غير مقدمة . قال يزيد بن مقسم الثقفي :

ولكنهم باتوا ولم ادر بغتة وافظع شيء حين يفجؤك البغت^(١)

والساعة مقدار من الزمان معروف ، وسمي به القيامة لتعجيل أمرها ، كتعجيل الساعة .

وقوله « وهم لا يشعرون » معناه لا يعلمون بمجيئه ، فلذلك كان بغتة . والشعور إدراك الشيء بما يلطف ، كدقة الشعر يقال : شعر به يشعر شعوراً واشعره بالامر اشعاراً ، ومنه اشتقاق الشاعر لدقة فكره .

(١) مر هذا البيت في ٤ : ١٢٢ ، ٥٠٧ .

قوله تعالى :

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١٠٨) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للنبي ﷺ أمره الله تعالى ان يقول لهؤلاء الكفار « هذه سبيلي »
يعني دينه الذي دعا إليه من توحيد الله وعدله وتوجيه العبادة اليه والعمل بشرعه
« ادعو » الناس « الى » توحيد « الله » ، والى طاعته ، واتباع سبيله على معرفة مني
بذلك ، وحبجة معي اليه ، ومن تابعني على ذلك ، فهو يدعو الناس الى مثل ما
أدعو اليه من التوحيد وخلع الانداد والعمل بشرع الاسلام « وسبحان الله ، اي
تقريباً لله من ان يعبد معه إله غيره ، وان يضاف اليه ما لا يليق به ولست أنا من
المشركين الذين يشركون مع الله في عبادته سواء والسبيل هو الطريق ، وهو
يذكر ويؤنث قال الشاعر :

ولا تبعد فكل فتى اناس سيصبح سالكاً تلك السبيلاً^(١)

والدعاء طلب الفعل من الغير ، وسمي الاسلام سبيلاً ، لانه طريق الى الثواب
لمن عمل به . و (البصيرة) المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل في الدين والدنيا ،
يقال : فلان على بصيرة من أمره اي كأنه يبصره بعينه .

قوله تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ
الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (١٠٩)
آية واحدة بلا خلاف .

(١) مجمع البيان ٣ : ٢٦٨ ، ومجاز القرآن ١ : ٣١٩ .

قرأ أبو بكر «يوحى» بالياء وفتح الحاء . وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء . قال أبو علي الفارسي : وجه القراءة بالنون قوله «إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح»^(١) ومن قرأ بالياء ، فلقوله «واوحى إلى نوح»^(٢) وقوله «قل أوحى إلي»^(٣) فأما في «حم عسق كذلك يوحي إليك»^(٤) ، فلان الفعل مسند إلى اسم الله تعالى ، فارتفع الاسم بأنه فاعل يوحي ، ولو قرئ ، يوحي إليك ، وإلى الذين واسند الفعل إلى الجار والمجرور ، لكان جائزاً ، وكان يكون قوله «الله العزيز الحكيم» مبتدأ وخبراً ، والأول أحسن ، لان قوله «العزيز الحكيم» ان يكون صفة أحسن من ان يكون خبر المبتدأ .

معنى الآية الاخبار من الله أني ما أرسلت قبلك من الانبياء والمرسلين إلى عبادي إلا رجالاً يوحي إليهم بكتبي واحكامي ، «من اهل القرى» أي لم أرسل عليهم ملكاً ولا جنياً ، بل رجالاً أمثالك ، لقول جهال قريش ان الله لو شاء ان يرسل إلينا أحداً ، لأرسل إلينا ملكاً ، فبين ههنا انه لم يرسل فيما مضى إلا رجالاً ، مثل محمد ، من البشر ، «أفلم يسيروا في الارض» معناه أفليس قد ساروا في الارض وسمعوا اخبار من ارسله الله من الانبياء المبعوثين إلى خلقه مثل ابراهيم وموسى وعيسى ، فيعرفوا بذلك كيف كان عاقبة من كذب هؤلاء الرسل من قبلهم ، وما نزل بهم من العذاب لكفرهم . ثم أخبر ان دار الآخرة خير للذين اتقوا واجتنبوا معاصيه خير لهم من الدنيا ، أفلا يعقلون ان الامر على ما أخبرنا به ، وان ذلك خير من دار الدنيا التي فيها تنغيص وتكدير ، وفنون الآلام .

وقال قتادة معنى «من أهل القرى» يريد به الامصار دون البوادي ، لانهم اعلم وأحكم . وقال الحسن ما بعث الله نبياً من اهل البادية قط ، ولا من الجن ولا من النساء .

وقوله «ولدار الآخرة» على الاضافة وفي موضع آخر وللدار الآخرة على الصفة . فمن اضافه قال تقديره ودار الحال الآخرة ، لان للناس حالين حال

(٢) سورة هود آية ٣٦ .

(٤) سورة الشورى آية ١ .

(١) سورة النساء آية ١٦٢ .

(٣) سورة الجن آية ١ .

لدينا وحال الآخرة . ومثله صلاة الاولى والصلاة الاولى ، فمن اضافه قدر صلاة الفريضة الاولى ، ومن لم يضيف جعله صفة ، ومثله ساعة الاولى ، والساعة الاولى ، ذكره الزجاج . وقال الفراء قد يضاف الشيء الى نفسه إذا اختلف لفظها مثل « حق اليقين » . ومثل بارحة الاولى والبارحة الاولى ومسجد الجامع ، والمسجد الجامع .

قوله تعالى :

(حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا بِجَاءِهِمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (١١٠)
آية بلا خلاف .

- قرأ « كذبوا » خفيفة بضم الكاف أهل الكوفة . الباقون مشددة بضم الكاف . وقرأ عاصم وابن عامر « فنجي من نشاء » بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء . الباقون بنونين على الاستقبال ، وهي في المصحف بنون واحدة . من قرأ « كذبوا » خفيفة ، فالمعنى إن الامم ظنت ان الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم ، ومثله قراءة من قرأ ، وان كان شاذاً « كذبوا » يعنى ان قومهم ظنوا ان الرسل كذبت فيما أخبرت به ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك . ومن قرأ بالتشديد حمل الظن على العلم ، والمعنى أيقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيباً عمهم حتى لا يفلح احد منهم ، وهو قول الحسن وقتادة وعائشة قال الشاعر :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج
سراتهم في الفارسي المسرد^(١)

معناه ايقنوا ، فان قيل على الوجه الاول كيف يجوز ان يحمل الضمير على انه للمرسل اليهم والذين تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم ، قيل ان ذلك

(١) مر هذا البيت في ١ : ٢٠٢٠٥ : ٢٩٦ : ٤٠٣٧٣ وقد روي (المشدد) بدل (المسرد) .

لا يمتنع لان ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم وقد قال الشاعر :

امنك البرق ارقبه فهاجا فبت أخاله دهماً خلاجا^(١)

اي بت أخال الرعد صوت دهم ، فاضمر الرعد ولم يحمله ذكر لدلالة البرق عليه . وان قلت قد جرى لهم ذكر في قوله « افلم يسيرا في الارض فينظروا » فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي الرسل كان جيداً ، ذكره ابو علي . ومن قرأ « فننجي » بنونين ، فعلى انه حكاية حال ، لان القصة كانت فيما مضى ، فانما حكى فعل الحال على ما كانت ، كما قال « وإن ربك ليحكم بينهم »^(٢) حكاية الحال الكائنة ، ومثله « وكلبهم باسط ذراعيه »^(٣) فلولا يمكن على الحال لم يعمل اسم الفاعل ، لانه إذا مضى اختص ، وصار معهوداً ، فخرج بذلك من شبه الفعل . واما النون الثانية من (ننجي) فهي مخفأة مع الجيم ، وكذلك النون مع جميع حروف الفم ، لا تكون الا مخفأة ، قال ابو عثمان المازني وتبينها معها لن . قال وللنون مع الحروف ثلاثة احوال : الادغام ، والاختفاء ، والبيان ، فهي تدغم مع ما يقارنها كما تدغم سائر المتقارنة . والاختفاء فيها مع حروف الفم التي لا تقارنها والبيان منها مع حروف الحلق ، وحذف النون الثانية من الحظ يشبه ان يكون لكرامة اجتماع المثليين فيه . ومن ذهب الى ان الثانية مدغمة في الجيم ، فقد غلط ، لانها ليست بمثل للجيم ، ولا مقارنة له . ووجه قراءة عاصم انه اتى به على لفظ الماضي ، لان القصة ماضية . وما رواه هبيرة عن عاصم بنونين ، وفتح الياء ، فهو غلط من الراوي ، كما قال ابن مجاهد ، وروى نصر بن علي عن أبيه عن ابي عمرو « فننجي » بنون واحدة ساكنة الياء خفيفة الجيم ، فهذا غلط ، لانا قد بيننا ان النون ، لا تدغم في الجيم ، لما بيناه .

(١) قائله ابو ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٦٤ ، واللسان (دهم) وامالي السيد

المرتضى ١ : ٦١٦ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٤

(٣) سورة الكهف آية ١٨

اخبر الله تعالى ان الرسل لما يئسوا من فلاح القوم وعلمو ان القوم لقوهم بالكذب ونسبواهم الى الكذب، لان التكذيب نسبة القائل الى الكذب، وضده التصديق والاستيناس والياس انقطاع الطمع « جاءهم نصرنا » اي اناهم نصر الله باهلاك من كذبهم ولا يرد بأسنا فالباس شدة الأمر على النفس يقال له بأس في الحرب والبئس الشجاع لشدة أمره. ومنه البؤس الفقر والبئس الفقير « عن القوم المجرمين » يعني المخطئين الذين اقترفوا السيئات .

قوله تعالى :

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١١١) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان في قصص الامم الماضية التي ذكرها دلالة لذوي العقول على تصديق الرسل وان ما أخبرناك به لم يكن حديثاً كذباً . والحديث الاخبار عن حوادث الزمان وتسميته بأنه حديث يدل على انه حادث ، لان القديم لا يكون حديثاً ، والافتراء القطع بالمعنى على خلاف ما هو به وأصله القطع من قولهم قرئت الاديم قريباً إذا قطعت ، ووجه الاعتبار بتلك القصص ان الذي قدر على إعزاز يوسف بعد لقائه في الحب واعلانه بعد حبسه في السجن وتمليك مصر بعد ان كان كبعث أهلها في حكم العبيد وجمعه بينه وبين والديه وإخوته على ما أحبوا بعد مدة طويلة وشقة بعيدة لقادر ان يعز محمد ﷺ ، ويعلي كلمته وينصره على من عاداه .

وقوله « ولكن تصديق الذي بين يديه » معناه تصديق الكتب التي قبله من التوراة ، والانجيل وغيرهما من كتب الله في قول الحسن وقتادة . وانما قيل لما

قبله: بين يديه، لانه قد وجد فكأنه حاضر له، وقيل بين يديه، لانه قريب منه كقرب ما كان بين يدي الانسان. وإنما قال «وتفصيل كل شيء» على وجه المبالغة من حيث كان فيه تفصيل كل شيء يحتاج اليه في أمور الدين من الحلال والحرام والحجاج والاعتبار والوعظ والازجار، أما جملة أو تفصيلاً. و «هدى ورحمة» فالهداية الدلالة «لقوم يؤمنون» أي يصدقون بها وينتفعون بالنظر فيها وخص المؤمنين بالهداية وإن كانت هداية لغيرهم من حيث أنهم انتفعوا هم بها دون غيرهم، ونصب تصديق على تقدير، ولكن كان تصديق الذي باضمار كان على قول الزجاج.

(١٣) سورة الرعد

قال قتادة هي : مدنية إلا آية منها فانها مكية وهي قوله « لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » .
وقال مجاهد : هي مكية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .
وهي ثلاث وأربعون آية في الكوفي وأربع في المدني وخمس في البصري .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (١) آية بلا خلاف .

لم يعد احد « المر » آية وعد الكوفيون « طه » و « حم » آية قالوا ، لان (طه)
مشاكله لرؤوس الآي التي بعدها بالالف مع انه لا يشبه الاسم المفرد ، كما أشبه
« صاده » و « قاف » و « نون » لانها بمنزلة (باب) و « نوح » ، وعد « كهيمص » لانه
يشاكل رؤوس الآي بعده بالارداف . وقد بينا في أول سورة البقرة أقوال
المفسرين في تأويل اوائل السور بالحروف^(١) . وان اقواها ان يقال أنها اسماء
السور واجبنا عما اعترض عليه ، فلا وجه لاعادته .

وروي عن ابن عباس ان معنى قوله « المر » انا الله أرى . وقال غيره: معناه انا الله أعلم . وروي انها حروف تدل على اسم الرب . وقوله « تلك آيات الكتاب » ومعناه هذه تلك آيات الكتاب التي تقدمت صفتها . والبشارة بها بما فيها من الهداية ، كما تقول تلك الدلالة اي التي وصفها بأنه لا غنا لأحد عنها ، فيقول : هذا تنبيهاً عليها ، وتفخيماً لشأنها .

وقال الحسن والجبائي : يعني بالكتاب القرآن . وقال مجاهد وقتادة : يعني به الانجيل . والاول اصح . وآيات الكتاب هي الكتاب ، ولكن أضيف الى نفسه ، لما اختلف لفظه كما قال « حق اليقين »^(١) وغير ذلك مما قد مضى ذكره ، وكما يقال مسجد الجامع ، والمسجد الجامع ، والآيات الدلالات المعجبة المؤدية الى المعرفة بالله وانه لا يشبه الاشياء ، ولا تشبهه ، والكتاب الصحيفة التي فيها الكتابة ، وقد يكون مصدر كتب ، تقول : كتب كتاباً وكتابة . « والذي أنزل اليك من ربك الحق » ، يحتمل وجهين من الاعراب : الرفع والجر ، فالرفع على الابتداء وخبره الحق ، والجر على انه عطف على الكتاب ، وهو غيره - على قول مجاهد - ويجوز ان تكون صفة - في قول الحسن - كما قال الشاعر :

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم^(٢)

« ولكن اكثر الناس لا يؤمنون » اي لا يصدق اكثر الناس بأنه كذلك ، ويكفرون به . والحق وضع الشيء في موضعه على ما تقتضيه الحكمة والانزال النقل من علو الى سفلى انزلاً ، ونزله تنزيلاً ، وضده الارتفاع .

قوله تعالى :

(اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ
الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ

(٢) بر تخريجه في ٢ : ٩٨ .

(١) سورة الواقعة آية ٩٥ .

الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية بما يدل على وحدانيته وكونه على صفات لا يشاركه فيها احد من المخلوقين من كونه قادراً لنفسه ، لانه قال تعالى هو الذي رفع السموات بغير عمد ترونها . وقيل فيه قولان :

الاول - قال ابن عباس ومجاهد : يعنى ليس ترونها دعامة تدعّمها ، ولا فوقها علاقة تمسكها .

الثاني - قال قتادة واياس بن معاوية : ان المعنى إنه رفع السموات بلا عمد ونحن نراها .

وقال الجبائي : فأويل ابن عباس ومجاهد خطأ لأنه لو كان لها عمد ، لكانت اجساماً غلاظاً ورؤيت ، وكانت تحتاج الى عمد آخر إلا هو تعالى . وهذا هو الصحيح . والوجه في قوله «بغير عمد» انه لو كان لها عمد لرئيت . ومثله قول الشاعر :

على لا حب لا يهتدي لمناره^(١)

والمعنى انه لا منار له ، لانه لو كان له منار لاهتدي به ، وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى^(٢) . و (عمد) جمع عمود يقال : عمد ، كما يقال : اديم وادم . قال ابو عبيدة : وهذا الجمع قليل . وقد قرىء في الشواذ (عمد) بضم العين والميم ، وهو القياس . والعمود السارية ، ومثله الدعائم والسند واصله منع الميل ، فمنه التعميد والاعتماد ، قال النابغة :

وخيس الجنّ اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفائح والعمد^(٣)

(١) مر هذا البيت في ١ : ١٨٩ ، ٢٧٩ ، ٤٤٤ ، ٢ : ٨٨ ، ٣٥٦ ، ٤٢٣ ، ٥٦٢ ، ٣ : ٣٨٠ .

(٢) راجع ما سبق ان اشرنا اليه في التعليقة قبل هذه رقم ١ .

(٣) ديوانه (دار بيروت) ٣٣ ومعنى (خيس) ذلل ، و (تدمر) بلد بالشام .

وقوله «ثم استوى على العرش» معناه استولى بالاعتقاد عليه ونفوذ السلطان. واصله استواء التدبير، كما ان اصل القيام الانتصاب ثم قال: قائم بالتدبير، فالمعنى مستو على العرش بالتدبير المستقيم من جهته بجميع الأمور. و (ثم) دخلت على معنى «ثم استوى على العرش» بالتدبير للأجسام التي قد كونها، فهي تدل على حدوث التدبير.

وقال ابو علي: هي لتسخير الشمس والقمر لكنه قدم في صدر الكلام، كما قال «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين»^(١) والمعنى حتى يجاهد من نعلم من المجاهدين.

وقوله «وسخر الشمس والقمر» فالتسخير والتذليل والتوطئة نظائر، والسخر هو المهيا، لانه يجري بنفسه من غير معانة صاحبه فيا يحتاج اليه كتسخير النار للاسخان والماء للجريان، والفرس للركوب.

وقوله «كل يجري لاجل مسمى» اجراه على لفظ كل، ومثله كل منطلق اي اكلمهم، ورفع كلا، لانه مستأنف، وذهب بمعنى الاثنين في الشمس والقمر الى الجمع، كما قال «فان كان له اخوة»^(٢) وإنما هما أخوان. و (الاجل) هو الوقت ضرور لحدوث أمر وانقطاعه، فاجل الدنيا الوقت المضروب، لانقضائها واجل الآخرة، الوقت المضروب لحدوثها، واجل الدين وقت حدوث أدائه، واجل العمر الوقت المضروب لانقضائه، والاجل المسمى - ههنا - قيل يوم القيامة.

وقوله «يدبر الامر» فالتدبير تصريف الامور على ما يقتضيه مستقبل حاله في عاقبته، فتدبير السموات والارض فيه دلالة على مدبر حكيم، قد جعل جميع ذلك لما يصلح في عاقبته، وعاجلته. ودخلت الالف واللام على (الشمس) وهي واحدة لا ثاني لها، لأن في اسمها معنى الصفة، لانه لو وجد مثلها لكان شمسا، وكذلك (القمر) لو خلق الله مثله لكان قمرأ، وليس كذلك زيد وعمرو.

(١) سورة محمد آية ٣١.

(٢) سورة النساء آية ١١.

وقوله « يفصل الآيات » اي يميز الدلالات واختلاف مدلولاتها ، من كونه قادراً عالماً حكيماً لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء « لعلكم بقاء ربكم توقنون » معنا لكي توقنوا لقاء ثواب طاعات الله ولقاء عقاب معاصيه ، فسمى لقاء ثوابه وعقابه لقاءه مجازاً .

قوله تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٣) آية بلا خلاف .

ذكر الله تعالى في الآية الاولى بالسما والشمس والقمر ، لان اكثر ما في العالم متعلق بذلك وجار مجراه كالنبات والحريث والنسل ، ثم ذكر في هذه الآية الارض وتدييره لها على ما فيه من المصلحة لينبه بذلك من ذهب عن الاستلال به على حكيمته تعالى ، وتوحيده ، فقال « وهو الذي مد الارض » يعنى بسطها طولاً وعرضاً « وجعل فيها رواسي » يعنى جبلاً راسيات ثابتات ، يقال : رسي هذا الوتد وأرسيته . وواحد (الرواسي) راسية « وانهاراً » اي وخلق فيها أنهاراً يجري المياه فيها « ومن كل الشمرات جعل فيها زوجين اثنين » ثم ابتداء فقال : وجعل فيها من جميع الثمرات زوجين أي ضربين . قال الحسن يعنى لونين من كل ما خلق من البنات . والزوج يكون واحداً ويكون اثنين ، وههنا واحد . وقريش تقول : للانشى زوج وللذكر زوج . قال الله تعالى « اسكن انت وزوجك الجنة »^(١) لادم .

ومعنى « يغشي الليل النهار » اي يحلل الليل النهار والنهار بالليل . والمعنى انه يذهب كل واحد منهما بصاحبه ومثله « يكور الليل على

(١) سورة البقرة آية ٣٥ وسورة الاعراف آية ١٩

النهار ويكفر النهار على الليل»^(١) والمعنى ان أحدهما يُذهب الآخر . ثم أخبر تعالى ان فيما ذكره من الدلالات لآيات واضحات لمن فكر ، واعتبر بها ، لان من لم يفكر فيها ولم يعتبر ، كأنه لا آية له .

وقوله « زوجين اثنين » انما اكد به (اثنين) وان كان قوله « زوجين » افاد العدد لامرين :

احدهما - على وجه التأكيد وهو مستعمل كثيراً .

الثاني - ان الزوجين قد يقع على الذكر والانثى . وعلى غيرهما ، فاراد ان يبين ان المراد به ههنا لوتين أو ضربين دون الذكورة والانوثة ، وذلك فائدة لا يفيدها قوله « زوجين » فلا تكرر فيه بحال . وهو قول الحسن والجبائي وغيرهما .

قوله تعالى :

(وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ
وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضٌ بَعْضَهَا
عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (٤)
آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأهل البصرة وحفص « وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان » بالرفع فيهن . الباقون بالخفض . وروى ابو شعيب القواس عن حفص ضم الصاد من صنوان في الموضعين . الباقون بكسرهما . وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب « يسقى » بالياء . الباقون بالتاء . وقرأ اهل الكوفة الاعصميا يفضل بالياء . الباقون بالنون .

قال ابو علي النحوي: من قرأ « وزرع » مرفوعاً جعله محمولاً على قوله « في الارض » ويكون تقديره وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وفي الارض زرع ونخيل صنوان ، فالجنة على هذا تقع على الارض التي فيها النخيل دون غيرها . ويقوي ذلك قول زهير :

كأن عيني غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا^(١)

السحق جمع سحوق يوصف بها النخيل اذا بسقت فكأنه سمي الارض ذات النخل جنة ، ولم يذكر ان فيها غيرها ؛ فكما ان الجنة تكون من النخيل من غير ان يكون منها شيء آخر ، كذلك تكون من الكروم ، وان لم يكن فيها غيرها .

فاما من قرأ بالخفض فانه حمل الزرع والنخيل على الاعناب ، كأنه قال جنات من أعناب ومن زرع ، ومن نخيل . وقد تسمى الارض إذا كان فيها النخل والكروم والزرع جنة ، قال الله تعالى « جعلنا لآدم جنتين من اعناب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً »^(٢) ويقوي ذلك قول الشاعر :

أقبل سيل جاء من أمر الله بمجرد جرد الجنة المغلة^(٣)

فقوله (المغلة) في وصف الجنة يدل على ان الجنة يكون فيها الزرع ، لان الغلة لا يقال إلا فيما يكال ويوزن ، فلذلك قال الفقهاء : اذا قال : أوصيت له بغلة هذه القرية انه يكون على ما فيها ، من الحال من الثمرة وغيرها وقت التلفظ بالوصية دون ما يحدث بعد .

و (الصنوان) فيما ذهب اليه ابو عبيدة صفة النخل قال : والمعنى ان يكون الاصل واحداً ثم يتشعب من الرأس فيصير نخلاً ويحملن . وقال وقوله

(١) ديوانه : ١٤٠ (دار بيروت) .

(٢) سورة الكهف آية ٣٢

(٣) مجمع البيان ٣ : ٢٧٥

« يسقى بماء واحد » لانها تشرب من اصل واحد « ونفضل بعضها على بعض في الاكل » وهو الشمرة ، واجاز غيره ان يكون (الصنوان) من صفة الجنات :

قال ابو علي فكأنه في المعنى يراد به ما في الجنات . وان جرى على لفظ الجنات . وعلى هذا يجوز ان ترفع وان جررت النخل غير أنه لم يقرأ به . ومن ضم الصاد من صنوان جعله مثل ذئب وذؤبان ، وربما يعاقب فعلان وفعالان على بناء واحد نحو خشن وخشان . واظن سيبويه حكى الضم في صنوان والكسر اكثر . ومن قرأ « تسقى » بالتاء اراد تسقى هذه الاشياء « بماء واحد » ويقوى ذلك قوله « ونفضل بعضها على بعض » فحمله على التأنيث . ومن قرأ بالياء فعلى تقدير ما ذكرناه . ومن قرأ « يفضل » بالياء . رده الى الله ، وتقديره ويفضل الله بعضها على بعض . ومن قرأ بالنون ، فعلى الاخبار عن الله عز وجل أنه قال « ونفضل » نحن « بعضها على بعض » .

اخبر الله تعالى على وجه التنبيه لعباده على الاستدلال بآياته بان قال في الارض التي خلقتها قطع متجاورات . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : معناه سبخة وغير سبخة . وقيل عامرة وغير عامرة . والمتجارة المتقاربة بعضها من بعض .

وقوله « وجنات من اعناب » فالجنة البستان الذي يجنه الشجر وهي منفصلة من الروضة والزهرة « من أعناب » جمع عنب وهو ثمر الكرم يقع على انواع كثيرة ، والزرع القاء الحب للنبات في الارض ، والغرس جعل الاصل من الشجر الثابت في الارض ، والصنوان المتلاصق وهي الفسيلة تكون في اصل النخلة . ويقال : هو ابن أخيه صنو أبيه اي لصنو ابيه في ولادته ، ويجوز في جمع صنو اصناء كعدل واعدال . ويقال : صنو بضم الصاد وإذا كثرت ، فهو الصني والصنى ، وقال البراء بن عازب وابن عباس ومجاهد وقتادة : الصنوان النخلات التي اصلها واحد . وقال الحسن : الصنوان النخلتان اصلها واحد « يسقى بماء واحد » معناه ان ما ذكرناه يسقى بماء واحد « ونفضل بعضها على بعض في الاكل » بان

يكون بعضه حلواً وبعضه حامضاً وبعضه مرّاً في الاكل . والاكل الطعام الذي يصلح للاكل ، فدل بذلك على بطلان قول من يقول بالطبع ، لانه لو كان قولهم صحيحاً لما اختلفت طعموم هذه الاشياء مع ان التربة واحد والماء واحد، وجميع احوالها المعقولة متساوية ، فلما تفاضلت مع ذلك دل على ان المدبر لها عالم حكيم ففعله بحسب المصلحة « ان في ذلك لايات لقوم يعقلون » اخبار منه تعالى ان فيما ذكرناه دلالات لقوم يعقلونها ويتدبرونها لان من لا عقل له لا ينتفع بالاستدلال، بها ، وانما ينتفع بذلك ذور الالباب والعقول .

قوله تعالى :

(وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٥) أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٦) آية في الكوفي . وفي المدنيين والبصري آيتان تمام الاولى قوله « لفي خلق جديد » .

قرأ ابن عامر وابو جعفر « اذا » بهمزة واحدة على الخبر . البااقون بهمزتين على الاستفهام . وحقق الهمزتين اهل الكوفة وروح . وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ورويس بتخفيف الاولى وتلين الثانية . وفصل بينهما بالف نافع الا ورشاً وابو عمرو . واما « انا » فقرأه بهمزة واحدة على الخبر نافع والكسائي ويعقوب . البااقون بهمزتين على الاستفهام . وحقق الهمزتين ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف الا ان هشاماً يفصل بينهما بالف . وقرأ ابن كثير وابو عمرو ، وابو جعفر بتحقيق الاولى وتلين الثانية إلا ان ابا عمرو وابا جعفر يفصلان بينهما بالف ، وابن كثير لا يفصل . وكذلك اختلافهم في الموضعين في (سبحان) وسورة المؤمنين والسجدة ولقمان . والثاني من اللذين في الصافات . وما سوى ذلك من الاستفهامين

يذكر في موضعه ان شاء الله. قال ابو علي الفارسي من قرأ (أإذا، إنا) بالاستفهام فيها، فوضع (إذا) نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله «انا لفي خلق جديد» لان هذا الكلام يدل على نبعث ونحشر، فكأنه قال أنبعث اذا كنا تراباً. ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع (إذا) نصباً بمادل عليه قوله «انا لفي خلق جديد» فكأنه قال انبعث اذا كنا تراباً، وما بعد (ان) لا يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام، فكما قدرت هذا الناصب في (إذا) مع الاستفهام، لان الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله كذلك نقدره في (إنا) لان ما بعدها ايضاً لا يعمل فيما قبلها. وقراءة ابن عباس «اذا كنا تراباً» على الخبر (أإنا) على الاستفهام ينبغي ان يكون على مضمر كما حمل ما تقدم على ذلك، لان بعد الاستفهام منقطع بما قبله. فاما ابو عمرو، فإنه يفصل بين الهمزتين بألف، كما يفصل في «أنذرتهم» وكما يفصل بين النونات في (اخشيتان) ويأتي بعد ذلك بالهمزة بين بين، وليست (يا) ياء محضة، كما ان الهمزة في السائل ليست ياء محضة، وانما هي همزة بين بين، وابن كثير ان اتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مد فليس ذلك على التخفيف القياسي، لانه لو كان كذلك، لوجب ان يجعل الهمزة بين بين، كما فعل في سم في المتصل وفي اذ قال ابراهيم في المنفصل لذلك، ولكنه يبدل من الهمزة ابدالاً محضاً كما حكى سيبويه انه سمع من العرب من يقول (بئس) وقد جاء في الشعر يومئذ على القلب.

مدح الله تعالى نبيه ﷺ تعجبته من الكفار في عبادتهم ما لا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً. ثم اخبر ان هذا موضع العجب، وذمهم بعجبهم من اعادتهم ثانية مع علمهم بالنشأة الاولى، وفيما بين الله تعالى من خلق السموات والارض، وما بينهما من عجائب افعاله التي تدل على انه قادر على الاعادة، كما دلت على الانشاء، لان هذا مما ينبغي ان يتدبره العاقل، وقد قيل: (لا خير فيمن لا يتعجب من العجب وان رذل منه المتعجب من غير عجب) والمعجب والتعجب واحد. وهو تغير النفس عما خفي سببه عن الكافر وخرج عن العادة، فهؤلاء الجهال توهموا انهم اذا صاروا تراباً لا يمكن ان يصيروا حيواناً. والذي انشأهم اول مرة قادر ان يعيدهم ثانية. ثم اخبر تعالى عنهم، فقال: هؤلاء هم الذين جحدوا نعم الله، وكفروا بآياته

ودلالته ، وهم الذين يحشرهم الله يوم القيامة ، والاعلال في اعناقهم . والغل طوق يقيد به اليد في العنق ، وأصله الغل في الشيء إذا انتسب فيه . وغسل : إذا خان بانتسابه في مال الحرام . والاعناق جمع عنق ، وهو مفرز الرأس . وقيل ان المعنى في ذلك انهم يؤخذون بأعمالهم ، وهي الاعلال ، كما قال « اذ الاعلال في اعناقهم »^(١) فكأنهم بمنزلة من الغل في عنقه لما لزمهم من الكفر به ، فقال « اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » اخبار منه تعالى انهم بعد الغل في اعناقهم يعملون في النار مؤبدين فيها معذبين بأنواع العذاب .

قوله تعالى :

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) (٧) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء الكفار يطلبون منك ما يسوؤهم ان يعجل لهم ، كما قالوا « امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم »^(٢) قبل ان يسألوا الاحسان بالانتظار لهم ، وقد حكم الله تعالى ان يمهلهم التوبة . ثم يأخذ من أقام على القبح بالعقوبة . والاستعجال طلب التعجيل ، والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدر له . والسيئة خصلة تسوء النفس ، ساءه يسوءه سوءاً ، وهو ساء وهي سايئة وسيء وسيئة قال الشاعر :

ولا سيء يردي إذا ما تلبسوا الى حاجة يوماً نخلسه بزلا

والحسنة خصلة تسر النفس وقد يعبر بهما عن الطاعة ، والمعصية .

(١) سورة المؤمن (غافر) آية ٧١ . (٢) سورة الانفال آية ٣٢ .

وقوله «خلت من قبلهم المثلات» أي مضت بانقضائها كمضي أهل الدار عنها، يقال: خلعت الديار بهلاك أهلها وخلوهم بخلو مكانهم منها، والمثلات العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لاجله واحداً مثلة مثل سمرة وصدقة، وفي الجمع سمرات وصدقات، ويقال مثلت به أمثل مثلاً بفتح الميم وسكون الشاء، وأمثلته من صاحبه إمثالاً إذا قصصته منه وتميم تقول: مثلة على وزن غرفة، ثم قال «وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» على وجه الاخبار عن نفسه بالرحمة بخلقه والتفضل عليهم بأنه يغفر للناس على كونهم ظالمين وذلك يدل على بطلان قول من قال إن أصحاب الكبائر لا يجوز أن يعفو الله عنهم إلا بالتوبة، لأنه تعالى لم يشرط في ذلك التوبة ومن شرط في الآية التوبة أو خصها بالصغائر كان تاركاً للظاهر.

وقوله «وان ربك لشديد العقاب» اخبار منه تعالى بأنه كما يغفر تارة مع الظلم، كذلك قد يعاقب مع الاصرار عذاباً شديداً فلا تغفروا بذلك ولا تعولوا على مجرد العفو لأنه يجوز ان لا يعفو.

قوله تعالى :

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (٨) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم يقولون هلا انزل على محمد آية يقترحونها مثل ما حكى الله عنهم من نحو تفجير الانهار بحيث سألوا سقي البلاد ونقل جبال مكة عن اماكنها لتتسع على أهلها وإنزال كتاب من السماء الى الارض يقرؤون فيه الامور التي دعاهم اليها، فقال الله تعالى له ليس أمر الآيات اليك إنما أمرها الى الله ينزلها على ما يعلمه من مصالح العباد «وانما انت منذر» اي معلم لهم على وجه التخويف لهم معاصي الله وعقابه، «ولكل قوم هاد» يهديهم الى الحق . وللناس في معناه خمسة اقوال :

احدها - روي عن ابن عباس بخلاف فيه ان الهادي هو الداعي الى الحق .

والثاني - قال مجاهد وقتادة وابن زيد : انه نبي كل أمة .

الثالث - في رواية اخرى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد والضحاك : ان الهادي هو الله .

الرابع - قال الحسن وقتادة في رواية وأبو الضحى وعكرمة : انه محمد ﷺ ، وهو اختيار الجبائي .

والخامس - ما روي عن ابي جعفر ، وأبي عبدالله (ع) إن الهادي هو امام كل عصر ، معصوم يؤمن عليه الغلط وتعمد الباطل .

وروى الطبري باسناده عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت « إنما انت منذر ولكل قوم هاد » وضع رسول الله ﷺ يده على صدره ، وقال انا المنذر « ولكل قوم هاد » وأوماً بيده الى منكب علي (ع) ، فقال انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي .

قوله تعالى :

(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٩) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (١٠) آيتان بلا خلاف .

قرأ ابن كثير « المتعالي » بياء في الوصل والوقف الا المالكي والعطار عن الزبيبي ويعقوب ، وروى المالكي والعطار عن الزبيبي بياء في الوقف دون الوصل . الباقر بن بغير بياء في الحالين . وروي عن ابي عمير - في رواية شاذة - مثل ابن كثير ، قال أبو علي : اثبات البياء في الحالين هو القياس ، وليس ما فيه الالف واللام من هذا الباب كما لا الف فيه ولا م نحو قاض وغاز . قال سيبويه إذا لم يكن في موضع تنوين معنى اسم الفاعل فان الاثبات اجود في الوقف نحو هذا

القاضي، وهذا الغازي، لأنها ثابتة في الوصل يريد ان الياء مع الالف واللام تثبت ولا تحذف كما تحذف من اسم الفاعل إذا لم يكن فيه الالف واللام، نحو هذا قاض، فاعلم، فالياء مع غير الالف واللام تحذف في الوصل، فإذا حذفت في الوصل كان القياس ان تحذف في الوقف. وهي اللغة والأقيس. فأما إذا حذفت الالف واللام، ولا يحذف اللام - في اللغة التي هي اكثر عند سيبويه، فأما من حذف في الوصل والوقف فلأن سيبويه زعم ان من العرب من يحذف هذا في الوقف شبهه بما ليس فيه الف ولام إذ كانت تذهب الياء في الوصل في التنوين لو لم يكن الف ولام. واما حذفها في الوصل فلم يكن القياس، لأنه لم يضطر الى حذفه لشيء كما اضطر ما لا الف ولام فيه للقاء الساكنين، فكرهوا حركة الياء بالضم والكسر لكن حذف؛ كما حذف في الفواصل وما شبه الفواصل تشبيهاً بالقوافي.

اخبر الله تعالى انه جل وعز « يعلم ما تحمل كل انثى » من علقه او مضغة ومن ذكر او انثى ومن زائد او ناقص وعلى جميع احواله وصفاته، لأنه عالم لنفسه. (والحمل) بفتح الحاء ما كان في البطن - وبكسرهما - ما كان على الظهر. وقوله « وما تغيض الارحام » وما تزداد، وقيل فيه ثلاثة اقوال :

الأول ما ينقص من ستة أشهر وما يزداد لان الولد يولد لسته اشهر فيعيش ويولد لستين فيعيش ذهب اليه الضحاك .

الثاني - قال الحسن ما ينقص بالسقط وما يزداد بالتام .

الثالث قال ابن زيد ما ينقص بغور النطفة وظهور دم الحيض فينقص تلك الايام، لأنه لا يعتد بها في الحمل وينقص حال الولد وما يزداد من الاشهر، وفي حال الولد. وقال الفراء الغيض النقصان، تقولون: غاضت المياه اي نقصت، وفي الحديث (اذا كان الشتاء غيضاً والولد غيضاً وغاضت الكرم غيضاً وفاضت اللثام فيضاً) وقال الزجاج الغيض النقصان .

وقوله « وكل شيء عنده بمقدار » قيل في معناه قولان :

اجدهما - ان جميع ما يفعله الله على مقدار ما تدعو اليه الحكمة من غير نقصان ولا زيادة، وقال قتادة: معناه كل شيء عنده بمقدار في الرزق والاجل . والمقدار مثال يقدر به غيره . ثم اخبر تعالى أنه عالم بما غاب عن الحواس وبما ظهر لها فالغيب كون الشيء بحيث يخفى عن الحس ، يقال غاب يغيب ، فهو غائب . والشهادة حصول الشيء بحيث يظهر للحس ومنه الشاهد خلاف الغائب ، ويقال شهد في المصر اذا حضر فيه . ومنه قوله « فمن شهد منكم الشهر فليصمه »^(١) اي من حضر المصر فيه ، وانما قال « عالم الغيب » مع ان الله تعالى لا يغيب عنه شيء ، لأنه اراد ما غاب عن احساس العباد . وقيل انه اراد انه يعلم المعدوم والموجود ، فالغيب هو المعدوم . وقال الحسن : الغيب السر ، والشهادة العلانية .

وقوله « الكبيرة المتعال » فالكبير هو السيد المقتدر . ومعناه الاكبر بسعة مقدوره . والمتعالى المقتدر بما يستحيل ان يكون أعلى منه في الاقتدار أو مساوياً له ، فهو أقدر من كل قادر ، ولهذا استحالت مساواته في المقدور ، لان من لا يساويه أحد في المقدور فهو أعلى في المقدور ، كأنه قال : تعالى مقدوره الى ما يستحيل ان يكون اعلى منه . وقال الحسن : المتعالى عما يقول المشركون فيه .

قوله تعالى :

(سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) (١١) آية بلا خلاف .

معنى الآية ان الله تعالى الذي وصف نفسه بأنه الكبير المتعالى على غيره بسعة قدرته سواء عليه الاشياء في أنه يعلمها على اختلاف حالاتها ، وانه يعلم الانسان

(١) سورة البقرة آية ١٨٥

على تصرف احواله مما يسر في نفسه اي يخفيه او يعلنه أو يستتر بالليل او يسرب بالنهار ، كل ذلك سواء في ظهوره له ، فيجب ان يحذر من هذه صفة ، ويعلم انه يأتي بالآيات بحسب ما يعلمه من مصلحة خلقه . وقال الزجاج : المعنى ان الظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات والجاهر بنطقه والمضمر في نفسه في معلوم الله « سواء » اي ليس ببعض ذلك اعلم من بعض . وقال الحسن : « سارب بالنهار » اي مستتر فيه . وقال قطرب : يجوز ان يكون معنى « مستخف بالليل » اي ظاهر بالليل « وسارب بالنهار » اي مستتر فيه . قال الزجاج : هذا جائز في اللغة ، يقال منه انسرب الوحش اذا دخل في كناسه . وقال ابو رجاء : السارب الذاهب على وجهه ، يقال انسرب فلان انسراباً . وقال ابن عباس وقتادة : السارب الظاهر من خفى كان فيه . ويقال : فلان سارب في مذهبه اي ظاهر يقال : خلا سربه اي طريقه ، ويقال : فلان آمن في سربه بالفتح والحذف معاً قال قيس بن الخطيم :

أني سربت وكنت غير سرور وتقرّب الاحلام غير قريب^(١)

وقال قوم : السارب الذي يسلك في سربه اي في مذهبه ، يقال منه : سرب يسرب سروراً . وقال بعضهم السارب الجاري في خروجه الى الأمر بسرعة ، يقال انسرب الماء من خروز القربة ، قال ذو الرمة :

ما بال عينك منها الماء منسكب كأنها من كلي مفرية سرب^(٢)

فالاستخفاء طلب الاختفاء ، خفي يخفى نقيض ظهره يظهر ظهوراً . واختفى اختفاء وأخفاه إخفاء ، وتخفى تخفياً . والاسرار إخفاء المعنى في النفس ، فأسر القول معناه أخفى في نفسه ، والجهر رفع الصوت بالقول ، يقال : لصوته جهازة اي قوة في رفعه اياه ، وهو يجاهر بأمره اي يظهره ويعلنه . والسواء هو

(١) اللسان (سرب) .

(٢) جمع البيان ٣ : ٢٧٩ واللسان (سرب) والطبرى ١٣ : ٦٦ وروايته . (تنسكب)

بدر (منسكب) .

الاعتدال في الوزن . و (من) في موضع الذي ، وهما مرتفعان و «سواء» زفع بالابتداء ، وهو يطلب اثنين . تقول : سواء زيد وعمرو ، اي هما مستويان .

قوله تعالى :

(لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (١٢) آية بلا خلاف .

اختلفوا في الهاء في قوله « له » الى من ترجع ، فقال ابن زيد : على اسم النبي ﷺ في قوله « انما انت منذر » وقال غيره : على اسم الله في قوله « عالم الغيب والشهادة » . وقال قوم : على (من) في قوله « من اسر القول ومن جهر » فكأنه قال للانسان معقبات . وهو الأقوى . والمعقبات في هذا الموضع هم الملائكة ، فقال الحسن وقتادة ومجاهد : ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ، وقال ابن عباس - في رواية - انهم الامراء والولاة لهم حرس واعوان يحفظونهم . وقال الحسن : هم اربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر ، والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ، ويكون بدلاً منه . وأصل التعقيب كون شيء بعد آخر ، فالمعقبات الكائنات على خلف بعضها لبعض بعد ذهابه ، والمعقب الطالب دينه مرة بعد اخرى قال لبيد :

حتى تهجر في الرواح وهاجه طلب المعقب حقه المظلوم^(١)

ومنه العقاب لانه يستحق عقيب المعصية . والعقاب لانه يعقب بطلبه لصيده

(١) جمع البيان ٣ : ٢٧٩ وتفسير الطبري ١٣ : ٧٢

مرة بعد مرة ، والعقب لانه يعقب به لشده على الشيء مرة بعد مرة ، وهو جمع الجمع ، لان واحده معقب مثل رجالة ورجالات . وفي قراءة اهل البيت « له معقبات من خلفه ورقيب بين يديه » قالوا لان المعقب لا يكون الامن خلفه . وقوله « يحفظونه من امر الله » قيل في معناه اقول :

احدها - قال الحسن وقتادة : المعنى بأمر الله ، كما تقول جئتك من دعائك اياي اي بدعائك ، وفي قراءة اهل البيت « بأمر الله » .

وقال مجاهد و ابراهيم : يحفظونه من امر الله من الجن والحوام . والمعنى ذلك الحفظ من امر الله .

وقال قوم : معناه عن أمر الله ، كما يقال أطعمه عن جوع ومن جوع .

وقال الفراء : فيه تقديم وتأخير ، كأنه قال له معقبات من بين يديه ومن خلفه من أمر الله يحفظونه ، وانما قال يحفظونه على التذكير مع قوله « له معقبات » على التأنيث حملاً على المعنى ، وفي تفسير اهل البيت إن معناه يحفظونه بأمر الله .

وقوله « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » معناه ان الله لا يسلب قوماً نعمة حتى يعملوا بمعاصيه التي يستوجبون بها العقاب فانه حينئذ يعاقبهم ويغير نعمه عليهم .

وفي ذلك دلالة على فساد قول المجبرة: إن الله يعذب الاطفال ، لانهم لم يغيروا ما بأنفسهم بمعصية كانت منهم . والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان مما لو شوهد شوهد على خلاف ما كان .

وقوله « واذا اراد الله بقوم سوءاً » يعنى هلاكاً « فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » معناه لا يقدر أحد على دفعه ولا نصرته عليه بل هو تعالى الغالب لكل شيء القاهر لمن يريد قهره ، والوالي فاعل من ولي يلي فهو وال وولي مثل عالم وعليم ، والله ولي المؤمن اي ناصره ، والمعنى لا يتولاهم أحد الا الله .

قوله تعالى :

(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ
الثَّقَالَ (١٣) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ
الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
الْمِحَالِ) (١٤) آيتان بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه هو الذي يري الخلق البرق اي يجعلهم على صفة الرؤية
بإيجاد المرئي لهم وجعله إياهم على هذه الصفة التي يرون معها المرتبات من كونهم
احياء ورفع الموانع والافات منهم يقال : أراه يريه إراءة إذا جعله رائداً مثل
أقامه يقيمه إقامة ، وهو مشتق من الرؤية . والبرق ما ينقذح من السحاب من
اللمعان كعمود النار وجمعه بروق وفيه معنى السرعة ، يقال : امض في حاجتك
كالبرق ، والخوف انزعاج النفس بتوهم وقوع الضرر ، خاف من كذا يخاف
خوفاً فهو خائف . والشئ مخوف . والطمع تقدير النفس لوقوع ما يتوهم من
المحبوب . ومثله الرجاء والامل .

وقيل في معنى قوله « خوفًا وطمعًا » قولان :

احدهما - قال الحسن : خوفًا من الصواعق التي تكون مع البرق وطمعًا في
الغيث الذي يزيل الجذب والقحط .

وقال قتادة : خوفًا للمسافرين من اذاه وطمعًا للمقيم في الرزق به ، وهما
منصوبان على أنه مفعول له .

وقوله « وينشئ السحاب الثقال » والانشاء فعل الشئ من غير سبب مولد ،
ولذلك قيل النشأة الاولى ، والنشأة الثانية . ومثله الاختراع والابتداع .
والسحاب هو الغيم ، سمي به ، لانه ينسحب في السماء . واذا قيل سحابة جمعت

عنى سحائب ، كقولك غمامة وغمائم والسحاب جمع سحابة ، والثقال جمع ثقيل مثل شريف وشراف وكريم وكرام . والثقل الاعتماد الى جهة السفلى ؛ والمعنى إن السحاب ثقال بالماء ، وهو قول مجاهد .

وقوله « ويسبح الرعد بحمده » فالتسبيح تنزيه الله عز وجل عما لا يجوز عليه ، والتنزيه له من كل صفة نقص تضاف اليه ، واصله البراءة من الشيء قال الشاعر :

اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر^(١)

اي براءة منه . و (الرعد) اصطكاك اجرام السحاب بقدره الله تعالى وفيه أعظم العبرة واوضح الدلالة ، لانه مع ثقله وهوله ، وغلظ جرمه حتى يسمع مثل الرعد في عظمه معلق بقدرته تعالى لا يسقط الى الارض منه شيء ثم ينقش كأنه لم يكن ، ولا شيء منه ، وقد ذكرنا اختلاف المفسرين في الرعد في سورة البقرة^(٢) . والحمد الوصف بالجميل من الاحسان على وجه التعظيم .

وقيل في معنى قوله « ويسبح الرعد بحمده » ثلاثة اقوال :

احدها - يسبح بما فيه من الدلالة على تعظيم الله ووجوب حمده ، فكأنه هو المسبح لله عز وجل .

الثاني - انه يسبح بما فيه من الآية التي تدعو الى تسبيح الله تعالى .

الثالث ان الرعد ملك يزجر السحاب بالصوت الذي يسمع ، وهو تسبيح الله بما يذكره من تعظيم الله .

وقوله « والملائكة من خيفته » تقديره ويسبحه الملائكة من خيفته . والفرق بين الخيفة والخوف ، ان الخيفة صفة للحال مثل قولك : هذه ركبة اي حال من

(١) مر هذا البيت في ١ : ١٣٤ ، ٣ : ٨١ ، ٥ : ٢٤١ ، ٣٩٥

(٢) في ١ : ٩٢

الركوب الحسن ، وكذلك هذه خيفة شديدة . والخوف مصدره مطلق غير مضمن بالحال .

وقوله « ويرسل الصواعق » وهي جمع صاعقة وهي نار لطيفة تسقط من السماء بحال هائلة من شدة الرعد وعظم الامر يقال : لأنها قد تسقط على النخلة وكثير من الاشجار تحرقها ، وعلى الحيوان فتقتله .

وقوله « فيصيب بها » يعني بالصاعقة من يشاء من عباده . وقوله « وهم يجادلون في الله » يعني هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد ، ويحاولون قتلهم عن مذهبهم يجادلهم . والجدال قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج .

وقوله « وهو شديد المحال » فالشدة قوة العقدة وفي بدن فلان شدة اي قوة كقوة العقدة ، وشدة العقاب قوته يغلظ على النفس ، كقوة العقدة ، والمحال الأخذ بالعقاب ، يقال ما حلت فلاناً اما حله مما حلة ومحالاً ، وحققت به أحمل محلاً إذا قتلته الى ملكه . والميم أصلية في المحل يقال محلني يا فلان اي قوتي . وقال الجبائي : شديد الكيد للكفار ، وسني المحل سني الهلاك بالقحط . واصله الفتل الى الهلاك قال الاعشي :

فرع نبع يهتز في غصن المجـ سد غزير الندى شديد المحال^(١)

وقيل فيمن نزلت هذه الآية قولان :

احدهما - قال أنس بن مالك وعبد الرحمن صحار العبدي ، ومجاهد : انها نزلت في رجل من الطغاة جاء الى النبي ﷺ يجادل له ، فقال يا محمد مم ربك أمن لؤلؤ أم يا قوت أم من ذهب أم من فضة ؟ فأرسل الله عليه صاعقة ، فذهبت بقحفه .

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٦٦ وتفسير الطبري ١٣ : ٧٥ المحال : العقوبة

وقال ابن جريج : نزلت في أربد ، لما أراد هو وعامر بن الطفيل قتل رسول الله ﷺ فجفت يده على قائم سيفه ، فرجع خائباً ، فارسل الله (عز وجل) عليه في طريقه صاعقة فأحرقته وابتلى عامراً بغدة كغدة البعير قتلته حتى قال عند موته : غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية . وفي ذلك يقول لبيد ابن ربيعة في أربد ، وكان اخاه :

أخشى على أربد الختوف ولا أرهب نوء السماء والاسد
ففجعني البرق والصواعق بالـ سفارس يوم الكريمة النجد^(١)

قوله تعالى :

(لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) (١٥) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى بأن له (عز وجل) دعوة الحق . وقيل في معناه ثلاثة أقوال :
احدها - قال ابن عباس وقتادة وابن زيد إنها شهادة ان لا إله على اخلاص التوحيد .

الثاني - قال الحسن : الله هو الحق ، فمن دعاه دعا الحق . وقال قوم : كل دعوة هي حق جاز ان تضاف الى الله ، قال ابو علي دعوة الحق هي الدعوة التي يدعى الله بها على اخلاص التوحيد ، والدعوة طلب فعل الشيء ، فالانسان يدعو ربه ان يدخله في رحمة وهو أهل المغفرة والرحمة ، وكل ما لابس الانسان ، فقد دخل فيه . والمعنى لله من خلقه الدعوة الحق . وقوله «والذين يدعون من دونه» قيل في معناه قولان :

(١) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٣ : ٧١ ، ٧٤ وجمع البيان ٣ : ٢٨٣

احدهما - قال الحسن : والذين يدعون من الاوثان لحاجاتهم .
الثاني - الذين يدعون أرباباً . وقيل ان المعنى الذين يدعون غيره مقصرين
عن دعائهم له ، كما قال الشاعر :

اتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يدك دوني^(١)
اي عني . «لا يستجيبون لهم بشيء» فالاستجابة متابعة الداعي فيما دعا اليه
بموافقة إرادته والاستجابة ، والاجابة واحد إلا ان صيغة الاستجابة تفيد طلب
الموافقة ، قال الشاعر :

وداع دعا يا من يحيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب^(٢)
وقوله «إلا كباسط كفيه الى الماء» معناه قال مجاهد : كباسط كفه الى الماء
مشيراً اليه من غير تناول الاثاء ليلبغ فاه ببسط كفه ودعائه له . وقال الحسن
معناه كباسط كفيه الى الماء ، فهاهنا قبل ان يصل اليه . والعرب تضربه مثلاً لمن
سعى فيما لا يدركه كلقابض على الماء قال الشاعر :

فأني واياكم وشوقاً اليكم كقابض ماء لم تسقه انامله^(٣)
وقال الآخر :

فاصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد^(٤)
«وما هو ببالغه» إخبار منه تعالى ان من كان كذلك لا يبلغ الماء فاه . ثم أخبر
تعالى فقال «وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» أي ليس دعاؤهم الاوثان من دون الله إلا
الاضلال عن الحق وعدولاً عن طريقه وأنه جار مجرى ما ذكره من باسط كفيه

(١) تفسير الطبري ٢ : ٩٠ ، ١٣٠ : ٧٦

(٢) قد مر هذا البيت في ١ : ٣٦ ، ٨٦ ، ٢ : ١٣١ ، ٣ : ٨٨ ، ٤ : ١٨٢ ، ٥ :

١١٩ وهو في اللسان والتاج (جوب) وامالي القالي ٢ : ١١٥ ومجاز القرآن ١ : ٦٧ .

٣٢٦ .

(٣) قائلة ضابي بن الحارث البرجمي . تفسير الطبري ١٣ : ٧٦ وجمع البيان ٣ : ٢٨٤ .

(٤) مجاز القرآن ١ : ٣٢٧ والطبري ١٣ : ٧٦ والقرطبي ٩ : ٣٠١ والشوكاني ٣ : ٩٦

وجمع البيان ٣ : ٢٨٤ .

الى الماء ، وهو بعيد منه من غير أن يتناوله ويدعوه الى فمه ، فان ذلك لا يصل اليه أبداً .

قوله تعالى :

(وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلًّا لَهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ) (١٦) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان جميع من في السموات والارض يسجدون له إما طوعاً منهم او كرهاً . وقيل في معنى ذلك ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن وقتادة وابن زيد : ان المؤمن يسجد طوعاً ، والكافر يسجد كرهاً بالسيف ، ويكون المعنى على هذا ان السجود واجب لله ، فالمؤمن يفعله طوعاً والكافر يؤخذ بالسجود كرهاً اي هذا الحكم في وجوب السجود لله الثاني - ان المؤمن يسجد لله طوعاً ، والكافر في حكم الساجد كرهاً بما فيه من الحاجة اليه ، والذلة التي تدعو الى الخضوع لله تعالى .

الثالث - قال ابو علي : سجود الكره بالتذليل للتصريف من عافية الى مرض ، وغنى الى فقر وحياة الى موت كتذليل الأكم للحوافر في قول الشاعر :

تري الاكم فيها سجداً للحوافر^(١)

وقال الزجاج : يجوز ان يكون المعنى ان فيمن سجد لله من يسهل ذلك عليه وفيهم من يشق عليه فيكرهه ، كما قال « حملته أمه كرهاً وضعت كرهاً »^(٢) .
وقوله « وظلالهم بالعدو والاصال » أي وتسجد ظلالمهم . وقيل في معناه قولان :

احدهما - ان سجود الظلال بما فيه من تغير الذلة التي تدعو إلى صانع غير

(١) قد مر هذا البيت في ١ : ٢٦٣ ، ٤ : ٢٣٣ ، ٦ : ١٩٧ ، ٢٣٥ .

(٢) سورة الاحقاف ٤٦ آية ١٥

مصنوع له العزة والقدرة .

والثاني - قيل سجود الظل لأنه يقصر بارتفاع الشمس ويطول بانحطاطها ، وذلك من آيات الله الدالة عليه ، والسجود هو وضع الوجه على الأرض على وجه الخضوع مذلة من وضع له ، وأصله التذليل من قول الشاعر :

يجمع تظل البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجداً للحوافر^(١)

و اصل السجود هو الميل والتطأ طؤ يقال : سجد البعير وأسجده صاحبه إذا طأطأه ليركبه شبه السجود في الصلاة بذلك وعلى هذا يحمل سجود الظلال وسجود الكفار ، ويراد بذلك حركاتهم وتصاريفهم ، فان ذلك أجمع يدل على أن الله الخالق لهم والمدبر لمعايشهم ، والطوع الانقياد للأمر الذي يدعا اليه من قبل النفس وهو نقيض الكره ، والكره الجر الى الأمر على إباء النفس ، واصله الكراهة ضد الارادة ، إلا انه جعل نقيض الطوع . والظلال جمع ظل وهو ستر الشخص ما بازائه . والظلّ الظليل هو ستر الشمس اللازم . واما النفي فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ، ومنه الظلّة ، لانها ساترة . والظلّ والظلال مثل زق وزقاق . والأصل جمع أصل ، والأصل جمع أصيل ، وهو العشيّ ، فكأنه قيل أصل الليل الذي ينشأ منه ، لانه مأخوذ من الأصيل ، وهو ما بين العصر الى مغرب الشمس ، قال ابو ذؤيب :

لعمري لانت البيت اكرم أهله واقعد في افئائه بالاصائل^(٢)

قوله تعالى :

(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

(١) قدمر في ١ : ٢٦٣ ، ٤ : ٢٣٣ .

(٢) تفسير الطبري ٧٧/١٣ وروايته (وابعد) بدل (واقعد)

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ (١٧) أَمْ جَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٨) آية في الكوفي وآيتان في البصري
والمدينين تمام الاولى « والنور » .

قرأ أهل الكوفة إلا « حفصاً أم هل يستوي » بالياء . الباقر بالتاء ، من قرأ بالتاء
فلانه مسند الى مؤنث لم يفصل بينه وبين فاعله بشيء ، كما قال « قالت الاعراب » (١) ،
و « قالت اليهود » (٢) و « اذ قالت أمة » (٣) وقد جاء في مثل ذلك التذكير ، كقوله
« وقال نسوة » (٤) ومن قرأ بالياء ، فلانه تأنيث غير حقيقي والفعل مقدم .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ ، يأمره بأن يقول لهؤلاء الكفار « من رب
السموات والارض » أي من مدبرهما ومصرّهما على ما فيهما من العجائب ، فانهم لا يمكنهم
أن يدّعوا أن « مدبر السموات والارض الاصنام التي يعبدونها ، فاذا لم يمكنهم ذلك ،
فقل لهم رب السموات والارض وما بينهما من انواع الحيوان والنبات والجماد « الله »
تعالى ، فاذا أقرؤا بذلك فقل لهم على وجه التبكيث لهم والتوبيخ لفعلهم :
أفأنتخذتم من دون الله اولياء توجهون عبادتكم اليهم ؟! فالصورة صورة الاستفهام
والمراد به التقريع والتوبيخ . ثم بين ان هؤلاء الذين اتخذتموهم اولياء من الاصنام
والاوثان لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ومن لا يملك لنفسه ذلك فانه بأن لا يملك
لغيره اولى وأحرى ، ومن كان كذلك كيف يستحق العبادة ثم قال لهم « هل
يستوي الأعمى والبصير » ام هل يتساوى الأعمى عن طريق الحق والعاقل عنه
الى الضلال . والبصير الذي اهتدى الى الحق ، فإنها لا يتساويان ابدأ ، كما لا

(١) سورة الحجرات آية ١٤

(٢) سورة البقرة آية ١١٣ والتوبة آية ٣١١ والمائدة ١٩ ، ٦٥

(٣) سورة الاعراف آية ١٦٤ (٤) سورة يوسف ١٢ آية ٣٠

يتساوى الظلمات والنور . ثم قال هل جعلوا يعني هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا أفعالاً مثل خلق الله ، من خلق الأجسام والألوان والطعوم والاراجيح ، والموت والحياة ، والشهوة والنفار ، وغير ذلك من الأفعال التي مختص تعالى بالقدرة عليها فاشتبه ذلك عليهم ، فظنوا انها تستحق العبادة ، لان أفعالها مثل أفعال الله ، فاذا لم يكن ذلك شبيهاً بل كان معلوماً لهم ان جميع ذلك ليست من جهة الاصنام ، فقل لهم الله خالق كل شيء اي هو خالق جميع ذلك يعني ما تقدم من الأفعال التي يستحق بها العبادة .

وقوله « وهو الواحد القهار » اي الخالق لذلك واحد لا ثاني له وهو الذي يقهر كل قادر سواه لا يقدر على امتناعه منه .

ومن تعلق من المجبرة بقوله « قل الله خالق كل شيء » على ان أفعال العباد مخلوقة لله ، فقد أبعد ، لان المراد بذلك ما قدمناه من أنه تعالى خالق كل شيء يستحق بخلقه العبادة دون ما لا يستحق به ذلك . ولو كان المراد ما قالوه لكان فيه حجة للخلق على الله تعالى وبطل التوبيخ الذي تضمنته الآية الى من وجهه عبادته الى الاصنام ، لانه إذا كان الخالق لعبادتهم الاصنام هو الله على قول المجبرة فلا توبخ يتوجه على الكفار ، ولا لوم بلحقهم بل لهم ان يقولوا : إنك خلقت فينا ذلك فما ذنبنا فيه ولم توبخنا على فعل فعلته؟ فتبطل حينئذ فائدة الآية . على أنه تعالى إنما نفى ان يكون أحد يخلق مثل خلقه ، ونحن لا نقول إن احداً يخلق مثل خلق الله ، لان خلق الله اختراع مبتدع ، وأفعال غيره مفعولة في محل القدرة عليه مباشراً او متولداً في غيره بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر احدنا على اختراع الأفعال في غيره على وجه من الوجوه ، ولان احدنا يفعل ما يجر به نفعاً او يدفع به ضرراً ، والله تعالى لا يفعل لذلك فبان الفرق بين خلقنا وخلقته . ولان احدنا يفعل بقدرة محدثة . يفعلها الله فيه والله تعالى يفعل ، لانه قادر لنفسه . وايضاً فان ههنا اجناساً لا نقدر عليها ، وهو تعالى قادر على جميع الاجناس ، ونحن لا نقدر ان نفعل بقدرة واحدة في وقت واحد في محل واحد

من جنس واحد أكثر من جزء واحد ، والله تعالى يقدر ان يفعل ما لا نهاية له
فبان الفرق بيننا وبينه من هذه الوجوه .

قوله تعالى :

(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
زَبْداً رابياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبْداً
مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ) (١٩) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة إلا ابا بكر « ومما يوقدون » بالياء . الباقون بالتاء . قال أبو
علي : من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب ، وهو قوله « قل أفأنتخذتم » ويجوز ان
يكون خطاباً عاماً ، يراد به الكافة ، فكان المعنى « مما توقدون » عليه ايها
الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي عليه السيل « فاما الزبد فيذهب جفاء » لا ينتفع
به كما ينتفع بما يخلص بعد الزبد من الماء والذهب والفضة والصفرة . ومن قرأ
بالياء ، فلان الغيبة قد تقدم في قوله « ام جعلوا الله شركاء » ويجوز ان يراد به
جميع الناس ويقوي ذلك قوله « واما ما ينفع الناس » فكما ان الناس يعم المؤمن
والكافر كذلك الضمير في « يوقدون » وقال « ومما يوقدون عليه في النار »
كقوله « فارقد لي يا هامان على الطين »^(١) فهذا إيقاد على ما ليس في النار ، وان
كان يلحقه وهجها ولهبها . وأما قوله « بورك من في النار »^(٢) فالمعنى على من في قرب
النار ، وليس يراد به متوغلها « ومن حولها »^(٣) ومن لم يقرب منها قرب الآخرين

(٣٠٢) سورة النحل ٢٧ آية ٨

(١) سورة القصص ٢٨ آية ٣٨

ألا ترى ان قوله «ومن حولكم من الاعراب منافقون»^(١) لم يقرب المنافقون الذين حولهم فيه قرب المخالطين لهم حيث يحضرونه ويشهدونه في مشاهدتهم .

قال الحسن يقول الذي « أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها » الى قوله « ابتغاء حلية » الذهب والفضة والمتاع والصفرة والحديد « كذلك يضرب الله الحق والباطل » كما أوقد على الذهب والفضة والصفرة والحديد، فيخلص خالصه، « كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » قال فكذلك الحق بقي لأهله فانتمتعوا به .

وقرأ الحسن « بقدرها » بتخفيف الدال وهما لغتان يقال أعطى قدر شبر وفي المصدر بالتخفيف لا غير تقول: قدرت اقدر قدراً، وفي المثل التخفيف، والتثقيب تقول: هم يختصمون في القدر بالسكون والحركة قال الشاعر:

الا يا لقوم للنوائب والقدر وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري^(٢)

أخبر الله تعالى انه هو الذي ينزل من السماء ماء يعني الامطار والغيوث ، فتسيل هذه المياه أودية بقدرها من القلة والكثرة . والسيل جري الماء من الوادي على وجه الكثرة . يقال جاء السيل يفرق الدنيا، وسال بهم السيل إذا جحفهم بكثرتهم . والوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر، ومنه اشتقاق الودية ، لانه جمع المال العظيم الذي يؤدي عن القتل ، والقدر إقران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان . والوزن يزيد وينقص ، فاذا كان مساوياً، فهو القدر .

وقوله « فاحتمل السيل زبداً رابياً » فالاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ، ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ، ولم يغضبه ، فقوله هذا يحتمل وجهين: معناه له قوة يحمل بها الوجهين، والزبد وضر الغليان، وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر ، وزبد السيل ، وزبد البعير . والجفاء ممدود مثل الغشاء وأصله

(١) سورة التوبة ٩ آية ١٠١

(٢) مجمع البيان ٣ : ٢٨٦

الهمزة يقال جفا الوادي جفاء . قال الفراء: كل شيء ينضم بعضه الى بعض فإنه يجيء على (فعال) مثل الحطام والقماش والغشاء والجفاء ، فاذا أردت المصدر ، فهو مقصور .

وقوله « رابياً » معناه زائداً ، يقال ربا يرو رباً فهو راب . ومنه الربا المحرم .
وقوله « ومما توقدون عليه » اي ومن ذلك توقدون عليه زبد مثله ، والايقاد القاء الحطب في النار أو قد ايقاداً واستوقدت النار واتقدت وتوقدت .
وقوله « ابتغاء حلية » معناه طلب حلية من الذهب والفضة أو متاع يعني الصفر والحديد ، والمتاع ما تمتعت به قال الشاعر :

تمتع يا مشعث إن شيئاً سبقت به المات هو المتاع^(١)

« زبد مثله » يعني من الذي يوقد عليه زبد مثل زبد السيل ، ومثل الشيء ما سد مسده ، وقام مقامه ، فيما يرجع الى ذاته .

وقوله « كذلك يضرب الله الحق والباطل » اي يضرب المثل للحق والباطل ، وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به الناس .

وقوله « فاما الزبد فيذهب جفاء » اخبار منه تعالى ان الزبد الذي يعلو على الماء والنار يذهب باطلاً وهالكاً ، قال أبو عبيدة قال أبو عمرو ، وتقول العرب أجفأت القدر إذا غلت فانصب زبدها ، وسكنت فلا يبقى منه شيء . والجفاء ممدود مثل الغشاء ، واصله الهمز .

وقوله « واما ما ينفع الناس » من الماء الصافي ، والذهب ، والفضة ، والحديد ، والصفر « فيمكث في الارض » اي يلبث ويثبت . والمكث الكون في المكان على مرور الزمان مكث يمكث مكثاً وتمكث تمكثاً والمكث طول المقام .

وقوله « كذلك يضرب الله الامثال » اي يضرب الله مثل الحق والباطل بالماء الذي ينزل من السماء ، ويحوهر الارض ، فإن لهما جميعاً زبداً ، هذا عند سيله

(١) قائمة المشعث العامري . مجاز القرآن ١ : ٣٢٨ واللسان والتاج (متع) ومعجم المرزباني

٤٧٥ وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٣ : ٨١ .

وجريه ، وهذا عند اذابته بالنار وهو وسخه وخبثه ، فالحق ثابت كالماء الذي يبقى في الارض ينبت به الزرع والشجر وكالجواهر التي في ايدي الناس تصبر على النار ، فلا تبطل فينتفعون بها . والباطل كزبد هذين يذهب ، لا منفعة فيه بعد ان يرى له حركة واضطراب . وفي ذلك تنبيه لمن تقدم ذكره من المشركين الذين سألوا الآيات على سبيل التكذيب والعدا .

قوله تعالى :

(لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (٢٠) آية بسلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين يجيبون دعاء الله الى طريق التوحيد والعمل بشريعته وتصديق نبيه ويطلبون مرضاته في فعل ما دعاهم اليه ، لهم الحسنى ، وهي المنفعة العظمى في الحسن ، وقال المفسرون : أراد بالحسنى الجنة والخلود في نعيمها . وان الذين لم يجيبوا دعاءه ولم يقرّوا بنبيه ولم يعملوا بما دعاهم اليه « لو ان لهم ما في الارض جميعاً ملكاً لهم ويضيفوا اليه مثله في الكثرة لافتدوا بجميع ذلك أنفسهم من عذاب النار وطلبوا به الخلاص منه ، لو قبل ذلك منهم . والافتداء جعل أحد الشيثيين بدلاً من الآخر على وجه الاتقاء به ، فهؤلاء لا يقيهم من عذاب الله شيء - نعوذ بالله منه - ثم أخبر تعالى ان هؤلاء سوء الحساب . وقيل في معناه قولان :

قال ابراهيم النخعي : ان سوء الحساب هو مؤاخذه العبد بذنبه لا يغفر له شيء منه .

وقال الجبائي : معناه واخذه به على وجه التوبيخ والتقريع . والحساب إحصاء ما على العبد وله ، يقال : حاسبته حساباً ومحاسبة ، وحسبه يحسبه حساباً وحسباناً .

وقوله « وما وهم جهنم وبئس المهاد » فالمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه ، وإنما قيل لجهنم : مهاد أي موضع المهاد لهم .

قوله تعالى :

(أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (٢١) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان من يؤمن بالله ويعلم ان ما أنزل إليك يا محمد من ربك الحق ، لا يكون مثل من يشهد ذلك وعمي عنه ، فاخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الانكار ، أي لا يكون هذان مستويين ، وبين ان الفرق بينهما بمنزلة الفرق بين الاعمى والبصير .

وقوله « إنما يتذكر اولوا الالباب » معناه إنما يتذكر في ذلك ويفكر فيه ويستدل به ذوو العقول والمعرفة . والالباب هي العقول ، واحدها لب . ولب الشيء ، أجل ما فيه واخصله واجوده ، فلب الانسان عقله لانه أجل ما فيه ، ولب النخلة قلبها ، ولب الطلعة ثمرتها التي فيها ، وإنما شبه العلم بالبصر ، والجهل بالعمى ، لان العلم يهتدى به الى طريق الرشده من الغي كما يهتدى بالبصر الى طريق النجاة من طريق الهلاك ، وعكس ذلك حال الجهل والغي . قال الرماني : وجه الاحتجاج بالآية انه إذا كانت حال الجاهل كحال الاعمى ، وحال العالم كحال البصير وأمكن هذا الأعمى ان يستفيد بصراً ، فما الذي يبعده عن طلب العلم الذي يخرج عن حال الاعمى بالجهل؟! . وهذا إزام طلب العلم ، لانه خروج عن حال الأعمى بالجهل الى البصير بالعلم .

وقوله « إنما يتذكر أولوا الالباب » معناه إنما ينتفع بالذكر من كان له لب ، كقولك : إنما يترك السرف والبغي من له عقل وعلم بالعواقب ، وان كان كثير ممن له عقل لا يترك ذلك ولا يفكر في العواقب .

قوله تعالى :

(الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (٢٢) آية

بلا خلاف .

موضع « الذين » رفع لأنه صفة لاولى الالباب ، فكأنه قال إنما يتذكر أولوا الالباب الذين صفتهم أنهم يوفون بعهد الله ولا ينقضون موثيقه . والايفاء جعل الشيء على المقدار من غير زيادة ولا نقصان ، والعهد العقد المتقدم على الأمر بما يفعل ، والنهي عما يحتنب يقال : عهد لله عهداً ، وعاهده معاهدة . وتعهدته تعهداً وتعاهده تعاهداً ، والنقض حل العقد بفعل ما ينافيه ، والنقيض معنى تنافي صحته صحة غيره . والنقض في المعاني إيجاد ما لا يمكن ان يصح مع غيره ، كاعتقاد ان زيدا في الدار وليس هو فيها على وجه واحد . والميثاق العهد الواقع على إحكام . وثقوثاً وثقفاً واستوثق استيثاقاً ، ورائقه موثقة ، ووثق به ووثقاً ، واورثقه ايثاقاً ، ووثقه وثيقاً .

والعهد الذي جعله في عقول العباد ما جعل فيها من اقتضاء صحة أمور الدين وفساد أمور آخر ، كإقتضاء الفعل للفاعل ، وأنه لا يصح الفعل الا ان يكون فاعله قادراً ، وان المحكم لا يصح الا من عالم ، وان الصانع لا بد ان يرجع الى صانع غير مصنوع ، والا أدى الى ما لا نهاية له ، وان للعالم مدبر لا يشبهه ، ولا يحتاج الى مدبر لحاجته وما أشبه ذلك . وقد يكون ايضاً على العهد الذي عاهد عليه النبي ﷺ . وفي الآية دلالة على وجوب الوفاء بالمعهود التي تتعقد بين الخلق سواء كان بين المسلمين او الكفار ، من الهدنة وغيرها .

قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (٢٣) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على الاولى، وهي من صفة الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون ميثاقه ، وانهم مع ذلك « يصلون ما أمر الله به أن يوصل » والوصل ضد الفصل يقال وصله يصله وصلًا ، وأوصله إيصالًا ، واتصل اتصلاً ، وتواصلوا تواصلًا ، وواصله مواصلةً ، ووصله توصيلًا . والوصل ضم الثاني الى الاول من غير فاصلة . وقيل : المعنى يصلون الرحم . وقال الحسن : المعنى يصلون محمد ﷺ .

وقوله « ويخشون ربهم » اي يخافون عقابه فيتركون معاصيه « ويخافون سوء الحساب » وقد فسرناه . والخوف والحشية والفرع نظائر ، وهو انزعاج النفس مما لا تأمن معه من الضرر ، وضد الأمن الخوف . والسوء ورود ما يشق على النفس ، ساءه يسوءه سوءاً ، وأساء اليه إساءة . والاساءة ضد الاحسان . وقيل « سوء الحساب » مناقشة الحساب . والحساب احصاء ما على العامل وله ، وهو - ههنا - إحصاء ما على المجازي وله .

قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ

عُقُوبَةُ الدَّارِ) (٢٤) آية بلا خلاف .

هذه الآية ايضاً من تمام وصف الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون ميثاقه ويصلون ما امر الله بوصله ، ويصبرون على ترك معاصي الله ، والقيام بما أوجبه عليهم ، والصبر على بلاء الله وشدائده من الامراض والفقر وغير ذلك . والصبر

حبس النفس عما تنازع اليه مما لا يجوز من الفعل وهو تجرع مرارة تمنع النفس مما تحب من الامر .

ومعنى قوله « ابتغاء وجه ربهم » اي يفعلون ذلك طلب عظمة ربهم .
والعرب تقول ذلك في تعظيم الشيء يقولون: هذا وجه الرأي، وهذا نفس الرأي المعظم ، فكذلك سبيل وجه ربهم اي نفسه المعظم بما لا شيء اعظم منه ، ولا شيء يساويه في العظم . والمعنى ابتغاء ثواب ربهم .

وقوله « وأقاموا الصلاة » يعني اقاموها بحدودها . وقيل: معناه داوموا على فعلها و« انفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية » اي ظاهراً وباطناً ، ما يجب عليهم من الزكاة ، وما ندبوا اليه من الصدقات . والسر إخفاء المعنى في النفس ، ومنه السرور ، لانه لذة تحصل في النفس ، ومنه السرير ، لانه مجلس سرور .

وقوله « ويدرون بالحسنة السيئة » معناه يدفعون بفعل الطاعة المعاصي ، يقال: درأته ادروه درءاً إذا دفعة . وقال ابن زيد: الصبر على وجهين :

احدهما - الصبر لله على ما احب . والآخر - الصبر على ما كره ، كما قال « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقيل ويدرون سفه الجهال بما فيهم من الخلو . وقيل: انهم يدفعون ظلم الغير عن نفوسهم بالرفق والمواظب الحسنة . ثم قال تعالى مخبراً ان هؤلاء الذين وصفهم بهذه الصفات « لهم عقبى الدار » اي عاقبة الدار ، وهي الجنة التي وعد الله الصابرين بها .

قوله تعالى :

(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٥) سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (٢٦) آيتان في الكوفي
والبصري . وآية في الباقي تمام الاولى في الكوفي والبصري . « من كل باب »

يقول الله تعالى إن من وصفه بالصفات المذكورة « لهم عقبى الدار » وهي «جنت عدن» قال الزجاج: (جنت) بدل على قوله «عقبى الدار» والجنت البساتين التي يحفها الشجر واحدها جنة وأصله الستر من قوله «جن عليه الليل»^(١) وجنته إذا ستره . و (العدن) الإقامة الطويلة ، عدن بالمكان إذا أقام به يعدن عدناً ، ومنه المعادن التي يخرج منها الذهب والفضة وغيرهما .

وقوله « ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم » أي ويدخل هذه الجنات الذين عملوا الصالحات من آباء المؤمنين ، ومن أزواجهم وذرياتهم . والصلاح استقامة الحال الى ما يدعو إليه العقل او الشرع . والمصلح من يفعل الصلاح ، والصالح المستقيم الحال في نفسه .

وقوله « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب » أي يدخلون من كل باب بالتحية والكرامة ، وفي ذلك تعظيم الذكر للملائكة . وفي الآية دلالة على ان ثواب المطيع لله سروره بما يراه في غيره من أحبته ، لانهم يسرون بدخول الجنة مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، وهم أولادهم . وذلك يقتضي سرورهم بهذا الخبر . وقوله « سلام عليكم بما صبرتم » أي يقول هؤلاء الملائكة الداخول عليهم « سلام عليكم » . والسلام التحية بالكرامة على انتفاء كل امر يشوبه من مضرة . والقول محذوف لدلالة الكلام عليه . والعقبى الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خير او شر ، فعقبى المؤمن الجنة فهي نعم الدار ، وعقبى الكافر النار ، وهي بئس الدار . و (الباء) في قوله « بما صبرتم » يتعلق بمعنى « سلام عليكم » لانه دل على السلامة لكم بما صبرتم ، ويحتمل ان يتعلق بمحذوف ، وتقديره هذه الكرامة لكم بما صبرتم .

وقيل في معنى « بما صبرتم » قولان :

احدهما - ان تكون (ما) بمعنى المصدر ، فكأنه قال : بصبركم .

والثاني - ان تكون بمعنى (الذي) كأنه قال بالذي صبرتم على فعل طاعاته

وتجنب معاصيه .

قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (٢٧) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى الذين يوفون بعهده ، ولا ينقضون ميثاقه ، ووصفهم
بالصفات التي يستحقون بها الجنة ، وهي عقبى الدار ، اخبر بعد ذلك عن حال من
ينقض عهده من بعد اعطائه المواثيق ، ويقطع ما امر الله به ان يوصل ، وهو ما
بيناه من صلة الرحم او صلة النبي ﷺ ويفسد مع ذلك في الارض ، ومعناه ان
يعمل فيها بمعاصي الله والظلم لعباده ، وخراب بلاده ، فهؤلاء لهم اللعنة ، وهي
الابعاد من رحمة الله ، والتباعد من جنته ، « ولهم سوء الدار » يعني عذاب النار ،
والخلود فيها . وقد بينا معنى النقض ، وأنه التفريق بين شيئين متآلفين ، ومثله
الهدم ، ونقض العهد هو العمل بخلاف موجب ، والعهد عقد يتقدم به في الامر
وعهد الله عقده ، وهو لزوم العمل بالحق في جميع ما اوجبه عليه ، والميثاق
احكام العقد بأبلغ ما يكون مثله ، وميثاق العهد توثيقه بأوكده ما يكون من
الأمر . والقطع نقيض الوصل ، وقطع ما امر الله به ان يوصل ؛ في كل عمل يجب
تتميته ، من صلة رحم او غيره من الفروض اللازمة ، والافساد نقيض الاصلاح .

قوله تعالى :

(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَا يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) (٢٨) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه « يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » ومعناه يوسعه على من يشاء

من عباده، بحسب ما يعلم من مصلحته، ويضيقه على آخرين إذا علم ان مصلحتهم في ذلك .

وقوله « وفرحوا بالحياة الدنيا » معناه وسروا - هؤلاء الذين بسط لهم في الرزق - بالرزق في الحياة الدنيا ففسدوا فناءه وبقاء امر الآخرة . ويحتمل ان يكون اراد به أنهم فرحوا فرح البطر ، كقوله « ان الله لا يحب الفرحين »^(١) والفرح هو السرور ، وهو لذة في القلب بنيل المشتهى ، ومنه قوله « فرحين بما آتاهم الله من فضله ».^(٢)

ثم قال تعالى « وما الحياة الدنيا في الآخرة الامتاع » ومعناه ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة في الآخرة « إلامتاع » اي لمتاع قليل ذاهب في - قول مجاهد - وانما كان كذلك ، لان هذه فانية وتلك دائمة باقية . والمتاع ما يقع من الانتفاع به في العاجلة ، وأصله التمتع ، وهو التلذذ بالأمر العاجل ، ولذلك وصفت الدنيا بأنها متاع . والقدر قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان ، والمقدار المثال الذي يعمل فيه غيره في مساواته ، ومعنى ويقدر - ههنا - يضيق . وقال ابن عباس : ان الله تعالى خلق الخلق فجعل الغنا لبعضهم صلاحاً ، والفقر لبعضهم صلاحاً ، فذلك الخيار للفريقين .

قوله تعالى :

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ) (٢٩) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية عن الكفار الذين وصفهم انهم يقولون « لولا أنزل » على محمد « آية » بعني علامة ومعجزة . والمعنى هلا انزل عليه آية من ربه

(١) سورة القصص ٢٨ آية ٧٦ (٢) سورة آل عمران ٣ آية ١٧٠

يقترحونها، ويعلمون انها انزلت من ربه، وذلك لما لم يستدلوا، فيعلموا مدلول الآيات التي اتى بها لم يعتدوا بتلك الآيات ، فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها ، فأمر الله نبيه ان يقول لهم « ان الله يضل من يشاء » بمعنى انه يحكم على من يشاء بالاضلال اذا ضل عن طريق الحق ، ويجوز ان يكون المراد « يضل من يشاء » عن طريق الجنة بسوء أفعالهم وعظم معاصيهم، ولا يجوز ان يريد بذلك الاضلال عن الحق، لان ذلك سفه لا يفعله الله تعالى .

وقوله « ويهدي اليه من أناب » اي يحكم لمن رجع الى طاعة الله والعمل بها بالجنة ويهديه اليها. والهداية الدلالة التي تؤدي الى طريق الرشيد بدلاً من طريق الغي ، والمراد بها - ههنا - الحكم له بسلوك طريق الجنة رفعاً لقدره ، ومدحاً لصاحبه . والاضلال العدول بالمارء عن طريق النجاة الى طريق الهلاك ، والمراد - ههنا - الحكم له بالعدول عن طريق الجنة وسلوك طريق النار ، والإجابة الرجوع الى الحق بالتوبة ، يقال : تاب ينوب نوبة اذا رجع مرة بعد مرة .

قوله تعالى :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (٣٠) آية بلا خلاف .

موضع « الذين » نصب ، لأنه من صفة من أناب ، وتقديره ويهدي الله الذين أنابوا الى الله « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » والايان - ههنا - هو الاعتراف بتوحيد الله على جميع صفاته، والاقرار بنبوة نبيه، وقبول ما جاء به من عند الله ، والعمل بما أوجبه عليهم ، وفي اللغة : الايمان هو التصديق .

وقوله « وتطمئن قلوبهم بذكر الله » أي تسكن قلوبهم وتأنس الى ذكر الله الذي معه ايمان به، لما في ذلك من ذكر نعمه التي لا تحصى وآياديه التي لا تجازى، مع عظيم سلطانه وبسط إحسانه . والذكر حضور المعنى للنفس ، وقد يسمى العلم ذكراً ، والقول الذي فيه المعنى الحاضر للنفس يسمى ذكراً . ووصف الله

تعالى - ههنا - المؤمن بأنه يطمئن قلبه الى ذكر الله، ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه^(١)، لان المراد بالاول انه يذكر ثوابه وانعامه، فيسكن اليه، والثاني يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويحل قلبه .
وقوله « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » إخبار منه تعالى ان بذكر الله تسكن القلوب وتستأنس وتطمئن الى ما وعد الله به من الثواب والنعيم، ومن لم يكن مؤمناً عارفاً لا يسكن قلبه الى ذلك .

قوله تعالى :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ)

(٣١) آية بلا خلاف .

يحتمل قوله « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ان يكون في موضع نصب بأن يكون من صفة « الذين » في الآية الاولى، ويحتمل ان يكون رفعاً بالابتداء، فكأنه أخبر ان الذين يؤمنون بالله ويعترفون بوجدانيته ويصدقون نبيته، ويعملون بما أوجبه عليهم من الطاعات، ويحتنبون ما نهاهم عنه من المعاصي « طوبى لهم » وقيل في معناه عشرة أقوال :

احدها - لهم بطيب العيش .

وثانيها - قال ابن عباس : معناه فرح لهم تقرّبه أعينهم .

وثالثها - قال قتادة : معناه الحسنى لهم .

ورابعها - قال عكرمة : نعم ما لهم .

وخامسها - قال الضحاك : غبطة لهم .

وسادسها - قال ابراهيم : كرامة لهم من الله .

وسابعها - قال مجاهد : الجنة لهم .

(١) في سورة الانفال ٨ آية ٢ « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت

عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » .

وثامنها - قال ابو هريرة : طوبى شجرة في الجنة .
وتاسعها - قال الجبائي : تأنيث الاطيب من صفة الجنة ، والمعنى إنها أطيب
الأشياء لهم .

وعاشرها - قال الزجاج: المعنى العيش الأطيب لهم .
وهذه الأقوال متقاربة المعنى .

وقوله «وحسن مأب» فالمأب المرجع يقال: آب يؤب أوباً ومأباً إذا رجع،
وسمي المئوى في الآخرة مأباً، ومنقلباً، لأن العباد يصيرون اليه، كما يصيرون الى
ما كانوا انصرفوا عنه . والحسن النفع الذي يتقبله العقل، وقد يجري على ما تتقبله
النفس ، كما يجري القبح الذي هو نقيضه على ما ينافره الطبع ، والمعنى إن لهم
طوبى ولهم حسن مأب ، و «طوبى» في موضع رفع «وحسن مأب» عطف
عليه ويجوز ان يكون موضعه النصب ، وينصب «حسن مأب» على الاتباع كما
يجوز الحمد لله ، ولم يقرأ به .

قوله تعالى :

(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ
عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) (٣٢) آية بلا خلاف.

قيل في التشبيه في قوله « كذلك أرسلناك » وجهان :

احدهما - قال الحسن والجبائي: إن المعنى إنا أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك .

وقال قوم : ان المعنى إن النعمة على من أرسلناك اليه ، كالنعمة على من تقدم
ذكره بالثواب في «حسن مأب» ، والمعنى إنا أرسلناك يا محمد «في أمة» قد مضت
« من قبلها أمة » وغرضي ان تتلو أي تقرأ عليهم ما « اوحينا اليك » من الأمر
والنهي والوعد والوعيد .

والارسال تحميل الرسول الرسالة ، فرسول الله قد حمله الله رسالة الى عباده ، فيها أمره ونهيه وبيان ما يريد وما يكرهه . والآمة الجماعة الكثيرة من الحيوان التي ترجع الى معنى خاص لها دون غيره ، فمن ذلك أمة موسى ، وأمة عيسى ، وأمة محمد ﷺ ، وكذلك كل جنس من أجناس الحيوان أمة ، لاختصاصها بمعنى جنسها ، فعلى هذا العرب أمة ، والترك أمة ، والزنج أمة ، و (الخلو) مضي الشيء بنقيضه على مجرد مما كان عليه ، كأنه ينفيه دون احواله التي كان عليها ، فقد انفرد عنها . و (التلاوة) جعل الثاني يلي الأول بعده بلا فصل . والتلاوة والقراءة واحد .

وقوله « وهم يكفرون بالرحمن » إنما قال « بالرحمن » دون (الله) لان اهل الجاهلية من قريش ، قالوا الله نعرفه ، والرحمن لا نعرفه . وكذلك قالوا « وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا »^(١) وقال « قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی »^(٢) ، وهو قول الحسن ، وقتادة .

ثم أمر الله تعالى نبيه ان يقول لهم « هو » يعني الرحمن « ربي » أي خالقي ومدبري « لا إله إلا هو » ليس لي إله ولا معبود سواه « عليه توكلت » أي وثقت به في تدبيره وحسن اختياره . والتوكل التوثيق في تدبير النفس برده الى الله « وإليه متاب » أي الى الله الرحمن توبيتي وهو الندم على ما سلف من الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة الى مثله في القبح ، والمتاب والتوبة مصدران ، يقال : تاب يتوب توبة ومتاباً .

قوله تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَئِن لَّمْ يَآئِسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

(٢) سورة الأسرى ١٧ آية ١١٠

(١) سورة الفرقان ٢٥ آية ٦٠

لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣٣) آية بلاخلاف .

هذه الآية تتضمن وصف القرآن بغاية ما يمكن من علو المنزلة وبلوغه أعلى طبقات الجلال، لانه تعالى قال «لو أن قرآنا سيرت به الجبال» من مواضعها وقلعت من أماكنها لعظم محله وجلالة قدره . والتسيير تصيير الشيء بحيث يسير، تقول سار يسير سيرا ، وسيره غيره تسييرا . «أو قطعت به الارض» مثل ذلك . والتقطيع تكثير القطع ، قطعه قطعة ، وقطعه تقطيعا . والقطع فصل المتصل . «أو كلم به الموتى» مثل ذلك حتى يعيشوا أو يحيوا ، تقول: كلمه كلاما ، وتكلم تكلما ، والكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من الحروف المعقولة إذا وقع بمن يصح منه أو من قبيلة ، لافادة . و (الموتى) جمع ميت مثل صريع وصرعى ، وجريح وجرحى . ولم يحيى جواب (لو) لدلالة الكلام عليه ، وتقديره : لكان هذا القرآن لعظم محله في نفسه وجلالة قدره . وكان سبب ذلك أنهم سألوا النبي ﷺ ان يسير عنهم جبال مكة لتتسع عليهم المواضع ، فأنزل الله تعالى الآية ، وبين انه لو سيرت الجبال بكلام ، لسيرت بهذا القرآن لعظم مرتبته وجلالة قدره . وقد يحذف جواب (لو) إذا كان في الكلام دلالة عليه ، قال امرؤ القيس :

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفاسا^(١)

وهو آخر القصيدة ، وقال الآخر :

فأقسم لو شيء اانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا^(٢)

وقال الفراء : يجوز ان يكون جوابه (لكفروا بالرحمن) لتقدم ما يقتضيه ،

(١) ديوانه (الطبعة الرابعة) : ١١٧ وروايته (جميعه) بدل (سوية) وبعده اربع أبيات

من القصيدة ، وقد مر هذا البيت في ٦ : ١٢٢

(٢) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٢ : ١٢ ، ١٣ : ٩٠ ، وقد مر فيما سلف في ٥ : ٥٢٩

وقال البلخي : يجوز ان يكون معطوفاً على قوله « وهم يكفرون بالرحمن ... ولو ان قرآننا » ويستغنى بذلك عن الجواب ، كما تقول : هو يشتمني ولو أحسنت إليه ، وهو يؤذيني ولو أكرمته .

وقوله « بل لله الامر جميعاً » معناه ان جميع ما ذكر - من تسيير الجبال وتقطيع الارض وإحياء الموتى ، وكل تدبير يجري هذا المجرى - لله ، لانه لا يملكه ولا يقدر عليه سواه .

وقوله « أفلم ييأس الذين آمنوا » قيل في معناه قولان :
احدهما - قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد ، وابو عبيدة : معناه أفلم يعلم ، قال سحيم :

اقول لهم بالشعب إذ يأسروني ألم ييأسوا اني ابن فارس زهدم^(١)

معناه ألم يعلموا .

الثاني - قال الفراء : معناه « أفلم ييأس الذين آمنوا » ان ينقطع طمعهم من خلاف هذا ، علماً بصحته ، كما قال لييد :

حتى اذا يئس الرماة فأرسلوا عصفاً دواجن قافلاً اعصام^(٢)

معناه : حتى اذا يئسوا من كل شيء الا الذي ظهر اي يئسوا من خلاف ذلك لعلمهم بصحته ، والعلم بالشيء ، يوجب اليأس من خلافه .

وقوله « لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » معناه ألم يعلموا ان الله لو أراد ان يهدي خلقه كلهم الى جنته لهداهم ، لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق . ويحتمل ان يكون المعنى لو اراد ان يلبثهم إلى الاهتداء لقدر على ذلك ، لكنه ينافي التكليف ويبطل الغرض منه .

(١) الشاعر هو سحيم بن وثيل الرياحي . والبيت في تفسير الطبري ١٣ : ٩٠ .
(٢) تفسير الطبري ١٣ : ٩١ واللسان (دجن) ، (عصم) وروايته (غصفاً) بسدل (عصفاً) ، يقصد ارسال الكلاب .

وقوله « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » فالقارعة هي الداهية المهلكة ، وهي النازلة التي تزعج بالنعمة ، تقول : قرعتمهم تفرعهم قرعاً وهي قارعة ، ومنه المقرعة .

وقوله « او تحل قريباً من دارهم » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابن عباس : او تحل ، اي تنزل - يا محمد - قريباً من دارهم . والحلول حصول الشيء في الشيء ، وحملوا قوله « تصيبهم قارعة » على نزول السرايا ٣٣ او يحل النبي ﷺ قريباً منهم .

وقال الحسن : المعنى او تحل القارعة قريباً من دارهم .

وقوله « حتى يأتي وعد الله » قال قتادة معناه حتى يأتي وعده بفتح مكة . وقال الحسن : معناه حتى يأتي يوم القيامة .

وقوله « ان الله لا يخلف الميعاد » اخبار منه تعالى انه لا خلف لوعده بل لا بد ان يفعل ما وعد به او توعد عليه . وامر الله ما يصح ان يأمر فيه وينهى عنه وهو عام . واصله الامر نقيض النهي ، والاصابة لحوق ما طلب بالارادة ، اصاب الغرض يصيبه اصابة وهو مصيب ، ومنه الصواب إدراك البغية المطلوبة بداعي الحكمة .

وروي عن ابن عباس انه قرأ « أفلم يتبين الذين آمنوا » من التبيين . وروي مثله عن علي عليه السلام رواه الطبري . وقال الزجاج : معناه افلم يعلم الذين آمنوا ان هؤلاء لا يؤمنون مع قوله « لو شاء الله لهدى الناس جميعاً » .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ آسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (٣٤) آية بلا خلاف .

اللام في قوله « ولقد » لام القسم ، ومعنى الكلام انه اقسم تعالى انه لقد

استهزىء برسل من قبلك يا محمد أرسلهم الله . والاستهزاء طلب الهزاء وهو اظهار خلاف الاضمار للاستضعاف فيما يجري من عبث الخطاب . والرسل جمع رسول ، وهو المحتمل للرسالة . والرسالة كلام يؤخذ لتأديته الى صاحبه .

وقوله « فاميلت للذين كفروا » اي اخرت عقابهم وإهلاكهم وأمهلتهم ، يقال : أملى على إملاء ومنه قوله « انما نملي لهم ليزدادوا إثماً »^(١) واصله طول المدة ، ومنه قليل الليل والنهار : الملوآن لطولها ، قال ابن مقبل :

الا يا ديار الحي بالسبُعَانِ أملٌ عليها بالبلي الملوآن^(٢)

وقوله « ثم اخذتهم » يعنى الذين استهزؤا برسل الله وكفروا بآيات الله ، أهلكتهم وانزلت عليهم عذابي « فيكيف كان عقاب » وهو العذاب على وجه الجزاء .

ومعنى الآية تسليية النبي ﷺ عما يلقاه من سفهاء قومه من الكفر والاستهزاء عند دعائه إياهم إلى توحيدده والايامن به ، بأنه قد نال مثل هذا الأنبياء قبلك فصبروا ، فاصبر أنت ايضاً مثل ذلك ، كما قال « فأصبر كما صبر أولو العزم من الرسل »^(٣)

قوله تعالى :

(أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
شُرَكَاءَ قُلُوبُ سَمُومُهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيظَاهِرٍ
مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ

(١) سورة آل عمران اية ١٧٨

(٢) الكتاب لسيبويه ٢ : ٣١٥ وتفسير الطبري ١٤ : ١٣٢ وسمط اللآلي ٥٣٣ واللسان

(سبع) ومجاز القرآن ١ : ١٠٩ ، ٣٣٣ . وقد روى (الح) بدل (امل) .

(٣) سورة ٤٦ الاحقاق آية ٣٥

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٥) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة « وصدوا » بضم الصاد . الباقون بفتحها ، قال ابو علي :
قال ابو عمرو ، عن ابي الحسن : صد وصدته مثل رجع ورجعته ، قال الشاعر :

صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام^(١)
فهذا صدت في نفسها ، وقال الآخر :

صدت الكأس عنا ام عمرو

واما قوله « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام »^(٢)
فالمعنى يصدون المسلمين عن المسجد الحرام ، فكان المفعول محذوفاً .
وقوله « رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً »^(٣) يكون على يصدون عنك اي
لا يبايعونك ، كما يبايعك المسلمون ، ويجوز ان يكونوا يصدون غيرهم عن الايمان ،
كما صدوا هم عنه ، ويثبطون عنه . وحجة من اسند الفعل الى الفاعل ، قوله
« الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله »^(٤) وقوله « هم الذين كفروا وصدركم عن
المسجد الحرام »^(٥) فكما اسند الفعل الى الفاعل في جميع هذه الآي كذلك اسند
في قوله « وصدوا عن السبيل » وقيل : إن قوماً جلسوا على الطريق ، فصدوا
الناس عن النبي ﷺ ففيهم نزلت الآية .

ومن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم في كفرهم ،
وقد يكون على نحو ما يقال : صد فلان عن الخير وصد عنه ، يعنى انه لم يفعل
خيراً ، ولا يراد : ان مانعاً منعه . فأما قوله « وكذلك زين لفرعون سوء عمله

(١) جمع البيان ٣ : ٢٩٤ (٢) سورة ٢٢ الحج آية ٢٥

(٣) سورة ٤ النساء آية ٦١

(٤) سورة ٤ النساء آية ١٦٦ وسورة النحل ١٦ آية ٨٨ وسورة محمد ٤٧ آية ١ ، ٣٢ ، ٣٤

(٥) سورة ٤٨ الفتح آية ٢٥

وصد عن السبيل»^(١) فالفتح الوجه ، لأنه لم يصد عن الإيمان احد ، ولم يمنعه منه ، والذي زين ذلك له الشيطان ، كما قال « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل»^(٢)

معنى قوله « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » من هو قائم بتدبيرها وجزائها على ما كسبت من خير او شر ، كمن ليس بهذه الصفة ، وحذف الخبر لدلالة الكلام عليه .

وقوله « وجعلوا لله شركاء » في العبادة ، فعبدوا الاصنام ، والاولثان .

وقوله « قل سموم » اي سموم بما يستحقون من الاسماء التي هي صفات . ثم انظروا هل تدل صفاتهم على أنه يجوز أن يعبدوا ام لا ؟

وقوله « ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظهار من القول » معناه إلا ان يصفوهم بما لا يصح أن يعلم صحته ، فيخرجوا بذلك الى التجاهل او يقتصروا على ظاهر القول من غير رجوع الى حقيقة ، وهو قول مجاهد وقتادة . وقال ابو علي : معنى « بظهار من القول » الذي انزله الله على انبيائه .

وقوله « بل زين للذين كفروا مكرهم » اي زين ذلك لهم انفسهم وغواتهم من شياطين الانس والجن ، ولا يجوز ان يكون المراد زين بالشهوة ، لأن المكربليس مما يشتهي « وصدوا عن السبيل » اي منعوا عن طريق الحق بالاغواء والمنع . ويجوز ان يكون المراد واعرضوا عن طريق الجنة .

وقوله « ومن يضل الله فماله من هاد » قيل في معناه قولان :

احدهما - من حكم الله عليه بأنه ضال على وجه الذم ، فإنه لا ينفعه هداية احد .

والآخر - ان من يضلله الله عن طريق الجنة الى النار ، فلا هاد يهديه اليها ، ولا يجوز ان يكون المراد من يضلله عن الايمان ، لان ذلك سفه لا يفعله الله تعالى .

(٢) سورة النمل ٢٧ آية ٢٤

(١) سورة المؤمن : (غافر) ٤٠ آية ٣٧

قوله تعالى :

(لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) (٣٦) آية بلا خلاف .

في هذه الآية إخبار منه تعالى ان هؤلاء الكفار الذين وصفهم « لهم عذاب في الحياة الدنيا » وهو ما يفعل بهم من القتل والاسترقاق وسبي الذراري والاموال . ويجوز ان يريد ما يفعله الله بكثير منهم من الآلام العظيمة على وجه العقوبة . ثم قال « ولعذاب الآخرة اشق » اي اشد مشقة ، والمشقة : غاظ الامر على النفس بما يكاد يصدع القلب .

وقوله « وما لهم من الله من واق » اي ليس لهم من عذاب الله من يمنعهم منه . والواقى المانع ، وهو الفاعل للوقاية ، والوقاية الحجر بما يدفع الاذية ، وقاه يقيه وقاية ، فهو واق ، ووقاه توقيه .

قوله تعالى

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) (٣٧) آية بلا خلاف .

قيل في معنى « مثل الجنة » اقوال :

قال سيبويه : فيما نقص عليكم مثل الجنة ، فرفع (مثل) على الابتداء . وحذف الخبر .

وقال بعضهم معناه شبه الجنة ، والخبر محذوف ، وتقديره مثل الجنة التي هي الانهار ، كما قال الله تعالى « والله المثل الاعلى »^(١) معناه الصفة الاعلى .

(١) سورة ١٦ النحل آية ٦٠

وقال قوم: معناه صفة «الجنة التي وعد المتقون» صفة جنة تجري من تحتها الأنهار، والجنة البستان الذي يحينه الشجر، والمراد - هنا - جنة الخلد التي أعدّها الله للمتقين جزاء لهم على طاعتهم وانتهائهم عن معاصيه، والمتقي هو الذي يتقي عقاب الله بفعل الواجبات وترك المقبحات.

وقوله «اكلها دائم» قيل في معناه قولان:

احدهما - ان ثمارها لا تنقطع، كما تنقطع ثمار الدنيا في غير ازمئتها - في

قول الحسن.

الثاني - النعيم به لا ينقطع بموت، ولا بغيره من الآفات.

وقوله «وظلها» اي وظل الجنة دائم ايضاً ليس لها حر الشمس. ثم اخبر

ان ذلك عاقبة الذين اتقوا معاصي الله بفعل طاعاته. وأخبر أن عاقبة الكافرين

- الجاحدين لتوحيد الله المنكرين لنعمه - النار، والكون فيها على وجه الدوام

- نعوذ بالله منها -

قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ

الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ

بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ) (٣٨) آية بلا خلاف.

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين آتيناهم الكتاب، ومعناه اعطاهم،

« يفرحون بما انزل » على محمد ﷺ وقال الحسن وقتادة ومجاهد: هم اصحاب

النبي ﷺ الذين آمنوا به وصدقوه. والأحزاب هم اليهود والنصارى والمجوس.

وقال الجبائي: يجوز ان يعنى بالفرح به اليهود والنصارى، لأن ما أتى به مصدق

لما معهم، وأما انكار بعضهم، فهو انكار بعض معانيه وما يدل على صدقه أو

يخالف أحكامهم. و (الأحزاب) جمع حزب، وهم الجماعة التي تقوم بالنيابة،

يقال تحزب القوم تحزباً وحزبهم الأمر يحزبهم إذا نالهم بمكروهه.

وقوله « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به » في عبادته احداً ، أدعو الى الله ، والاقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة اليه وحده ، « واليه مآب » اي مرجعي ومصيري ؛ من قولهم : آب يؤب أوباً ومآباً ، والمعنى يرجع الى حيث لا يملك الضرر والنفع إلا الله تعالى .

قوله تعالى :

(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ) (٣٩) آية

قيل في وجه التشبيه في قوله « وكذلك » قولان :

احدهما - انه شبه انزاله حكماً عربياً بما أنزل إلى من تقدم من الانبياء .

الثاني - انه شبه انزاله حكماً عربياً بإنزاله كتاباً، تبياناً في انه منعم بجميع ذلك على العباد . و(الحكم) فصل الأمر على الحق ، واذا قيل : حكم بالباطل ، فهو مثل قولهم : حجة داحضة . و(العربي) هو الجاري على مذاهب العرب في كلامها فالقرآن عربي [على هذا المعنى ، لان المعاني فيه على ما تدعو اليه الحكمة]^(١) والالفاظ على مذاهب العرب في الكلام . [وقيل : انما سماه حكماً عربياً لانه أتى به نبي عربي]^(٢) .

وقوله « ولئن اتبعت أهواءهم » خطاب للنبي ﷺ ، والمراد به الأمة ، يقول له لئن وافقت وطلبت أهواء الذين كفروا بعد ان جاء العلم ، لان ما اتيناك من الدلالات والمعجزات للعلم . والاتباع طلب اللحاق بالأول كيف تصرف . اتبعه اتباعاً وتبعه يتبعة ، فهو تابع وذلك متبوع . والهوى - مقصور - هوى النفس . والهواء - ممدود - هواء الجوف ، والهوى ميل الطباع الى الشيء بالشهوة . و(العلم) ما اقتضى سكون النفس .

(١) ما بين القوسين من المخطوطة وهو ساقط من المطبوعة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة ايضاً .

وقوله « مالك من الله من وليّ ولا واق » معناه متى ما ابتعت أهواء هؤلاء الكفار، لم يكن لك من الله وليّ ولا ناصر يعينك عليه، ويمنعك من عذابه « ولا واق » ولا من يقيك منه ، يقال : وقاه وقاية واتقاه ، وتوقاه توقياً ، والواقي الفاعل للحجر عن الأذى .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً
وَمَا كَانَ لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)
(٤٠) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى انه أرسل قبل إرسال نبيه محمد ﷺ رسلاً الى خلقه ، وجعل لهم ازواجاً وذرية ، يعني اولاداً ، لانهم كانوا انكروا تزويج النبي بالنساء ، فبين الله تعالى ان الأنبياء قبله كان لهم أزواج وذرية ، وقد آمنوا بهم . ثم قال : وانه لم يكن لرسول يرسله الله ان يجيء بآية ودلالة ، إلا بعد ان يأذن الله في ذلك ويلطف له فيه .

وقوله « لكل أجل كتاب » معناه لكل أجل قدره ، كتاب أثبت فيه ، فلا تكون آية الا بأجل قد قضاه الله تعالى في كتاب على ما توجهه صحة تدبير العباد . وقيل : فيه تقديم وتأخير وتقديره لكل كتاب أجل ، كما قال « وجاءت سكرة الموت بالحق »^(١) ، والمعنى وجاءت سكرة الحق بالموت ، وهي قراءة أهل البيت ، وبه قرأ أبو بكر من الصحابة . والذرية الجماعة المفترقة في الولادة عن أب واحد في الجملة ، ويحتمل ان يكون من الذر . وأن يكون من ذرأ الله الخلق اي أظهرهم .

قوله تعالى :

(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (٤١)

آية بلا خلاف.

وجه اتصال هذه الآية بما تقدم هو أنه لما قال «لكل أجل كتاب» اقتضى ان يدخل فيه اعمال العباد ، فبين ان الله يمحو ما يشاء ، ويثبت ، لئلا يتوهم ان المعصية مثبتة بعد التوبة ، كما هي قبل التوبة . وقيل : ان مما يمحو ويثبت الناسخ والمنسوخ . وقيل يمحو ما يشاء ، ويثبت ، مما يثبت المملكان ، لأنه لا يثبت الا الطاعات والمعاصي دون المباحات . وقيل معناه يمحو ما يشاء من معاصي من يريد التفضل عليه باسقاط عقابه ، ويثبت معاصي من يريد عقابه . والحسنة يثبتها الله قبل فعلها ، بمعنى أنهم سيعملونها ، فاذا عملوها أثبتتها بأنهم عملوها ، فلذلك أثبت في الحالين ، والوجه في اثباته ما يكون فيه من المصلحة والاعتبار لمن يفكر فيه بأن ما يحدث ، على كثرته وعظمه ، قد أحصاه الله وكتبه ، وذلك لا سبيل اليه الا من جهة علام الغيوب الذي يعلم ما يكون قبل أن يكون ، واعتبار المشاهدة له من الملائكة إذا قابل ما يكون بما هو مكتوب ، مع أنه أهول في الصدور ، وأعظم في النفوس مما يتصور معه ، حتى كان المفكر فيه مشاهد له . و (المحو) إذهاب أثر الكتابة محاه يمحوه محواً وإحساء أيضاً ، وأمحاء إمحاء وامتحاء امتحاء . والاثبات الاخبار بوجود الشيء ، ونقيضه النفي ، وهو الاخبار بعدم الشيء .

وقال ابن عباس ومجاهد : إنه تعالى لا يمحو الشقاء والسعادة ، وهذا مطابق لقول اصحاب الوعيد .

وقال عمر بن الخطاب ، وابن مسعود : هما يمحيان مثل سائر الأشياء ، وهذا مطابق لقول المرجئة من وجه .

وقوله «وعنده أم الكتاب» معناه أصل الكتاب ، لأنه يكتب أولاً :

سيكون كذا وكذا ، لكل ما يكون ، فاذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل أنه سيكون . وقيل : أصل الكتاب ، لان الكتب التي أنزلت على الانبياء منه نسخت وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ، وعاصم و« يثبت » خفيفة . الباكون مشددة . قال أبو علي : المعنى يحو الله ما يشاء ويثبت ، فاستغني بتعدية الاول من الفعلين عن تعدية الثاني ، كما قال « والحافظين فروجهم والحافظات »^(١) ، وزعم سيبويه أن من العرب من يعمل الاول من الفعلين ، ولا يعمل الثاني في شيء ، كقولهم متى رأيت أو قلت زيدا منطلقاً ، قال الشاعر :

بأي كتاب ام بأية سنة ترى حبهم عاراً عليّ وتحسب^(٢)

فلم يعمل الثاني . وقالوا « أم الكتاب » هو الذكر المذكور في قوله « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر »^(٣) ، قال فحجة من شدد قوله « واشدّ تثبيتنا »^(٤) ، وقرأ « ويثبت » ، لان تثبيت مطاوع ثبت وحجة من قال بالتخفيف ما روي عن عائشة : أنه كان إذا صلى صلاة أثبتها ، قال : وثابت مطاوع ثبت ، كما أن يثبت مطاوع ثبت .

قوله تعالى :

(وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) (٤٢) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للنبي ﷺ يقول الله تعالى له إنا ان اريناك بعض الذي نعد الكفار من العقوبة على كفرهم ، ونصر المؤمنين حتى يظفروا بهم ، فيقتلوهم ويستذلوا باقيهم إن لم يؤمنوا ، فنبيك الى أن ترى ذلك ، أو نميتك قبل أن ترى ذلك . وقيل : ان نفعله بهم ، لانه ليس ذلك مما لا بد ان تراه لا محالة ، فلا تنتظر كونه على ذلك بأن يكون في ايامك . وانما عليك أن تبلغهم ما أرسلناك به اليهم ، وتقوم

(٢) مر هذا البيت في ٧٥/٣

(١) سورة الاحزاب آية ٣٥

(٤) سورة النساء آية ٦٦

(٣) سورة الانبياء آية ١٠٥

في ذلك بما أمرك الله به ، وعلينا نحن حسابهم ، ومجازاتهم والانتقام منهم ، إما عاجلاً أو آجلاً ، وذلك كائن لا محالة على ما قلناه .
وكسرت الالف من قوله « وإما نرينك » لأنه من التخيير ، والتقدير ، وإما نرينك نعمتنا وأنت حي ، وإما نتوفينك .

قوله تعالى :

(أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَلَّهِ
يُحْكُمُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٤٣) آية
بلا خلاف .

يقول الله تعالى لهُؤلاء الكفار على وجه التنبيه لهم على الاعتبار بأفعال الله ،
أو ما يرون أننا ننقص الأرض من أطرافها ؟ وقيل في معناه أربعة أقوال :
قال ابن عباس والحسن والضحاك : ما فتح على المسلمين من أرض المشركين .
وقال مجاهد ، وقتادة : ونقصها بموت أهلها . وفي رواية أخرى عن ابن عباس
ومجاهد : بموت العلماء . وفي رواية أخرى عنها : بخرابها . ثم أخبر أن الله تعالى
يحكم ويفصل الأمر ولا احد يعقب حكمه ، ولا يقدر على ذلك ، وأنه سريع
المجازاة على افعال العباد ، على الطاعات بالثواب ، وعلى المعاصي بالعقاب .
والنقص أخذ الشيء من الجملة ، وفي فلان نقص أي نقص منزلة عن منزلة عظيمة
في المقدر أو المعلوم ، والثاني للامور . والطرف منتهى الشيء ، وهو موضع
من الشيء ليس وراءه ما هو منه . وأطراف الأرض نواحيها . والتعقيب رد
الشيء بعد فصله ، ومنه عقب العقب على صيده إذ أرد الكسرور عليه بعد
فصله عنه قال لبيد :

حتى تهجر في الرواح وهاجه طلب المعقب حقه المظالم^(١)

(١) اللسان (عقب) وجمع البيان ٢٧٩/٣ ، وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ٧٢/١٣

والسرعة عمل الشيء في قلة المدة ، على ما تقتضيه الحكمة ، وضده الابطاء ،
والسرعة محمودة والعجلة مذمومة .

قوله تعالى :

(وَوَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ
مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) (٤٤)
آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وابو عمرو ونافع « الكافر » على لفظ الواحد . الباقيون
« الكفار » على لفظ الجمع . قال ابو علي الفارسي في قوله « وسيعلم الكفار »
هو المتعدّي الى مفعولين ؛ بدلالة تعليق وقوع الاستفهام بعده ، تقول : علمت لمن
الغلام ، فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غير الجار في قوله « فسوف يعلمون من
تكون له عاقبة الدار » (١)

وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام - الذي هو الاستفهام -
مسدّ المفعولين ، لان من حيث حكمت في نحو مررت بزيد ، فان موضعه
نصب ، ولكن الباء الجارة كانت متعلقة في الاصل بفعل فصار مثل علمت بمن
تمر في أن الجارة تتعلق بالمرور ، والجملة التي هي منها في موضع نصب ، وقد
علتق الفعل عنها .

ومن قرأ على لفظ الفاعل ، وأنه جعل الكافر اسماً شائعاً كإنسان في قوله
« ان الانسان لفي خسر » (٢) وزعموا أنه لا ألف فيه وهذا الحذف إنما يقع في
(فاعل) نحو خالد ، وصالح ولا يكاد يحذف في (فعال) فهذا حجتهم .
وزعموا أن في بعض الحروف « وسيعلم الذين كفروا » ، وقرأ ابن مسعود
« وسيعلم الكافرون » فهذا يقوي الجمع .

(٢) سورة ١٠٣ العصر آية ٢

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٣٦

ومن قرأ على لفظ الجمع ، فلأن التهديد متوجه إلى جميع الكفار ، ولا إشكال فيه .

أخبر الله تعالى أن الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء الكفار ، مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم . والمكر هو القتل عن البغية بطريق الخيلة ، تقول مكر يمكر فهو ماكر مكرأ ، وقال أبو علي : المكر ضرر ينزل بصاحبه من حيث لا يشعر به .

ثم أخبر تعالى ان له المكر جميعاً ، ومعناه الله جزاء مكرهم ، لانهم لما مكروا بالمؤمنين بين الله أن وبال مكرهم عليهم بمجازاة الله لهم .

وقوله تعالى : « يعلم ما تكسب كل نفس » معناه أنه لا يخفى عليه ما يكسبه الانسان من خير وشر وغير ذلك ؛ لأنه عالم بجميع المعلومات « وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » تهديد للكفار بأنهم سوف يعلمون لمن تكون عاقبة الجنة للمطيعين أو العاصين ، فإن الله تعالى وعد بذلك المؤمنين دون الكفار والظالمين .

قوله تعالى :

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (٤٥) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن الكفار انهم يقولون لك يا محمد انك لست مرسلًا من جهته تعالى ، فقل لهم انت حسبي الله « شهيداً بيني وبينكم » ومن عنده علم الكتاب . وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - روي عن ابن عباس انه قال : هم اهل الكتاب الذين آمنوا من اليهود والنصارى .

وقال قتادة ومجاهد : منهم عبدالله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وتميم الداري .
وقال الحسن : الذي عنده علم الكتاب هو الله تعالى ، وبه قال الزجاج .

وقال ابو جعفر و ابو عبدالله (ع) : هم ائمة آل محمد ﷺ ، لأنهم الذين عندهم علم الكتاب يملته لا يشد عنهم شيء من ذلك دون من ذكروه .
والكفاية وجود الشيء على قدر الحاجة ، فكأنه قيل : قد وجد من الشهادة مقدار ما بنا اليه الحاجة في فصل ما بيننا وبين هؤلاء الكفار . والباء في قوله « بالله » زائدة والتقدير كفى الله . وقال الرماني : دخلت لتحقيق الاضافة من وجهين : جهة الفاعل ، وجهة حرف الاضافة ، لان الفعل لما جاز ان يضاف الي غير فاعله ، بمعنى انه أمر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد ، ومثله قوله « لما خلقت بيدي » (١) .

والشهادة البينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة . والشهيد والشاهد واحد ، إلا ان في شهيد مبالغة . ووجه الاحتجاج بـ « كفى بالله شهيداً » لأن المعنى كفى الله شهيداً بما اظهر من الآية ، وأبان من الدلالة ، لانه تعالى لا يشهد بصحة النبوة إلا على هذه الصفة إذ قد لزمهم ان يعترفوا لها بالصحة .

وروي عن ابن عباس ومجاهد انها قرءا « ومن عنده علم » بكسر الميم ، وعلم الكتاب على ما لم يسم فاعله ، وبه قرأ سعيد بن جبير ، ولما قيل له : هو عبد الله بن سلامه ، قال : كيف يجوز ذلك والسورة مكية وهو اسلم بعد الهجرة بمدة .

(١٤) سورة ابراهيم

قال قتادة : هي مكية إلا آيتين : قوله « ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله » الى قوله « وبئس القرار » . وقال مجاهد هي مكية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ . وهي إثنتان وخمسون آية في الكوفي ، وأربع في المدنيين . وآية في البصري .

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ * يَا ذُنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) (٢) ثلاث آيات في المدنيين آخر الاولي . قوله « الى النور » وآيتان عند الباقيين .

قرأ ابن عامر ونافع « الله الذي » بالرفع . الباقيون بالحذف . قال ابو علي : من قرأ بالجر جعله بدلاً من الحميد ، ولم يكن صفة ، لان الاسم وان كان في الأصل مصدرأ ، والمصادر يوصف بها كما يوصف بأسماء الفاعلين ، وكذلك كان هذا

الاسم في الاصل (الآلاه) ومعناه ذو العبادة اي تجب العبادة له ، قال ابو زيد :
يقال تأله الرجل إذا نسك وأنشد لرؤبة :

سبحن واسترجعن من تألهي^(١) .

فهذا في أنه في الاصل مصدر قد وصف به مثل السلام والعدل ، الا ان هذا
الاسم غلب حتى صار في الغلبة وكثرة الاستعمال كأنعلم ، وقد يغلب ما في اصله
الصفة فيصير بمنزلة العلم^(٢) مثل قول الشاعر :

والتيم أأم من يشي وأأمهم ذهل بن تيم بنو السود المدانيس^(٣)

يجوز أن يكون جعل التيم جمع تيمي كيهودي ويهود . وعلى هذا قال تعالى
وقالت اليهود ، ألا ترى أن (يهود) قد جرى في كلامهم إسماً للقبيلة ، كما أن
(مجوس) كذلك ، فلولا أن المراد بهما الجمع ، لم يدخلها الألف واللام ، كما لا
يدخل المعارف في نحو زيد وعمرو ، إلا انه جمع بحذف اليائين اللتين للنسب ،
كما جمع شعير وشعيرة بحذف التاء ، ومثله (رومي) وروم و(زنجي) وزنج .

ومن رفع قطع عن الاول ، ورفع بالابتداء ، وجعل (الذي) الخبر ، او جعله
صفة وأضمر الخبر . وقد بينا معاني الحروف المقطعة في أوائل السور في أول

(١) مر هذا الرجز في ١ : ٢٨

(٢) كان في المطبوعة على الهامش هذه الحاشية (تابغة الجعدي في الرمل بيته عليه صفيح من
تراب وجندل والاصل التابغة ولما غلب نزع منه الالف واللام كما ينزع من اسماء الاعلام
نحو زيد وعمرو وربما استعمل في هذا النحو الوجهان واما قول الشاعر) انتهى .
وهو كما ترى بعيد عن المتن من حيث اللهجة والتركيب وظاهر انه ليس من كلام الشيخ
الطوسي - رحمه الله - ولكن آخره يشبه المتصل بالمتن لذلك نقلناه فلعل المطلع عليه
يستفيد منه .

(٣) قائله جرير . ديوانه (دار بيروت) ٢٥٢ واللسان (تيم) ورواية الديوان :

والتيم أأم من يشي وأأمهم اولاد ذهل بنو السود المدانيس
ورواية اللسان :

والتيم أأم من يشي وأأمه تيم بن ذهل بنو السود المدانيس

البقرة^(١) ، وذكرنا اختلاف المفسرين فيه ، فلا فائدة في اعادته .

وقوله « كتاب أنزلناه إليك » رفع على انه خبر الابتداء ، ومعناه هذا كتاب يعني القرآن أنزله على نبيه محمد ﷺ « ليخرج الناس من الظلمات إلى النور » أي ليخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الايمان والهداية .

والظلمة في الأصل سواد الجو المانع من الرؤية تقول أظلم إظلاماً وظلاماً ، وظلمة . والظلمة ذهب الضياء بما يستره ، والنور بياض شعاعيّ تصح معه الرؤية ، ويمنع معه الظلام ، ومنه النار لما فيها من النور . والنور والضياء واحد .

وقال قتادة « من الظلمات إلى النور » من الضلالة إلى الهدى « بإذن ربهم » أي باطلاق الله ذلك ، وأمره به نبيه ﷺ « إلى صراط العزيز الحميد » أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدي إلى معرفة الله « العزيز » يعني القادر على الأشياء الممتنع بقدرته من أن يضام ، المحمود في أفعاله التي أنعم بها على عباده ، الذي له التصرف في جميع مسا في السماوات والأرض ، على وجه ليس لأحد الاعتراض عليه .

ثم اخبر تعالى أن الريل للكافرين الذين ييحدون نعم الله ولا يعترفون بوحديته . والاقرار بنبيه ﷺ « من عذاب شديد » وهو ما تتضاعف آلامه ، والشدة تجمع يصعب معه التفكك ، شدّه بشدّه شداً وشدّة .

وفي الآية دلالة على ان الله يريد الايمان من جميع المكلفين ، لأنه ذكر أنه أنزل كتابه ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، لأن اللام الغرض ، ولا يجوز أن يكون لام العاقبة ، لأنها لو كانت كذلك ، لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه .

قوله تعالى :

(الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) (٣) آية
بلا خلاف .

« الذين » في موضع جر ، لانه نعت للكافرين ، وتقديره وويل للكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة . والاستحباب طلب محبة الشيء بالتعرض لها ، والمحبة إرادة منافع المحبوب . وقد تكون المحبة ميل الطباع . والحياة الدنيا هو المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة . ذمهم الله بذلك ، لان الدنيا دار انتقال ، والآخرة دار مقام .

« وصدون عن سبيل الله » اي يعرضون بنفوسهم عن اتباع الطريق المؤدي الى معرفة الله ، ويجوز ان يريد انهم يمنعون غيرهم من اتباع سبيل الله تعالى ، يقال : صد عنه يصد صدّاً ، غير متعد ، وصدّه يصدّه صدّاً متعد . والسبيل الطريق وكلاهما يؤنث ويذكر ، وهو على السبل اغلب و « يبغونها عوجاً » أي وبطلبون الطريق عوجاً اي عدولاً عن استقامته . و (العوج) خلاف الميل الى الاستقامة ، والعوج - بكسر العين - في الدين ، و - بفتح العين - في العود والبغية طلب المقاصد لموضع الحاجة ، يقال : بغاه يبغيه بغية ، وابتغى ابتغاء ، ودخلت (على) في قوله « يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة » لان المعنى يؤثرونها عليها . ولو قيل من الآخرة ، لجاز ان يكون بمعنى يستبدلونها من الآخرة . وقيل : إنه يجري مجرى قولهم : نزلت على بني فلان ، ونزلت في بني فلان ، وبني فلان ، كله بمعنى واحد .

وقوله « اولئك في ضلال بعيد » إخبار منه تعالى ان هؤلاء الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، وصدون عن سبيل الله ، في عدول عن الحق ، بعيدون عن الاستقامة .

قوله تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ
 اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٤)
 آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى انه لم يرسل فيا مضي من الازمان رسولا الى قوم إلا بلغة قومه حتى اذا بين لهم ، فهموا عنه ، ولا يحتاجون الى من يترجم عنه .
 وقوله « فيضل الله من يشاء » يحتمل امرين :

احدهما - انه يحكم بضلال من يشاء اذا ضلوا هم عن طريق الحق .

الثاني - يضلهم عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب و « يهدي من يشاء » الى طريق الجنة « وهو العزيز » يعني القادر الذي لا يقدر أحد على منعه « الحكيم » في جميع افعاله ؛ ليس فيها ما له صفة السفه . ويحتمل ان يريد انه يحكم لافعاله التي تدل على علمه .

ورفع قوله « فيضل الله » لان التقدير على الاستثناف ، لا العطف على ما مضى ، ومثله قوله « لنبين لكم ونقر في الارحام » (١) ومثله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » (٢) ثم قال بعد ذلك « ويتوب الله على من يشاء » (٣) لانه إذا لم يجوز ان يكون عطفاً على ما مضى فينتصب لفساد المعنى فلا بد من استثنافه ورفع .
 وقال الحسن : امتن الله على نبيه محمد ﷺ انه لم يبعث رسولا إلا الى قومه ، وبعثه خاصة الى جميع الخلق . وقال مجاهد : بعث الله نبيه الى الاسود والاحمر ولم يبعث نبيا قبله إلا الى قومه واهل لغته .

(١) سورة الحج آية ٥ (٣٠٢) سورة التوبة آية ١٥ - ١٦

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ * وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (٥) آية في الكوفي والبصري . وآيتان في المدنين .
آخر الاولى « الى النور » .

أخبر الله تعالى انه ارسل موسى نبيه (ع) الى خلقه بآياته ودلالاته « أن أخرج قومك من الظلمات الى النور » اي ارسلناه بأن أخرج قومك من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية بالدعاء لهم الى فعل الايمان ، والنهي عن الكفر والتنبيه على ادلته . « وذكرهم بآيات الله » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير : ذكرهم بنعم الله .

الثاني - ذكرهم بنعم الله لعاد وثمود وغيرهم من الامم الضالة ، قال عمر بن كلثوم :

وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان نديننا^(١)

وقيل : النعم والنقم من اعدائنا . وقال قوم : اراد خوفهم بهذا ، كما يقال : خذ بالشدة واللين . ثم أخبر ان في ذلك دلالات لكل من صبر على بلاء الله وشكره على نعمه . والتذكير التعريض للذكر الذي هو خلاف السهو ، يقال : ذكرته تذكيراً ، وذكره يذكره ذكراً ، وتذكر تذكراً ، وذاكره مذاكرة . والصبار الكثير الصبر ، والصبر حبس النفس عما تنازع اليه مما لا ينبغي .

(١) هذا البيت من معلقته الشهيرة . المعلقات السبع (دار بيروت) ١٢٣ وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٣ : ١٠٧ وجمع البيان ٣ : ٣٠٤ وقدر في ١ : ٣٦ من هذا الكتاب .

والشكور الكثير الشكر . والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ، وضده الكفر . (وان) في قوله « أن اخرج » يحتمل ان تكون بمعنى (أي) على وجه التفسير ، ويجوز ان تكون التي تتعلق بالافعال والمعنى قلنا له : اخرج قومك . وقال سيبويه بقول العرب : كتبت اليه أن قم ، وأمرته أن قم ، وان شئت كانت (أن) التي وُصِلت بالامر . والتأويل على الخبر . والمعنى كتبت اليه ان يقوم وأمرته أن يقوم إلاّ انها وُصِلت بلفظ الامر المخاطب ، والمعنى معنى الخبر ، كما تقول أنت الذي فعلت . والمعنى انت الذي فعل .

قوله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) (٦)
آية بلا خلاف.

التقدير واذكر يا محمد « إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم » في الوقت الذي انجىكم « من آل فرعون . يسومونكم سوء العذاب » جملة في موضع الحال . و « يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » وقد فسرناه أجمع في سورة البقرة^(١) فلا نطول بإعادته . ودخلت الواو -ههنا- في قوله « ويذبحون ابناءكم » وفي البقرة بلا واو . وقال الفراء: معنى الواو أنه كان يمسهم من العذاب غير التذبيح ، كأنه قال يعذبونكم بغير الذبح . والذبح إذا أطلق كان تفسيراً لصفات العذاب .

(١) انظر ١ : ٢١٧ - ٢٢٤ في تفسير آية ٤٩ من سورة البقرة .

وقوله « وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم » اي في ذلكم نعم من ربكم عظيمة إذ أنجكم منهم . والبلاء قد يكون نعماً ، وعذاباً ، يقال : فلان حسن البلاء عندك اي حسن الانعام عليك ويحتمل ان يكون بمعنى العذاب ، وفي الصبر على ذلك العذاب امتحان من ربكم عظيم .

قوله تعالى :

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) (٨) آيتان بلا خلاف .

وهذه الآية عطف على الاولى ، والتقدير واذكروا « إذ تأذن ربكم » اي أعلمكم وقد يستعمل (تفعل) بمعنى (أفعل) كقولهم اوعده وتوعده ، وهو قول الحسن والفراء ، قال الحرث بن حنزة :

آذنتنا بينها أسماء رباً ثاوراً يمل منه الثواء^(١)

والمعنى أعلم ربكم . وقوله « لئن شكرتم لأزيدنكم » التقدير أعلمكم أنكم متى شكرتموني على نعمي ، واعترفتم بها زدتم نعمتي الى نعمتي « ولئن كفرتم أي جحدتم نعمتي وكفرتموها » ان عذابي لشديد « لمن كفر نعمتي .

ثم أخبر ان موسى قال لقومه « ان تكفروا » نعم الله وتجحدونها « أنتم » وجميع « من في الارض » من الخلق فإنه لا يضر الله . وإنما يضركم ذلك ، بأن تستحقوا منه العذاب والعقاب « فان الله لغني حميد » اي غني عن شكركم حميد في أفعاله .

والغني هو الحي الذي ليس بمحتاج ، والحميد الكبير لاستحقاق الحمد بعظم

(١) من معلقته الشهيرة . المعلقات السبع (دار بيروت) ١٥٥ وقد مر في ١ : ٣٨٠ من هذا الكتاب .

إنعامه ، وهي صفة مبالغه في الحمد ، وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يحوّر في حكمه ، أو يردّ على نبي من انبيائه ، أو كان بمنزلة واحد منها في عظم الفاحشة ، لان الله تعالى منعم بجميع ذلك من حيث أقسام الادلة الواضحة على صحة جميع ذلك وغرضه بالنظر في جميعها الثواب الجزيل ، فلذلك كان منعماً بها إن شاء .

قوله تعالى :

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ*
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي
شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِئِنَّ اللَّهَ شَكٌّ فَأَطِرِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ
تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) آيتان
في الكوفي وثلاث آيات في المدنيين والبصري تمام الأولى قوله
« وثمرود » .

قيل فيمن يتوجه الخطاب اليه في قوله « ألم يأتكم نبؤ » قولان :
احدهما - قال الجبائي : إنه متوجه الى امة النبي ﷺ ذكروا بأخبار من
تقدم وما جرى من قصصهم .

والثاني - قال قوم : إنه من قول موسى (ع) لأنه متصل به في الآية المتقدمة
يقول الله لهم « ألم يأتكم » اي اما جاءكم اخبار من تقدمكم . والنبأ الخبر عما يعظم

شأنه يقال: لهذا الامر نبؤ اي عظم شأن يقال انبا ينبيء، ونبأت أنبىء، ونبأ الله محمداً اي جعله نبياً، وتنبأ مسيلاً اي ادعى النبوة، وليس هو كذلك. وقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، كل ذلك مجرور بأنه بدل من الكاف والميم في قوله «قلوبكم» وهو مجرور بالاضافة.

وقوله «لا يعلمهم إلا الله» اي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وما فعلوه، وفعل بهم من العقوبات، ولا عددهم «إلا الله»، ولذلك قال النبي ﷺ (كذب النسابون) وقوله «جاءتهم رسلم بالبينات» اي اتتهم رسلم بالدلالات الواضحات «فردوا أيديهم في أفواههم»، وقيل في معناه خمسة اقوال:

احدها - قال عبد الله بن مسعود، وابن زيد: انهم عضوا على اناملهم تغيظاً عليهم في دعائهم الى الله، كما قال «عضو عليكم الانامل من الغيظ»^(١)
وثانيها - قال الحسن: جعلوا أيديهم في افواه الانبياء تكذيباً لهم ورداً لما جاؤوا به.

الثالث - قال مجاهد ردوا نعمتهم بأفواههم.

الرابع - قال قوم: يحتمل ان يكونوا ردوا أيدي أنفسهم في أفواه نفوسهم مومنين لهم اي اسكتوا عما تدعوننا إليه، كما يفعل الواحد منامع غيره إذا أراد تسكيتة. روي ذلك عن ابن عباس ذكره والفراء.

وخامسها - قال قوم: ردوا ما لو قبلوه، لكانت نعمة عليهم في افواههم اي بأفواههم والسنتهم، كما يقولون ادخلك الله بالجنة يريدون في الجنة وهي لغة طي، قال الفراء: انشدني بعضهم:

وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست ارغب^(٢)

(١) سورة آل عمران آية ١١٩

(٢) مجمع البيان ٣: ٣٠٦ وامالي الشريف المرتض ١: ٣٦٦ وتفسير الطبري (الطبعة

الاولى) ١٣: ١١١ ولم يعرف قائله.

فقال (ارغب فيها) يريد بها يعنى بنتاً له ، يريد : ارغب بها عن لقيط ، ولا ارغب بها عن قبيلته . وقوله « انا كفرنا بما ارسلتم به » حكاية ايضاً عما قالوا للرسول فإنتهم قالوا : لانا قد كفرنا بما ارسلتم به من الدعاء الى الله وحده وتوجيه العبادة إليه ، والعمل بشرائعه « وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب » والريب اخبت الشك المتهم ، وهو الذي يأتي بما فيه التهمة ؛ ولذلك وصفوا به الشك اي انه يوجب تهمة ما اتيم به يقال : ارباب يريب إرابة إذا أتى بما يوجب الريبة ، فقالت لهم حينئذ رسلكم « أفي الله شك » مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته ، لانه الذي خلق السموات والارض يدعوكم الى عبادته ليغفر لكم من ذنوبكم اذا أطعتموه .

ودخلت (من) هنا - في قول أبي عبيدة - زائدة ، وأنكر سيبويه زيادتها في الواجب ، وقال أبو علي : دخلت للتبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعاً . وقال قوم : دخلت (من) لتكون المغفرة بدلا من الذنوب ، فدخلت (من) لتضمن المغفرة معنى البديل من السيئة « ويؤخركم الى اجل مسمى » يعنى لا يؤاخذكم بعاجل العذاب ، بل يؤخر الى الوقت الذي ضربه الله لكم ان يمك فيهم ، فقال لهم قومهم « ان أنتم الا بشر مثلنا » اي ليس انتم الا خلق مثلنا تريدون ان تمنعونا عما كان يعبد اباؤنا من الاصنام والاثان ، فاتونا بحجة واضحة على ما تدعونه وبطلان ما نحن عليه .

وفي الآية دلالة واضحة على انه تعالى اراد بخلق الخيروالايان، لا الشر والكفر ، وأنه إنما بعث الرسل الى الكفار رحمة وتفضلا ، ليؤمنوا ، لا ليكفروا ، لان الرسل قالت : ندعوكم الى الله ليغفر لكم ، فمن قال إن الله أرسل الرسل الى الكفار ليكفروا بهم ويكونوا سوءاً عليهم ووبالاً ، وانما دعواهم ليزدادوا كفراً فقد ردّ ظاهر القرآن .

قوله تعالى :

(قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ

عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) آيتان بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجابت به الرسل الكفار ، فإنهم قالوا لهم ما « نحن إلا بشر مثلكم » ولسنا ملائكة ، كما زعمتم « ولكن الله » من علينا فاصطفانا وبعثنا أنبياء وهو « بين على من يشاء من عباده » ولم يكن لنا ان نجيتكم « بسلطان » اي بحجة على صحة دعوانا إلا بأمر الله واطلاقه لنا في ذلك « وعلى الله » يجب ان يتوكل « المتوكلون » المؤمنون المصدقون به وبأنبيائه .

ثم اخبر انهم قالوا ايضاً « وما لنا ان لا نتوكل على الله » اي ولم لا نتوكل على الله « وقد هدانا » الى سبيل الايمان ودلنا على معرفته ووفقنا لتوجيه العبادة اليه ، ولا نشرك به شيئاً ، وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب ، « ولنصبرن على ما أذيتمونا » من تكذيبنا وشتمنا في جنب طاعته وابتغاء مرضاته وطلب ثوابه « وعلى الله » يجب ان يتوكل المتوكلون الواقفون بالله دون من كان كافراً ، فان وليه الشيطان .

و « المن » اصله القطع يقال : حبل منين اي منقطع عن بلوغ المنية ، والمنية لانها تقطع عن امر الدنيا . « ولهم اجر غير ممنوع » اي غير مقطوع ، والاذى ضرر يجده صاحبه في حاله يقال : آذاه يؤذيه أذى وتأذى به تأذياً ، واكثر ما يقال في الضرر القليل ، ويقال ايضاً آذاه أذى عظيماً ، والمثل ما سدمسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته . والهدى الدلالة على طريق الحق من الباطل ، والرشد من الغي ،

هداه يهديه الى الدين هدى. والسلطان الحجّة التي يتسلط بها على الطالب مذهب المخالف للحق. وقيل في قوله « وما كان لنا ان نأتىكم بسلطان الا باذن الله » قولان :

احدهما - قال ابو علي الجبائي : انهم سألوا آية مخصوصة غير ما اتهم به الرسل ، كما سأله قريش ، فقالوا « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ... »^(١)

والثاني - ان ما اتيناكم به باذن الله ، لأنه مما لا يقدر عليه البشر ، ونحن بشر .

قوله تعالى :

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) (١٤) آيتان بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن الكفار انهم قالوا لرسولهم « انا لنخرجنكم من ارضنا » وبلادنا إلا ان تدخلوا في أدياننا ، ومذاهبنا ، فحينئذ اوحى الله تعالى الى رسوله « انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين ، ونسكنكم الارض بعدهم ذلك جزاء » لمن خاف مقامي « اي حيث يقبضه الله بين يديه ، وأضافه الى نفسه ، كما قال « وتجعلون رزقكم انكم تكذبون »^(٢) اي رزقي اياكم قال الفراء : والعرب تضيف افعالها الى انفسها والى ما وقعت عليه ، يقولون سررت برؤيتك ، وسررت برؤيتي اياك ،

(١) سورة الاسرى ٧١ آية ٩٠

(٢) سورة ٥٦ الواقعة آية ٨٢

وندمت على ضربك وضربي اياك ، وخاف وعيدي وعقابي ، وانما قالوا « او لتعودن في ملتنا ، وهم لم يكونوا على ملتهم قط لامرين :
 احدهما - انهم توهموا - ذلك على غير حقيقة - انهم كانوا على ملتهم .
 الثاني - انهم ظنوا بالنشوء انهم كانوا عليها دون الحقيقة .
 واللام في قوله « ولنخر جنكم » لام القسم والتي في قوله « او لتعودن » ايضاً مثل ذلك إلا ان فيه معنى الجزاء ، لان التقدير لنخرجكم من ارضنا إلا ان تعودوا أو حتى ان تعودوا ، وهو مثل قول القائل : والله لا أكلمك او تدعوني .
 والمعنى إلا أن ، او حتى تدعوني .

قوله تعالى :

(وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ
 وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) (١٦) آيتان بلا خلاف .

قوله « واستفتحوا » معناه استنصروا وهو طلب الفتح بالنصر ، ومنه قوله « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا »^(١) اي يستنصرون وقال ابن عباس : هو استفتاح الرسل بالنصر على قومهم ، وبه قال مجاهد وقتادة . وقال الجبائي : هو سؤالهم ان يحكم الله بينهم وبين اممهم ، لان الفتح الحكم ، ومنه قولهم : الفتح الحاكم . وقال ابن زيد : هو استفتاح الكفار بالبلاء والخيبة خلاف ما قدروه من المنفعة ، يقال : خاب يخيب خيبة وخيب تخيباً ، وضده النجاح ، وهو ادراك الطلبة . والجبورية طلب علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الوصف ، فاذا وصف العبد بأنه جبار كان ذمماً ، واذا وصف الله به كان مدحاً ، لان له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة . والعنيد : هو المعاند إلا ان فيه مبالغة ، والعناد الامتناع من الحق مع العلم به ، كبراً وبغياً ، يقال : عند يعند

عنوداً ، وعانده معاندة وعناداً قال الشاعر :

إذا نزلت فاجعلاني وسطاً اني كبير لا أطيق العندا^(١)

والوراء والحلف واحد ، وهو جهة مقابلة لجهة القدام ، وقد يكون وراء بمعنى أمام ، وقيل : إنه يحتمل ذلك - هنا - وذكروا أنه يجوز في الزمان على تقدير انه كان خلفهم ، لأنه يأتي فيلحقهم قال الشاعر :

اتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دوني^(٢)
وقال آخر :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب^(٣)

وقوله « ويسقى من ماء صديد » يعني يسقى الجبار العنيد صديداً ، وهو قيح يسيل من الجرح اخذ من انه يصد عنه تكرهاً له . والقيح دم مختلط بمدة .

وقوله « صديد » بيان للماء الذي يسقونه ، فلذلك اعرب بإعرابه ، قال الزجاج : والوراء ما توارى عنك ، وليس من الاضداد . قال الشاعر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب^(٤)
أي ليس بعد مذاهب الله للمرء مذهب .

قوله تعالى :

(يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)

(١) قدمر تخريجه في ٦ : ١٤ من هذا الكتاب .

(٢) قائله جرير ، ديوانه (دار بيروت) ٤٧٥ ، و (نشر الصاوي) ٥٧٧ وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٣ : ٧٦ ، ١١٤ ومجاز القرآن ١ : ٣٢٦ ، ٣٣٧

وقدمر في ٦ : ٢٣٣

(٣) لم اجده

(٤) قائله النابغة ، ديوانه (دار بيروت) ١٧ من قصيدة يعتذر بها الى النعمان بن المنذر

ويمدحه . وهو في امالي الشريف المرتض ٢ : ١٧

وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا
 يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ (١٨)
 آيتان بلا خلاف .

قوله « يتجرعه » معناه يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة ، يقال : تجرع
 تجرعاً ، وجرعه يجرعه جرعاً ، والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على
 الاستمرار .

وقوله « ولا يكاد يسيفه » أي لا يقاربه ، وإنما يضطر اليه . قال الفراء :
 (لا يكاد) يستعمل فيما يقع وفيما لا يقع ، فما يقع هو هذا ، وما لم يقع مثل قوله « لم
 يكدرها »^(١) لان المعنى لم يرها . والاساغة اجراء الشراب في الحلق على تقبل
 النفس ، وهذا يضطر اليه ، فلذلك قال « ولا يكاد يسيفه » والمعنى فلا يقارب ان
 يشربه تكرهاً ، وهو يشربه ، تقول : ساغ يسوغ الشيء وأسغته أنا . وروي عن
 النبي ﷺ انه قال : (ما يتجرعه يقرب اليه فيتكرهه ، فاذا أدني منه شوي
 وجهه ووقعت فرورة رأسه ، فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره) كما قال
 « وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم »^(٢) وقال « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
 يشوي الوجوه بئس الشراب »^(٣) .

وقوله « ويأتيه الموت من كل مكان » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابن عباس والجبائي : من كل جهة ، من عن يمينه وشماله
 ومن فوقه وتحتة ومن قدامه وخلفه . وقال ابراهيم التيمي وابن جريج : معناه
 « من كل مكان » من جسده حتى من أطراف شعره « وما هو بميت » أي انه مسع

(١) سورة النور آية ٤٠ (٢) سورة محمد : ٧ ، آية ١٥

(٣) سورة الكهف : ١٨ آية ٢٩

إتيان اسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت «من كل جهة» من شدة الأهوال، وأنواع العذاب، وليس هو بميت «ومن ورائه عذاب غليظ» وقيل في معناه قولان: احدهما - من أمامه .

والثاني - ومن بعد عذابه هذا «عذاب غليظ» .

وقوله «مثل الذين كفروا بربهم» اي فيما يتلى عليكم «مثل الذين كفروا بربهم»، فيكون رفعاً بالابتداء ويجوز ان يكون (مثل) مقحماً ويبتدىء الذين كفروا . وقوله «اعمالهم» رفع على البدل وهو بدل الاشتغال عليه في المعنى ، لان المثل للأعمال ، وقد أضيف الى الذين كفروا ، ومثله «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة»^(١) والمعنى ترى وجوههم مسودة . قال الفراء : لانهم يجدون المعنى في آخر الكلمة ، فلا يبالون ما وقع على الاسم المبتدأ ، ومثله قوله «لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم»^(٢) فاعيدت اللام في البيوت ، لانها التي يراد بالسقف . وقال المبرد: (اعمالهم) رفع بالابتداء وخبره (كرماد) ، والرماد الجسم المنسحق بالاحراق سحق الغبار . ويمكن ان يجعل (مثل) صفة بغير نار في مقدور الله .

وقوله «اشتدت به الريح في يوم عاصف» فالاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة ، يقال : اشتد به الوجع من هذا ، لانه أسرع اليه على قوة ألم والعصف شدة الريح ، «يوم عاصف» أي شديد الريح ، وجعل العصف صفة اليوم ، لانه يقع فيه ، كما يقال : ليل نائم ، ويوم ماطر ، أي يقع فيه النوم والمطر ، ويجوز ان يكون المراد عاصف ريحه ، وحذف الريح للدلالة عليه ، ومثله حجر صبّ خرب اي خرب حجره ، ويقال : عصفت الرياح إذا اشتدت وعصفت تعصف عصفاً .

شبه الله تعالى أعمال الكفار في انه لا محصول لها؛ ولا انتفاع بها يوم القيامة، بالرماد الذي يشتد فيه الريح العاصف ، فإنه لا بقاء لذلك الرماد ، ولا لبث

(٢) سورة الزخرف : ٤٣ اية ٣٣

(١) سورة الزمر : (٣٩) اية ٦٠

فكذلك أعمال الكافر لا يقدر منها على شيء ، كما قال في موضع آخر «وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً»^(١) وقوله «ذلك هو الضلال البعيد» اي من وصفناه فهو الذي ضل عن الحق والخير ضلالاً بعيداً .

قوله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠))
آيتان في الكوفي والمدني تمام الأولى «خلق جديد» وآية عند الباقيين .

قرأ حمزة والكسائي «خالق السماوات» على اسم الفاعل . الباقيون «خلق» على (فعل) ماض . قال ابو علي : من قرأ «خلق» فلان ذلك ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ، ومن قرأ «خالق» جعله مثل «فاطر السماوات والارض»^(٢) بمعنى خالق . ومثله قوله «فالتق الاصباح وجعل الليل سكناً»^(٣) لانها فعلا .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ ويعني به الأمة بدلالة قوله «ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد» ألم تعلم ؛ لان الرؤية تكون بمعنى العلم ، كما تكون بمعنى الادراك بالبصر وههنا لا يمكن ان تكون بمعنى الرؤية بالبصر ، لان ذلك لا يتعلق بأن الله خلق السماوات والارض ، وإنما يعلم ذلك بدليل . وقوله «بالحق» والحق هو وضع الشيء في موضعه على ما تقتضيه الحكمة واذا جرى المعنى على ما هو له من الاشياء فهو حق ، واذا اجري على ما ليس هو له من الشيء فذلك باطل . والخلق فعل الشيء على تقدير وترتيب ، والخالق الفاعل على مقدار ما تدعو الحكم اليه لا يجوز عليه غير ذلك .

(١) سورة الفرقان : ٢٥ آية ٢٣

(٢) سورة فاطر : ٣٥ آية ١

(٣) سورة الانعام : ٦ آية ٩٦

وقوله « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » خطاب للخلق واعلام لهم أنه قادر ان شاء ان يميت الخلق ويهلكهم ويحييهم بدلهم خلقاً آخر جديداً . والاذهاب ابعاد الشيء عن الجهة التي كان عليها ، ولهذا قيل للاهلاك اذهاب ، لانه ابعاد له عن حال اليجاد . والجديد المقطوع عنه العمل في ابتداء أمره قبل حال خلوه فيه ، واصله القطع يقال : جدّه يحده جداً إذا قطعه ، والجدّ أب الأب ، لانقطاعه عن الولادة بالأب ، والجد ضد الهزل ، والجد الحظ .

« وما ذلك على الله بعزيز » اخبار منه تعالى ان اذهابكم وإهلاككم والاتيان بخلق جديد ليس بمتنع على الله على وجه من الوجوه . والمتنع بقدرته : عزيز ، والمتنع بسعة مقدوره عزيز ، والمتنع بكبر نفسه عزيز .

وفي الآية دلالة على ان من قدر على الانشاء قدر على الافناء إذ كان مما لا يتغير حكم القادر ، ولا شيء مما يحتاج اليه في الفعل ، لان من قدر على البناء ، فهو على الهدم أقدر ، فمن كان قادراً على اختراع السماء والارض وما بينهما فهو قادر على اذهاب الخلق وإهلاكهم .

قوله تعالى :

(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعْفُؤُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيسٍ)
(٢١) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان الخلق يبرزون يوم القيامة لله اي يظهرون من قبورهم والبروز خروج الشيء عما كان ملتبساً به الى حيث يقع عليه الحشر في نفسه ، يقال : برز للقتال إذا ظهر له .

وقال الضعفاء ، اي يقول الناقص القوة ، لان الضعفاء جمع ضعيف ،

والضعف نقصان القوة ، يقال : ضعف يضعف ضعفاً ، واضعفه الله لإضعافاً ،
والضعف ذهاب مضاعفة القوة « للذين استكبروا » اي للذين طلبوا التكبر .
والاستكبار والتكبر والتجبر واحد ، وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف .
والمعنى يقول التابعون للمتبعين من ساداتهم وكبرائهم « انا كنا لكم تبعاً » اي
طلبنا للحاق بكم ، واعتمدنا عليكم ، وهو جمع تابع ، كقولهم : غائب وغيب .
قال الزجاج : ويجوز ان يكون مصدرأ وصف به « فهل انتم مغنون عنا من
عذاب الله من شيء » اي هل تقدرون على ان تدفعوا عنا ما لا نقدر على دفعه عن
أنفسنا ، يقال : أغنى عني إذا دفع عني ، وأغناني بمعنى نفى الحاجة عني بما فيه
كفاية . فأجابهم المستكبرون بأنه « لو هدانا الله » الى طريق الخلاص من العقاب
والوصول الى النعيم والجنة « لهديناكم » اليه « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا » أي
الجزع والصبر سياتان مثلان ، ليس لنا من محيص أي مهرب من عذاب الله تعالى
يقال : حاص يحيص حيصاً وحيوصاً وحيصاناً ، وحاد يحيد حيداً وحيداً ،
والحيد الزوال عن المكره . والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ، ونقيضه
المسبر قال الشاعر :

فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالأمر ما تريان^(١)

قوله تعالى :

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ
الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا
أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٢٢) آية بلا خلاف .

(١) مر هذا البيت في ١ : ٢٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٦٠ هـ

قرأ حمزة وحده «بصرخي» بكسر الياء . الباقون بفتحها .
قال ابو علي : قال الفراء - في كتابه في التصريف : قرأ به الاعمش ، ويحيى
ابن وثاب ، قال وزعم القاسم بن معن أنه صواب ، وكان ثقة بصيراً ، وزعم
قطرب أنه لغة في بني يربوع ، يزيدون على ياء الاضافة ياء وانشد :

ماض اذا ما هم بالمضي
قال لها هل لك يا مامي

وانشد ذلك الفراء ، وقال الزجاج : هذا الشعر لا يلتفت اليه ، ولا هو مما
يعرف قائله ، قال الرماني : الكسر لا يجوز عند اكثر النحويين ، واجازه الفراء
على ضعف ، قال ابو علي : وجه جوازه من القياس أن الياء ليست تخلو : أن
تكون في موضع نصب او جر ، فالياء في النصب والجر كالهاء في (هما) وكالكاف
في اكرمتك وهذا لك ، فكما ان (الهاء) قد لحقتها الزيادة في هداكه وضربه ،
ولحق الكاف الزيادة في قولهم اعطيتكه او اعطيتكاه فيما حكاه سيويه ، وهما
اختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة ، فقالوا : في ، ثم حذفت الياء الزيادة على
الياء ، كما حذفت الزيادة من (الهاء) في قول من قال : له أرقان . قال ابو الحسن
هي لغة ، فكما حذفت الزيادة من الكاف ، فقال في (اعطيتكيه ، اعطيتكه)
كذلك حذفت الياء اللاحقة الياء ، كما حذفت من اختيها ، وأقرت الكسرة التي
كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة ، وكما لحقت
الكاف والهاء الزيادة ، كذلك لحقت الياء الزيادة ، فلحاق الياء الزيادة نحو ما
أنشد من قول الشاعر :

رميته فأصميت وما أخطأت الرمية

فاذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة . وإن كان غيرها أفشى منها .
وعضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل ان يقول : إن قراءة الفراء بذلك لحن
يجوز ، لاستقامة ذلك سماعاً وقياساً .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الشيطان يوم القيامة يقول لأوليائه الذين اتبعوه :

« ان الله وعدكم وعد الحق ، من الثواب والعقاب « ووعدتكم » انا بالخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي ، وقد خالفت وعدي « وما كان لي عليكم من سلطان » اي لم يكن لي عليكم حجة ، ولا برهان اكثر من ان دعوتكم الى الضلال وأغويتكم ، فأجبتهموني واتبعتموني « فلا تلو موني » في ذلك « ولوموا انفسكم » بارتكاب المعاصي وخلافكم الله وترككم ما امركم به « ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي » يقال : استصرخني فأصرخته ، اي استغاثني فأغثته ، فالاصراخ الاغاثة . والمعنى ما انا بمغيثكم وما انتم بمغيثي « إني كفرت بما اشركتهموني من قبل » حكاية عن قول الشيطان لأوليائه انه يقول لهم « اني كفرت » بشركم بالله ومتابعتم لي قبل هذا اليوم . ثم اخبر تعالى « إن الظالمين » الكافرين « لهم عذاب اليم » مؤلم شديد الالم ، ويصح ان يلوم الانسان نفسه على الاساءة ، كما يصح حمدها على الاحسان قال الشاعر :

صحبتك إذ عيني عليها غشارة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها^(١)

قال الجبائي : وفي الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على الاضرار بالإنسان اكثر من إغوائه ودعائه الى المعاصي ، فأما بغير ذلك فلا يقدر عليه ، لأنه اخبر بذلك ، ويجب ان يكون صادقاً ، لأن الآخرة لا يقع فيها من احد قبيح لكونهم ملجئين الى تركه .

قوله تعالى :

(وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

(١) قائله الحارث بن خالد الخزومي . اللسان (غشا)

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (٢٥) ثلاث آيات في الكوفي والبصري
تمام الثانية « في السماء » وآيتان في الباقي

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين يؤمنون به، ويصدقون بوحدايته، ويعترفون
بنبوة انبيائه ويعملون بما دعاهم اليه من الطاعات والاعمال الصالحات يدخلهم
الله يوم القيامة جنات من صفتها انها تجري من تحتها الانهار ، لان الجنة البستان
الذي يحينه الشجر ، فالانهار تجري من تحت الاشجار ، وقيل انهار الجنة في
اخاديد في الارض «خالدين فيها» اي مؤبدين فيها دائمين ، ونصبه على الحال من
حيث انها تدوم لهم « ياذن ربهم » اي بأمر ربهم واطلاقه ، يخلدون فيها ، ويكون
تحية بعضهم لبعض في الجنة «سلام» . والتحية التلقي بالكرامة في المخاطبة ، كقولك
احياك الله حياة طيبة ، سلام عليك ، وما أشبه ذلك تبشيراً لهم بدوام
السلامة .

ثم قال لنبيه ﷺ ألم تعلم كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء ، انما ضرب المثل بالكلمة الطيبة للدعاء اليها في كل باب
يحتاج الى العمل عليه ، وفي كل باب من ابواب العلم . ومعنى « فرعها في السماء »
مبالغة له في الرفة ، فالأصل سافل ، والفرع عال ، إلا أنه من الأصل يوصل الى
الفرع . والاصل في باب العلم مشبه بأصل الشجرة التي تؤدي الى الثمرة التي هي
فرع ذلك الاصل ، ويشبه بأصل الدرجة التي يترقى منها الى اعلى مرتبة .
وروي انس بن مالك عن النبي ﷺ أن هذه الشجرة الطيبة هي النخلة .
وقال ابن عباس : هي شجرة في الجنة .

وقوله « توتي أكلها » اي تخرج هذه الشجرة الطيبة - وهي النخلة - ما يؤكل
منها في كل حين . وقال ابن عباس - في رواية - يعني ستة اشهر الى صرام النخل ،
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ، وبه قال سعيد بن جبير ، والحسن .
وقال مجاهد وابن زيد : كل سنة . وقال سعيد بن المسيب : الحين شهران . وفي
رواية اخرى عن ابن عباس : غدوة وعشية ، وقال قوم : من اكل النخلة : الطلع

والرطب والبسر والتمر ، فهو دائم لا ينقطع على هذه الصفة ، وأهل اللغة يذهبون الى ان الحين هو الوقت ، قال النابغة :

بيادها الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تراجع^(١)

كذا رواه الاصمعي و(مثلاً) منصوب بـ(ضرب) والتقدير ضرب الله كلمة طيبة مثلاً « بإذن ربها » اي يخرج هذا الأكل في كل حين بأمر الله وخلقها اياه « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » اخبار منه تعالى انه يضرب المثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة في البادية والعاقة ، لكي يتذكروا ويتفكروا فيه ويعتبروا به ، فيؤدبهم ذلك الى دخول الجنة وحصول الثواب .

وفائدة الآية ان الله ضرب للايمان مثلاً وللکفر مثلاً ، فجعل مثل المؤمن الشجرة الطيبة التي لا ينقطع نفعها وثمرها ، وهي النخلة ينتفع بها في كل وقت ، لا ينقطع نفعها البتة ، لأنه ينتفع بطلعها ، وبسرهما ، ورطبها ، وثمرها ، وسعفها ، وليفها ، وخصوها ، وجذعها . ومثل الكافر بالشجرة الخبيثة وهي الحنظلة . وقيل الاكشوث لا إنتفاع به ، ولا قرار له ولا أصل ، فكذلك الكفر لا نفع فيه ولا ثبات .

قوله تعالى :

(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) آيتان بلا خلاف .

لما ضرب الله المثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التي ذكرها وأكلها، ضرب

(١) ديوانه (دار بيروت) ٨٠ وروايته :

تناذرهما الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع

المثل للكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة التي تجتث اي تقلع، يقال : اجتثه اجتثاثاً وجثه جثاً ، ومنه الجثة ، والاجتثاث الاستئصال للشيء واقتلاعه من أصله ، وقال انس بن مالك ومجاهد : الشجرة الممثل بها هي شجرة الحنظل ، قال أنس : وهي السرمان . وقال ابن عباس : هي شجرة لم تخلق بعد . والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول ، والتشبيه في الامثال؛ لما يحتاج اليه من البيان وهو على وجهين : احدهما - ما يظهر فيه اداة التشبيه . والآخر - ما لا يظهر فيه . والكلمة الواحدة من الكلام ، ولذلك يقال للقصيدة كلمة ، لانها قصيدة واحدة من الكلام . والكلمة إنما تكون خبيثة اذا خبت معناها . وهي كلمة الكفر ، والطيبة كلمة الايمان ، والخبث فساد يؤدي الى فساد .

وقوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا » يعني كلمة الايمان « وفي الآخرة » قال ابن عباس والبراء بن عازب : هي المسألة في القبر اذا أتاة الملك ، فقال له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله وديني الاسلام ونبي محمد ﷺ . وقال قوم : معنى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا » يعني الايمان يثبتهم الله بثوابه في الجنة ويمدحهم فيها . وقوله « وبضل الله الظالمين » يحتمل امرين :

احدهما - يحكم بضلال الظالمين .

الثاني - يضلهم عن طريق الجنة الى طريق النار « ويفعل الله ما يشاء » من ذلك لا اعتراض عليه في ذلك ولا في غيره مما يريد فعله .

قوله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَّارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ
أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ)
(٣٠) ثلاث آيات بلا خلاف .

قيل في من نزل فيه قوله « الذين بدلوا نعمة الله كفراً » قولان :

احدهما - قال امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وابن عباس ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد ، والضحاك : انهم كفار قريش ، فقال (ع) : (أما بنو المغيرة فأبادهم الله يوم بدر ، وأما بنو أمية فقد أمهلوا إلى يوم ما) وقال قتادة : هم القادة من كفار قريش . وروى عن عمر أنه قال : هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية . فأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين ؛ وأما بنو المغيرة فقتلوا يوم بدر . أنعم الله تعالى عليهم بالنبي ﷺ ، فكفروا به ودعوا قومهم إلى الكفر به ، فقال الله تعالى لنبيه : أما تنظر إلى هؤلاء الذين كفروا بنعم الله وبدلوا مكان الشكر عليها كفراً « وأحلوا قومهم دار البوار » أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي ﷺ وإغوائهم إياهم وصددهم عن الإيمان به .

والتبديل جعل الشيء مكان غيره ، فهؤلاء القوم لما جعلوا الكفر بالنعمة مكان شكرها ، كانوا قد بدلوا أقبح تبديل . والاحلال وضع الشيء في محل ، أما مجاوره إن كان من قبيل الأجسام ، أو مداخله إن كان من قبيل الاعراض . والبوار الهلاك ، بار الشيء يبور بوراً إذا هلك وبطل . قال ابن الزبيري .

يا رسول المليك ان لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور^(١)

وقوله « جهنم يصلونها » في موضع نصب بدلاً من قوله « دار البوار » لانه تفسير لهذه الدار « يصلونها » أي يصلون فيها ويشتون فيها . ثم أخبر انها بئس القرار أي بئس المستقر والمأوى . ثم قال : ان هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار « جعلوا لله انداداً » زيادة على كفرهم وحجدهم نعم الله . والانداد جمع ند ، وهم الامثال المناؤون ، قال الشاعر :

(١) قائله عبد الله بن الزبيري السهمي . تفسير الطبري ١٣ : ١٣٠ ، ومجاز القرآن ١ : ٣٤٠ واللسان (بور) ، وروايته (يا رسول الإله)

نهدي رؤس المترفين الانداد الى امير المؤمنين المعتاد^(١)

« ليضلوا عن سبيله » اي لتكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك ، واللام لام العاقبة ، وليست بلام الغرض ، لانهم ما عبدوا الأوثان من دون الله ، وغرضهم ان يهلكوا ، بل لما كان لاجل عبادتهم لها استحقوا الهلاك والعذاب عبر عن ذلك بهذه اللام ، كما قال « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً »^(٢) وإنما التقطوه ليكون لهم قرّة عين ، ولكن لما كان عاقبة ذلك انه كان عدوهم فعبر عنه بهذه اللام .

وقرأ بضم الياء وكسر الضاد ، والمعنى انهم فعلوا ذلك ليضلوا غيرهم عن سبيل الحق الذي هو الطريق الى ثواب الله والنعم في جنته ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم « تمتعوا » وانتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا ، فصورته صورة الأمر والمراد به التهديد بدلالة قوله « فإن مصيركم الى النار » والمعنى مرجعكم ومآلكم الى النار والكون فيها عما قليل .

قوله تعالى

(قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَلُ (٣١) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه ان يقول لعباده المؤمنين المعترفين بتوحيد الله وعدله يداومون على فعل الصلاة ويقيمونها بشرائطها وينفقون مما رزقهم الله سرّاً وعلانية أي ظاهراً وباطناً ، وموضع « يقيموا » جزم من ثلاثة اوجه :

(١) قائله العجاج ديوانه ٤٠ ومجاز القرآن ١ : ٣٠٠ وتفسير الطبري ١٢ : ٧٩ وجمع

البيان ٣ : ٢٠٠ وقد مر في ٤ : ٦٣ ، ٦٠ ، ٨٢

(٢) سورة القصص آية ٨٠

أحدها - انه جواب الأمر وهو « قل » .
 الثاني - هو جواب أمر محذوف ، وتقديره قل لهم أقيموا يقيموا .
 الثالث - محذوف لام الأمر لأن في « قل » دلالة عليه ، والمعنى ليقيموا ، وعلى هذا يجوز ان تقول : قل له يضرب ، ولا يجوز يضرب زيداً ، لأنه عوض من المحذوف ذكره الزجاج .

« من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال » المعنى بادروا بأفعال الخير من اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأفعال الخير « قبل ان » يأتيكم يوم القيامة الذي لا بيع فيه ولا شراء ، والمراد - ههنا - ولا فداء تفدون بها نفوسكم من عذاب الله « ولا خلال » اي ولا مخالفة ، تقول : خاللت فلاناً مخالفة وخلالاً ، قال امرؤ القيس :
 صرفت الهوى عنهن من خيفة الردى ولست بمقلي الخلال ولا قالي^(١)
 والمخالفة اصفاء المودة ، وقد يكون الخلال جمع خلعة مثل قلعة ، وقلال .
 وظلة وظلال .

قوله تعالى :

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَكُمْ مِنْ كُلِّ
 مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ
 لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (٣٤) ثلاث آيات في الكوفي والمدنيين وآيتان فيما
 عداها ، آخر الاولى « الانهار » .

أخبر الله تعالى انه (جل وعز) اخترع السموات والارض وانشأهما بلا معين

(١) ديوانه : ١١٣ وتفسير الطبري ١٣ : ١٣٣

ولا مشير « وأنزل من السماء ماء » يعني غيثاً ومطراً فأخرج بذلك الماء الثمرات رزقاً لعباده، وسخر لهم المراكب في البحر لتجري بأمر الله ، لأنها تسير بالرياح والله تعالى المنشيء للرياح « وسخر لكم الانهار » التي تجري بالمياه التي ينزلها من السماء ، ويجريها في الأودية ، وينصب منها في الانهار « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين » معناه ذلل لكم الشمس والقمر ومهدهما لمنافعكم ، وتدبير الله لما سخره للعباد ظاهر لكل عاقل متأمل لا يمكنه الانصراف عنه إلا على وجه المعاندة والمكابرة ، والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه دأب يدأب دأباً ودؤوباً فهو دائب ، والمعنى دائبين ، لا يفتران ، في صلاح الخلق والنبات ، ومنافعهم « وسخر لكم الليل والنهار » أي ذللها لكم ، ومهدهما لمنافعكم ، لتسكنوا في الليل ، وتبتغوا في النهار من فضله « وأتاكم من كل ما سألتموه » معناه ان الانسان قد يسأل الله العافية فيعطي ، ويسأله النجاة فيعطي ، ويسأله الغنى فيعطي ، ويسأله الملك فيعطي ، ويسأله الولد فيعطي ، ويسأله العز وتيسير الامور وشرح الصدر فيعطي ، فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين عليه وعلى غيره ، فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثرة ، عن الله الذي هو في كل حال يحتاج اليه ، وهو مظاهر بالنعمة عليه .

ودخلت (من) للتبويض ، لانه لو كان وآتاكم كل ما سألتموه لاقتضى ان جميع ما يسأله العبد يعطيه الله ، والامر بخلافه ، لان (من) تنبىء عنه .
وقال قوم : ليس من شيء الا وقد سأله بعض الناس ، والتقدير كل ما سألتموه قد أتى بعضكم .

وقوله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » معناه وان تروموا عدوها بقصدكم اليه لا تحصونها لكثرتها ، ويروى عن طلق بن حبيب ، أنه قال : ان حق الله اثقل من ان تقوم به العباد ، وان نعم الله اكثر من ان تحصيها العباد ، ولكن ، اصبحوا ثابتين ، وامسوا ثابتين .

وقوله « ان الانسان لظلوم كفار » اخبار منه تعالى أن الانسان يعني من تقدم وصفه بالكفر كثير الظلم لنفسه ولغيره ، وكفور لنعم الله غير مؤد لشكرها .

وقرىء «من كل ما سألتموه» بالتنوين ، قال الفراء: كأنهم ذهبوا الى أن لم نسأله تعالى شمساً ولا قمرأ ولا كثيراً من نعمه فكانه قال: وآتاكم من كل ما لم سألتموه، والاول أعجب اليّ ، لان المعنى آتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قال وآتاكم من كل سؤالكم ، كما تقول : والله لأعطينك سؤالك ما بلغت مسألتك وان لم تسأل. قال المبرد: يريد ما يخطر ببالك، ومن أضاف جعل (ما) في موضع نصب، وهي بمعنى الذي . ومن نون جعلها نافية .

قوله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣٦)

آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ اذكر « اذا قال ابراهيم » يا « رب اجعل هذا البلد » يعني مكة وما حولها من الحرم « آمناً » يعني يأمن الناس فيه على نفوسهم واموالهم . (والامن) سكون النفس الى زوال الضرر ، وهو نقيض الخوف ، ومثله الطمأنينة الى الامر .

وقوله « واجنبني » اي اصرفني عنه ، جنبته اوجنبه ، جنباً وجنبته الشر تجنبياً ، واجنبته اجتناباً ، قال الشاعر :

وتنقض عهده شفقاً عليه وتجنبه قلا يصنا الصعاباً^(١)

« واجنبني » اي واصرفني « وبني ان نعبد الاصنام » اي جنبنا عبادة الاصنام بلطف من الطافك الذي نختار عنده الامتناع من عبادتها. ودعاء الانبياء

لا يكون الا مستجاباً ، فعلى هذا يكون سؤاله ان يحب نبيه عبادة الاصنام مخصوصاً بمن علم الله من حاله ان يكون مؤمناً ، لا يعبد الا الله ، ويكون الله تعالى اذن له في الدعاء لهم ، فيجيب الله تعالى ذلك لهم .

وقوله « رب انهن اضلن كثيراً من الناس » اخبار من ابراهيم ان هذه الاصنام ضل كثير من الناس بها حتى عبدوها فكأنها اضلتهم ، كما يقول القائل :
فتنتني فلانة اي فتنت بها ، قال الشاعر :

هبوني امرءاً منكم أضل بغيره

يعني ضل بغيره عنه ، لان احداً لا يضل بغيره قاصداً الى اضلاله .

وقوله « فمن تبعني » حكاية ما قال ابراهيم من ان من يتبعه في عبادة الله وحده وترك عبادة الاصنام ، فانه منه وعلى دينه . « ومن عصاني » في ذلك وعبد مع الله غيره ، وعصاه في اوامره « فانك » يا الله « غفور رحيم » اي ستار على عبادك معاصيهم رحيم بهم اي منعم عليهم في جميع الاحوال . وقيل المعنى « انك غفور رحيم » بهم ان تابوا واقلعوا عما هم عليه من الكفر .

قوله تعالى :

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ
بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا
إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (٣٨) آيتان بلا خلاف .

هذا حكاية مادعا به ابراهيم (ع) ، فانه قال يا رب « اني اسكنت من ذريتي » اي جعلت ماوامم ومقرم الذي يقرون فيه ويسكنون اليه . والسكنى اتخاذ

مأوى لصاحبه يسكن اليه في ليله، ومتى يشاء من اوقاته، اسكن البلدة والدار اذا جعله مأوى له، (والذرية) جماعة الولد على تنسئته من حين يظهر الى ان يكبر، والمراد بالذرية ههنا: اسماعيل وامه هاجر حين اسكنه وادي مكة، وهو الابطح، ولم يذكر مفعول اسكنت، لان (من) تفيده بعض القوم، كما يقال: قتلنا من بني فلان، واكلنا من الطعام، وشربنا من الماء، قال تعالى « افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله »^(١) فوضع (من) نصب والوادي سفع الجبل العظيم ومن ذلك قيل للانهار العظام اودية، لان حافاتها كالجبال لها، ومنه الدية، لانها مال عظيم يتحمل في امر عظيم من قتل النفس المحرمة.

« غير ذي ذرع » أي لا زرع في هذا الوادي أي لا نبات فيه، والزرع كل نبات ينغرس من غير ساق، وجمعه زروع « عند بيتك المحرم » معناه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت، من الجماع، والملابسة بشيء من الدم، والنجاسة، وانما أضاف البيت الى الله، لأنه مالكة من غير ان يملكه احد سواه، لأن ما عداه قد ملك غيره من العباد. وسماه بيتاً قبل ان يبنيه ابراهيم لأمرين: احدهما: - انه لما كان المعلوم انه يبنيه فسماه ما يكون بيتاً.

والثاني - قيل أنه كان البيت قبل ذلك، وانما خربته طسم واندوس. وقيل انه رفع عند الطوفان الى السماء.

وقوله « ربنا ليقيموا الصلاة » اي اسكنتهم هذا الوادي ليدوموا على الصلاة ويقيموها بشرائطها.

« فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم » سؤال من ابراهيم (ع) ان يجعل الله تعالى قلوب الخلق تحن الى ذلك الموضع، ليكون في ذلك انس ذريته بمن يرد من الوفود ويدرّ ارزاقهم على مرور الاوقات. « وارزقهم من الثمرات » مسألة منه ان يرزق ذريته من انواع الثمار لكي يشكروه على نعمه وفنون احسانه.

« ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن » اعتراف من ابراهيم لله تعالى بانه
 « عز وجل » يعلم ما يخفي الخلق وما يظهرونه ، وانه لا يخفى عليه شيء من
 ذلك مما يكون في الارض ، ومما يكون في السماء مع عظمها وبعد ما بينهما ، لانه
 عالم لنفسه بجميع المعلومات . وقال قوم : ان قوله « وما يخفى على الله من شيء
 في الارض ولا في السماء » اخبار منه تعالى بذلك دون الحكاية .

قوله تعالى :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ
 رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا
 وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
 الْحِسَابُ) (٤١) ثلاث آيات بلا خلاف .

هذا حكاية من الله تعالى باعتراف ابراهيم (ع) بنعم الله تعالى ، وحمده إياه
 على إحسانه بما وهب له على كبر سنه ولدين : اسماعيل واسحق . وانه اخبر بأن
 ربه الذي خلقه يجيب الدعاء لمن يدعوه وذلك يدل على انه كان تقدم منه مسألة
 لله تعالى أن يهب له ولداً ، فلذلك كان مجيباً له . والحمد هو الوصف الجميل على
 وجه التعظيم لصاحبه والاجلال له وفرق الرماني بين الحمد والمدح بان المدح : هو
 الوصف للشيء بالخير من جهته على وجه التعظيم له ، فعله او لم يفعله ، ولكن كان
 سبباً يؤدي اليه ، وليس كذلك الحمد . والذم : نقيض لهما ، لانه الوصف بالقبيح
 على جهة التحقير . والهبة عطية التمليك من غير عقد ماثمة يقال : وهب له كذا
 يهبه هبة ، فهو واهب . والدعاء طلب الفعل بدلالة القول وما دعا الله (عز وجل)
 اليه فقد أمر به ورغب فيه ، وما دعا العبد به ربه فالعبد راغب فيه ، ولذلك لا
 يجوز ان يدعو الانسان بلعنه ولا عقابه ، ويجوز ان يدعو على غيره به . والتقبل
 أخذ العمل على طريقة ايجاب الحق به مقابلة عليه .

وقال سعيد بن جبير : بشر ابراهيم بالولد بعد مئة وسبعة عشرة سنة .

وقوله « رب اجعلني مقيم الصلاة » سؤال من ابراهيم (ع) الله تعالى ان يجعله ممن يقيم شرائط الصلاة ويدوم عليها بلطف يفعله به يختار ذلك عنده ، وسأله ان يفعل مثل ذلك بذريته ، وأن يجعل منهم جماعة يقيمون الصلاة، وهم الذين اعلمه الله ان يقوموا بها دون الكفار الذين لا يقيمون الصلاة «ربنا وتقبل دعاء» رغبة منه اليه تعالى ان يجيب دعاءه فيما سأله .

وقوله « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » نداء من ابراهيم لله تعالى ان يغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين ، وهو ان يستر عليهم ما وقع منهم من المعاصي عند من أجاز الصغائر عليهم ، ومن لم يحز ذلك حمل ذلك على أنه انقطاع منه اليه تعالى فيما يتعلق به ، وسؤال على الحقيقة في غيره . وقد بينا ان أبوي ابراهيم لم يكونا كافرين^(١) وفي الآية دلالة على ذلك ، لانه سأل المغفرة لهما يوم القيامة ، فلو كانا كافرين لما قال ذلك ، لأنه قال تعالى «فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه »^(٢) فدل ذلك على ان أباه الذي كان كافراً جده لأمه او عمه على الخلاف . قال البلخي : ان أمه كانت مؤمنة ، لانه سأل ان يغفر لأبيه وحكى أنه « كان من الضالين »^(٣) وقال « إلاقول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك »^(٤) ولم يقل لأبويه « ويوم يقوم الحساب » أي يقوم فيه الحساب . والعامل في يوم قوله (اغفر) .

قوله تعالى :

(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ
لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ
لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) (٤٣) آيتان بلا خلاف.

(٢) سورة التوبة آية ١١٥

(٤) سورة المتحنة آية ٤

(١) انظر ٤ : ١٨٩ من هذا الكتاب .

(٣) سورة الشعراء آية ٨٦

قرأ الجماعة « إنما يؤخرهم » بالياء . وروي عن أبي عمرو بالنون قال أبو علي: وجه القراءة بالياء ان الغيبة للمفرد قد تقدم، فتكون بالياء على « فلا تحسبن الله يخلف وعده... إنما يؤخرهم » ووجه القراءة بالنون أنه مثل الياء في المعنى ، وقد تقدم مثله كثيراً

هذا خطاب للنبي ﷺ نهاه الله تعالى ، والمراد به الامة ان يظن ان الله غافل عن أعمال الظالمين ، ومهمل لامورهم . والغفلة والسهو واحد . ثم بين الله تعالى أنه إنما يعاجلهم بالعقوبة ويؤخر عقابهم ليعذبهم في اليوم الذي تشخص فيه الابصار ، وهو يوم القيامة . وشخص البصر ان تبقى العين مفتوحة لا تنطبق لعظم ذلك اليوم « مهطعين » قال سعيد بن جبير والحسن وقتادة : مسرعين ، يقال : أهطع أهطاعاً اذا أسرع قال الشاعر :

بمطع سرح كان زمامه في رأس جذع من أراك مشذب (١)
وقال الآخر :

بمستطع رسل كان جديده بقيدوم رعن من صوام بمنع (٢)
وقال ابن عباس: المبطع الدائم النظر لا تطرف عينه، وقال ابن دريد: المبطع: المطرق الذي لا يرفع رأسه . وقوله « مقنعي رؤسهم » قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد: معناه رافعي رؤسهم واقناع الرأس رفعه ، قال الشاخب :

يباكرن العضاه بمقنعات نواجذهن كالحدا الرقيع (٣)

يعنى يباكرن العضاه بمقنعات أي برؤس مرفوعات اليها ليتناول منها، يصف

(١) مجاز القرآن ١ : ٣٤٢ وتفسير الطبري ١٣ : ١٤١

(٢) اللسان ، والتاج (قدم) والاساس (مطع) ومجاز القرآن ١ : ٣٤٣ وتفسير الطبري ١٣ : ١٤٢

(٣) ديوانه ٥٦ ومجاز القرآن ١ : ٣٤٣ والطبري ١٣ : ١٤٢ واللسان والتاج (حدا)
وجمع البيان ٣ : ٣٢٠ .

ابلاً له ترعى الشجر ، وأن أسنانها مرتفعة كالفؤوس ، وقال الراجز :

انقض نحوي رأسه واقنعا كأنما أبصر شيئاً اطمعاً^(١)

وقوله « لا يرتد اليهم طرفهم » اي لا ترجع اليهم اعينهم ولا يطبقونها .

وقوله « وافئدتهم هواء » معناه منخرقة لا تعي شيئاً للخوف والفرع الذي

دخلها ، فهي كهواء الجوّ ، في الانخراق وبطلان الامسك .

وقوله « يوم يأتيهم » نصب على انه مفعول به والعامل فيه انذرهم ، كأنه

قال خوفهم عقاب الله ، ولا يكون على الظرف ، لانه لم يؤمر بالانذار في ذلك

اليوم . وقيل في قوله « وافئدتهم هواء » ثلاثة اقوال .

اولها - قال ابن عباس ومرّة والحسن : منخرقة لا تعي شيئاً ، وفارغة من كل شيء

إلا من ذكر إجابة الداعي .

الثاني - قال سعيد بن جبير : يردد في أجوافهم لا يستقر في مكان .

الثالث - قال قتادة : خرجت الى الحناجر لا تنفصل ، ولا تعود ، وكل ذلك

تشبيه بهواء الجوّ ، والاول أعرف في كلام العرب . وقال حسان بن ثابت :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فانت مجوف نخب هواء^(٢)

وقال زهير :

كأن الرجل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء^(٣)

وقيل ان الظلم لا فؤاد له وقال آخر :

ولانك من اخدان كل براعة هواء كسقب البان خوفا يكاسره^(٤)

(١) تفسير الشوكاني ٣ : ١١٠ وتفسير الطبري ١٣ : ١٤٢ ومجاز القرآن ١ : ٣٤٤

(٢) ديوانه ٨ ، واللسان والتاج (هواء ، جوف) والطبري ١٣ : ١٤٤ ومجمع البيان ٣ : ٣٢٠ وقد مر في ١ : ٤١ من هذا الكتاب .

(٣) ديوانه (دار بيروت) ٩ ، ومجمع البيان ٣ : ٣٢٠

(٤) هذا البيت منسوب الى صخر الغي . ونسب ايضاً الى كعب . التاج (هوا) والطبري

١٣ : ١٤٤ ومجاز القرآن ١ : ٣٤٤

قوله تعالى :

(وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) (٤٤) آية
بلاخلاف .

امر الله تعالى نبيه ﷺ ان يقول للناس على وجه التخويف لهم من عقابه ،
ويحذرهم يوم يجيئهم العذاب من الله على معاصيهم في دار الدنيا ، وهو يوم القيامة ،
ويقول « الذين ظلموا » نفوسهم بارتكاب المعاصي وترك الواجبات يا « ربنا أخرنا
الى أجل قريب » أي ردنا الى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها
وتتبع رسلك فيما يدعوننا اليه ، فيقول الله تعالى « أو لم تكونوا أقسمتم » وحلفتم
في دار الدنيا « مالكم من زوال » . قال مجاهد : معناه إنهم أقسموا في الدنيا
أنه ليس لهم انتقال من الدنيا الى الآخرة . وقال الحسن : معناه « من زوال »
الى العذاب .

والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد ، والأمد مدة من المدد ، فانما طلبوا
أجلاً يستدركون فيه مافات من الفساد بالصلاح ، وفي المعلوم أنهم يبعدون من
الفلاح .

وفي الآية دلالة على ان أهل الآخرة غير مكلفين بخلاف ما يقول النجاشي
وجماعة من المجبرة ، لانهم لو كانوا مكلفين لما كان لقوله « أخرنا الى اجل قريب »
معنى ، لانهم مكلفون ، وكانوا يؤمنون ويتخلصون من العقاب .

وقوله « فيقول » رفع عطفاً على قوله « يوم يأتيهم العذاب » وليس يجواب
الامر لانه لو كان جواباً له لجاز فيه النصب والرفع ، فالنصب مثل قول الشاعر :

بإناق سيري عنقاً فسيحاً الى سليمان فنستريحاً^(١)

والرفع على الإستئناف وذكر الفراء ان العلاء بن سبابة كان لا ينصب في جواب الأمر بالفاء قال : والعلاء هو الذي علم معاذاً وهوأ وأصحابه .

قوله تعالى :

(وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ
فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) (٤٦) آيتان
بلا خلاف .

قرأ الكسائي وحده « لتزول » بفتح اللام الأولى ، وضم الثانية . وروي ذلك عن علي (ع) . الباقون بكسر اللام الاولى وفتح الثانية .

قال أبو علي : من كسر اللام الأولى وفتح الثانية جعل (إن) بمعنى (ما) والتقدير وما كان مكرهم لتزول ، ومثل ذلك قوله « إن الكافرون إلا في غرور^(٢) » . ومعناه ما الكافرون ، ومعنى الآية « وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم » اي جزاء مكرهم ، فحذف المضاف كما حذف من قوله « ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا ، وهو واقع بهم^(٣) » اي جزاؤه ، والمعنى قد عرف الله مكرهم ، فهو يجازيهم عليه وما كان مكرهم لتزول منه الجبال . و(الجبال) كأنه اراد بها القرآن وأمر النبي ﷺ وأعلامه ودلالاته أي ما كان ليزول منه ما هو مثل الجبال في امتناعه ممن أراد إزالته .

(١) تفسير الطبري ١٣ : ١٤٤ : ومجمع البيان ٣ : ٣٢٠ . واكثر كتب النحو يشهدون به

على اضعاف (أن) بعد الفاء المسبوقة بطلب .

(٢) سورة الشورى ٤٢ آية ٢٢

(٣) سورة الملك (تبارك) ٦٧ آية ٢٠

ومن قرأ بفتح اللام الأولى وضمّ الثانية جعل (إن) هي المخففة من الثقلية على تعظيم أمر مكرهم، وهو في تعظيم مكرهم، كما قال في موضع آخر « ومكروا مكرراً كسباراً^(١) » أي قد كان مكرهم من الكبر والعظم بحيث يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع، على من أراد إزالته ومثله في تعظيم الأمر قول الشاعر:

ألم ترَ صدعاً في السماء مبيناً على ابن لبيني الحارث بن هشام^(٢)

وقال آخر:

بكى حارث الجولان من موت ربه وهوران منه خاشع متضائل^(٣)

وقال أوس:

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب^(٤)

فهذا كله على تعظيم الأمر وتفخيمه ويدل على ان الجبال يعني بها أمر النبي ﷺ قوله بعد ذلك « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » أي بعد وعدك الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله « ليظهره على الدين كله »^(٥) وفي قوله « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون »^(٦) وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل:

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها شاعراً مثلي اطب واشعرا

وأكثر بيتاً شاعراً ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا^(٧)

(١) سورة نوح ٧١ آية ٢٢

(٢) مجمع البيان ٣ : ٣٢٢

(٣) قائلة النابغة الذبياني . ديوانه (دار بيروت) ٩١ واللسان (حرف) وروايته الديوان

(موحش) بدل (خاشع) وروايتها معاً (فقد) بدل (موت) .

(٤) ديوانه (دار بيروت) ١٠ وروايته :

ألم تكسف الشمس والبدر وال كواكب للجبل الواجب

(٥) سورة التوبة آية ٣٤ وسورة الفتح آية ٢٨ وسورة الصف آية ٩

(٦) سورة آل عمران آية ١٢

(٧) مجمع البيان ٣ : ٣٢٢

يقول الله تعالى للكفار « او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم زوال » مما انتم عليه من النعم وأنتم « سكتتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم » بارتكاب المعاصي وكفران نعم الله ، فأهلكهم الله « وضربنا لكم الامثال » والمعنى ان مثلكم كمثلهم في الاهلاك اذا اقمتم على ما اقاموا عليه ، من الفساد والتتابع في المعاصي « ومكروا مكرم » يعني الكفار الذين ظلموا انفسهم مكروا بالنبي ﷺ واحتالوا له ، ومكروا بالمؤمنين وخدعوه « وعند الله » جزاء مكرم ، ولم يكن مكرم ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوة ، فلا يبطل شيء منه ، لانه ثابت بالدليل والبرهان .

وعلى القراءة الأولى ولو كان مكرم يزيل الجبال من عظمه وشدته ، لما أزال أمر النبي ﷺ لانه أثبت من الجبال .

وروي عن علي (ع) وجماعة انهم قرؤوا « وان كاد مكرم » من المقاربة . قال سعيد بن جبير وغيره : ان قوله « ومكروا مكرم » نزلت في صاحب النسرين الذي أراد صعود السماء . وقال قوم : مكرم كفرهم بالله وشركهم في عبادته .

قوله تعالى :

(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ
(٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ
الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ) (٤٨) آيتان بلا خلاف .

قرىء في الشواذ « مخلف وعده رسله » وهي شاذة رديئة ، لانه لا يجوز ان يفصل بين المضاف والمضاف إليه ، وانشد القراء :

فزجبتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده^(١)

(١) انظر ٤ : ٣٠٩ من هذا الكتاب .

والمعنى زج ابي مزادة القلوص ، والصحيح ما عليه القراء ، وتقديره مخلف وعده رسله ، كما تقول هذا معطي زيد درهماً ، والمعنى مخلف رسله وعده .
يقول الله تعالى لنبيه ﷺ « لا تحسبن الله » اي لا تظنه مخلف ما وعدك به من الظفر بهم والظهور عليهم ، فانه لا يخلف ما وعد رسله به . ثم أخبر ان الله تعالى قادر لا يغالب ينتقم ممن يكفر بنعمه ويكذب انبيائه . والانتقام هو العقاب .

«يوم تبدل الارض غير الارض» العامل في «يوم» الانتقام، وتقديره ذو انتقام يوم تبدل . والتبديل التغيير برفع الشيء الى بدل . وقيل ان تبدل الارض بغيرها برفع الصورة التي كانت عليها الى صورة غيرها . وقال ابن عباس ومجاهد وأنس بن مالك وابن مسعود : يبديل الله هذه الارض بأرض بيضاء كالفضة ، لم يعمل عليها خطيئة . والاول قول الحسن .

وقوله « والسموات » تقديره تبدل السموات غير السموات وحذف لدلالة الكلام عليه . وقيل تبدل الارض بتسيير الجبال وتفجير بحارها وكونها مستوية « لا ترى فيها عوجاً ولا امناً »^(١) وتبديل السموات انتشار كواكبها، وانفطارها، وتكوير شمسها وخسوف قمرها .

وقوله « وبرزوا لله الواحد القهار » معناه يظهرون من قبورهم . والبروز الظهور وبرز يبرز بروزاً ، فهو بارز ، وبارز قرنه مبارزة « لله الواحد القهار » والمعنى الواحد لا شبه له ولا نظير . والقهار المالك الذي لا يضام .

قوله تعالى :

(وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَّابِلُهُمْ
مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ) (٥٠) آيتان بلا خلاف .

يقول الله لنبيه ﷺ انك يا محمد ترى الذين اجرموا وفعلوا المعاصي ، من الكفر وجحد النعم ، يوم القيامة « مقرنين في الاصفاد » اي قرنت أيديهم بالغل الى اعناقهم . وقال الجبائي : قرن بعضهم الى بعض ، والصفد الغل الذي يقرن به اليد الى العنق ، ويجوز ان يكون السلسلة التي يقع بها النقرين ، وأصل الصفد القيد ، وهو الصفاد ، وجمعه صفد ، قال عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وابناء الملوك مصفدين^(١)

اي مقيدين ، ومنه اصفدته اصفاداً ، اذا أعطيته مالا ، قال الاعشى :

تضيفته يوماً فأكرم مجلسي واصفدني عند الزمانة قائدا^(٢)

وقال الذبياني :

هذا الثناء فان تسمع لقائله فاعرضت أبيت اللعن بالصفد^(٣)

اي ما تعطيه : وانما قيل لها : صفد ، لانها تقيد المودة وترتبطها . وقال

قتادة : الاصفاد القيود والاعلال ، والسرابيل القميص - في قول ابن زيد -

واحدها سربال ، قال امرؤ القيس :

لعوب تنسيني اذا قمت سربالي^(٤)

و(القطران) هو الذي تنهأ به الإبل - في قول الحسن - وفيه لغات ، قطران

بفتح القاف وكسر الطاء ، وبتسكين الطاء وكسر القاف . ويجوز فتحها ، قال

ابو النجم :

(١) تفسير الشوكاني (الفتح القدير) ٣ : ١١٣ ومجمع البيان ٣ : ٢٢٣

(٢) ديوانه (دار بيروت) ٤٤ وروايته (قرب مقعدي) بدل (فأكرم مجلسي) . وهو في

مجمع البيان ٣ : ٣٢٣ ومجاز القران ١ : ٣٤٥ وتفسير الطبري ١٣ : ١٥٢

(٣) ديوانه (دار بيروت) ٣٧ وروايته :

هذا الثناء فان تسمع به حسناً فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد

(٤) ديوانه (الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٩) ١٦٠ وصدوره :

ومثلك بيضاء العوارض طفلة

جون كأن العرق المنتوحا ألبسه القطران والمسوحا^(١)
فكسر القاف وقال ايضاً :

كان قطراناً اذا تلاها ترمي به الريح الى مجراها^(٢)

وإنما جعلت سراويلهم من قطران، لان النار تسرع اليها، وقرىء «قطران»
وروي ذلك عن ابن عباس، والقطر النحاس ومنه قوله «اتوني افرغ عليه
قطراً»^(٣) والمعنى من قطر بالغ حره، وانتهى. والقراء على انه اسم واحد على
وزن الظربان، والظربان دابة منتنة فساءة، وهي من السباع «وتغشى وجوههم»
معناه تجللها.

قوله تعالى :

(لِيَجْزِيََ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
(٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (٥٢) آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى بأنه إنما فعل ما تقدم ذكره «ليجزى الله كل نفس» الذي كسبت
إن كسبت خيراً أتاها الله بالنعم الأبدية في الجنة، وإن كفرت وحججت وكسبت
شراً عاقبها بنار جهنم مخلدة فيها «إن الله سريع الحساب» أي سريع المجازاة.
وقيل معنى «سريع الحساب» لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة آخرين.
والكسب فعل ما يجلب به النفع للنفس أو يدفع به الضرر عنها. والكسب
ليس يجنس الفعل، والله تعالى يقدر على مثله في الجنس.

وقوله «هذا بلاغ» قال ابن زيد وغيره من المفسرين: هو إشارة الى القرآن،

(٢٠١) مجمع البيان ٣ : ٣٢٣ وتفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١٣ : ١٥٣

(٣) سورة الكهف اية ٩٧

ففيه بلاغ للناس ، لان فيه البيان عن الانذار والتخويف ، وفيه البيان عما يوجب الإخلاص بما ذكر من الإنعام الذي لا يقدر عليه الا الله .

وفي الآية حجة على ثلاث فرق :

على المجبرة في الارادة ، لأنها تدل على أنه تعالى أراد من جميع المكلفين ان يعلموا « إنما هو إله واحد » وهم يزعمون أنه أراد من النصارى ان يثلثوا ، ومن الزنادقة ان يقولوا بالتثنية .

الثاني - حجة عليهم في ان المعصية لم يردّها ، لانه اذا أراد منهم ان يعلموا أنه إله واحد ، لم يرد خلافه من التثليث والتثنية الذي هو الكفر .

الثالث - حجة على اصحاب المعارف ، لانه بين أنه أراد من الخلق ان يتذكروا ويفكروا في دلائل القرآن التي تدلهم على أنه إله واحد . ثم أخبر تعالى انه إنما يتذكر « أولو الالباب » اي ذوو العقول ، لان من لا عقل له لا يمكنه الذكر والاعتبار .

(١٥) سورة الحجر

مكية في قول قتادة ومجاهد. وهي تسع وتسعون آية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) (٢) آيتان بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة وعاصم «ربما» بالتخفيف . الباقون بالتشديد . وروي عن أبي عمرو : الوجهان . قال أبو علي أنشد أبو زيد :

ماوي يا ربنا غارة شعواء كاللذعة بالميسم^(١)

قال الأزهري : الماوي الرحمة ، وأنشد أيضاً أبو زيد :

يا صاحباً ربه إنسان حسن يسأل عنك اليوم أو تسأل عن^(٢)

(١) مجمع البيان ٣ : ٣٢٦ واللسان (رب) ، (ما) .

(٢) مجمع البيان ٣ : ٢٢٧

وقال قطرب ، والسكري : ربّما ، وربّما ، وربّما ، وربّما ، وربّما : ست لغات .
قال سيبويه (رب) حرف وتلحقها (ما) على وجهين :
احدهما - ان تكون نكرة بمعنى شيء كقوله :
ربما تجزع النفوس من الأم - سر له فرجة كحلّ العقال^(١)

ف (ما) في هذا البيت إسم؛ لما يقدر من عود الذكريه من الصفة . والمعنى :
رب شيء تكرهه النفوس ، واذا عاد اليه الهاء كان إسمًا ، ولم يجوز أن يكون
حرفاً . والضرب الآخر ان تدخل (ما) كافة نحو الآية ، ونحو قول الشاعر :
ربما أوفيت في علم يرفعن ثوبي شمالات^(٢)

والنحويون يسمون (ما) هذه كافة يريدون: أنها بدخولها كفت الحرف عن
العمل الذي كان هيأها لدخولها على ما لم تكن تدخل عليه ، ألا ترى ان (رب)
انما تدخل على الاسم المفرد ؛ نحو رب رجل يقول ذلك ، وربّه رجل يقول ،
ولا تدخل على الفعل ، فلما دخلت (ما) عليها هيأتها للدخول على الفعل ، كما قال
«ربما يود الذين كفروا» فوقع الفعل بعدها - في الآية - وهو على لفظ المضارع ،
ووقع في قوله (ربما أوفيت في علم) على لفظ الماضي ، وهكذا ينبغي في القياس
لأنها تدل على أمر قد وقع ومضى ، وإنما وقع - في الآية - على لفظ المضارع ،
لأنه حكاية لحال آتية كما ان قوله « وإن ربك ليحكم بينهم »^(٣) حكاية لحال آتية
ايضاً ، ومن حكاية الحال قول القائل :

جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالايماض^(٤)

ومن زعم ان الآية على اضممار (كان) وتقديره ربما كان يود ، فقد خرج عن
قول سيبويه ، لأنهم لا يضمرون على مذهبه (كان) في قول القائل: عبدالله المقتول
اي كن عبدالله المقتول. واما اضممار (كان) بعد إن خيراً فخييراً، فإنما جاز ذلك ،

(١) قائله أمية بن ابي الصلت . اللسان «فرج» وروايته «تكره» بدل «تجزع» .

(٢) قائله جذيمة الأبرش . اللسان «شمل» . وشمالات : جمع شمال ؛ ويقصد هنا ربح الشمال

(٣) سورة النحل ١٦ آية ١٢٤

(٤) اللسان «رمض» «خصص» وجمع البيزن ٣ : ٣٢٧

لإقتضاء الحرف له، فصار اقتضاء الحرف له كذكره، فاما ما أنشده ابن حبيب،
فيها ابن مسكين :

لقد رزيت كعب بن عوف وربما فتى لم يكن يرضى بشيء يضيئها^(١)
فان قوله (فتى) يحتمل ضروباً :

احدها - ان يكون لما جرى ذكر (رزيت) استغنى يجرى ذكره عن اعادته،
فكانه قال : ربما رزيت فتى ، فانتصب فتى برزيت المضرة، كقوله «آلان وقد
عصيت»^(٢) فاستغنى بذكر آمنت المعلوم عن اظهاره بعد ، ويجوز ان يكون
انتصب بـ (رزيت) هذه المذكورة ، كأنه قال : لقد رزيت كعب بن عوف
فتى وربما لم يكن يرضى اي رزيت فتى لم يكن يرضى ، ويكون هذا الفصل وهو
اجنبي بمنزلة قوله :

ابو أمه حي أبوه يقاربه^(٣)

ويجوز ان يكون رفعا بفعل مضمر كأنه قال ربما لم يرضى فتى كقوله :
وقلما وصال على طول الصدود يدوم^(٤)

ويجوز ان تكون (ما) نكرة بمنزلة شيء ويكون فتى وصفاً لها ، كأنه قال :
رب شيء فتى لم يكن كذا، فهذه الوجه فيها ممكنة، ويجوز في الآية ان تكون
(ما) بمنزلة شيء و(ودّ) صفة له ، لان (ما) لعمومها تقع على كل شيء فيجوز ان
يعنى بها الودّ كأنه رب ودّ يودّه الذين كفروا ، ويكون يودّ في هذا الوجه
حكاية حال لانه لم يكن كقوله «ارجعنا نعمل صالحاً»^(٥) وقوله «يا ليتنا نردّ
ولا نكذب»^(٦)

«١» مجمع البيان ٣ : ٢٢٧

«٢» سورة يونس آية ٩١

«٣» البيت مشهور يستشهدون به على التعقيد المعنوي في كتب المعاني والبيان وتامه :

وما مثله في الناس إلا ملكاً

ابو أمه حي أبوه يقاربه

«٤» اللسان «طول» وتام البيت :

صددت فأطولت الصدود وقلما

وصال على طول الصدود يدوم

«٥» الم السجدة ٣٢ آية ١٢

«٦» سورة الانعام ٦ آية ٢٧

واما من خفف ، فلانه حرف مضاعف والحروف المضاعفة قد تحذف ، وأن لم يحذف غير المضاعف ، فمن المضاعف الذي حذف (ان ، وان ، ولكن) قد حذف كل واحد من الحروف ، وليس كل المضاعف يحذف ، لاني لا أعلم الحذف في (ثم) ، قال الهذلي :

ازهير إن يشب القذال فاني رب هيضل لجب لففت بهيضل^(١)

واما دخول التاء في (ربتا) فان من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيت نحو (ثم ، وثمت ، ولا ، ولات) قال الشاعر :

ثمت لا يحزونني غير ذالك ولكن سيحزنني المليك فيعقبا^(٢)

فلذلك الحق التاء في قوله « ربنا » وقال المبرد : قال الكسائي : العرب لاتكاد توقع (رب) على أمر مستقبل ؛ وهذا قليل في كلامهم ، وإنما المعنى عندهم ان يوقعوها على الماضي ، كقولهم : ربما فعلت ذلك ، وربما جاءني فلان . وإنما جاء هذا في القرآن ، على ما جاء في التفسير ، ان ذلك يكون يوم القيامة . وإنما جاز هذا ، لأن كل شيء من أمر الله خاصة فإنه وإن لم يكن وقع بعد ، فهو كالماضي الذي قد كان ، لأن وعده آت لا محالة ، وعلى هذا عامة القرآن ، نحو قوله « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض »^(٣) وقوله « وسيق الذين اتقوا »^(٤) « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد »^(٥) ومع هذا يحسن ان يقال - في الكلام - اذا رأيت الرجل يفعل ما يشاء ، تخاف عليه ، ربما يندم ، وربما يتمنى ان لا تكون فعلت ، قال : وهذا كلام عربي حسن ، ومثله قال الفراء والمبرد وغيرهم .

فان قيل لم قال « ربما يود الذين كفروا » ورب للتقليل ؟ قلنا عنه جوابان : احدهما - انه شغلهم العذاب عن تمني ذلك الا في القليل .

(١) مجمع البيان ٣ : ٣٢٨ واللسان (هضل) نسبة الى ابي كبير

(٢) مجمع البيان ٣ : ٣٢٨ (٣) سورة الزمر - ٣٩ - آية ٦٨

(٤) سورة الزمر آية ٧٣ (٥) سورة ق ٥٠ آية ٢١

والثاني - انه أبلغ في التهديد كما تقول : ربما ندمت على هذا ، وأنت تعلم انه يندم ندماً طويلاً ، أي يكفيك قليل الندم ، فكيف كثيره .

فان قيل : لم قال « تلك آيات الكتاب وقران » والكتاب هو القرآن ؟ ولم أضاف الآيات الى الكتاب ، وهي القرآن ؟ وهل هذا إلا اضافة الشيء الى نفسه ؟!

قلنا : إنما وصفه بالكتاب والقرآن ، لإختلاف اللفظين ، وما فيهما من الفائدةين وإن كانا لموصوف واحد ، لأن وصفه بالكتاب يفيد انه مما يكتب ويدون ، والقرآن يفيد أنه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه الى بعض قال الشاعر :

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم^(١)

وقال مجاهد وقتادة : المراد بالكتاب : ما كان قبل القرآن من التوراة والانجيل ، فعلى هذا سقط السؤال . فأما إضافة الشيء الى نفسه ، فقد بينا الوجه فيما مضى فيه ، وانه يجري مجرى قولهم مسجد الجامع وصلاة الظهر ويوم الجمعة . وقوله تعالى « لحق اليقين »^(٢) وهو مستعمل مشهور وبيننا الوجه فيه ، ووصف القرآن بانه مبين لانه يظهر المعنى للنفس ، والبيان ظهور المعنى للنفس بما يميزه من غيره ، لأن معنى إبانته منه فصله منه ، فاذا ظهر النقيضات في معنى الصفة فقد بانته وفهمت .

و (الود) التمنى يقال : وددته اذا تمنيته ؛ ووددته اذا أحببته أود فيها جميعاً ودًا . وقال الحسن : اذا رأى المشركون المؤمنين دخلوا الجنة تمنوا أنهم كانوا مسلمين ، وقال مجاهد : اذا رأى المشركون المسلمين يغفر لهم ويخرجون من النار يودون لو كانوا مسلمين .

(٢) سورة الحاقة ٦٩ آية ٥١

(١) مر هذا البيت في ٢ : ٩٨

قوله تعالى :

(ذَرُّهُمْ يَا كُلُّوا وَيَسْتَمِعُوا وَيُلِهِمُ الْآمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)
 وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ
 أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
 الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلْئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنْ
 الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنزِّلُ الْمَلْئِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا
 مُنظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)
 سبع آيات .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ على وجه التهديد للكفار: اترك هؤلاء يأكلوا ما
 يشتهون، ويستمتعوا في هذه الدنيا بما يريدون ويشغلهم الأمل «فسوف يعلمون»
 وبال ذلك فيما بعد يعني يوم القيامة ووقت الجزاء على الاعمال .

ثم اخبر تعالى انه لم يهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة الا وكان لها
 كتاب معلوم يعني أجل مكتوب قد علمه الله تعالى لا بد ان يبلغونه لما سبق في
 علمه ، ويجوز إلا ولها بالواو وبغير الواو ، لانه جاء بعد التام ، ولو جاء بعد
 النقصان لم يجز ، نحو رجلا هو قائم ، ولا يجوز وهو قائم ، وكذلك في الظرف في
 خبر كان ؛ وقال لم تكن أمة فيما مضى تسبق اجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر
 عن اجلها الذي قدر لها بل اذا استوفت أجلها اهلكها الله .

ثم قال له : ان هؤلاء الكفار يقولون لك « يا أيها الذي نزل عليه الذكر ،
 يعنون القرآن نزل عليك على قولك ، لانهم لم يكونوا من المعترفين بذلك « انك
 لمجنون » في ادعائك أنه أنزل عليك الذكر بوحى الله اليك ، ولم تكن
 ممن يقرأ .

وقوله «لو ما تأتينا بالملائكة» معناه «هلا تأتينا»، وهو دعاء الى الفعل وتحضيض عليه، ومثله قوله «لو لا انزل عليه ملك» قال الشاعر:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضو طرى لو لا الكمي المقنعا^(١)

وقد جاء (لوما) في معنى (لولا) التي لها جواب قال ابن مقيل:

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتا عوري^(٢)

اي لولا الحياء. والمعنى في الآية هلا تأتينا بالملائكة إن كنت صادقاً في انك نبي، وقال ابو عبيد عن ابن جريج: فيه تقديم وتأخير يعنى قوله «ولو فتحنا» هو جواب «لو ما تأتينا» والمعنى: فلو فعلنا ذلك بهم ايضاً لما آمنوا، وما بينهما كلام مقدم والمراد به التأخير، قال المبرد: هذا الذي ذكره جائر لكن فيه بعد لانه يلبس بأن يكون فتح عليهم من انفسهم فعرج بهم. والله اعلم. وكلا الأمرين غير ممتنع الا ان العرب تمنع مما فيه لبس.

وقوله «ما نزل الملائكة الا بالحق» قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنون ونصب الملائكة. الباقون بالتاء ورفع الملائكة إلا أبا بكر عن عاصم فانه ضم التاء على ما لم يسم فاعله. فحجة من قرأ بالنون قوله «ولو اننا نزلنا إليهم الملائكة»^(٣) وحجة من قرأ «نزل الملائكة» بفتح التاء قوله «نزل الملائكة والروح فيها»^(٤). وحجة من قرأ على ما لم يسم فاعله قوله «ما نزل الملائكة الا بالحق» وقوله تعالى «ونزل الملائكة تنزيلاً»^(٥).

ومعنى قوله «ما نزل الملائكة الا بالحق» يعنى بالحق الذي لا يلبس معه الباطل طرفه عين. وقال الحسن ومجاهد: معناه إلا بعداب الاستئصال اي لم

(١) مر تخريجه في ١ : ٣٠٩ ، ٤٣٥ .

(٢) شواهد الكشاف ١٢٦ ومجاز القرآن ١ : ٣٤٦ وتفسير القرطبي ١٠ : ٤ ومجمع

البيان ٣ : ٣٣٠ (٣) سورة الانعام اية ١١١

(٤) سورة القدر اية ٤ (٥) سورة الفرقان اية ٢٥

يؤمنوا بالآيات ، كما كانت حال من قبلهم حين جاءتهم الآيات التي طلبوا ، فلم يؤمنوا . ومعنى « وما كانوا اذا منظرين » أنه إن نزل عليهم الملائكة ولم يؤمنوا لم ينظروهم الله ، بل كان يعاجلهم العقوبة . وقوله « انا نحن نزلنا الذكر » يعني القرآن في - قول الحسن والضحاك ، وغيرهم - « وانا له لحافظون » قال قتادة : لحافظون من الزيادة والنقصان . ومثله قوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »^(١) وقال الحسن : لحافظون حتى نجزي به يوم القيامة اي لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الفراء : الهاء في قوله « وانا له لحافظون » يجوز ان تكون كناية عن النبي ، فكأنه قال : انا نحن نزلنا القرآن وانا لمحمد لحافظون . وقال الجبائي : معناه وانا له لحافظون من ان تناله أيدي المشركين ، فيسرعون الى ابطاله ، ومنع المؤمنين من الصلاة به .

وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن ، لان ما يكون منزلاً ومحفوظاً لا يكون الا محدثاً ، لان القديم لا يجوز عليه ذلك ولا يحتاج الى حفظه

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) أَرْبَعُ آيَاتٍ بِلَا خِلَافٍ .

يقول الله (عز وجل) لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم تسلياً له عن كفر قومه « لقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين » قال ابن عباس وقتادة : شيع الامم واحدهم شيعة لتابعة بعضهم بعضاً في الاحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد من مملكة

أو عمارة أو بادية أو نحو ذلك من الأمور الجارية في العادة ، والمرسل محذوف لدلالة (أرسلنا) عليه .

وقوله « وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن » اخبار منه تعالى أنه لم يبعث رسولاً فيما مضى إلا وكانت أمم تستهزئ بهم ، واستهزأؤهم بهم حملهم عليهم واستبعادهم ما دعوا اليه واستيحاشهم منه ، واستكبارهم له ، حتى توهموا أنه بما لا يكون ، ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم وأسلافهم ، فكان عندهم كأنه دعا إلى خلاف المشاهدة وإلى ما فيه جحد الضرورة والمكابرة . والهزؤ إظهار ما يقصد به العيب على أيهام المدح ، وهو بمعنى اللعب والسخرية .

وقوله « كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين » قيل في معناه قولان :

أحدهما - كذلك نسلك القرآن الذي هو الذكر بإخطاره على البال ليؤمنوا به ، فهم لا يؤمنون به ، ماضين على سنة من تقدمهم ، من تكذيب الرسل ، كما سلكتنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم . ذهب إليه البلخي والجبائي .

وقال الحسن وقتادة : يسلك الاستهزاء بإخطاره على البال ليجتنبوه ، ولو كان المراد أنه يسلك الشرك في قلوبهم ، لكان يقول : أنهم لا يؤمنون بالشرك ولو كانوا كذلك ، كانوا محمدين غير مذمومين ، يقال : سلكه فيه يسلكه سلكاً وسلوكاً ، واسلكه اسلاكاً ، قال عدي بن زيد :

و كنت لزاز خصمك لم اعرد
وقد سلكوك في يوم عصيب^(١)

وقال الآخر :

(١) انظر ٦ : ٣٨ تعليقة ١

حتى اذا سلطوهم في قنائة شلاً كما تطرد الجمالة الشرداً^(١)

ومعنى قوله : « وقد خلت سنة الاولين » اي في اهلاك من اقام على الكفر بالمعجزات بعد مجيء ما طلب من الآيات . ويحتمل ان يكون المراد وقد خلت سنة الاولين في تكذيب رسلم والكفر بما جاؤوا به .

قوله تعالى :

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ
(١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ
(١٥) آيتان .

قرأ ابن كثير وحده « سكرت » بالتخفيف . الباقون بالتشديد . قال أبو عبيدة : (سكرت) معناه غشيت . والمعنى في الآية سكرت الابصار ، فلا ينفذ نورها ، ولا تدرك الاشياء على حقيقتها ، وكان المعنى انقطاع الشيء عن سننه الجاري ، فمن ذلك (سكره سكرأ) إنما هو رده عن سننه ، وقال : السكير في الرأي قبل ان يعزم على شيء ، فاذا عزم على امر ذهب السكير وهو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو ، فلا ينفذ رأيه على حد نفاذه في صحوه ، ووجه التثقيب ان الفعل مسند الى جماعة مثل قوله « مفتحة لهم الابواب »^(٢) ووجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند الى الجماعة قد يخفف ، قال الشاعر :

ما زلت اغلق ابواباً وأفتحها^(٣)

(١) قاله عبد مناف بن ربح الهذلي ديوانه ٢/٢٤ وتفسير الطبري ١٨٠٧/١٤ وتفسير القرطبي

١١٩/١٢ ومجاز القرآن ٣٣١،٣٧/١ وجمع البيان ٣٣٠/٣ ومعجم البلدان (قنائة)

واللسان والتاج (قند) وقد مر في ١٤٩٠،١٢٨/١ من هذا الكتاب .

(٢) سورة ص ٣٨ اية ٥٠

(٣) اللسان (غلق) نسه الى الفرزدق ولم اجده في ديوانه وروايته

ما زلت افتح ابواباً واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار

أخبر الله تعالى نبيه ﷺ ان هؤلاء الكفار لشدة عنادهم وغلظة كفرهم وتمردهم وعتوهم «لو فتحنا عليهم باباً من السماء» فصاروا «فيه يعرجون» والعروج الصعود في الهواء تعلقاً به نحو السماء ، عرج الملك يعرج عروجا ، فلو عرج هؤلاء عروج الملك ، لقالوا هذا القول . والتسكير إدخال اللطيف في المسام ، ومنه السكر بالشراب ، والسكر السد بالتراب «لقالوا انما سكرت أبصارنا» بما ادخل فيها من اللطيف في مسامها ، حتى منعنا من رؤية الاشياء على حقيقتها . وأصل السكر السد بما ادخل في المسام . وقال مجاهد والضحاك وابن كثير : معنى «سكرت» سدت قال المثنى بن جندل الطهوري :

جاء الشتاء واجتال القنبر واستخفت الافعى وكانت تظهر
وظلعت شمس عليها مغفر وجعلت عين الحرور تسكر (١)

اي تسد بشدة البرد، وقنبر وقنبر - بضم الباء وفتحها - لغتان ، مثل جندب وجندب قال رؤبة :

قبل انصداع الفجر والتهجر وخوضهن الليل حتى تسكر (٢)

اي يسد بظلمته ، وحكى الفراء : ان من العرب من يقول : سكرت الريح إذا سكنت .

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك : المعنى «لو فتحنا عليهم باباً من السماء» فظلمت الملائكة تعرج الى السماء ، وهم يرونها على ما اقترحوه ، «لقالوا : انما سكرت أبصارنا» وقال الحنن : يظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه .

(١) مجاز القرآن ٣٤٨/١ وتفسير الطبري ٩/١٤ واللسان والتاج (سكر ، قنبر) وتفسير الطبري ٨/١٥ ومجمع البيان ٣٣٠/٣ والشوكاني (الفتح القدير) ١١٠٨/٣ (اجتال) اجتمع ، وتقبض ، وانقبض . و(القنبر) و(القنبر) جمع قنابر ، وتقول : العامة: قنبرة . وهم جماعة يجتمعون لجر ما في الشباك من الصيد ، وهي لغة عمانية . ومعنى (استخفت الافعى) اي تحبأت الحية الكبيرة . بعد ان كانت تظهر . وظلعت الشمس عليها غيوم . و(الحرور) الريح الحارة .

(٢) تفسير الطبري ٩/١٤

«بل نحن قوم مسحورون» أي يقولون: سحرنا، فنحن مسحورون، والسحر حيلة خفية، توهم معنى المعجزة من غير حقيقة، ولهذا من عمل بالسحر كان كافراً، لأنه يدعي المعجزة للكذابين، فلا يعرف نبوة الصادقين. وقال أبو عبيدة: سكرت أبصار القوم إذا ادير بهم، وغشيم كالساتر فلم يبصروا.

وروى ابن خالوية عن الزهري أنه قرأ «سكّرت» بفتح السين وكسر الكاف، والتخفيف أي اختلطت وتغيرت عقولهم.

قوله تعالى:

(وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦)
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَعَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ) (١٨) ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنه جعل في السماء بروجاً. والجعل قد يكون تصيير الشيء عن صفة لم يكن عليها. وقد يكون بالايجاد له. والله تعالى قادر أن يجعل في السماء بروجاً من الوجهين، والبرج: ظهور منزل ممتنع بارتفاعه، فمن ذلك برج الحصن، وبرج من بروج السماء الإثني عشر، وهي منازل الشمس والقمر. وأصله الظهور، يقال: تبرجت المرأة إذا أظهرت زينتها. وقال الحسن ومجاهد وقتادة: المراد بالبروج النجوم. وقوله «وحفظناها من كل شيطان رجيم»، يحتمل أن تكون الكناية راجعة إلى السماء، وإلى البروج. وحفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع، فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه ومراعاته، حتى لا ينسى، ومنه حفظ المال بإحرازه بحيث لا يضيع بتخطف الأيدي له، وحفظ السماء من كل شيطان بالمنع بما أعد له من الشهاب. والرجم بمعنى المرجوم، والرجم الرمي بالشيء بالاعتدال من غير آلة مهيأة للأصابة، فإن النفوس يرمى عنها ولا ترجم.

وقوله « إلا من استرق السمع » معنى (إلا) (لكن) فكأنه قال : لكن من استرق السمع من الشيطان يتبعه شهاب مبین . قال الفراء : أي لا يخطيء ، وقال المفسرون : قوله « إلا من استرق السمع » مثل قوله « إلا من خطف الخطفة »^(١) ومعناه معناه ، والاستراق أخذ الشيء خفياً ، وليس طلبهم استراق السمع مع علمهم بالشهب خروج عن العادة في صفة العقلاء ، لانهم قد يطمعون في السلامة من بعض الجهات ، والشهاب عمود من نور يمدّ لشدة ضيائه كالنار وجمعه شهب . وقال ابن عباس : بالشهاب يخبل ويحرق ، ولا يقتل . وقال الحسن : يقتل قال ذو الرمة :

كأنه كوكب في إثر عفريةٍ مسومٍ في سواد الليل منقضب^(٢)

والاتباع إلحاق الثاني بالأول ، أتبعه اتباعاً ، وتبعه يتبعه إذا طلب اللحاق به ، وكذلك اتبعه اتباعاً بالتشديد « مبین » أي ظاهر مبین .

وقال الفراء : قوله « إلا من استرق السمع » استثناء صحيح ، لان الله تعالى لم يحفظ السماء بمن يصعد اليها ليسترق السمع ، ولكن اذا سمعه والقاه الى الكهنة اتبعه شهاب مبین ، فأما استراقهم السمع ، فقال المفسرون : إن فيهم من كان يصعد السماء فيسمع الوحي من الملائكة ، فاذا نزل الى الارض اغوى به شياطينه او ألقاه الى الكهان ، فيغويون به الخلق ، فلما بعث الله تعالى نبيه ﷺ منعهم من ذلك ، وكان قبل البعثة لم يمنعهم من ذلك تغليظاً في التكليف . قال الزجاج : والدليل على انه لم يكن ذلك قبل النبي ان أحداً من الشعراء لم يذكره قبل بعثة النبي ﷺ مع كثرة ذكركم الشهب بعد ذلك .

قوله تعالى :

(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ١٠

(٢) مجمع البيان ٣/٣٣٠ واللسان (قضب)

كُلُّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) ثلاث آيات بلا خلاف .

قوله « والارض مددناها » عطفاً على قوله « ولقد جعلنا في السماء بروحاً ... والارض » ويجوز ان يكون ومددنا الارض مددناها ، كما قال « والقمر قدرناه »^(١) ومعنى «مددناها» بسطناها ، وجعلنا لها طولاً وعرضاً «والقينا فيها» يعني طرحنا فيها «رواسي» يعني جبالات ثابتة . واصله الثبوت ، ويقال : رست السفينة اذا ثبتت ، والمراسي ما تثبتت به . وقيل جعلت الجبال أوتاداً للأرض . وقيل جعلت أعلاماً يهتدي بها أهل الأرض .

وقوله « انبتنا فيها » يعني أخرجنا النبات في الأرض ، والنبات ظهور النامي عن غيره ، حالاً بعد حال ، والأغلب عليه ظهوره من الأرض ، وقد يكون من غيره ، كنبات الشعر على البدن والرأس .

« من كل شيء موزون » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجبائي : من كل شيء مقدر معلوم .

والثاني - قال الحسن وابن زيد : من الاشياء التي توزن من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغير ذلك . والوزن وضع احد الشئتين بازاء الآخر على ما يظهر به مساواته في المقدار وزيادته ، يقال وزنه يزنه وزناً فهو موزون ، « وجعلنا لكم فيها معاش » جمع معيشة ، وهي طلب اسباب الرزق مدة الحياة ، فقد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف والتكسب ، وقد يطلب له فإن أتاه اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهني .

وقوله « ومن لستم له برازقين » (من) في موضع نصب عطفاً على (معاش) ،

وقال مجاهد : المراد به العبيد والاماء والدواب والانعام ، قال الفراء : العرب لا تكاد تجعل (من) الا في الناس خاصة ، قال : فان كان من الدواب والماليك حسن حينئذ ، قال وقد يجوز ان يجعل (من) في موضع خفض نسقاً على الكاف والميم في (لكم) قال المبرد : الظاهر المخفوض لا يعطف على المضمرة المخفوض نحو مررت بك وزيد إلا ان يضطر شاعر ، على ما مضى ذكره في سورة النساء ، وانشد الفراء في ذلك :

نعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نغانف^(١)

فرد الكعب على (بينها) وقال آخر :

هلا سألت بذني الجاجم عنهم وأبا نعيم ذي اللواء المحرق^(٢)

فرد أبا نعيم على الهاء في عنهم . قال ويجوز ان يكون في موضع رفع ، لان الكلام قد تم ، ويكون التقدير على قوله « لكم فيها » ... « ومن لستم له برازقين » . وقوله « وان من شيء الا عندنا خزائنه » فخزائن الله مقدوراته ، لانه تعالى يقدر ان يوجد ما شاء من جميع الاجناس ، فكأنه قال : وليس من شيء إلا والله تعالى قادر على ما كان من جنسه الى ما لا نهاية له .

وقوله « وما ننزله الا بقدر معلوم » اي لست انزل من ذلك الشيء « إلا بقدر معلوم » اي ما يصلحهم وينفعهم دون ما يفسدهم ويضرهم ، حسب ما سبق في علمي .

قوله تعالى :

(وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ
وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ

(١) مر هذا البيت في ٣ : ٩٨

(٢) تفسير الطبري ١٤ : ١٢ (الطبعة الاولى) ومجمع البيان ٣ : ٣٣٣

الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) أربع آيات .

قرأ حمزة وحده «الرياح لواقح» الباقون «الرياح» على الجمع، قال ابو عبيدة لا اعرف لذلك وجهاً، إلا ان يريد أن الريح تأتي مختلفة من كل وجه، فكانت بمنزلة رياح وحكى الكسائي أرض اغفال، وأرض سباسب. قال المبرد: يجوز ذلك على بعد، ان يجعل الريح جنساً، وليس يجيد، لأن الريح ينفصل بعضها عن بعض، بمعرفة كل واحدة، وليست كذلك الارض، لأنها بساط واحد. وقال الفراء: هو مثل ثوب اخلاق وانشد:

جاء الشتاء وقيصي أخلاق شراذم يضحك منه التواق^(١)

ومن قراء «الرياح لواقح» احتمال ذلك شيئين .

احدهما - ان يجعل الريح هي التي تلتحج بمرورها على التراب والماء، فيكون فيها اللقاح، فيقال فيها ربيع لاقح، كما يقال: ناقة لاقح .

والثاني - ان بصفها باللقح وان كانت تلتحج، كما قيل ليل نائم وسر كاتم .

يقول الله تعالى انه بعث «الرياح لواقح» للسحاب والأشجار تعداداً لنعمه على عباده وامتناناً عليهم، واحدها ربيع، وتجمع ايضاً أرواحاً، لأنها من الوار، قال الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفحت أعاليها من الرياح النواسم^(٢)

فاللواقح التي تلتحج السحاب، حتى يحمل الماء أي تلقي اليه ما يحمل به الماء يقال: لقتحت الناقة اذا حملت، وألقحها الفحل إذا ألقى اليها الماء فحملته، فكذلك الرياح هي كالفحل للسحاب، (ولواقح) في موضع ملاقح. وقيل في

(١) تفسير الطبري ١٤ : ١٣ واللسان «خلق»، «توق» .

(٢) مر هذا البيت في ٢ : ٣٧٢ من هذا الكتاب .

علّة ذلك قولان : احدهما ، لانه في معنى ذات لقاح كقولهم : هم ناصب أي ذو نصب قال النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل أفاويه بطيء الكواكب (١)
أي منصب ، وقال نهشل بن حري النهشلي :

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح (٢)

أي المطاوح ، وقال قتادة وإبراهيم والضحاك : معنى هذا القول : ان الرياح تلتفح السحاب الماء . وقال ابن مسعود : إنها لا قحة يحملها الماء ، ملقحة بإلقائها إياه الى السحاب .

وقوله « فانزلنا من السماء ماء » يعني غيثاً ومطراً « فاسقينا كموه » أي جعلته سقياً ، لأرضكم تشربه ، يقال : سقيته ، فيما يشربه ، نسقيه واسقيته فيما تشربه أرضه ، وقد تجيء أسقيته بمعنى سقيته ، كقوله تعالى « نسقيكم مما في بطونه من بين فرت ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين » (٣) ، وقال ذو الرمة :

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
واسقيه حتى كاد مما أبته تكلمني احجاره وملاعبه (٤)

أي ادعوا له بالسقيا . « وما انتم له برازقين » أي لستم تقدرون ان ترزقوا احداً ذلك الماء ، لولا فضل الله عليكم . ثم اخبر تعالى انه هو الذي يحيي الخلق اذا شاء وكان ذلك صلاحاً لهم ، ويميتهم اذا اراد وكان صلاحهم ، وانه هو الذي يرث الخلق ، لأنه اذا افنى الخلق ولم يبق احد كانت الاشياء كلها راجعة اليه ينفرد بالتصرف فيها وكان هو الوارث لجميع الاملاك .

(١) ديوانه « دار بيروت » ٩ وقد مر في ٥ : ٣٦٨ ، ٦ : ٩٥ .

(٢) مر هذا البيت في ٤ : ٣١٠ .

(٣) سورة النحل آية ٦٦ .

(٤) ديوانه ٢١٣ وتفسير الشوكاني « الفتح القدير » ٣ : ٤٨ وتفسير الطبري ١٤ : ١٤
والحاسن والاضداد للجاحظ ٣٣٥ وجمع البيان ٣ : ٣٣٣ ، ٣٥٩ واللسان والتاج
(سقى) وقد مر الثاني في ٤ : ١٢٩ .

وقوله « ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين » قيل في معناه
ثلاثة اقوال :

احدهما - قال مجاهد وقتادة من مضى ومن بقي .
وثانيها - قال الشعبي : اول الخلق وآخره .
وثالثها - قال الحسن : المتقدمين في الخير والمبطلين .
وقال الفراء : لما قال النبي ﷺ إن الله يصلي على الصف الاول ، أراد بعض
المسلمين ان يبيع داره النائية ليدنو الى المسجد ، فيدرك الصف الاول . فأنزل
الله الآية ، وأنه يجازي فقراء الناس على نياتهم .
ثم اخبر تعالى ان الذي خلقك يا محمد هو الذي يحشرهم بعد اماتهم ، ويبعثهم
يوم القيامة ، لانه حكيم في افعاله عالم بما يستحقونه من الثواب والعقاب .
(والحشر) جمع الحيوان الى مكان ، يقال : هؤلاء الحشائر ، لانهم يجمعون
الناس الى ديوان الخراج . و (الحكيم) العالم بما لا يجوز فعله ، لقبه ، او سقوط
الحمد عليه ، مع انه لا يفعله ، فعلى هذا يوصف تعالى فيما لم يزل بانه حكيم .
والحكيم المحكم لأفعاله بمنع الخلل ان يدخل في شيء منها ، فعلى هذا لا يوصف
تعالى فيما لم يزل بانه حكيم .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦)
وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ) (٢٧) آيتان بلا خلاف.
اخبر الله تعالى أنه خلق الانسان ، والمراد به آدم بلا خلاف .

وقيل في معنى الصلصال قولان :

احدهما - إنه الطين اليابس الذي يسمع له عند النقر صلصلة . ذهب اليه ابن
عباس والحسن وقتادة .
والثاني - قال مجاهد : هو مثل الخزف الذي يصلصل . وقال مجاهد :

الصلصال المنتن - في رواية عنه - مشتق من صل اللحم وأصل إذا انتن ،
والاول اقوى ، لقوله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخار (١) » وما يبس
كالفخار فليس بمنتن ، وقال الفراء : الصلصال طين الحرار إذا خلط بالرمل اذا
جف كان صلصالاً ، واذا طبخ كان فخاراً ، والصلصلة القعقة ، وهي صوت
شديد متردد في الهواء كصوت الرعد ، يقال لصوت الرعد صلصلة ، وللثوب
الجديد قعقة ، واصل الصلصلة الصوت يقال : صلّ يصلّ وهو صليل اذا صوت ،
قال الشاعر :

رجعت الى صدر كجرة حنتم إذا فرغت صفراً من الماء صلت (٢)

وقيل : خلق آدم على صورة الانسان من طين ، ثم ترك حتى جف ، فكانت
الريح اذا مرت به سمع له صلصلة .

وقوله « من حملاً مسنوناً » فالحملاً جمع حمأة ، وهو الطين المتغير الى السواد ،
يقال : حمئت البئر وأحماتها أنا اذا بلغت الحمأة . وقيل في معنى (المسنون)
قولان :

احدهما - المصبوب من قولهم : سنتت الماء على الوجه وغيره اذا صببته ، وعن
ابن عباس : انه الرطب ، فعلى هذا يكون رطباً مصبوباً ثم يبس فيصير
كالفخار .

الثاني - انه المتغير ، من قولهم : سنتت الحديد على المسن اذا غيرتها
بالتحديد ، والأصل الاستمرار في جهة ، من قولهم هو على سنن واحد .
ومعنى قوله « والجان خلقناه من قبل » المراد به ابليس ، خلقه الله قبل آدم
- في قول الحسن وقتادة - « من نار السموم » اي من النار الحارة . وقال عبدالله :
هذه السموم جزء من سبعين جزء من السموم التي خرج منها الجان ، وهو مأخوذ
من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل ، يقال : سم يومنا يسم
سموماً اذا هبت له ريح السموم .

(١) سورة الرحمن آية ١٤ - ١٥

(٢) قائله عمرو بن شاس . اللسان «حنتم» وجمع البيان ٣ : ٣٣٥

قوله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) أربع آيات بلا خلاف.

لفظة (إذ) تدل على ما مضى من الزمان ، ولا بد لها من فعل متعلق به ، والتقدير واذكر يا محمد « إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرأ » اي اخلقه فيما بعد ، قبل ان يخلقه ، والمراد بالبشر آدم ، وسمي بشرأ لأنه ظاهر الجلد ، لا يرى فيه شعر ، ولا صوف كسائر الحيوان . ثم قال « من صلصال من حمأ مسنون » وقد فسرناه .

وقوله « فإذا سويته » معناه سويت صورته الانسانية ، والتسوية جعل واحد من الشئين على مقدار الآخر وقد يسوى بين الشئين في الحكم .

وقوله : « ونفخت فيه من روحي » فالنفخ الاجراء للريح في الشيء باعتماد ، نفخ ينفخ نفخاً إذا جرى الريح باعتماد ، فلما أجرى الله الروح على هذه الصفة في البدن ، كان قد نفخ الروح فيه ، وأضاف روح آدم الى نفسه تكرامة له ، وهي اضافة الملك ، لما شرفه وكرمه ، والروح جسم رقيق روحاني فيها الحياة التي بها يحيى الحي ، فاذا خرجت الروح من البدن ، كان ميتاً في الحكم ، فاذا انتفت الحياة من الروح ، فهو ميت في الحقيقة .

وقوله « فقعو له ساجدين » أمر من الله تعالى ، الى الملائكة ان يسجدوا لآدم . وقيل في وجه سجودهم له قولان :

احدهما - انه سجود تحية وتكرامة لآدم ، عبادة لله تعالى . وقيل : أنه على معنى السجود الى القبلة . والاول عليه اكثر المفسرين . ثم استثنى من جملتهم

ابليس انه لم يسجد ، « وأبى ان يكون مع الساجدين ، لآدم . وابلis مشتق من الإبلاس ، وهو اليأس من روح الله إلا انه شبه بالاعجمي من جهة انه لم يستعمل إلا على جهة العكس ، فلم يصرف . وقال قوم : لأنه ليس بمشتق ، لأنه أعجمي بدلالة انه لا ينصرف . والاباء : الامتناع ، والسجود خفض الجبهة بالوضع على بسط من الارض او غيره ، واصله الانخفاض قال الشاعر :

تري الا كم فيها سجد اللحوافر (١)

واختلفوا في هذا الاستثناء ، فقال قوم : ان ابليس كان من الملائكة ، فلذلك استثناء ، وقال آخرون : إنما كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم ، فلذلك استثناء من جملتهم ، وقال آخرون : هو استثناء منقطع ومعناه (لكن) وقد بينا الصحيح من ذلك في سورة البقرة (٢) .

ومن قال : لم يكن من الملائكة قال : الملائكة خلقوا من نور ، وابلis خلق من نار ، والملائكة لا يعصون ، وابلis عصى بكفره بالله . والملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ، وابلis بخلاف ذلك ، قال الحسن : ابليس أب الجن ، كما ان آدم أب الإنس .

قوله تعالى :

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ (٣٣) آيتان بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لإبليس يقول له : لم لا تكون مع الساجدين ، تسجد كما سجدوا . واختلفوا في كيفية هذا الخطاب ، فقال الجبائي : قال الله له

(١) مر هذا الشعر في : ١٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣١١ ، ٤ ، ٢٣٣ ، ٣٨٣ ، ٦ ، ...

(٢) انظر ١ : ١٤٧ في تفسير آية ٣٤ من سورة البقرة .

ذلك على لسان بعض رسله وهو الأليق ، لأنه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف . وقال آخرون : كلمه ، بالانكار عليه والاهانة له ، كما قال « اخسؤوا فيها ولا تكلمون » (١) . هذا ينبغي ان يكون حكاية عما يقوله له في الآخرة ، فقال إبليس مجيباً لهذا الكلام : ما كنت بالذي اسجد لبشر « خلقته من صلصال من حمإ مسنون » وقد فسرناه . ولم يعلم وجه الحكمة في ذلك ، لأن في ذلك قلباً للشيء عن الحالة الحقيرة في الضعة الى هذه الحالة الجليلة ، وأي ذلك كان ، فانه لا يقدر عليه غير الله ، وانه لا ينتفع للعظم في الصفة مع إمكان قلبه الى النقص في الصفة ، وكذلك لا يضر النقص في الصفة ، مع إمكان قلبه الى الاعظم ، فلو نظر في ذلك لزال شبهته في خلقه من نار وخلق آدم من طين ، قال المبرد : قوله « مالك ألا تكون » (لا) زائدة مؤكدة ، والتقدير ما منعك ان تسجد ، ف (أن) في قول الخليل وأصحابه في موضع نصب ، لأنه إذا حذف حرف الجر ونصب ما بعده ، وقال غيره : في موضع خفض ، لأن المعنى ما منعك من ان تكون ، فحذف (من)

قوله تعالى :

(قَالَ فَأَخْرَجُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) (٣٨) خمس آيات بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لابليس لما احتج لامتناعه من السجود لادم بما ليس بحجة ، بل هو حجة عليه ، فأخرج منها . قال الجبائي : أمره بالخروج من الجنة . وقال غيره أمره بالخروج من السماء .

« فانك رجم » أي مرجوم بالذم والشتم (فعليل) بمعنى مفعول . وقد يكون (فعليل) بمعنى فاعل مثل رجم بمعنى راحم .

« وان عليك اللعنة » أي عليك مع ذلك اللعنة ، وهي الابعاد من رحمة الله ، ولذلك لا يجوز ان تلعن بهيمة ، فأما لعن إبليس الى يوم الدين ، فإن الله قد لعنه ، والمؤمنون لعنوه لعنة لازمة الى يوم الدين ، وهو يوم القيامة . ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار . وقيل الدين - ههنا - الجزاء ، ومثله «مالك يوم الدين» أي يوم الجزاء . ويقال لفلان دين أي طاعة يستحق بها الجزاء ، وفلان يدين للملوك أي يدخل في عاداتهم في الجزاء ، فقال حينئذ إبليس : يارب « انظرني الى يوم يبعثون » أي آخر في وقتي الى يوم يحشرون ، يعني القيامة ، يحشرهم الله للجزاء . والانظار والامهال واحد ، فقال الله تعالى له : اني انظرتك وأخرتك وجعلتك من جملة « المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » فقال قوم : هو يوم القيامة ، أنظره الله في رفع العذاب عنه الى يوم القيامة ، وفي التبقية الى آخر أحوال التكليف « ويوم يبعثون » يوم القيامة . وقد قيل : إن يوم الوقت المعلوم هو آخر أيام التكليف ، وأنه سأل الانظار الى يوم القيامة ، لأن لا يموت ، اذ يوم القيامة لا يموت فيه احد ، فلم يجبه الله الى ذلك . وقيل له « الى يوم الوقت المعلوم » الذي هو آخر أيام التكليف . وقال البلخي : اراد بذلك الى يوم الوقت المعلوم ، الذي قدر الله أجله فيه ، وهو معلوم ، لأنه لا يجوز ان يقول تعالى لمكاف اني ابقيك الى يوم معين لان في ذلك اغراء له بالقبيح .

واختلفوا في تجويز ، إجابة دعاء الكافر ، فقال الجبائي : لا يجوز ، لان اجابة الدعاء ثواب ، لما فيه من اجلال الداعي باجابته الى ما سأل . وقال ابن الاخشاد : يجوز ذلك ، لأن الاجابة كالنعمة في احتمالها ان تكون ثواباً وغير ثواب ، لانه قد يحسن منا ان نجيب الكافر الى ما سأل استصلاحاً له ولغيره ، فأما قولهم : فلان مجاب الدعوة ، فهذه صفة مبالغة لا تصح لمن كانت إجابته نادرة من الكفار .

قوله تعالى :

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (٤٠) آيتان بلا خلاف .

لما أجاب الله تعالى إبليس الى الانظار الى يوم الوقت المعلوم ، قال عند ذلك يارب « بما أغويتني » اي فيما خيبتني من رحمتك ، لان الغي الخيبة قال الشاعر .
فمن يلق خيراً يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً^(١)

وقال قوم : معناه بما نسبتني الى الغي ذمماً لي ، وحكمت علي بالغى . وقال البلخي : معناه فيما كلفتنى السجود لآدم الذي غويت عنده ، فسمى ذلك غواية ، كما قال « فزادتهم رجساً الى رجسهم »^(٢) لما ازدادوا عندها ، على ان هذا حكاية قول إبليس ، ويجوز ان يكون اعتقد ان الله خلق فيه الغواية ، فكفر بذلك ، كما كفر بالإمتناع من السجود

والباء في قوله « فبما أغويتني » قيل في معناها قولان :

احدهما - ان معناها القسم ؛ كقولك بالله لا فعلن .

والآخر - بخيبتني « لأغوينهم » كأنها سبب لاغوائهم ، كقولك بمعصيته ليدخلن النار ، وبطاعته ليدخلن الجنة .

والاغواء الدعاء الى الغي ، والاغواء خلاف الارشاد ، فهذا أصله ، وقد يكون الاغواء بمعنى الحكم بالغى ، على وجه الذم . والتزيين جعل الشيء منقبلاً في النفس من جهة الطبع والعقل ، بحق ام بباطل . واغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه ، ويرى ان الحظ بالدخول فيه . و « لأغوينهم » اي أدعومهم الى ضد الرشاد ، ثم أستثنى من جملتهم عباد الله المخلصين الذين أخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا من اجابة الشيطان ، في ارتكاب المعاصي ، لأنه ليس للشيطان عليهم

(١) مر هذا البيت في ٢ : ٣١٢ ، ٤ : ٣٩١ ، ٥ : ٥٤٨

(٢) سورة التوبة اية ١٢٦

سبيل ، كما قال تعالى « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » يعنى عباد الله الذين فعلوا ما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه .
ومن كسر اللام فلقوله « وأخلصوا دينهم لله »^(١)
ومن فتحها أراد ان الله أخلصهم بأن وفقهم لذلك ، ولطف لهم فيه .

قوله تعالى :

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) أربع آيات بلا خلاف .

قرأ يعقوب « صراط علي » بتنوين علي ، ورفع على أنه صفة لـ (صراط) بمعنى رفيع ، وبه قياً ابن سيرين وقتادة . الباقيون بفتح الياء على الاضافة الى الياء . وقيل في معناه قولان :

احدهما - إن ذلك على وجه التهديد ، كقولك لمن قتهده وتتوعده : على طريقك ، والى مصيرك ، كما قال « إن ربك لبالمرصاد »^(٢) وهو قول مجاهد وقتادة .

الثاني - إنه يراد به الدين المستقيم ، وأن الله يبينه وينفي الشبهة عنه بهداية المستدل على طريق الدليل .

وقوله « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » اخبار منه تعالى ان عباد الله الذين

(١) سورة النساء آية ١٤٦

(٢) سورة الفجر آية ١٤

يطيعونه وينتهون الى أمره ويحتنبون معاصيه ليس للشيطان عليهم سلطان ولا قدرة اكثر من ان يغويهم ، فإذا لم يقبلوا منه ولا يتبعونه ، فلا يقدر لهم على ضرر ولا نفع . وقال الجبائي : ذلك يدل على ان الجن لا يقدر على الاضرار ببني آدم ، لانه على عمومه . وقال غيره : الآية تدل على نفي السلطان بالاغواء ، لانهم اذا لم يقبلوا منه ولا يتبعونه ، فكأنه لا سلطان له عليهم ، ولا يمنع ان يقدروا على غير ذلك من الاضرار .

ثم استثنى تعالى من جملة العباد من يتبع ابليس على إغوائه وينقاد له ويقبل منه ، لانه اذا قبل منه ، صار له عليه سلطان ، بعدوله عن الهدى الى ما يدعوه اليه من اتباع الهوى ، فيظفر به إبليس .

ثم اخبر تعالى ان جهنم موعده جميع العصاة والخارجين عن طاعته ، ومن يتبع ابليس على إغوائه . و (جهنم) لا تنصرف لانها معرفة مؤنثة ، وقد يقال للنار اذا عظمت واشتدت : هذه جهنم ، تشبيهاً بجهنم المعروفة ، وهذا لم ينكر . ثم اخبر عن صفة جهنم بأن « لها سبعة ابواب » وقال علي (ع) والحسن وقتادة وابن جريج : ابوابها أطباق بعضها فوق بعض « لكل باب جزء » من المستحقين للمعقوبة على قدر استحقاقهم من العقاب ، في القلة والكثرة بحسب كثرة معاصيهم وقتلتها .

قوله تعالى :

(٤٥) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ

(٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ

(٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) أَرْبَع

آيات بلا خلاف.

لما اخبر الله تعالى عن الكفار ان مستقرهم جهنم ، ووصف جهنم ، اخبر - هنا -

ما للمتقين ، فقال « ان للمتقين » الذين يتقون عقاب الله باجتنباب معاصيه وفعل طاعته « جنات » وهي البساتين التي تنبع فيها المياه ؛ كما تفور من الفوارة ، ثم يجري في مجاريه ، وانما يشوقهم الى الثواب بالجنان ، لانها من اسباب لذات الدنيا المؤدية اليها ، كما ان النار من اسباب الآلام لمن حصل فيها .

والفرق بين الجنة والروضة : ان الجنة لا بد ان يكون فيها شجر ، لان اصلها من ان الشجر يجنحها ، والروضة قد تكون بغير شجر ، يقال : روضة خضرة ورباض مونقات .

وقوله « ادخلوها » اي يقال للمتقين « ادخلوها بسلام آمنين » بسلامة وهي البراءة من كل آفة ومضرة ، كما قال « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »^(١) اي براءة منكم ، ومعنى « آمنين » اي ساكني النفس الى انتفاء الضرر . والامانة الثقة بالسلامة من الخيانة .

وقوله « ونزعنا ما في صدورهم من غل » فالغل الحقد الذي ينعقد في القلب ، ومنه الغل الذي يجعل في العنق ، والغلول الخيانة التي تطوق عارها صاحبها ، فبين تعالى ان الاحقاد التي في صدور اهل الدنيا تزول بين اهل الجنة ويصبحون « اخواناً » متحابين « على سرر » وهي جمع سرير ، وهو المجلس الرفيع موطأ للسرور ، ويقال في جمعه : اسرة ايضاً ، وهو مأخوذ من السرور ، لانه مجلس سرور « متقابلين » اي كل واحد منهم مقابل لصاحبه ومحاذ لآخيه ، فانه بذلك يعظم سرورهم . والتقابل وضع كل واحد بازاء الآخر على التشاكل وقال قوم : ان نزع الغل يكون قبل دخول الجنة . وقال آخرون : يكون ذلك بعد دخولهم فيها .

وقوله « لا يمسه فيها نصب » اخبار منه تعالى : ان هؤلاء المؤمنين الذين حصلوا في الجنة « اخواناً على سرر متقابلين » لا يمسه في الجنة نصب وهو التعب والوهن الذي من العمل ، للوهن الذي يلحق . ثم اخبر انهم مع ذلك

لا يخرجون من الجنة بل يبقون فيها مؤبدين. و(اخواناً) نصب على الحال . وقال قوم هو نصب على التمييز .

قوله تعالى :

(نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (٥٠) آيتان بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه ﷺ ان يخبر عباد الله الذين خلقهم لعبادته على وجه الترغيب لهم في طاعته والتخويف عن معصيته ، باني انا الذي أعفو وأستر على عبادي معاصيهم ، ولا افضحهم بها يوم القيامة اذا تابوا منها ، لرحمتي وانعامي عليهم ، وان مع ذلك عذابي وعقوبي «هو العذاب الاليم» المؤلم الموجه ، فلا تعولوا على محض غفراني ، وخافوا عقابي ، وكونوا على حذر باجتنب معاصي والعمل بطاعتي .

قوله تعالى :

(وَنَبَّأَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ) (٥٤) أربع آيات بلا خلاف .

قرأ نافع « تبشرون » بكسر النون مع التخفيف بمعنى تبشرونني وحذف النون استثقلاً ، لاجتماع المثلين ، وبقية الكسرة الدالة على الياء المفعولة ، والنون الثانية محذوفة ، لان التكرير بها وقع ، ولم تحذف الاولى لانها علامة الرفع ومثله قول الشاعر :

تراه كالثغام يعمل مسكاً بسوء الغاليات اذا قليني^(١)

أراد قليني ، فحذف إحدى النونين . وقال اهل الكوفة : ادغم ثم حذف ، وحجتهم « وكادوا يقتلونني »^(٢) وقوله « اتعداني »^(٣) فأظهر النونات ، وأما حرف المشدد نحو « تأمروني »^(٤) و « أتجاجوني »^(٥) وما أشبه ذلك . وشدد النون وكسرهما ابن كثير . الباقون بفتح النون .

قال أبو علي : من شدد النون أدغم النون الاولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي للمضمر المنصوب للمتكلم ، وفتحها ، لانه لم يعد الفعل الى مفعول به ، كما عداه غيره . وحذف المفعول كثير . ولو لم يدغم ، وبين ، كان حسناً في القياس مثل (يقتلونني) في جواز البيان والادغام . ومن فتح النون جعلها علامة الرفع ، ولم يعد الفعل فيجتمع نونان .

أمر الله تعالى نبيه ﷺ ان يخبر من تقدم ذكره « عن ضيف ابراهيم » والضيف هو المنصوي الى غيره لطلب القرى ، وجمعه ضيوف وأضياف وضيغان « إذ دخلوا عليه » يتعلق بـ (ضيف) وضيف يقع على الواحد والاثنين والجمع ، فلذلك قال « إذ دخلوا عليه » فكنى بكناية الجمع . وسماه ضيفاً ، وهم ملائكة ، لانهم دخلوا بصورة البشر « فقالوا سلاماً » نصبه على المصدر ، والمعنى سلمت سلاماً على وجه الدعاء ، والتحية . ومثله قوله « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »^(٦) والمعنى سلمنا منكم سلاماً ، والسلامة نقيض البلاء والآفة المخوفة ، والنجاة نقيض الهلاك .

وقوله « قال إنا منكم وجلون » اخبار عما أجاب به ابراهيم ضيفانه بأنه خائف منهم ، والوجل الخوف ، فأجابه الضيفان ، وقالوا « لا توجل » أي لا تخف انا

(١) قائله عمر بن معد يكرب. الكتاب لسيبويه ٢ : ٦٧ وشرح المفصلات ٧٨ والانصاف

٣٧٧ ومجاز القرآن ١ : ٣٥٢ وجمع البيان ٣ : ٣٣٩ .

(٢) سورة ٧ الاعراف آية ١٤٩ (٣) سورة ٤٦ الاحقاف آية ١٧

(٤) سورة ٣٩ الزمر آية ٦٤ (٥) سورة الانعام آية ٨٠ ،

(٦) سورة ٢٥ الفرقان آية ٦٣

جئناك « نبشرك بغلام علم » . والتبشير الإخبار بما يسر ، بما يظهر في بشرة الوجه سروراً به يقال : بشرته أبشره بشارة وأبشر ابشاراً بمعنى استبشر ، وبشرته تبشيراً ، وإنما وصفه بأنه « علم » قبل كونه ؛ لدلالة البشارة به على أنه سيكون بهذه المسفة ، لأنه إنما بشر بولد يرزقه الله إياه ويكون عليمًا ، فقال لهم إبراهيم « أبشروني على أن مسني الكبر » أي كيف يكون لي ولد وقد صرت كبيراً ، لأن معنى « مسني الكبر » أي غيرني الكبر عن حال الشباب التي يطمع معها في الولد ، إلى حال الهرم . وقيل في معناه قولان :

أحدهما - أنه عجب من ذلك لكبره ، فقاله على هذا الوجه .

والآخر - أنه استفهم فقال : أمر الله أن تبشروني ، في قول الجبائي . ومعنى (على أن مسني) أي بأن مسني ، كما قال « حقيق على أن لا أقول »^(١) بمعنى بأن لا أقول .

قوله تعالى :

(قَالُوا بَشْرُنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (٥٦) آيتان بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو والكسائي « يقنط » بكسر النون ، حيث وقع . الباقر بفتحها ، وكلهم قرأ « من بعد ما قنطوا »^(٢) بفتح النون ، قال أبو علي : قنط يقنط ويقنط لغتان بدلالة إجماعهم على قوله « من بعد ما قنطوا » بفتح النون وقد حكي : يقنط بضم النون ، وهي شاذة ، وهذا يدل على أن ماضيه على (فعل) لأنه ليس في الكلام (فعل يفعل) . وقد حكي عن الأعمش أنه قرأ « من بعدما قنطوا » بكسر النون ، وهي شاذة لا يقرأ بها .

وفي هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم ، حين عجب أن يكون له

(٢) سورة ٤٢ الشورى آية ٢٨

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٠٤

ولد لكبر سنه وعلو عمره، إنا بشرناك بذلك على وجه الحق والصحيح، وأخبرناك به على وجه الصدق، فلا تكن بعد ذلك من جملة القانطين، يعني الآيسين فأجابهم ابراهيم عند ذلك بأن قال: و«من» الذي «يقنط» أي يياس «من رحمة» الله وحسن إنعامه، إلا من كان عادلاً عن الحق ضالاً عن سبيل الهدى، وهذا يقوي قول من قال: إنه راجعهم في ذلك على وجه الاستفهام دون الشك في اقوالهم .

قوله تعالى :

(قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا أَمْرًا تَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) (٦٠) أربع آيات بلا خلاف .

فقال ابراهيم (ع) بعد ذلك للملائكة « ما خطبكم » اي ما الأمر الجليل الذي بعثتم له ، والخطب الأمر الجليل ، ومثله ما سألك ، وما أمرك ، ومنه الخطبة ، لأنها في الأمر الجليل ، فأجابته الملائكة بأننا «أرسلنا الى قوم مجرمين» وقوم الرجل : هم الذين يقيمون بنصرته ، والنفر الذين ينفرون في مهام الأمور . وقوم لوط هم الذين كان يجب عليهم القيام بنصرته ومعاونته على أمره . وقال قوم : إنه يقع على الرجال دون النساء . والمجرم المنقطع عن الحق الى الباطل ، وهو القاطع لنفسه عن المحاسن الى المقابح ، والمعنى «انا أرسلنا الى » من وصفنا لنهلكهم ، وننزل بهم العقوبة . ثم استثنى من ذلك (آل لوط) وأخبر انهم ينجونهم كلهم ، يقال : نجيت فلاناً وانجيتته ، فمن قرأ بالتشديد أراد التكثير . ثم استثنى من جملة آل لوط امرأته، وبين انها هالكة مع الهالكين، (وقدرنا) اي كتبنا « انها لمن الغابرين » والغابر الباقي في من يهلك . والغابر الباقي في مثل الغبرة ، مما يوجب الهلكة . قال الشاعر :

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى وما غبر^(١)

وآل الرجل أهله الذين يرجعون إلى ولايته ، ولهذا يقال أهل البلد ، ولا يقال آل البلد ، ولكن آل الرجل أتباعه الذين يرجع أمرهم إليه بولايته ونصرته . وقيل : إن امرأة لوط كانت في جملة الباقيين . ثم اهلكت فيما بعد «وقدرنا» بالتخفيف مثل (قدرنا) بالتشديد ، وكلهم قرأ - هاهنا - مشدداً إلا أبا بكر عن عاصم ، فإنه خففها ، ويكون ذلك من التقدير ، كما قال «ومن قدر عليه رزقه»^(٢) . وقال ابو عبيدة : في الآية معنى فقر ، وكان ابو يوسف يتأوله فيها ، لان الله تعالى استثنى آل لوط من المجرمين ، ثم استثنا استثناء رده على استثناء كان قبله ، وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد آخر عاد المعنى إلى أول الكلام ، كقول الرجل : لفلان علي عشرة إلا أربعة إلا درهم ، فإنه يكون إقرار بسبعة ، وكذلك لو قال : علي خمسة إلا درهماً إلا ثلثاً ، كان إقرار بأربعة وثلث ، وكذلك لو قال لأمرأة أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة كانت طالقاً إثنين ، قال : وأكثر ما يستثنى ما هو أقل من النصف ، ولم يسمع أكثر من النصف الا بيت أنشده الكسائي :

ادوا التي نقصت سبعين من مئة ثم ابعثوا حكماً بالعدل حكماً

فجعلها مئة إلا سبعين ، وهو يريد ثلاثين ، وضعف المبرد الاحتجاج بهذا البيت ، ولم يجوز استثناء الأكثر من الجملة ولا نصفها ، وإنما جاز استثناء ما دون النصف من الجملة حتى قال : لا يجوز ان يقال : له عندي عشرة إلا نصف ولا عشرة إلا واحد ، قال : لان تسعة ونصف أولى بذلك ، وكذلك لا يجوز : له الف إلا مئة ، لأن تسعة مئة أولى بذلك ، وإنما يجوز الف إلا خمسين وإلا سبعين والا تسعين ، قال : وعلى هذا النحو بني هذا الباب . والصحيح الأول ، عند أكثر العلماء من المتكلمين والفقهاء وأكثر النحويين .

(١) قائله العجاج ديوانه ١٥ واللسان (ثبت) ، وقد مر قسم من هذا الرجز في ٤ : ٥٨٨ :

٥٨٩ تعليقة :

(٢) سورة الطلاق آية ٧

قوله تعالى :

(فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ
(٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (٦٤) أربع آيات بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان الملائكة الذين بعثهم الله لإهلاك قوم لوط ، لما جاؤوا لوطاً وقومه ، وكانوا في صورة لا يعرفهم بها لوط ، انكرهم ، وقال لهم « انكم قوم منكرون » اي لا تعرفون مع الاستيحاش منكم ، لأنه لم يثبتهم في ابتداء مجيئهم فلما اخبروه بأنهم رسل الله جاؤوا بعذاب قومه وسؤاله الأمر ، عرفهم حينئذ ، وقالوا « بل جئناك بما كانوا فيه يمترون » اي بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه ويكذبون به ، وقد يوصف الجاهل بالشك من جهة ما يعرض له فيه من حيث لا يرجع الى ثقة فيما هو عليه . وقالوا له ايضاً انا جئناك بالحق فيما أخبرناك به من عذاب قومك ، ونحن صادقون فيه .

قوله تعالى :

(فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) آيتان بلا خلاف .

هذا حكاية ما قالت الملائكة للوط وأمرهم إياه بأن يسري بأهله . والإسراء سير الليل : سري يسري سري واسرى إسراء لغتان قال الشاعر :

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحق الجياد ما يقدن بارسان^(١)

(١) مر هذا البيت في ٦ : ٤٣ من هذا الكتاب .

وقوله « بقطع من الليل » معناه بقطعة تمضي منه ، كأنه جمع قطعة . مثل
 ثمرة وتمر وبسرة وبسر ، وقيل : بقطع من الليل ببعض الليل . وقيل : بقية من
 الليل . وقيل : إذا بقي من الليل قطعة ومضى أكثره .

وقوله « واتبع ادبارهم » اي اقتف آثارهم يعني آثار الأهل . والاتباع اقتفاء
 الأثر . والاتباع في المذهب ، والافتداء مثله ، وخلافه الابتداع . والادبار جمع
 دبر ، وهو جهة الخلف . والقبل جهة القدام ، ويكنى بها عن الفرج . وجمع
 القبل أقبال .

ومعنى قوله « ولا يلتفت منكم احد » اي لا يلتفت الى ما خلف ، كما يقول
 القائل : امض لشأنك ، ولا تعرج على شيء . وقيل : لتلا يرى هو ما ينزل بهم
 بما لا تطيقه نفسه « وامضوا حيث تؤمرون » اي حيث تؤمرون بالمصير اليه .

وقوله « وقضينا اليه » اي أخبرناه واعلمناه « ذلك الأمر » اي ما ينزل بهم
 من العذاب .

وقوله « ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » والدابر الأصل . وقيل دابرهم
 آخرهم ، وعقب الرجل دابره « مصبحين » نصب على الحال اي في حال ما دخلوا
 في وقت الصبح ، ومثله قوله « فأخذتهم الصيحة مشرقين »^(١) نصب على الحال .

قوله تعالى :

(وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي
 فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ
 عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) خمس
 آيات بلا خلاف .

هذا إخبار من الله تعالى أنه حين بلغ أهل المدينة نزول من هو في صورة

الاضياف بلوط، جاؤوا إليه مستبشرين فرحين ، يقال استبشر استبشاراً وأبشر إبشاراً، بمعنى واحد وضده اكنأب اكنأباً. وإنما فرحوا طمعاً في ان ينالوا الفجور منهم ، فقال لهم لوط « إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون » فيهم ، والفضيحة ظهور السيئة التي يلزم العار بها عند من عملها ، يقال : فضحه يفضحه فضيحة ، وأفتضح افتضاحاً وتفاضحوا تفاضحاً . ثم قال لهم « اتقوا الله » باجتناب معاصيه ، وفعل طاعته ، « ولا تخزون » والخزي الانقاع بالغيب الذي يستحيا يقال منه : خزي خزياً ، واخزاه الله إخزاء وإخزاء والاذلال والإهانة نظائر . وللضيف ذمام كانت العرب تراعيه ، وتحافظ عليه ، وتعيب من عنده ضيف ولم يقم بحقه ؛ فلذلك قال لهم « ان هؤلاء ضيفي » ، فقالوا له في الجواب عن ذلك أو ليس نهبناك أن تستضيف أحداً من جملة الخلائق أو تنزله عندك ، فقال لهم عند ذلك « هؤلاء » وأشار الى بناته . وقيل أنهن كن بناته لصلبه ، وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكران . وقال الحسن ، وقتادة : أراد « هؤلاء بناتي » فتزوجوهن « إن كنتم فاعلين » كناية عن طلب الجماع . وقال الجبائي : ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع ، وقد كان يجوز في تلك الشريعة تزويج المؤمنة بالكافر ، وقد كان في صدر شريعتنا جائزاً ايضاً ، ثم حرّم . وهو قول الحسن . وقال الزجاج : أراد نساء أمته ، فهم بناته في الحكم ، قال الجبائي : وهذا القول كان من لوط لقومه قبل ان يعلم أنهم ملائكة لا يحتاج الى هذا القول لقومه .

قوله تعالى :

(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ

الْأَيْكَةَ لَظَالِمِينَ (٧٨) سبع آيات بلا خلاف .

قال ابن عباس معنى (لعمر ك) وحياتك . وقال غيره : هو مدة حياته وبقائه حياً بمعنى لعمر ك ومدة بقاءك حياً . والعمر والعمر واحد ، غير أنه لا يجوز في القسم إلا بالفتح ، قال ابو عبيدة : ارتفع لعمر ك وهي يمين ، والأيمان تكون خفصاً إذا كانت الواو في أوائلها ، ولو كانت وعمر ك لكانت خفصاً ، ولذلك قولهم : لحق لقد فعلت ذلك ، وإنما صارت هذه الأيمان رفعاً بدخول اللام في اولها ، لأنها أشبهت لام التأكيد ، فأما قولهم : عمر ك الله أفعل كذا ، فإنهم ينصبون (عمر ك) وكذلك ينصبون (الله لا فعلن) . قال المبرد : لا أفتحها يميناً ، بل هي دعاء ومعناه أسأل الله لعمر ك . قال المبرد : والتقدير : لعمر ك ما أقسم به ، ومثله : عليّ عهد الله لأفعلن ، فعهد الله رفعه بالابتداء ، وفيه معنى القسم ، وكذلك (لاه الله ذا) . قال الخليل : (ذا) معناه ما أقسم عليه . وحكي عن الاخفش أنه قال : (ذا) ما أقسم به ، لأنه قد ذكر الله ، وكلاهما أحسن جميل .

وقوله « انهم لفي سكرتهم يعمهون » فالسكرة غمور السهو للنفس وهؤلاء في سكرة الجهل « يعمهون » اي يتحيرون ، ولا يبصرون طريق الرشده .

وقوله « فأخذتهم الصيحة مشرقين » فالأخذ فعل يصير به الشيء في جهة الفاعل ، فالصيحة كأنها أخذتهم بما صاروا في قبضتها حتى ملكوا عن آخرهم . والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة . ويقال : إن الملك صاح بهم صيحة أهلكتهم . ويجوز ان يكون جاء صوت عظيم من فعل الله كالصيحة . والاشراق ضياء الشمس بالنهار شرقت الشمس تشرق شروقاً اذا طلعت ، وأشرقت إشراقاً اذا أضاءت وصفت . ومعنى (مشرقين) داخلين في الاشراق .

وقوله « فجعلنا عاليها سافلها » والجعل حصول الشيء على وجه لم يكن بقادر عليه لولا الجعل ، ومثله التصيير ؛ والمعنى : انه قلب القرية فجعل أسفلها أعلاها

واعلاها أسفلها « وأمطرنا عليهم حجارة » اي أرسلنا الحجارة ، كما يرسل المطر
« من سجيل » وقيل في معناه قولان :

احدهما - انها من طين وهو معرب . وقيل هو من السجل ، لانه كان عليها
أمثال الخواتيم بدلالة قوله « حجارة من طين مسومة عند ربك »^(١)
والثاني - انها حجارة معدة عند الله تعالى للمجرمين ، وأصله (سجين)
فابدلت النون لاماً .

فان قيل ما معنى امطار الحجارة عليهم مع انقلاب مدينتهم ؟
قلنا فيه قولان :

احدهما - أنه أمطرت الحجارة أولاً ثم انقلبت بهم المدينة .
الثاني - ان الحجارة أخذت قوماً منهم خرجوا من المدينة بجوائجهم قبل
الفجر - في قول الحسن - ثم اخبر تعالى ان فيما حكاها آيات ودلالات للمتوسمين .
قال مجاهد يعنى المتفرسين . وقال قتادة : يعنى المعتبرين . وقال ابن زيد :
المتفكرين . وقال الضحاك : الناظرين . وقال ابو عبيدة : المتبصرين . والمتوسم
الناظر في السمة الدالة .

وقوله « انها لبسبيل مقيم » معناه إن الاعتبار بها ممكن لان الآيات التي
يستدل بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة سدوم ، والهاء كناية عن المدينة التي أهلكتها
الله ، وهي مؤنثة . ثم قال ان ان فيما قص من حكاية هذه المدينة « لآية للمؤمنين »
ودلالة لهم . وقيل في وجه إضافة الآية الى المؤمنين قولان :

احدهما - انه يصلح ان يستدل بها .
والآخر - انه يفعل الاستدلال بها . وتضاف الآية الى الكافر بشرط واحد ،
وهو أنه يمكنه الاستدلال بها .

وقوله « وإن كان اصحاب الأيكة لظالمين » فالأيكة الشجرة في قول الحسن
والجمع الايك كشجرة وشجر . وقيل : الأيكة الشجر الملتف قال امية :

(١) سورة الذاريات آية ٣٣-٣٤

كعباء الحمام على فروع الايب - ك في الطير الجرائح

وقيل الايكة الغيضة واصحاب الايكة هم أهل الشجر الذين أرسل اليهم شعيب (ع) وأرسل الى أهل مدين ، فأهلكوا بالصيحة ، واصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها . في قول قتادة ، فأخبر الله تعالى انه اهلك اصحاب الأيكة بظلمهم وعتوم وكفرهم بآيات الله وحجدهم نبوة نبيه . وقال ابن خالويه : الأيكة أسم القرية ، والايكة أسم البلد ، كما ان مكة اسم البلد ، ومكة اسم البيت . ولم يصرفوا الأيكة للتعريف والتأنيث ، ويجوز ان يكونوا تركوا صرفه ، لانه معدول عن الالف واللام ، كما ان شجر معدول عن الشجر ، فلذلك لم يصرفوه .

قوله تعالى :

(فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤) ست آيات بلا خلاف .

لما اخبر الله تعالى عن اصحاب الايكة أنهم كذبوا رسل الله ، اخبر بأنه انتقم منهم بأن اهلكهم ودمر عليهم . وفرق الرماني بين الانتقام والعقاب ، فقال : الانتقام نقيض الانعام ، والعقاب نقيض الثواب ، فالعقاب مضمن بأنه على المعصية ، والانتقام مطلق ، وهو - ههنا - على المعاصي ، لان الاطلاق يصلح فيه التقييد : بحذف الاضافة .

وقوله « وإنهما » يعني قريتي قوم لوط ، واصحاب الايكة ، لبطريق يؤم ويتبع ويهتدى به - في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن - وقال أبو علي

الجبائي « لبإمام » وهو الكتاب السابق الذي هو اللوح المحفوظ ، ثابت ذلك فيه ظاهر . والامام - في اللغة - هو المقدم الذي يتبعه من بعده وإنما كانا بإمام مبين ، لانهما على معنى يجب ان يتبع ، فيما يقتضيه ويسدل عليه ، والمبين الظاهر .

وقوله « ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين » اخبار منه تعالى ان اصحاب الحجر ، وهي مدينة - في قول ابن شهاب ، وسموا أصحاب الحجر ، لانهم كانوا سكانه ، كما تقول : اصحاب الصحراء . « كذبوا » ايضاً الرسل الذين بعثهم الله اليهم ، وحججوا نبوتهم : وقال قتادة : هم اصحاب الوادي ، وهو من الحجر الذي هو الحظر .

واخبر تعالى انه اتاهم الله الدلالات والمعجزات الدالة على توحيده وصدق انبيائه ، فكانوا يعرضون عنها ولا يستدلون بها ، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ينقرون نقرأ يأمنون فيها من الخراب . وقيل آمنين من سقوطها عليهم . وقيل كانوا آمنين من عذاب الله . وقيل : من الموت . ونصبه على الحال .

فأخبر تعالى ان هؤلاء « اخذتهم الصيحة مصبحين » اي جاءتهم الصيحة وقت دخولهم في الصباح ، ولم يغنهم « ما كانوا يكسبون » من الملاذ القبيحة . والغنى وجود ما ينتقي به الضرر عنهم .

قوله تعالى :

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَأُصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (٨٦) آيتان بلا خلاف .

وجه اتصال هذه بما تقدم ذكره هو ان الامم لما خالفوا الحق اهلكوا ، لان الله ما خلق « السموات والارض إلا بالحق » وعلى « ان الساعة آتية » للجزاء

وأن جمع ما خلق يرجع الى عالم به وبتدبيره . وقيل : ما أهلكناهم إلا بالحق كما خلقنا السموات والارض بالحق ، فأخبر تعالى انه لم يخلق السموات والارض إلا بالحق ، ولوجه من وجوه الحكمة ، وان الساعة ، وهي يوم القيامة لا تية جائية بلا شك . ثم امر نبيه ﷺ ان يصفح بمعنى يعفو عنهم عفواً جميلاً . واختلفوا في كونه منسوخاً :

فقال قتادة ، ومجاهد ، والضحاك : إنه منسوخ بوجوب الجهاد والقتال ، وكان الصفح قبل ذلك .

وقال الحسن : هذا فيما بينه وبينهم ، لا في ما امر به من جهة جهادهم .
وقال الجبائي : أمره بأن يحلم عنهم فيما كانوا يسفهون عليه من شتمه ، وسفاهتهم عليه ، فلا يقابلهم بمثله .
ثم اخبر تعالى انه الخلاق لما ذكر من السموات والارض ، عليم بما فيه من المصلحة لعباده ووجه الحكمة فيه .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩)
كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)
خمس آيات .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ أنه آتاه أي أعطاه سبعا من المثاني ، فقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد : هي السبع الطوال سبع سور من أول القرآن .

قال قوم : المثاني التي بعد المثنين قبل المفصل .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس وابن مسعود : أنها فاتحة الكتاب ، وهو قول الحسن وعطاء .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (السبع المثاني أم القرآن) وهي سبع آيات بلا خلاف في جملتها ، وإنما سميت مثاني ، في قول الحسن ، لأنها تثنى في كل صلاة وقراءة .

وقيل : المثاني السبع الطوال لما يثنى فيها من الحكم المصرفة قال الراجز :
نشدتكم بمنزل الفرقان أم الكتاب السبع من مثاني
ثنتين من آي من القرآن والسبع سبع الطول الدواني^(١)

وقد وصف الله تعالى القرآن كله بذلك في قوله «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني»^(٢) فعلى هذا تكون (من) للتبويض. ومن قال : انها الحمد قال : (من) بمعنى تبيين الصفة ، كقوله «اجتنبوا الرجس من الأوثان»^(٣)

وقوله «والقرآن العظيم» تقديره «آتيناك القرآن العظيم سوى الحمد وقوله «لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم» خطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة ، نهاهم الله تعالى ان يمدوا أعينهم الى ما متع هؤلاء الكفار به من نعم الدنيا. ومعنى أزواجاً منهم أمثالاً من النعم «ولا تحزن عليهم» قال الجبائي : معناه لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك . وقال الحسن «لا تحزن عليهم» على ما يصيرون اليه من النار بكفرهم .

ثم أمر نبيه ﷺ ان يخفض جناحه للمؤمنين وهو ان يلين لهم جانبه ويتواضع لهم ويحسن خلقه معهم ، وأن يقول لهم «إني أنا النذير المبين» يعني المخوف من عقاب الله من ارتكب ما يستحق به العقوبة ، ومبين لهم ما يجب عليهم العمل به .

(١) مجاز القرآن ١ : ٧ وتفسير القرطبي ١٠ : ٥٤ وتفسير الطبري ١ : ٣٦ وجمع البيان

٣ : ٤٥٥

(٢) سورة الحج آية ٣٠

(٣) سورة الزمر آية ٢٣

وقوله « كما أنزلنا على المقتسمين » قال ابن عباس وسعيد بن جبير ، والحسن : هؤلاء هم أهل الكتاب اقتسموا القرآن ، فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وقال قتادة : هم قوم من قريش عضوا كتاب الله . وقال ابن زيد : هم قوم صالح « تقاسموا لنبيته وأهله » وقال الحسن : أنزلنا عليك الكتاب ، كما أنزلنا على المقتسمين من قبل ، قوم اقتسموا طرق مكة ينفرون عن النبي ﷺ ويقولون : إنه ساحر ، وبعضهم يقول هو كاهن ، وبعضهم يقول انه مجنون ، فأنزل الله بهم عذابا أهلكتهم به . وتقديره أنذرکم بما أنزل بالمقتسمين . ذكره الفراء .
وقوله « الذين جعلوا القرآن عضين » أي جعلوه متفرقا بالآيات ببعضه والكفر ببعض ، فعضوه على هذا السبيل الذي ذمهم الله بها . وقيل جعلوه عضين ، بأن قالوا سحر وكهانة - في قول قتادة - وأصل عضين عضه منقوصة الواو ، مثل عزة وعزين ، قال الشاعر :

ذاك ديار يأزم المآزما وعضوات تقطع اللهازما^(١)
وقال آخر :

للماء من عضاتهن زمزمه

وقال رؤبة :

وليس دين الله بالعضي^(٢)

فالمنى انهم عضوه أي فرقوه ، كما تعضا الشاة والجزور ، وأصل عضه عضوه فنقصت الواو ، ولذلك جمعت عضين بلا واو كما قالوا عزين جمع عزة والأصل عزوة ومثله ثبه وثبون ، وأصله ثبوة والعضية الكذب ، فلما نسبوا القرآن إلى الكذب وأنه ليس من قبل الله فقد عضهوا بذلك .

قوله تعالى :

(فَوَرَّبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣))

«١» مجمع البيان ٣ : ٣٤٤ واللسان «عضه» وروايته :

هذا طريق يأزم المآزما وعضوات تقطع اللهازما

«٢» اللسان «عضا»

فَأُصْدِعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ
 الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
 (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ
 الْيَقِينُ (٩٩) ثمان آيات بلا خلاف .

أقسم الله تعالى بقوله « فوربك » يا محمد ، وفي ذلك تشريف للنبي ﷺ وتنبية على عظم منزلته عند الله « لنسألنهم » يعني هؤلاء الكفار « أجمعين » وإنما يسألهم سؤال توبيخ وتقريع ، فيقول لهم لم عضيتم القرآن ، وما حجتكم فيه وما دليلكم عليه ، فيظهر عند ذلك خزيهم وفضيحتهم عند تعذر جواب يصح منهم .

وقوله « فاصدع بما تؤمر » أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يفرق بما أمر به ، والمعنى افرق بين الحق والباطل بما تؤمر به ، قال أبو ذؤيب :

وكأنتن ربابة وكأنته يسر يفيض على القداح ويصدع^(١)

وقال مجاهد: معناه فاجهر بما تؤمر ، وإنما قال بما تؤمر ، ولم يقل بما تؤمر به ،
 لأمرين: أحدهما - انه حذف (به) كما يقال أمرك وأمر بك ، وأكفرك وأكفر بك
 قال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام^(٢)

وكما قال الآخر :

أمرتك حازماً فعصيتني وأصبحتَ مسلوب الإمارة نادماً

«١» ديوانه ٨١ ومجاز القرآن ١: ٣٥٥ وتفسير الطبري ١٤: ٤١ واللسان «صدع» ومجمع

البيان ٣: ٣٤٦

«٢» قطر الندى (باب المعرب والمبني) واللسان (حذم)

وقوله «أعرض عن المشركين» أمر بأن يعرض عن المشركين ، ولا يخاصمهم الى ان يأمره بقتالهم .

وقوله «انا كفييناك المستهزئين» المعنى كفييناك شرهم واستهزاءهم بأن أهلكناهم وكانوا خمسة نفر من قريش : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وابو زمعة والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن عيطلة - في قول سعيد بن جبر - وقيل الأسود بن المطلب ، أهلكهم الله .

وقوله «الذين يعملون مع الله إلهاً آخر» الذين في موضع جر ، لأنه بدل من المستهزئين ، وصفهم بأنهم اتخذوا مع الله إلهاً آخر عبوده ، ثم قال «فسوف يعلمون» وبال ذلك يوم القيامة ، وهذا غاية التهديد ، ثم قال «ولقد نعلم انك» يا محمد «يضيق صدرك» ويشق عليك ما يقولون من التكذيب والاستهزاء . ثم أمره ان يحمد ربه على نعمه وان يكون من الساجدين الذين يسجدون لله ، ويوجهون عبادتهم اليه ، وان يعبد ربه الى الوقت الذي يأتيه اليقين ، ومعناه حتى يأتيه الموت - في قول الحسن ومجاهد وقتادة - وسمي يقيناً ، لأنه موقن به توسعاً وتجاوزاً ، لأنه مما يوقن به جميع العقلاء . ويحتمل أن يكون أراد . حتى يأتيه العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف .

(١٦) سورة النحل

هي مكية إلا آية هي قوله « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا » الآية .
وقال الشعبي : نزلت النحل كلها بمكة إلا قوله « وان عاقبتهم » إلى آخرها . وقال
قتادة : من أول السورة إلى قوله « كن فيكون » مكِّي ، والباقي مدني . وقال
بجاهد : أولها مكِّي وآخرها مدني ، وهي مئة وثمان وعشرون آية ليس فيها خلاف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

(١) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وعاصم وابو عمرو « يشركون » بالياء . وقرأ ابن عامر وابن كثير
مثل ذلك . وقرأ حمزة والكسائي بالتاء .

من قرأ بالتاء ، فلقيه « فلا تستعجلوه » فرد الخطاب الثاني إلى الأول .
ومن قرأ بالياء قال لان الله أنزل القرآن على محمد ﷺ فقال محمد تنزيها لله
« سبحانه وتعالى عما يشركون »

وقرأ سعيد بن جبير « أتى أمر الله ، فلا تستعجلوه » . وروي عن عباس انه قال :
المشركون قالوا للنبي ﷺ ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ، فقال الله
تعالى « أتى امر الله فلا تستعجلوه » ، وانما قال « أتى امر الله » ولم يقل يأتي ، لان
الله تعالى قرَّب الساعة ، فجعلها كالمح البصر ، فقال « وما أمر الساعة إلا كلمح
البصر أو هو أقرب » (١) وقال « اقتربت الساعة » (٢) وكل ما هو آت قريب ،
فعبر بلفظ الماضي ليكون أبلغ في الموعظة ، وإن كان قوله « فلا تستعجلوه »
يدل على أنه في معنى يأتي ، وأمر الله يراد به العذاب - في قول الحسن وابن جريح
وغيرهما - وقال الضحاك : معناه فرائضه واحكامه . وقال الجبائي : امره القيامة
والأول أصح ، لانهم استعجلوا عذابه دون غيره .

والتسبيح في اللغة ينقسم أربعة أقسام :

احدها - التنزيه مثل قوله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » (٣) وقال الشاعر :

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر (٤)

والثاني - معنى الاستثناء كقوله « لو لا تسبحون » (٥) أي هلا تستثنون .

والثالث - الصلاة كتوله « فلولا انه كان من المسبحين » (٦) .

والرابع - النور ، جاء في الحديث (فلولا سبحان وجهه) أي نوره ومعنى

« تعالى » : تعاضم بأعلى صفات المدح عن ان يكون له شريك في العبادة ،

وجميع صفات النقص منتفية عنه .

قوله تعالى :

(يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)

(٢) سورة القمر آية ١ .

(١) سورة النحل آية ٧٧

(٣) سورة الاسرى آية ١

(٤) مر هذا الشعر في ١ : ١٣٤ ، ٣٠ ، ٨١ ، ٥٠ ، ٢٤١ ، ٣٩٥

(٥) سورة القلم آية ٢٨ .

(٦) سورة الصافات آية ١٤٢

أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) آية بلا خلاف .

قرأ روح والكسائي عن ابي بكر « تنزل الملائكة » بالتاء وفتحها ، وفتح النون والزاي ورفع الملائكة . الباقون بالياء وضمها وفتح النون وتشديد الزاي وكسرها ، ونصب الملائكة ، إلا أن ابن كثير واباعمر و وورشأ يسكنون النون ويخففون الزاي .

من قرأ بالياء ففاعل (ينزل) هو الضمير العائد الى اسم الله في قوله « اتى امر الله » وإسكان النون وتخفيف الزاي وتشديدها ، فكلاهما جائز ، قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر » (١) وقال « وأنزلنا اليك الذكر » (٢) فأما ما روي عن عاصم من القراءة بالتاء ، فلأنه انث الفعل بإسناده الى الملائكة كقوله « إذ قالت الملائكة » (٣) وبنى الفعل للمفعول به واسنده اليهم والأول ابين .

اخبر الله تعالى أنه ينزل الملائكة بالروح من امره ، واختلفوا في معنى الروح -ههنا- فقال ابن عباس: اراد به الوحي ، وقال الربيع بن انس: اراد به كلام الله ، وقال قوم: اراد حياة النفوس ، والارشاد لهم الى الدين ، وقد فسر ذلك بقوله « ان أنذروا » وهو بدل من الروح ، وموضعه الجر وتقديره بـ (أن أنذروا) لأن الموعدة والانذار للكافر حياة ، لانه تعالى شبه الكافر بالميت ، فقال « او من كان ميتا فأحييناه » (٤) بالاسلام . والروح تنقسم عشرة اقسام : فالروح الارشاد والحياة ، والروح الرحمة قرأ رسول الله ﷺ «فروح وريحان» (٥) والروح النبوة لقوله « يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده » (٦) والروح عيسى روح الله أي خلق من غير بشر ، وقال آخرون : من غير فعل . وقيل انه سمي بذلك لكونه رحمة على عباد الله بما يدعوهم الى الله ، والروح جبرائيل . والروح النفخ ، يقال: أحييت النار بروحي أي بنفخي ، قال ذو الرمة يصف الموقد والزندة:

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة الحجر اية ٩ | (٢) سورة النحل اية ٤٤ |
| (٣) سورة ال عمران اية ٤٢ ، ٤٥ | (٤) سورة الانعام اية ١٢٢ |
| (٥) سورة الواقعة اية ٨٩ | (٦) سورة المؤمن (غافر) اية ١٥ |

فلما بدت كفنتها وهي طفلة بطلساء لم تكمل ذراعاً ولا شبرا
فقلت له ارفعها اليك وأحبها بروحك واقتنه لها قبضة قدراً^(١)

والروح الوحي قال الله تعالى « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا » (٢)
قيل انه جبرائيل، وقيل الوحي. والروح ملك في السماء من أعظم خلقه، فاذا
كان يوم القيامة وقف صفاً، والملك كلهم صفاً، والروح روح الانسان. وقال
ابن عباس في الانسان روح ونفس، فالنفس هي التي تكون فيها التمييز والكلام،
والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس، فاذا نام العبد خرجت نفسه وبقيت
روحه، واذا مات خرجت نفسه وروحه معاً. وقوله « على من يشاء من عباده »
يعني الانبياء يأمرهم أن يخبروا عباده أنه لا إله يستحق العبادة غير الله تعالى،
ويأمرهم بأن يتقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته.

قوله تعالى :

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) (٤) آيات
بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « تشركون » بالناء في الموضعين لقوله « فلا تستعجلوه »
فرد الخطاب الى الاول. ومن قرأ بالياء فلما تقدم ذكره. احتج الله تعالى بالآية وما
قبلها وما بعدها على خلقه وأعلمهم عظيم نعمه، ودلهم على قدرته، إذ « خلق
السموات والأرض » بما فيها من العجائب والمنافع، و « خلق الانسان من نطفة »
مهينة ضعيفة سيالة فرباها ودبرها حتى صار إنساناً يخاصم ويبين. ولو وضعنا

(١) اللسان (حيا) ذكر البيت الثاني فقط (طلس) ذكر الشطر الثاني من البيت الاول.

(٢) سورة الثوري آية ٥٢

النطفة بين أيدي الخلائق فاجتهدوا ، وفكروا ما قدروا على قلبها ، ولا عرفوا كيف يتمكن ويتأتى أن تقلب حالاً بعد حال حتى تصير فيها روح ، وعقل ، وسمع ، وبصر ، وحتى تنطق وتعرب عن نفسها ، وتحتج فتدفع عنها . وقيل في معنى « خصيم مبین » قولان :

أحدهما - انه أخرج من النطفة ما هذه صفته ، ففي ذلك أعظم العبرة .
والثاني - لما خلقه ومكنه خاصم عن نفسه خصومة أبان فيها عن نفسه . وقيل انه يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها - تعريف قدرة الله في اخراجه من النطفة ما هذه سبيله .
الثاني - تعريف نعم الله في تبليغ هذه المنزلة من خلق من نطفة .
الثالث - تعريف فاحش ما ارتكب الانسان من تضييع حق الله بالخصومة .

قوله تعالى :

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)
وَأَكُمُ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ
أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا لِيُقِيقَ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ) (٧) ثلاث آيات بلا خلاف .

الأنعام جمع نعم ، وهي الإبل ، والبقر ، والغنم ، سميت بذلك لنعمتها مشيها بخلاف ذات الحافر الذي يصلب مشيها . ونصب بفعل مقدر يفسره ما بعده ، والتقدير وخلق الأنعام خلقها ، وإنما نصب لمكان الواو العاطفة على منصوب قبله . وقوله « خلقها لكم » تمام ، لأن المعنى خلق الأنعام لكم أي لمنافعكم . ثم أخبر ، فقال « فيها دفء » والدفء ما استفادت به . وقال الحسن يريد ما استفدت به من أوبارها ، وأصوافها ، وأشعارها . وقال ابن عباس : هو اللباس

من الأكيسة وغيرها ، كأنه سمي بالمصدر ومنه دفوء يومنا دفأ ، ونظيره (الكن) قال الفراء : كتبت (دفء) بغير همز ، لأن الهمزة إذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب ، ولو كتبت في الرفع بالواو ، وفي النصب بالألف وفي الخفض بالياء كان صواباً . وقال قتادة «فيها دفء ومنافع» معناه منفعة هي بلغة ، من الألبان وركوب ظهرها «ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون» وذلك أعجب ما يكون إذا راحت عظاماً ضروعها طوالاً أسنمتها «و حين تسرحون» إذا سرحت لرعيها . فالسروح خروج الماشية إلى المرعى بالغداة . والاراحة رجوعها من المرعى عشياً : سرحت الماشية سرحاً وسروحاً وسرحها أهلها قال الشاعر :

كأن بقايا الأثر فوق متونه مدب الدبا فوق النقا وهو سارح (١)
وقوله «وتحمل أثقالكم» يعني هذه الأنعام تحمل أثقالكم ، وهو جمع ثقل ، وهو المتاع الذي يثقل حمله ، وجمعه أثقال «لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس» والبلوغ المصير إلى حد من الحدود ، بلغ يبلغ بلوغاً وأبلغه إبلاغاً ، وبلغه تبلغاً وتبلغ تبلغاً وتبالغ تبالغاً ، والشق المشقة ، وفيه لغتان ، فتح الشين وكسرها ، فالكسر عليه القراء السبعة . وبالفتح قرأ أبو جعفر المدني .

والشق أيضاً أحد قسمي الشيء الذي في إحدى جهتيه ، وقال قتادة : معناه يجهد الأنفس ، وكسرت الشين من شق الأنفس مع أن المصدر بفتح الشين لأمرين : أحدهما - قال قوم : هما لغتان في المصدر ، قال الشاعر :

وذئ إبلى يسمى ويحسبها له أخي نصب من شقها ودؤوب (٢)

بالكسر والفتح ، وقال العجاج :

أصبح مسحول يوازي شقاً^(٣)

بالكسر والفتح بمعنى يقاسي مشقة ، وقال قوم : ان المعنى إلا بذهاب شق قوى النفس

(١) «تفسير الطبري» ٤/١٠١ (الطبعة الأولى) وروايته :

كأن بقايا الأثر فوق متونه مدب الذي فوق النقا وهو سارح

(٢) قائله النمر بن تولب . اللسان (شق) (٣) اللسان (شق)

ذكره الفراء والزجاج ، واختاره الطبري . وقوله « ان ربكم لرؤوف رحيم » أي رؤوف بكم رحيم ، ومن رحمته أنه خلق لكم الأنعام لتنتفعوا بها ، على ما ذكره

قوله تعالى :

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (٩) آيتان بلا خلاف .

هذه الآية عطف على التي قبلها ، فلذلك نصب « والخيل » وتقديرها ، وخلق الخيل ، وهي الدواب التي تركب « والبغال » واحدها بغل « والحمير » واحدها حمار « لتركبوها » وتزينوا بها ، ونصب (وزينة) بتقدير ، وجعلها زينة « ويخلق ما لا تعلمون » من أنواع الحيوان والجماد والنبات لمنافعكم ، ويخلق من أنواع الثواب للمطيعين ، وأنواع العقاب للعصاة ما لا تعلمون .

وحكي عن ابن عباس : أن الآية دالة على تحريم لحم الخيل ، لأنها للركوب والزينة والانعام لما ذكر قبل ، وهو قول الحكم والاسود . وقالوا : لأنه تعالى ذكر في آية الانعام « ومنها تأكلون » (١) ولم يذكر ذلك في آية الخيل بل ذكرها للركوب والزينة . وابراهيم لم يربه بأساً ، وهو قول جميع الفقهاء . وقال جابر : كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله ﷺ .

وقوله « وعلى الله قصد السبيل » قال ابن عباس : معناه بيان قصد السبيل أي بيان الهدى من الضلال « ومنها جائر » أي عادل عن الحق فمن الطريق ما يهدي إلى الحق ؛ ومنها ما يضل عن الحق ، ثم قال « ولو شاء لهداكم أجمعين » وقيل في معناه قولان :

أحدهما - قال الحسن والبلخي : لو شاء لهداكم بالإلجاء ، لأنه قادر على ذلك .
الثاني - قال الجبائي : لو شاء لهداكم إلى الجنة .

قوله تعالى :

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١١) آيتان بلا خلاف .

قرأ أبو بكر عن عاصم إلا الأعشى والبرجمي «نبت» بالنون. الباقون. بالياء من قرأ بالياء فلما تقدم من قوله «هو الذي أنزل من السماء ماء... ينبت لكم» وهو أشكل بما تقدم، والنون لا يمتنع أيضاً، يقال نبت البقل وانبت الله، وقد روي انبت البقل، وأنكر ذلك الأصمعي، وقال قصيدة زهير التي فيها (حتى إذا أنبت البقل) مبهمة قال أبو علي فأما قوله «نبت بالدهن» (١) فيجوز أن تكون الباء زائدة، كقوله «ولاتلقوا بأيديكم» (٢) قال «وألقى في الأرض رواسي أن تميد» (٣) فعدي (ألقى) مرة بالياء وأخرى بغير باء، وإذا ثبت أن (انبت) في معنى (نبت) جاز أن تكون الباء للتعدي، كما لو كانت مع (نبت) كان كذلك، ويجوز أن تكون الهمزة في (انبت) للتعدي، والمفعول محذوف، والباء للحال، كأنه قال نبت ثمرة بالدهن، فحذف المفعول و (بالدهن) في موضع حال، كأنه قال نبت، وفيه دهن، ويجوز في (نبت بالدهن) أن نبت ما فيه دهن.

أخبر الله تعالى أنه الذي ينزل من السماء ماء يعني غيثاً ومطراً لمنافع خلقه، من ذلك الماء شراب تشربونه، ومن ذلك نبات الشجر، والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه أشجار، ومنه المشجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر وقال الأزهرى: ما نبت من الأرض شجر،

(٢) سورة البقرة آية ١٩٥

(١) سورة المؤمنون آية ٢٠

(٣) سورة النحل آية ١٥ وسورة لقمان آية ١٠

قام على ساق أو لم يقم ترعاه الإبل والأنعام كلها .

وقوله « فيه تسمون » اي ترعون ؛ يقال : اسمت الابل إذا رعيتها ، وقد اسمت تسوم ، فهي سائمة اذا رعت . واصل السوم الابعاد في المرعى ، والسوم في البيع الارتفاع في الثمن ، والانبات اخراج الزرع ، والانسان يزرع ، والله تعالى ينبت .

وقوله « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات » اي ينبت بذلك المطر هذه الاشياء التي عددها لينتفعوا بها . ثم اخبر ان في ذلك لدلالة وحجة واضحة لمن يفكر فيه ، فيعرف الله به ؛ وإنما أضاف الدلالة اليهم ، لانهم الذين انتفعوا بها ، ولأن من لم يفكر فيها فكأنها لم تنصب له .

قوله تعالى :

(وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا
ذَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)
(١٣) آيتان بلا خلاف .

قرأ ابن عامر « والشمس والقمر والنجوم مسخرات » بالرفع فيهن كلهن ، وافقه حفص في رفع « والنجوم مسخرات » الباقون بالنصب فيهن كلهن ، اما ابن عامر فانما رفع ذلك ، لانه جعل الواو ، واو حال ، وابتدأ ، (والشمس) رفع بالابتداء و (النجوم) نسق عليها ، (والقمر) نسق عليها (والمسخرات) رفع خبرها ، ومن نصبها كلها جعلها منسوقة على قوله « وسخر لكم الليل والنهار » . واما حفص فانما رفع (النجوم مسخرات) فقطعها مما قبلها ، فعلى هذا حجة من نصب ان يقدر فعلا آخر ينصبه به ، وتقديره وجعل النجوم مسخرات .

ووجه تسخير الشمس والقمر والليل والنهار ، ان الليل والنهار إنما يكون بطلوع الشمس وغروبها ، فما بين غروب الشمس الى طلوع الفجر ، وهو غياب ضوء الشمس ، فهو ليل . وما بين طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فهو نهار ، فالله تعالى سخر الشمس على هذا التقدير لا تختلف ؛ لمنافع خلقه ومصالحهم وليستدلوا بذلك على ان المسخر لذلك والمقدر له حكيم . ثم بين ان في ذلك التسخير لدلالات لقوم يعقلون عن الله ويتبينون مواضع الاستدلال بادلته .

وقوله « وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه » معنى (ما) الذي وموضعه النصب والتقدير وخلق لكم (ما) .

أخبر الله تعالى ان الذي خلقه وأظهره من الاجسام المختلفة الألوان ان في ذلك دلالة لقوم يذكرون وأصله يتذكرون ، فادغت التاء في الذال . والذره إظهار الشيء بإيجاده ذراً يذروه ذراً . وذراه ، وفطره ، وانشاءه نظائر . وملح ذره اني ظاهر البياض والاختلاف هو الامتناع من ان يسد احد الشئيين مسد الآخر ونقيضه الاتفاق . قال قتادة : قوله « وما ذراً لكم في الارض » معناه خلق لكم « مختلفاً ألوانه » من الدواب والشجر والثمار ، نعماً ظاهرة فاشكروها لله ، قال المؤرج : ذراً بمعنى خلق بلغة قريش .

قوله تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَائِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لِعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) ثلاث آيات بلا خلاف .

وهذا تعداد لنوع آخر من نعمه ، فقال « وهو الذي سخر البحر » أي ذلله لكم

وسهل لكم الطريق الى ركوبه واستخراج ما فيه من انواع المنافع فتصطادون منه أنواع السمك، فتأكلون لحمه طرياً، ولا يجوز ان تهمز طرياً، لانه من الطراوة لا من الطراة، و «تستخرجوا» من البحر حلية يعني اللؤلؤ والمرجان الذي يخرج من البحار «تلبسونها» وتزينون بها «وترى الفلك» يعني السفن «مواخر فيه» قال الحسن معناه مقبلة ومدبرة بريح واحدة، وقال قوم: معناه منقلة، والمواخر جمع ماخرة، والمخرشق الماء من عن يمين وشمال، يقال: مخرت السفينة الماء تمخره مخرأً، فهي ماخرة، والمخر ايضاً صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها.

وقوله «ولتبتغوا من فضله» اي ولتكتسبوا من فضل الله ونعمه بركوب البحر، ولكي تشكروه على أياديته، والواو دخلت ليعلم ان الله خلق ذلك وأراد جميع ذلك وقصده. ثم أخبر انه القى في الأرض رواسب، وهو جمع راسبة وهي الجبل العالي الثابت «ان تميد بكم» اي لئلا تميد بكم الأرض. وقال الزجاج: معناه كراهة ان تمتد، ولم يحذف (لا) والميد الميل يميناً وشمالاً، وهو الاضطراب: ماد يميد ميدياً، وهو مائد.

وقوله «وانهاراً وسبلاً» تقديره وجعل لكم انهاراً، لدلالة (القي) عليه، لانه لا يجوز ان يكون عطفاً على (القي) ومثله قول الشاعر:

تسمع في اجوافهن صرداً وفي اليدين جساءً وبدداً^(١)

اي وترى في اليدين يدياً وتفرقاً، ومثله قولهم: (علفتها تبتاً وماء بارداً) والمعنى وسقيتها ماء، ومثله كثير، و (سبلاً) عطف على (انهاراً) لكي تهتدوا بها في سلوككم، وانتقالكم في أغراضكم.

وقوله «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» اي جعل لكم علامات. وقيل انها الجبال ونحوها. قال ابن عباس: يعني الجبال يهتدى بها نهاراً، والنجم يهتدى به ليلاً، وهو اختيار الطبري. و (العلامة) صورة يعلم بها المعنى، من خط او لفظ او إشارة او هيئة، وقد تكون وضعية، وقد تكون برهانية.

(١) مر هذا الشعر في ٥ / ١٠٧، وروايته هناك (لفظاً) بدل (صرداً).

وقوله و « بالنجم هم يهتدون » فالنجم هو الكوكب ، ويقال : نجم النبت إذا طلع تشبيهاً بطلوع النجم ، وإنما قال - هنا - و « بالنجم » فوحد ، وقال فيما تقدم « والنجوم مسخرات » لان النجوم على ثلاثة أضرب : ضرب يهتدى بها مثل الفرقدين ، والجدي ، لانها لا تزول . وضرب هي الشهب ، وضرب هي زينة السماء ، كما قال « زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب »^(١) فقوله « والنجم » يجوز ان يريد به النجوم ، فأخبر بالواحد عن الجميع ، كما قال « او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء »^(٢) والنجم في قوله « النجم الثاقب »^(٣) يريد الثريا فقط « والنجم اذا هوى »^(٤) يعني نزول القرآن إذا نزل به جبرائيل (ع) وقوله « والنجم والشجر يسجدان »^(٥) يريد كلما نجم من الارض اي نبت ، مما لا يقوم على ساق كالبطيخ والقرع والضغابيس وهو الفتاء الصغار ، ويشبه الحسيس بالضعفوس أنشد ابن عرفة :

قد جربت عركي في كل معترك غلب الاسود فما بال الضغابيس^(٦)

قوله تعالى :

(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) آيات
بلا خلاف .

في هذه الآية ردّ على عباد الاصنام والاثان بأن يقال : أفمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من أنواع

(٢) سورة النور آية ٣١

(٤) سورة النجم ٥٣ آية ١

(١) سورة الصنات آية ٦

(٣) سورة الطارق آية ٣

(٥) سورة الرحمن آية ٦

(٦) البيت لجرير ديوانه (دار بيروت) ٢٥١ واللسان (ضعفس) وقد روي (الرجال) بدل (الاسود) .

العجائب، كمن لا يخلق ذلك من الاصنام التي هي جمادات، فكيف توجه العبادة اليها، ويسوى بينها، وبين خالقي جميع ذلك « أفلا يتفكرون » في ذلك ويعتبرون به، فان ذلك من الخطأ الفاحش. وجعل (من) فيما لا يعقل، لما اتصلت بذكر الخالق .

ويتعلق بهذه الآية المجبرة، فقالوا: أعلمنا الله تعالى ان احداً لا يخلق، لانه خلاف الخالق، وانه لو كان خالقي غيره لوجب ان يكون مثله، ونظيره .

وهذا باطل، لان الخلق في حقيقة اللغة هو التقدير والاتقان في الصنعة وفعل الشيء لا على وجه السهو والمجازفة بدلالة قوله « وتخلقون إفكاً »^(١) وقوله « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير »^(٢) وقوله « احسن الخالقين »^(٣) كما لا يجوز أنه اعظم الآلهة لما يستحق الآلهية غيره، وقال زهير :

ولأنت تفري ما خلقت وبع - ض القوم يخلق ثم لا يفري^(٤)

وقال الججاج : لا أعد إلا وفيت ولا أخلق إلا فريت^(٥)

وقال الشاعر :

ولا ينط بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالت الا جيد الأدم

فعلمنا بذلك جواز تسمية غيره بأنه خالق إلا اننا لا نطلق هذه الصفة إلا لله تعالى، لان ذلك توهم، فاذا ثبت ذلك فالوجه في الآية ما قدمنا ذكره من الرد على عباد الاصنام والجمادات التي لا تقدر على ضرر ولا نفع ولا خلق شيء ولا

(١) سورة العنكبوت اية ١٧

(٢) سورة المائدة اية ١١٣

(٣) سورة المؤمنون آية ١٤ وسورة الصافات آية ١٢٥

(٤) ديوانه ٢٩ (دار بيروت) واللسان (فرا)، (خلق).

(٥) وقد رواها ابن منظور في لسان العرب (خلق) قال : قال الججاج : (ما خلقت إلا فريت ولا وعدت إلا وفيت)

استطاعة لها على فعل ، وان من سوى بينها وبين من خلق ما تقدم ذكره من أنواع النعم وأشرك بينها في العبادة ، كان جاهلاً بعيداً عن الصواب عزلاً عن طريق الهدى . ويقوي ذلك انه قال عقيب هذه الآية « والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير احياء » فعللنا انه أراد بذلك ما قدمنا من اسقاط رأيهم وتسويتهم بين الجماد والحي والفاعل ومن ليس بفاعل ، وهذا واضح .

وقوله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » قال الحسن : لا تحصوها بأداء حقها وتعظيمها . وقال الجبائي : لا تحصوها مفصلة لكثرتها وإن صح منكم احصاؤها على وجه الجملة .

قوله تعالى :

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ يعقوب وحفص ويحيى والمليبي « والذين يدعون » بالياء . الباقيون بالتاء ، قال أبو علي : هذا كله على الخطاب ، لان ما بعده خطاب كقوله بعد « أفلا تذكرون » وقوله « وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم » ، « وإلهكم إله واحد » فكل هذا خطاب .

فان قلت : ان فيه « والذين يدعون من دون الله » فانه لا يكون خطاباً للنبي ﷺ ولا للمسلمين ، قيل : التقدير في ذلك قل لهم : والذين تدعون من دون الله ، فلا يمتنع الخطاب على هذا الوجه ، ولهذا قرأ عاصم بالياء لما كان عنده ذلك اخباراً عن المشركين ، ولم يجوز ان يكون في الظاهر خطاباً للمسلمين .

يقول الله لعباده ان الله الذي يستحق العبادة هو الذي يعلم ما يظهرونه وما

يستسرون به ويخفونه ، وان الذين يدعون من دون الله من الاصنام لا يخلقون شيئاً ، فضلاً عن ان يخلقوا ما يستحق به العبادة ، وهم مع ذلك مخلوقون مربوبون ، وهم مع ذلك أموات غير احياء ، وانما قال أموات غير احياء ، لانها في حكم الأموات في انها لا تعقل شيئاً . وقيل غير احياء على وجه التأكيد بما صارت به ، كالأموات ، لانه قد يقال للحَيِّ هو كالميت إذا كان بعيداً من ان يعلم . و(اموات) رفع بأنه خبر ابتداء ، والتقدير من أموات غير احياء ، ويجوز ان يكون خبراً عن (الذين) والتقدير والذين يدعون أموات .

وقوله « وما يشعرون أيان يبعثون » اي هم لا يعلمون اي رقت يحشرهم الله للجزاء والحساب ، بل ذلك لا يعلمه الا الله تعالى ، ومعنى (أيان) متى و (متى) اوضح ، لأنه اغلب في الاستعمال فلذلك فسر به (أيان) وهو سؤال عن الزمان كما ان (اين) سؤال عن المكان . وقال القراء : معناه هي أموات فكيف يشعرون متى تبعث يعني الاصنام . قال ويقال للكفار أيضاً وما يشعرون أيان يبعثون ، و (إيان) بكسر الهمزة لغة سليم قرأها أبو عبد الرحمن السلمي .

قوله : تعالى

(إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) (٢٣) آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى لعباده ان « إلهكم » الذي يستحق العبادة « إله واحد » لانه لا يقدر على ما يستحق به العبادة من أصول النعم سواء . ثم قال ان الذين لا يصدقون بالآخرة وبالبعث والفسور والثواب والعقاب ، تجحد قلوبهم وتنكر ما ذكرناه ، وهم مع ذلك « يستكبرون » اي يمتنعون من قبول الحق أنفة من أهله . و (الاستكبار) طلب الترفع بترك الاذعان للحق . ثم قال تعالى « لا جرم » اي

حق ووجب انه يعلم ما يبطنونه ويخفونه في نفوسهم ، وما يظهرونه ، لا يخفى عليه منه شيء ، و«انه لا يحب المستكبرين» يعني لا يريد ثوابهم ولا منافعهم ، ولا يفعل ذلك بهم لكونهم مستحقين للعقاب .

قوله تعالى :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤)
لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءٌ مَا يَزِرُونَ) (٢٥) آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى إذا قيل لهؤلاء الكفار على وجه الاستفهام : ما الذي أنزل ربكم على نبيه محمد ﷺ ؟ أجابوا بأن «قالوا : أساطير الأولين ، يعني أحاديث الأولين الكاذبة ، في قول ابن عباس وغيره ، وأحدنا أسطورة سمي بذلك ، لانهم كانوا يسطرونها في الكتب .

وقوله « ليحملوا أوزارهم » أي أثقالهم من المعاصي ، والوزر الاثم ، والوزر الثقل ، ومنه الوزير ، لانه يحمل الاثقال عن الملك ، يقال وازره على امره أي عاونه بحمل الثقل معه ، واللام لام العاقبة ، لانهم لم يقصدوا بما فعلوه ليتحملوا أوزارهم .

وقوله « كاملة » معناه حمل المعاصي تامة على أقبح وجوهها من غير اخلال بشيء منها « ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم » معناه إنهم يتحملون مع أوزارهم من أوزار من أضلوه عن دين الله وأغواوه عن اتباع الحق ، بغير علم منهم بذلك بل كانوا جاهلين . والمعنى إن هؤلاء كانوا يصدون من أراد الايمان بالنبي (ﷺ) فعليهم آثامهم وآثام أبنائهم لاقتدائهم بهم .

وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ انه قال : (ايما داع دعا إلى الهدى فاتبع ،

فله مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيء ، وايماداع دعا الى الضلالة فان عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيء) .

والوجه في تحملهم اوزار غيرهم أحد شيئين :

احدهما - انه اراد بذلك إغواءهم واطلالهم ، وهي اوزارهم فأضاف الوزر إلى المفعول به ، كما قال « اني اريد أن تبوء باثمي واثمك » (١)

والثاني - ان يكون أراد اقتداء غيرهم بهم فيستحقون على معصيتهم زيادة عقاب ، فجاز لذلك أن يضاف اليهم . ثم أخبر تعالى فقال « ألا ساء ما يزرون » أي بنس الشيء الذي يتحملونه ، لانهم يحملون ما يؤدي الى العقاب ، ومعنى يزرون يحملون ثقل الآثام .

قوله تعالى

(قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ
فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي
الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ
وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) (٢٧) آيتان بلا خلاف .

قرأ نافع وحده «تشاقون» بكسر النون اراد تشاقوني ، فحذف النون تخفيفاً وحذف الياء اجتزاء بالكسرة ، وقد ذكر فيامضى علة ذلك في قوله «فيم تبشرون» (٢) وقرأ الباقون بفتح النون ، لا يجعلونه مضافاً إلى الياء . والنون في هذه القراءة علامة الرفع ، والنون مع الياء المحذوفة في موضع النصب .

(١) سورة المائدة اية ٣٠

(٢) سورة الحجر اية ٥٤

ومعنى «تشافقون» أي يعادون الله فيهم فيجعلونها شركاء له ، والشقاق الخلاف في المعنى ، ومعنى «تشافقون» تكونون في جانب ، والمسلمون في جانب ، لا يكونون معهم بدأ واحدة ، ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام وعن جماعة المسلمين : شق العصا أي صار في جانب عنهم ، فلم يكن مجتمعاً في كلمتهم .

يقول الله ان الذين من قبل هؤلاء الكفار «قد مكروا» واحتالوا على رسلهم والمكر القتل والحيلة الى جهة منكورة ، يقال مكر به يكر مكرأ ، فهو ماكر ومكار ، ثم قال : فان الله تعالى أتى أمره وعقابه «بنيانهم» التي بنوها فهدمها «فخر عليهم السقف من فوقهم» وقيل في معنى «من فوقهم» قولان :

احدهما - انه قال ذلك تأكيداً ، كقولك قلت انت .

الثاني - انهم كانوا تحته ، وقد يقول القائل : تهدمت علي المنازل ، وان لم يكن تحتها ، وأيضاً فليعلم انهم لم يكونوا فوق السقوف .

وقال ابن عباس وزيد بن اسلم : الذين خر عليهم السقف من فوقهم نمرد ابن كنعان . وقال غيرهم : بنحت نصر ، وقال الزجاج وأبو بكر بن الانباري : المعنى فأتى الله مكرهم من اصله اي عاد ضرر المكر عليهم وبهم . وذكر الاساس مثلاً كما ذكر السقف ، مع انه لا سقف ثم ولا أساس ، وهذا الذي ذكره يليق بكلام العرب ويشبهه . والمعنى إن الله أتى بنيانهم من القواعد اي قلعه من اصله كقولهم : أتى فلان من مأمته اي أتاه الهلاك من جهة مأمته وأتاهم العذاب من جهة الله «وهم لا يشعرون» أي لا يعلمون انه من جهة الله نزل بهم العذاب . ثم قال انه تعالى مع ذلك يخزيهم يوم القيامة أي يذلهم بأنواع العذاب ويقول لهم أين شركائكم الذين اتخذتموهم آلهة ، فعبدتموهم يعني الذين كنتم تشاققون فيهم الله تعالى وتخرجون عن طاعة الله .

ثم أخبر ان الذين أعطوا العلم والمعرفة بالله تعالى وأوتوه يقولون لهم : ان الخزي يعني الذل والهوان «اليوم» والسوء الذي هو العذاب «على الكافرين» الجاحدين لنعمه المنكرين لتوحيده وصدق انبيائه .

قوله تعالى :

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا أَسْلَمَ مَا
 كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)
 فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَدِئَسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)
 وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
 هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)
 ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ حمزة «الذين يتوفاهم» بالياء . الباقون بالتاء ، من قرأ بالتاء فلتأنيث لفظة
 الملائكة ، ومن قرأ بالياء ، فلأن التأنيث غير حقيقي وقد مضى نظيره كثيراً .

يقول الله تعالى ان الحزبي اليوم والسوء على الكافرين ، الذين يتوفاهم الملائكة
 ظالمي أنفسهم و«الذين» في موضع الجر بأنه بدل من الكافرين وانما قال ذلك ليعلم
 به ان الوعيد يتناول من كانت مات على كفره ، لانه ان تاب لم يتوجه الوعيد
 اليه ، ومعنى «تتوفاهم الملائكة» أي تقبض ارواحهم بالموت ظالمي انفسهم بما
 فعلوه من ارتكاب المعاصي التي استحقوا بها العقاب . والظالم من فعل الظلم ،
 ويصح ان يظلم الانسان نفسه كما يظلم غيره .

وقوله « فألقوا السلم» اي استسلموا للحق حين لا ينفعهم السلم ، يعني الانقياد
 والاذعان .

وقوله « ما كنا نعمل من سوء » اي قالوا ما عملنا من سوء ، فكذبهم الله ،
 وقال « بلى » قد فعلتم والله عالم بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي وغيرها .
 وقيل في معنى ذلك قولان :

احدهما - ما كنا نعمل من سوء عند انفسنا، لانهم في الآخرة ملجؤون الى ترك القبيح والكذب ، ذكره الجبائي . وقال الحسن وابن الأخشاد: في الآخرة مواطن يلجؤون في بعضها دون بعض ، ثم بين انه تعالى يقول لهم « ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها » اي مؤبدين فيها « فلبئس مثوى المتكبرين » قسم من الله تعالى انها بئس المأوى لمن تكبر على الله ، ولم يعمل بطاعته ، « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ، اي اي شيء » أنزل ربكم قالوا خيراً ، على معنى ماذا ، والمعنى أنزل الله خيراً ، وانما نصب (خيراً) ههنا بعد قوله « قالوا » ورفع « اساطير » فيما تقدم لأمرين .

احدهما - انهم جحدوا التنزيل ، فقالوا لانها هي اساطير الأولين وأقر المؤمنون بالتنزيل ، فقالوا أنزل ربنا خيراً .

والثاني - قال سيبويه ان يكون الرفع على تقدير ما الذي أنزل ربكم فيكون ذا بمعنى الذي ، وفي النصب يكون (ذا ، وما) بمنزلة اسم واحد .

وقوله « الذين احسنوا الحسنى » يحتمل ان يكون من كلام من قال خيراً ، ويحتمل ان يكون اخباراً من الله تعالى ، وهو الاقوى ، لانه ابلغ في باب الدعاء الى الاحسان ، فأجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين ، والمعنى ان للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم في الدنيا قبل الآخرة خيراً « ولنعم دار المتقين » يعني الجنة التي يدخلها الذين اتقوا معاصي الله وفعلوا طاعاته .

قوله تعالى :

(جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٣٢)

آيتان بلا خلاف .

يحتمل رفع جنات وجهين :

احدهما - ان تكون خبر ابتداء محذوف وتقديره هي جنات يدخلونها، كأن قائلها لما قال الله «ولنعم دار المتقين» قال: ما هذه الدار؟ ف قيل: هي جنات عدن. والثاني - ان يكون رفعاً بالابتداء وخبره « نعم دار المتقين» وقد قدم الخبر والتقدير جنات عدن « نعم دار المتقين» . ثم وصف هذه الجنات بما فيها ، فقال « تجري من تحتها الأنهار » لان الجنة هي البستان الذي فيه الأشجار ، والأنهار تجري تحت الأشجار ، وقيل لان انهار الجنة في اخاديد . ثم اخبر ان لهؤلاء الذين دخلوا الجنة لهم فيها ما يشاؤون ويشتهون . ثم قال مثل ذلك يحازي الله تعالى الذين يتقون معاصيه ، ويعملون بطاعته . ثم قال « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة خلاف من تتوفاهم خبيثين بأعمالهم القبيحة . وأصل الطيبة حال المستلذ من الاطعمة ، يقول الملائكة لهم سلام عليكم ادخلوا الجنة جزاء على أعمالكم في الدنيا من الطاعات .

قوله تعالى :

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ) (٣٤) آيتان بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً « إلا أن يأتيهم » بالياء . الباقون بالتاء . وقد بينا وجهه ، ومعنى قوله « هل ينظرون » ينتظرون ، يعني هؤلاء الكفار إلا أن تأتيهم الملائكة ، يعني بالموت أو الهلاك ، أو يأتي أمر ربك يعني يوم القيامة ، ذكره مجاهد وقتادة .

ثم أخبر تعالى ان الذين مضوا - فيما سلف من الكفار - فعلوا مثل فعل هؤلاء من

تكذيب الرسل ، وجحد توحيدده ، وانكار رسله ، فأهلكهم الله فما الذي يؤمن هؤلاء أن يهلكهم .

ثم اخبر تعالى انه باهلاكه اياهم لم يظلمهم ، ولكن هم الذين ظلموا انفسهم فيما مضى بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك .

ثم اخبر تعالى انه اصابهم يعني الكفار جزاء سيئات اعمالهم ، وهي القبائح ، « وحق بهم » اي حل بهم وبال « ما كانوا به يستهزئون » أي يسخرون برسلك الله وبأنبيائه .

قوله تعالى :

(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (٣٥) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن المشركين مع الله إلهاً آخر ومعبوداً سواه أنهم قالوا « لو شاء الله » اي لو أراد الله لم نكن نعبد شيئاً من دونه ، من الاصنام والوثان ، لا « نحن ولا أبائنا ولا حرمنا » من قبل نفوسنا شيئاً ، بل اراد الله ذلك منا ، فلذلك فعلنا ، كما يقول المجبرة الضلال ، فكذبهم الله وانكر عليهم ، وقال مثل ذلك فعل الذين من قبلهم ، من الكفار الضلال كذبوا رسول الله ، وجحدوا انبياءه ثم عذر انبيائه ، فقال « هل على الرسل إلا البلاغ » الظاهر اي ليس عليهم إلا ذلك . وفي ذلك ابطال مذهب المجبرة ، لأن الله انكر عليهم قولهم إنه « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء » ومثل هذه الآية التي في الإنعام (١) وقد بينها مستوفاة .

(١) آية ١٤٨ من سورة الانعام في ٤ : ٣٣٣ - ٣٣٥

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ) (٣٦)
آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى نبيه ﷺ بأنه قد ارسل في كل امة من الأمم السالفة رسولا بأن «اعبدوا الله» اي امرهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، وان يجتنبوا عبادة الطاغوت ، وهو كل ما يعبد من دون الله . وقيل : الطاغوت اسم الشيطان ويكون المعنى «اجتنبوا» اغواء الشيطان ، وكل داع يدعو الى الفساد . ثم اخبر عن المبعوث اليهم بأن منهم من لطف الله لهم بما علم انه يؤمن عنده ، فأمن عنده ، فسمى ذلك اللطف هداية ، ولم يرد نصب الأدلة على الحق لأنه تعالى سوى في ذلك بين المؤمن والكافر ، كما قال «فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى» (١) ويحتمل أن يكون المراد فمنهم من هداه الله الى الجنة بايمانه .

وقوله «ومنهم من حقت عليه الضلالة» قيل فيه قولان :

احدهما - لأنهم ضلوا عن طريق الحق وكفروا بالله ، وهو قول الحسن .

الثاني - حقت عليهم الضلالة عن طريق الجنة بما ارتكبهوا من الكفر . والضلالة - ههنا - المراد به العدول عن الجنة ، وقد سمي الله العقاب ضلالا ، فقال «ان المجرمين في ضلال» (٣) اي عذاب . ثم قال قل لهم «سيروا في الارض» وتعرفوا اخبار من مضى وتبينوا كيف كان عاقبة الذين كذبوا بآيات الله ، ولم يصدقوا

(١) سورة حم السجدة آية ١٧

(٢) سورة القمر آية ٤٧

رسله ، فان الله اهلكهم ودمر عليهم ، كقوم هود ، ولوط ، وثمود ، وغيرهم ،
فان ديارهم عليها آثار الهلاك والدمار ظاهرة .

قوله تعالى :

(إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (٣٧) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة « يهدي » بفتح الياء وكسر الدال . الباقيون بضم الياء وفتح
الدال ، ولم يختلفوا في ضم ياء يضل وكسر الضاد .

فمن فتح الياء وكسر الدال احتمل ذلك امرين :

احدهما - انه اراد ان الله لا يهدي من يضله .

والثاني - أن من اضله الله لا يهتدي

ومن ضم الياء اراد من أضله الله لا يقدر أحد ان يهديه ، وقوّوا ذلك بقراءة
أبي « لا هادي لمن اضل الله » واسم الله تعالى اسم (إن) و (يضل) الخبر .
ومعنى اضلال الله - ههنا - يحتمل امرين :

احدهما - ان من حكم الله بضلاله وسماه ضالاً ، لا يقدر أحد ان يجعله هادياً ويحكم
بذلك .

والثاني - إن من أضله الله (عز وجل) عن طريق الجنة لا احد يقدر على
هدايته اليها ، ولا يقدر هو ايضاً على أن يهتدي اليها .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ « ان تحرص » يا محمد على ان يؤمنوا ويهتدوا الى
الجنة ، فهم بسوء اختيارهم لا يرجعون عن كفرهم ، والله تعالى قد حكم بكفرهم
وضلالهم واستحقاقهم للعقاب ، فلا أحد يقدر على خلاف ذلك .

و (من) في الوجهين في موضع رفع ، فمن ضم الياء رفعها لأنها لم يسم فاعلها ،

ومن فتح الياء ، فلانها الفاعل . والمراد بالآية التسلية للنبي ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالاجابة ، لانها كره في الكفر ، وان ذلك ايسر تقصيراً من جهتك بل انه ليس الى فلاح مثل هذا سبيل .

وقوله « وما لهم من ناصرين » معناه ليس لهم ناصر ينصرهم ويخلصهم من العقاب ، وذلك يبين انه ليس المراد بالآية الضلال عن الدين ، وانما المراد ما قلناه من عدوهم عن الثواب الى العقاب .

والحرص طلب الشيء بجد واجتهاد ، تقول : حرص يحرص حرصاً ، وحرص يحرص بكسر الراء في الماضي ، وفتحها في المستقبل ، والاول لغة أهل الحجاز .

قوله تعالى :

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) آياتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى ثم ان هؤلاء الكفار حلفوا بالله على قدر طاقتهم وجهدهم انه لا يحشر الله أحداً يوم القيامة ، ولا يحييه بعد موته . ثم كذبهم تعالى في ذلك ، فقال : « بلى » يحشرهم الله ويبعثهم « وعدا » وعدمهم به ، ولا يخلف وعده .

ونصب « وعدا » على المصدر والتقدير وعد وعداً . وقال الفراء : تقديره بلى لبعثهم وعداً حقاً ، ولو رفع على معنى ان ذلك وعد عليه حق كان صواباً والمعنى وعد وعداً عليه حقاً ذلك الوعد ليس له خلف « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم انبياءه .

وقوله « ليبين لهم الذي يختلفون فيه » في دار الدنيا ، لأنه يخاف فيهم العلم

الضروي يوم القيامة، الذي يزول معه التكليف ويزول خلافهم فيه ، ويعلم ايضاً كل كافر انه كان كاذباً في الدنيا في قوله : إن الله لا يبعث احداً بعد موته ، هذا إن جعلنا قوله « ليبين » متعلقاً بـ (بلى) يبعثهم الله . ويحتمل ان يكون متعلقاً بقوله « ولقد بعثنا في كل امة رسولا ليبين الذي يختلفون فيه » ويهديهم الى طريق الحق ويثيبهم عليه

قوله تعالى :

(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)

(٤٠) آية بلا خلاف .

قرأ الكسائي وابن عباس « فيكون » نصباً . الباقون رفعاً . فمن نصب جعله عطفاً على « ان نقول . . . فيكون » ولا يجوز ان يكون نصباً على جواب الأمر لأن ما ينتصب لأجل جواب الأمر هو ما يكون فعلاً ، ويجب الثاني من اجل الاول ، كقولك انتني فأكرمك فالأكرم يجب من اجل الاتيان ، وليس كذلك في الآية ، لانه انما هو فعل واحد أمر ، واخبر انه يكون ، ولذلك اجمع القراء على رفع الذي في آل عمران في قوله « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »^(١) وقد أجاز الزجاج النصب على ان يكون جواباً ، وهو غلط . من رفع اراد أن نقول له كن ، فانه يكون . وقيل في معنى الآية قولان :

احدهما - انه بمنزلة قوله (كن) في انه يكون منا من غير كلفة ولا معاناة .

والثاني - ان قول « كن » تلامة للملائكة تلهم على انه سيحدث كذا وكذا عند سماعه .

قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا نُجْرُ الْأَخِرَةَ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (٤٢) آيتان بلا خلاف .

موضع « الذين » رفع بالابتداء ، والخبر « لنُبَوِّئَنَّهُمْ » يقول الله تعالى ان الذين هاجروا من ديارهم فرارا بدينهم ، واتباعا لنبينهم ، من بعد ان ظلمهم قومهم وآذوهم وبخسوم حقوقهم ، فان الله تعالى يبوئهم في الدنيا حسنة .

والتبوء الاحلال بالمكان للمقام ، يقال تبوأ منزلا يتبأوا اذا اتخذوه ، وبوأه غيره تبويئاً اذا احله غيره ، ومنه « بوأنا بني اسرائيل مبعوء صدق » (١) وقال ابن عباس وقتادة والشعبي: تبوأهم الله المدينة ، واحل لهم فيها غنيمة حسنة يأخذونها من اموال الكفار .

ثم اخبر ان ما اعدّه لهم من الأجر في الآخرة ونعيم الجنة اكثر من ذلك بكثير لو كانوا يعلمون . ثم وصف الذين هاجروا ، فقال الذين صبروا على جهاد اعدائهم واحتملوا الأذى في جنب الله واستدوا أمرهم اليه تعالى وتوكلوا عليه ، فمن كان بهذه الصفة يستحق ما ذكرناه ، ومن كان بخلافه لم يستحق منه شيئاً . وقيل : إن الآية نزلت في عمار وصهيب وأمثالهم الذين كانوا يعذبون بمكة .

قوله تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

(١) سورة ١٠ يونس اية ٩٣

الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) آيتان
بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ يقول له إنالم ترسل من قبلك إلا رجالاً
أمثالك من البشر «نوحى اليهم» أي يوحي الله اليهم . ومن قرأ بالنون ، وهو
حفص ، أراد نوحى نحن ، إخبار منه تعالى . ثم قال الله لهم « فاسألوا أهل
الذِّكْرَ إن كنتم لا تعلمون » صحة ما اخبرناكم به من أننا ارسلنا رجالاً قبلك
وأوحينا اليهم . وقال ابن عباس ومجاهد: المعنى بأهل الذِّكْرَ أهل الكتاب ومنهم
من قال : المراد من آمن من أهل الكتاب ، ومنهم من قال : امر مشركي العرب
ان يسألوا أهل الكتاب عن ذلك فانهم لا يتهمونهم . وقال ابن زيد: يريد أهل القرآن
لان الذِّكْرَ هو القرآن . وقال الرماني والازهري والزجاج : المعنى بذلك أهل
العلم بأخبار من مضى من الامم ، سواء كانوا مؤمنين او كفاراً ، وما آتاهم من الرسل
قال : وفي ذلك دلالة على انه يحسن ان يرد الحضم - اذا التبس عليه امر - الى أهل العلم
بذلك الشيء ان كان من أهل العقول السليمة من آفة الشبه .

والذِّكْرَ ضد السهو وسمي العلم بذلك ، لأنه منعقد بالعلم ، وهو بمنزلة السبب
المؤدى اليه في ذكر الدليل ؛ واذا تعلق هذا التعلق حسن ان يقع موقعه وينبئ
عن معناه .

وروى جابر عن ابي جعفر (ع) انه قال : (نحن أهل الذِّكْرَ) .
وقوله « بالبينات والزبر » العامل بالباء أحد امرين :
احدهما - قوله « أرسلنا » والتقدير ما ارسلنا قبلك إلا رجالاً بالبينات
نوحى اليهم .

الثاني - ان يكون على حذف (أرسلنا بالبينات) كما قال الأعشى :
وليس مجيراً إن أتى الحى خائف ولا قائل إلا هو المتعبياً^(١)

أي أعني المتعبيا ، ومثل الأول ، قول الشاعر :

نفتنهم عذبوا بالنار جارثهم وهل يعذب إلا الله بالنار^(١)

وقوله « بالبينات والزبر » اي بالدلالات الواضحات والكتب المنزلة . والزبر الكتب ، واحدها زبور ، يقال : زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته . ثم قال « وأنزلنا اليك » يا محمد « الذكر » يعني القرآن « لتبين للناس ما نزل إليهم » فيه من الاحكام والدلالة على توحيد الله ، لكي يتفكروا في ذلك ويعتبروا ، وانما قال « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً » مع انه أرسل قبله الملائكة ، لأن المعنى وما أرسلنا من قبلك الى الأمم الماضية إلا رجالاً بدلالة الآية ، لانها حجة عليهم في انكار رسول الله إلى الناس من الرجال .

قوله تعالى :

(أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي
تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ « أفأمن الذين مكروا بالنبي والمؤمنين ، وفعلوا السيئات واحتملوا الفعل القبيح ، على وجه الانكار عليهم ، فاللفظ لفظ الاستفهام ، والمراد به الانكار « أن يخسف الله بهم الارض » من تحتهم عقوبة لهم على كفرهم او يحيثهم العذاب من جهة ، لا يشعرون بها ، على وجه الغفلة « او يأخذهم في تقلبهم » وتصرفهم ، بأن يهلكهم على سائر حالاتهم ، حتى لا ينفلت منهم أحد ،

(١) تفسير الطبري ١٤ : ٦٩ وجمع البيان ٣ : ٣٦٢

فما هم بفائتين . والمعنى إن ما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه ما يريد منهم « او يأخذهم على تخوف » وقيل في معنى « تخوف » قولان :

احدهما - قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد : على تنقص بمعنى انه يؤخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم احد ، لان تلك حال يخاف معها الفناء ويتخوف معها الهلاك ، وقال الشاعر :

تخوف السير منها تاركاً قريراً
كما تخوف عود النبعة السفن^(١)

اي ينقص السير سنامها بعد تموكه ، كما ينحت العود فيدق بعد غلظه .
وقال الآخر :

تخوف عدرهم مالي وأهلي
سلاسل في الخلق لها صليل^(٢)

والثاني - روي عن ابن عباس - في رواية أخرى - ان معناه على تفزيع .
وقال الحسن : تهلك القرية فتخوف القرية الاخرى ، وقال الفراء : تخوفته ،
وتخوفته - بالحاء والحاء - إذا انتقصته من حافساته . ومثله « ان لك في النهار
سبحاً طويلاً »^(٣) بالحاء والحاء ، سمعت العرب تقول سبحي صوفك ، وهو شبيه
بالندف ، والسبخ مثل ذلك ، قال المبرد : لا يقال تخوفته ، وإنما هو تحيفته .

قوله تعالى :

(أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ
الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)) وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا

(١) قائله ابن مقبل ، اللسان (خوف) وتفسير الطبري ١٤ : ٧٠ وجمع البيان ٣ : ٣٦٣

(٢) تفسير الطبري ١٤ : ٧١ وجمع البيان ٣ : ٣٦٣

(٣) سورة المزمل آية ٧

يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
(٥٠) ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي وخلف « او لم تروا » بالتاء ، الباقون بالياء .
من قرأ بالتاء حملة على الجمع . ومن قرأ بالياء ، فعلى ما قبله ، من قوله « ان
يخسف الله بهم الأرض او يأتيهم... او يأخذهم » ، وكان النبي ﷺ وأصحابه رأوا
ذلك وتيقنوه ، فلذلك عدل عن الخطاب .

وقرأ ابو عمرو ويعقوب « تنفيؤا ظلاله » بالتاء . الباقون بالياء ، فمن أنت
فلتأنيث الظلال ، لانه جمع ظل ، فكل جمع مخالف الأدميين ، فهو مؤنث
تقول : هذه الاقطار وهذه المساجد . ومن ذكر ، فلأن الظلال وإن كان جمعاً ،
فهو على لفظ الواحد مثل (جدار) ، لان جمع التكسير يوافق الواحد .

يقول الله تعالى لهؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته ، وكذبوا نبيه ، على
وجه التنبيه لهم على توحيدهم « او لم يروا » هؤلاء الكفار « الى ما خلق الله » من
جسم قائم ، شجر او جبل او غيره ، فصير ظلاله فيثا اي تدور عليه الشمس
ثم يرجع الى ما كان قبل زوال الشمس عنه . وقال ابن عباس (يتقيئو) يرجع من
موضع الى موضع ويتميل ، يقال منه : فاء الظل يفيء فيثا إذا رجع ، وتقيئاً
يتقيئو تقيئاً بمعنى واحد .

وقوله « عن اليمين والشمال » معناه في اول النهار وآخره - في قول قتادة
والضحاك وابن جريج - يتقلص الفيء عن الجبل من جهة اليمين وينقص بالعشي
من جهة الشمال . وإنما قال عن اليمين - على التوحيد - والشمال - على الجمع -
لأحد أمرين :

احدهما - انه اراد باليمين الأيمان ، فهو متقابل في المعنى ، ويتصرف في
اللفظ على الایجاز ، كما قال الشاعر :

بفي الشامتين الصخر ان كان هديّ زرية شبلي مخدر في الضراغم^(١)
والمعنى بأفواه ، وقال آخر :
الواردون وتيم في ذرى سبأ قد عضّ اعناقهم جلد الجواميس^(٢)

وقوله « سجداً لله وهم داخرون » معناه إنها خاضعة لله ذليلة ، بما فيها من
الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبرها ، بما لولاه لبطلت ، ولم يكن لها قوام
طرفه عين ، فهي في ذلك كالساجد ، من العباد بفعله ، الخاضع بذاته ، كأنه من
بسط الشمس عليه في أول النهار . ثم قبضها عنه الى الجهة الأخرى . ثم قبضها
ايضاً عنه ، فتغيرت حاله . والتغيير يقتضي مغيراً غيراً ومدبراً دبره . قال
الحسن : اما ذلك فيسجد لله ، واما انت فلا تسجد لله ؟! بئس والله ما صنعت .
و (الداخر) الخاضع الصاغر ، دخر يدخر دخراً ودخوراً ، إذا ذل وخضع قال
ذو الرمة :

فلم يبق إلا داخر في نخيس ومنجحر في غير أرضك في جحر^(٣)
ثم أخبر تعالى انه يسجد له جميع « ما في السموات وما في الأرض » والسجود
هو الخضوع بالعبادة او الدعاء إلى العبادة ، فكل شيء من مقدوراته تعالى
يسجد بالدعاء إلى العبادة بما فيه من الآيّة ، الذي يقتضي الحاجة اليه تعالى ، وكل
محقّ من العباد فهو يسجد بالعبادة .

وقوله « من دابة » معنى (من) ههنا هي التي تبين ، تبين الصفة ، كأنه
قال وما في الارض الذي هو دابة تدبّ على الارض . وقوله « والملائكة » اي
وتسجد له الملائكة ، وتخضع له بالعبادة ، و « هم » يعني الملائكة ، غير مستكبرين ،

(١) مجمع البيان ٣: ٣٦٣ وتفسير الطبري ١٤: ٧٣ . وروايته :

بفي الشامتين ان كان هديّ ودية شبلي محدد في الضراغم

(٢) قائله جرير : ديوانه (دار بيروت) ٢٥٢ ، وتفسير الطبري ١٤: ٧٣ ومجمع البيان

٣: ٣٦٣ وروايته الديوان :

تدعوك تيم وتيم في قرى سبأ قد عضّ اعناقهم جلد الجواميس

(٣) اللسان (خيس) نسبه الى الفرزق خطأ

ولا طالبين بذلك التكبر بل مدعنين بالحق متذللين ، غير آنفين ، من الاذعان به .

« يخافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون » قيل في معناه قولان :

احدهما - يخافون عقاب ربهم من فوقهم ، لانه يأتي من فوق .

الثاني - انه لما وصف بأنه عالي ومتعال ، على معنى قادر ، لا قادر أقدر منه ، فقيل صفته في أعلى مراتب صفات القادرين ، حسن ان يقال « من فوقهم » ليدل على ان هذا المعنى من الاقتدار الذي لا يساويه قادر ، وقوله « ويفعلون ما يؤمرون » يعني الملائكة يفعلون ما يأمرهم الله به ، ولا يعصونه ، كما قال « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١)

قوله تعالى :

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِذَا يَافَى فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ) (٥٢) آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى ناهياً لعباده « لا تتخذوا إلهين اثنين » اي لا تعبدوا مع الله غيره ، فتشركوا بينها في العبادة .

ثم اخبر انه إله واحد لا اكثر منه ، لان لفظه (إنما) تفيد ثبوت الإله الواحد ، ونفي ما زاد عليه على ما بيناه فيما مضى .

وقوله « فأياي فارهبون » معناه ارهبوا عقابي وسخطي فلا تتخذوا معي إلهاً آخر ومعبوداً سواي .

وفي قوله « اثنين » بعد قوله « إلهين » قولان :

(١) سورة التحريم آية ٦

احدهما - أنه قال ذلك تأكيداً ، كما قال « إله واحد » تأكيداً .
والثاني - ان يكون المعنى لا تتخذوا إثنين إلهين ، فقدّم وأخّر وكلاهما
جائزتان .

وقوله « وله ما في السموات والارض » معناه انه يجب علينا ان نتقي عقاب
من يملك جميع ما في السموات والارض ، لانه مالك الضر والنفع .

ومعنى قوله « وله الدين واصباً » قال ابن عباس : يعني دائماً اي طاعته واجبة
على الدوام ، وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد ، ومنه قوله
« ولهم عذاب واصب »^(١) يقال منه : صبّ الدين يصب وصوباً ، ووصباً ، قال
أبو الاسود الدؤلي :

لا أبتغي الحمدَ القليل بقاؤه يوماً بدم الدهر أجمع واصباً^(٢)
وقال حسان :

غيّرتَه الريح نسفي به وهزيمٌ رعهده واصب^(٣)
والوصب الألم الذي يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة ، يقال : وصّب
الرجل يوصّبُ وصباً ، فهو وِصب قال الشاعر :

لا يغمز الساق من اين ولا وِصب ولا يعضّ على شرسوفه الصفر^(٤)
وقيل : المعنى وله الطاعة ، وان كان فيها الوصب ، وهو الشدة والتعب .

قوله تعالى :

(وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ
تَجْتَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ

(١) سورة الصافات آية ٩

(٢) تفسير الطبري ٧٤:١٤ وتفسير الشوكاني (الفتح القدير) ١٦٠:٣ ومجمع البيان ٣:٣٦٥

(٣) ديوانه (دار بيروت) ٢١ وتفسير الطبري ٧٤:١٤

(٤) تفسير الطبري ٧٤:١٤

يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
(٥٥) ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى لخلقه إن جميع النعم التي تكون بكم ولكم ، من صحة في جسم وسعة في رزق او ولد ، فكل ذلك من عند الله ، ومن جهته وبخلقه لها وبتمكينكم من الانتفاع بها . والفاء في قوله « فمن الله » قيل في معناه قولان :

احدهما - ان تكون (ما) بمعنى الذي ، وفيه شبه الجزاء ، كما قال تعالى « قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم »^(١) ويقول القائل : مالك هو لي ولا يجوز ان يقول مالك فهو لي ، لانه خبر ليس على طريق الجزاء .

والقول الثاني - على حذف الجزاء ، وتقديره ما يمكن بكم من نعمة فمن الله . وقوله « ثم إذا مسكم الضرّ فإليه تجأرون » معناه متى ما لحقكم ضرر وبلاء ، وألم ، وسوء حال ، تضرعون اليه تعالى بالدعاء ، وهو قول مجاهد . وأصل ذلك من جوار الثور ، يقال : جأر الثور يجأر جؤاراً إذا رفع صوته ، من جوع او غيره قال الاعشى :

وما أئبلي على هيكلي بناه وصلب فيه وصارا
يرواح من صلوات الملب لك طوراً سجوداً وطوراً جؤاراً^(٢)

وقال عدي بن زيد :

انني والله فاقبل حلفتي بابيل كلما صلى جأر^(٣)

وقوله « ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بريهم بشر كون » اخبار منه تعالى انه اذا كشف ضرر من يجأر اليه ويخضع له ، ويرفع البلاء عنه ، يصير - طائفة من الناس - بشر كون بريهم في العبادة جهلاً منهم بريهم ، ومقابلة للنعمة التي

(١) سورة الجمعة آية ٨

(٢) ديوانه (دار بيروت) ٨٤ واللسان (ابل) ذكر البيت الاول فقط

(٣) اللسان (ابل) وروايته (فاسم حلفي) .

هي كشف الضر بمعصية الشرك . وهذا غاية الجهل . وقوله « ليكفروا بما آتيناهم » اي ليكفروا بآيات إنعمنا عليهم ، ورزقنا إياهم ، فمعنى اللام في « ليكفروا » هو البيان عما هو بمنزلة العلة التي يقع لاجلها الفعل ، لانهم بمنزلة من اشركوا في العبادة ليكفروا بما أوتوا من النعمة ، كأنه لا غرض لهم في شركهم إلا هذا ، مع ان شركهم في العبادة يوجب كفر النعمة بتضييع حقها ، فالواجب في هذا ترك الكفر الى الشكر لله تعالى .

وقوله « فتمتعوا فسوف تعلمون » تهديد منه تعالى ، لان المعنى تمتعوا بما فيه معصية له تعالى ، فسوف تعلمون عاقبة امركم من العقاب الذي ينزل بكم ، وحذف لدلالة الكلام عليه ، وهو ابلغ .

قوله تعالى :

(وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَغْنَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) (٥٧) آياتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى إن هؤلاء الكفار « يجعلون لما لا يعلمون نصيباً » معناه إنهم يجعلون لما لا يعلمون انه يضر ، ولا ينفع « نصيباً مما رزقناهم » يتقربون اليه ، كما يجب ان يتقربوا الى الله تعالى ، وهو ما حكى الله عنهم في سورة الانعام « من الحرث والانعام » وغير ذلك « فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » (١) فجعلوا نصيباً لله ونصيباً للاصنام ، وهو قول مجاهد وقتادة وابن زيد . ثم أقسم تعالى فقال « تالله لتسئلن » سؤال التوبيخ ، لا سؤال الاستفهام « عما كنتم تعملون » في دار الدنيا لتلزموا به الحجة وتعاقبوا بعد اعترافكم على انفسكم . وانما كانت

سؤال التوبيخ ، لانه لا جواب لصاحبه الا ما يظهر به فضيحتهم .

(١) سورة الانعام اية ١٣٦

(٢) سورة الانعام اية ١٣٦

ثم اخبر تعالى عنهم بأنهم يجعلون لله البنات ، لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله ، كما قال تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا » (١) فقال تعالى تنزيهاً لنفسه عما قالوه « سبحانه » اي تنزيهاً له عن اتخاذ البنات .
وقوله « ولهم ما يشتهون » (ما) في قوله « ولهم ما » يحتمل وجهين من الاعراب :

احدهما - أن يكون في موضع نصب ، والمعنى ويجعلون لهم البنين الذين يشتهون .
والثاني - ان يكون في موضع رفع والتقدير ولهم البنون ، على الاستئناف .

قوله تعالى :

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلْأَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَرَبِّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفار الذين جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين . انهم متى بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت « ظل وجهه مسوداً » أي يتغير لذلك وجهه و(ظل) يقال لما يعمل صدر النهار ، يقال : ظل يفعل كذا ومثله أضحى ، غير إنه كثير ، فصار بمنزلة قولهم : أخذ يفعل ، تقول : ظلت أظل ظلولا ، ذكره الفراء .

وقوله « وهو كظيم » قال ابن عباس : معناه وهو حزين . وقال الضحاك :

كثيب ، وهو المغموم الذي يطبق فاه ، ولا يتكلم للغم الذي به ، مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة .

وقوله « يتواري من القوم » أي يختبئ ، ويختفي من القوم « من سوء ما يشربه » من الانثى ، تميل نفسه بين أن « يمسكه على هون » أي على هوان ومشقة ، ومنه قوله « عذاب الهون »^(١) وهي لغة قريش ، قال الشاعر :

فلست بوقاف على هون^(٢) .

وقال الخطيبنة :

فلما خشيت الهون والعبير ممسك على رغمة ما أثبت الخيل حافره^(٣)

وبعض تميم يجعلون الهون من الشيء اللين ، قال سمعت من بعضهم إن كان لقليل فهو هون المؤنة ، فاذا قالوا أقبل يمشي على هون ، لم يقولوا إلا بفتح الهاء ، ومنه قوله « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا »^(٤) قال المبرد : الهون بضم الهاء لا أعرفه في الرفق ، وإنما هو بفتح الهاء ، كما يقال : سر عليه هونا أي رفقاً « أم يدسه في التراب » أي هو يميل بين إمساكه على مذلة أو دفنه حيناً في التراب . ثم أخبر تعالى فقال « ألا ساء ما يحكون » أي بئس الحكم الذي يحكون ، يجعلون لنفوسهم ما يشتهون ، ويجعلون لله ما يكرهونه !! .

ثم قال تعالى « للذين لا يؤمنون » أي لا يصدقون بالبعث والنشور والدار الآخرة « مثل السوء . والله المثل الأعلى » أي لهم بذلك وصف سوء ، والله الوصف الأعلى ، من اخلاص التوحيد ، ولا ينافي هذا قوله « فلا تضربوا لله الامثال »^(٥) لانه بمعنى الامثال التي توجب الاشباه ، فأما الامثال التي يضربها الله للناس لما فيها من الحكمة من غير تشبيه له تعالى بخلقه ، فحق وصواب ، كما قال تعالى « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون »^(٦) قال الرماني : وفي الآيات دلالة

(١) سورة الانعام آية ٩٣ وسورة الاحقاق آية ٢٠

(٢) لم أجده فيما رجعت اليه

(٣) مجمع البيان ٣/٣٦٦

(٤) سورة الفرقان آية ٦٣

(٥) سورة النحل آية ٧٤

(٦) سورة العنكبوت آية ٤٣

على انه لا يجوز ان يضاف اليه تعالى الأدون بدلا من الأصلح ، لان اختيار الأدون على الأصلح صفة نقص ، وقد عابهم الله بإضافة ما لا يرضونه لنفوسهم الى ربهم ، وهو قولهم : الملائكة بنات الله ، فكسا لا يرضى الانسان لنفسه النقص الذي فيه ، فهو ينفيه عنه ، وعظاء الناس واجلاؤهم يرفعون نفوسهم عن صفات الادنى ، دون العليا ، فينبغي ان ينزه تعالى عن مثل ذلك .
وقوله « وهو العليم الحكيم » معناه عالم بوضع الاشياء في مواضعها ، حكيم في انه لا يضعها الا في ما هو حكمة و صواب .

قوله تعالى :

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ
أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهٗمُ
مُفْرَطُونَ (٦٢) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ نافع « مفرطون » بكسر الراء والتخفيف ، من الافراط في الشيء اي الاسراف ، بمعنى انهم مسرفون . وقرأ ابو جعفر مثل ذلك بالكسر غير انه شدد الراء من التفريط في الواجب . وقرأ الباقر بفتح الراء والتخفيف ، ومعناه انهم متروكون في النار منسيون فيها - في قول قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك - وقال الحسن وقتادة - في رواية اخرى - ان المعنى انهم مقدمون بالاعجال الى النار ، وهو من قول العرب : افرطنا فلان في طلب الماء ، فهو

مفرط اذا قدم لطلبه ، وفرط فهو فارط اذا تقدم لطلبه ، وجمعه فرّاط ، قال القطامي :

واستمجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجل فرّاط لورّاد^(١)

ومنه قول النبي ﷺ (انا فرطكم على الحوض) اي متقدمكم وسابقكم حتى تردوه . ومنه يقال في الصلاة على الصبي الميت : اللهم اجعله لنا ولأبويه فرطاً . وروي عن النبي ﷺ انه قال : (انا والنبيون فرّاط العاصين) اي المذنبين ، والتأويل الاول من قول العرب : ما أفرطت ورائي احداً اي ما خلفت ولا تركت . والمعنى يرجع الى التقدم اي ما تقدمت احداً ورائي .

اخبر الله تعالى انه لو كان ممن يؤاخذ الكفار والعصاة بذنوبهم ، ويعاجلهم بعقوباتهم واستحقاق جنائياتهم وظلمهم « لما ترك » على وجه الارض احداً ممن يستحق ذلك من الظالمين . وانما يؤخرهم تفضلاً منه ليراجعوا التوبة ، او لما في ذلك من المصلحة لباقي المكلفين والاعتبار بهم ، فلا تغفروا بالامهال ، انكم مثلهم في استحقاق العقاب على ظلمكم . وقيل في وجه تعميمهم بالهلاك مع ان فيهم مؤمنين قولان :

احدهما - ان الاهلاك وان عمهم فهو عذاب الظالم دون المؤمن ، لان المؤمن يعرض عليه .

الثاني - ان يكون ذلك خاصة . والتقدير ما ترك عليها من دابة من اهل الظلم . وقيل ان المعنى انه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الابناء .

وقوله « ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى » يعني الاجل الذي قدره لموتهم وهلاكهم ، فاذا جاء ذلك الاجل ، لا يتقدمون عليه لحظة ولا يتأخرون . وقوله « عليها » يعني على الارض لدلالة قوله « ما ترك عليها من دابة » اي دابة عليها لأنها تدب على الأرض .

وقوله « يجعلون لله ما يكرهون » يعني يضيفون الى الله البنات مع كراهية

(١) تفسير الشوكاني (الفتح القدير) ١٦٥/٣ وتفسير الطبري ٧٩/١٤ واللسان (عجل)

ذلك لنفوسهم «وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى» فقول (ان) بدل من الكذب ، وموضعه نصب . وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال الحسن : فيما حكاه الزجاج : ان لهم الجزاء الحسنى .

الثاني - قال مجاهد : ان لهم البنين مع جعلهم لله البنات اللاتي يكرهونهن .

ثم قال تعالى « لا جرم أن لهم النار » ومعناه حقاً أن لهم النار ، في اقوال المفسرين . وقيل : معناه لا بد ان لهم النار ، فجرم على هذا اسم ، كأنه قال : قطع ان لهم النار وقال بعضهم « جرم » فعل ماض و (لا) ردّ للكلام متقدم ، فكأنه قيل : قطع الحق أن لهم النار . وقيل : وجب قطعاً ان لهم النار . وقيل : كسب فعلهم أن لهم النار ، وانهم مفرطون مقدمون ومعجلون الى النار . وقال الخليل : « لا جرم » لا يكون الا جواباً ، تقول : فعلوا كذا وكذا ، فيقال : لا جرم انهم سيندمون قال الشاعر :

ولقد طمنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا^(١)

اي بعثتهم على ذلك ومثله «لا يجر منكم شقائي»^(٢) اي لا يبعثكم عداوتي «على ان يصيبكم» ومثله «لا يجر منكم شأن قوم على ان لا تعدلوا»^(٣)

ثم اقسم تعالى ، فقال « لقد ارسلنا » يعني رسلاً إلى امم من قبلك يا محمد « فزين لهم الشيطان اعمالهم » يعني كفرهم وضلالهم وتكذيب رسل الله زينه الشيطان لهم .

وقوله « فهو وليهم اليوم » قيل في معناه قولان :

احدهما - انه ناصرهم في الدنيا ، لأنه يتولى اغواءهم وسبب هلاكهم « ولهم عذاب اليم » يوم القيامة .

الثاني - انه يوم القيامة وليهم ، لأنه لا يمكنه ان يتولى صرف المكروه عن

(١) مر هذا البيت في ٤٢٣/٣ ، ٤٧٣/٥ ، ٥٣٤٠

(٢) سورة هود آية ٨٩ (٣) سورة المائدة آية ٩

نفسه ، فكيف يتولى صرفه عنهم .

ثم اخبر تعالى ان لهم عنده عذاباً أليماً موجعاً مؤلماً جزاء على كفرهم ومعاصيهم .

قوله تعالى :

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ إننا « ما أنزلنا عليك الكتاب » يعني القرآن « إلا » وأردنا منك ان تبين « لهم » وتكشف لهم « الذي اختلفوا فيه » من دلالة التوحيد والعدل وصدق الرسل وما أوجبت فيه من الحلال والحرام « وهدى ورحمة » اي أنزلته هدى ودلالة على الحق لقوم يؤمنون . « وهدى ورحمة » نصب على انه مفعول له ، ويجوز ان يكون رفعا على الابتداء ، وانما اضافه الى المؤمنين خاصة لانتفاعهم بذلك ، وان كان دليلاً وحجة للجميع ، كما قال في موضع آخر « هدى للمتقين » (١) وقال « انما انت منذر من يخشاها » (٢) وان اذر من لم يخشاها .

ثم اخبر تعالى على وجه ، « من نعمه على خلقه » ، فقال « والله » المستحق للعبادة هو الذي « انزل من السماء ماء » يعني غيثاً ومطراً « فأحيا به » يعني بذلك الماء « الأرض بعد موتها » اي احياها بالنبات بعد جدوها وقحطها ، ففي ذلك اعظم دلالة واجل آية « لقوم يسمعون » ذلك ويفكرون فيه ويعتبرون به .

(١) سورة البقرة آية ٢

(٢) سورة النازعات آية ٥

قوله تعالى :

(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْتَلُونَ) (٦٧) آيتان بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم « نسقيكم » بفتح النون الباقون بضمها . والفرق بين اسقيننا وسقيننا أن معنى اسقيننا جعلناه شراباً دائماً من نهر أو لبن أو غيرهما ، وسقيننا شربة واحدة ، ذكره الكسائي قال ليبيد :

سقى قومي بني مجد وأسقى نُميراً والقبائل من هلال (١)

فعلى هذا هما لغتان ، والأظهر ما قال الكسائي . عند اهل اللغة . وقال قوم : سقيته ماء كقوله « وسقاهم ربههم شراباً طهوراً » (٢) واسقيته سألت الله ان يسقيه وانشد لذي الرمة :

وقفت على ربيع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبشهُ تكلمني أحجاره وملاعبه (٣)

وقيل ان ما كان من الأنهار وبطون الأودية ، فبالضم . وقال ابو عبيدة : إذا سقاه مرة يقال سقيته ، واذا سقاه دائماً يقال أسقيته .

يقول الله تعالى لخلقه المكلفين « إن لكم في الانعام » يعني الابل والبقر والغنم « لعبرة » ودلالة لأننا « نسقيكم مما في بطونه » وقيل في تذكيره ثلاثة اقوال :

«١» ديوانه ١ : ١٢٨ ونوادير ابي زيد ٢١٣ ومجاز القرآن ١ : ٣٥٠ واللسان والتاج « سقى » ومجمع البيان ٣ : ٣٧٠ .

«٢» سورة الدهر اية ٢١

«٣» ديوانه ٢١٣ ونوادير ابي زيد ٢١٣ والمحسن والاضداد للجاحظ ٣٣٥ ومجمع البيان ٣ : ٣٣٣ ، ٣٥٩ وتفسير الطبري ١٤ : ١٤ والتاج واللسان « سقى » .

احدها - انه ردّ الى واحد . لان النعم والانعام بمعنى ، قال سيبويه : والاسم الواحد يبيء على (افعال) يقال هو الانعام . قال تعالى « في بطونه » ذهب الى أنه اسم واحد بلفظ الجمع ، كما أن الخيل اسم مؤنث ، لا واحد له ، والنعم اسم مذكر للجماعة ، لا واحد له ، وقال الراجز :

وطاب ألبان اللقاح فبرد^(١)

رده الى اللبن .

الثاني - انه حمل على المعنى ، والتقدير بطون ما ذكرنا ، كما قال الصلتان

العبدى :

إن الساحة والمرؤة ضمنا قبرا بمرؤ في الطريق الواضح^(٢)
كأنه قال شيطان ضمنا .

الثالث - لأنه في موضع (اي) كأنه قال « نسقيكم مما في بطونه » اي من اي الانعام وكان في بطونه اللبن ، لأنه ليس كلها مما فيه لبناً .

وقوله « من بين فرث ودم لبناً خالصاً » فالفرث الثفل الذي ينزل الى الكرش فيبين انه تعالى يخرج ذلك اللبن الصافي ، اللذيذ ، المشهى من بين ذلك ، وبين الدم الذي في العرق النجس « سائغاً للشاربين » أي مريئاً لهم لا ينفرون منه ، ولا يشرقون بشربه ، وذلك من عجيب آيات الله ولطف تدبيره وبديع حكمته ، الذي لا يقدر عليه غيره ، ولا يتأتى من احد سواه .

ثم قال « ومن ثمرات » وهو جمع ثمرة ، وهو ما يطعمه الشجر ، ما فيه اللذة والثمرة خاصة طعم الشجر مما فيه اللذة يقال : اثمرت الشجرة إثماراً اذا حملت كالنخلة والكرمة وغيرهما من اصناف الشجر .

وقوله « يتخذون منه سكرأ » قيل في معنى السكر قولان :

(١) تفسير الطبري ١٤ : ٨١ واللسان (جبه) ، (خرت) وقبله :
اذا رأيت انجماً من الاسد جبهته او الحرات والكتد
بال سهيل في الفضيخ ففسد وطاب ألبان اللقاح فبرد
(٢) تفسير الطبري ١٤ : ٨١ وجمع البيان ٣ : ٣٧٠ .

احدهما - تتخذون منه ما حل طعمه من شراب او غيره ، ذكره الشعبي وغيره .

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وأبي رزين والحسن ومجاهد وقتادة: ان السكر ما حرم من الشراب ، والرزق الحسن ما حل منه . والسكر في اللغة على اربعة اقسام : احدها ما اسكر ، والثاني ما طعم من الطعام كما قال الشاعر:

جعلت عيب الاكرمين سكرا^(١)

اي طعماً ، الثالث السكون قال الشاعر :

وجعلت عين الحرور تسكر^(٢)

والرابع ، المصدر من قولك سكر سكرأ ، واصله انسداد المجاري بما يلقي فيها ، ومنها السكر . وقوله « منه » الكناية راجعة الى محذوف ، قال قوم : تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه ، فالهاء كناية عن (ما) المحذوفة وقال آخرون : تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب شيء تتخذون منه .

وقد استدل قوم بهذه الآية على تحليل النبيذ بأن قالوا: امتن الله علينا به وعده من جملة نعمه علينا أن خولنا الثمار نتخذ منها السكر ، والرزق الحسن . وهو لا يمتن بما هو محرم . وهذا لا دلالة فيه لأمر :

احدها - انه خلاف ما عليه المفسرون ، لأن احداً منهم لم يقل ذلك ، بل كل التابعين من المفسرين ، قالوا: اراد ما حرم من الشراب ؛ وقال الشعبي منهم: انه اراد ما حل طعمه من شراب وغيره .

والثاني - إنه لو اراد بذلك تحليل السكر ، لما كان لقوله « ورزقاً حسناً » معنى ، لأن ما احله واباحه ، فهو ايضاً رزق حسن ، فلم فرق بينه وبين الرزق الحسن والكل شيء واحد؟؟ وانما الوجه فيه انه خلق هذه الثمار لتنتفعوا بها

(١ - ٢) تفسير الشوكاني ٣ : ١٦٨ وتفسير الطبري ١٤ : ٨٤ (واللسان سكر)

فاتخذتم انتم منها ما هو محرم عليكم ، وتركتم ما هو رزق حسن . واما وجه المنسة فبالامرین معاً ثابتة ، لأن ما اباحه واحله فالمنسة به ظاهرة لتعجل الانتفاع به وما حرمه الله فوجه المنسة ايضاً ظاهر به ، لانه إذا حرّم علينا ، ووجب الامتناع منه ضمن في مقابله الثواب الذي هو اعظم النعم ، فهو نعمة على كل حال .

والثالث - اذا كان مشتركاً بين المسكر وبين الطعم ، وجب أن يتوقف فيه ولا يحمل على احدهما إلا بدليل ، وما ذكرناه يجمع على أنه مراد ، وما ذكره ليس عليه دليل ، على انه كان يقتضي ان يكون ما اسكر منه يكون حلالاً ، وذلك خلاف الاجماع ، لانهم يقولون : القدر الذي لا يسكر هو المباح ، وكان يلزم على ذلك أن يكون الخمر مباحاً ، وذلك لا يقوله احد ؛ وكذلك كان يلزم ان يكون النقيع حلالاً ، وذلك خلاف الاجماع .

وقوله « إن في ذلك لآية لقوم يعقلون » معناه إن فيما ذكره دلالة ظاهرة للذين يعقلون عن الله ويتفهمون ويفكرون فيه .

قوله تعالى :

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٦٩) آيتان بلا خلاف .

قرىء « يعرشون » بضم الراء وكسرهما ، وهما لغتان ومعناه : وما بينونه من السقوف . وقال ابن زيد : يعني الكروم ، قال ابن عباس ومجاهد : يعني « ووحى ربك الى النحل » ألهمها الهاماً ، وقال الحسن : جعل ذلك في غراثرها اي ما

يخفى مثله عن غيرها ، وذلك ايجاء في اللغة . وقال ابو عبيد : (الوحي) على وجوه في كلام العرب : منها وحي النبوة ، ومنها الإلهام ، ومنها الإشارة ، ومنها الكتاب ، ومنها الأسرار :

فالوحي في النبوة ما يوحي الله إلى الانبياء ، كقوله « إلهاماً وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه » (١)

والوحي بمعنى الإلهام ، قوله « واوحى ربك إلى النحل » وقوله « وارحينا إلى ام موسى » (٢) وفي الارض « بأن ربك اوحى لها » (٣)

ووحي الإشارة كقوله « فأوحى اليهم أن سبحوا » (٤) قال مجاهد : اشار اليهم ، وقال الضحاك : كتب لهم .

واصل الوحي عند العرب هو إلقاء الانسان إلى صاحبه ثيابا للاستتار والاختفاء .

ووحي الأسرار مثل قوله « يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » (٥) فاما ما روي عن ابن عباس انه قال : لا وحي إلا القرآن اراد ان القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ ، دون ان يكون انكر ما قلناه . ويقال : أوحى له وأوحى اليه قال العجاج :

أوحى لها القرار فاستقرت (٦)

قال المبرد : ما روي عن ابن عباس إنما قاله لما سئل عما كان وضعه المختار وسماه الوحي ، فقال ابن عباس : لا وحي إلا القرآن جراباً عما أحدثه المختار وادعى تنزيهه اليه .

وواحد « النحل » نحلة ، والمعنى ان الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المساكن والادكار ، والبيوت في الجبال ، وفي الشجر وغير ذلك « ومما يعرشون » يعني

(٢) سورة القصص آية ٧

(٤) سورة مريم آية ١١

(١) سورة الشورى آية ٥١

(٣) سورة الزلزال آية ٥

(٥) سورة الانعام آية ١١٢

(٦) مر هذا الرجز في ٢ : ٤٥٩ ، ٣ : ١٤ ، ٤ : ٦١

سقوف البيوت « ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً » معناه انه تعالى ألهمها ايضاً أن تأكل من الثمرات وسائر الاشجار التي تحويها ؛ والذلل جمع ذلول ، وهي الطرق الموطأة للسلوك . وقيل : طرق لا يتوَعَّر عليها سلوكها عن مجاهد . وقال قتادة : معنى « ذللاً » اي مطيعة ، ويكون من صفة النحل . وقال غيره : هو من صفات الطريق ومعنى « ذللاً » إنه قد ذللم لك وسهل عليك سلوكها وفي ذلك اعظم العبر واطهر الدلالة على توحيدته تعالى وأنه لا يقدر عليه سواه .

ثم قال « يخرج من بطونها » يعني بطون النحل « شراب مختلف ألوانه » من أصفر وأبيض وأحمر ، مع أنها تأكل الحامض والمر فيحيله الله عسلاً حلواً لذيذاً « فيه شفاء للناس » لما شفاؤها فيه ، واكثر المفسرين على ان (الهاء) راجعة إلى العسل ، وهو الشراب الذي ذكره ، وأن فيه شفاء من كثير من الأمراض ، وفيه منافع جمة . وقال مجاهد (الهاء) راجعة إلى القرآن « وفيه شفاء للناس » ، لما فيه من بيان الحلال ، والحرام ، والفتيا ، والأحكام ، والأول أوثق .

ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره آيات واضحات ، ودلالات بينات ، لمن يتفكر فيه ويهتدي بهديه ، وانها قال « من بطونها » وهو خارج من فيها ، لان العسل يخلقه الله في بطون النحل ويخرجه إلى فيه . ثم يخرج من فيه ، ولو قال : من فيها لظن أنها تلقيه من فيها ، وليس بخارج من البطن .

قوله تعالى :

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُورِ
لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (٧٠) آية بسلا
خلاف .

هذه الآية فيها تعديد لنعم الله تعالى على عباده ، شيئاً بعد شيء ، ليشكروه عليها ، وبحسبها يقول الله : إني أنا الذي خلقتكم وأخرجتكم من العدم إلى الوجود

وأنعمت عليكم بضروب النعم ، دينية ودنياوية ، ثم الذي خلقكم بتوفاكم ويقبضكم أي يميتكم « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » وهو أرداه وأوضعه ، يقال منه : رذل الشيء يردل رذالة ، وأرذلته انا أرذالاً يريد به حال الذم . وقيل انه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة - في قول علي (ع) .

وقوله « لكي لا يعلم بعد علم شيئاً » اخبار منه تعالى انه إنما يردّه إلى أرذل العمر ، ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علم للكبير ، فكأنه لا يعلم شيئاً ، مما كان علم . وفي ذلك أعظم دلالة وأبين اعتبار على قادر مصرف للخلق من حال إلى حال . ثم أخبر « ان الله عليم » بمصالح عباده ، قادر على ما يشاء من تدبيرهم وتغيير أحوالهم .

قوله تعالى :

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (٧١) آية بلا خلاف .

قرأ أبو بكر عن عاصم « تجحدون » بالثاء على معنى : قل لهم يا محمد أمن أجل ما انعم الله عليكم ، أشرتهم وبطرتهم وجحدتم . وقرأ الباقون بالياء .

وتجهم الله تعالى على جحودهم نعمه ، فيقول الله تعالى خلقه ، بأنه فضل بعضهم على بعض في الرزق ، لانه خلق فيهم غنيماً وفقيراً وقادراً وعاجزاً ، وفضل بني آدم على سائر الحيوان في لذيق المأكول ، والمشرب ، وجعل بعضهم مالكا لبعض ، وبعضهم رقاً لمملوكا .

وقوله « فما الذين فضلوا برأدي رزقهم على ما ملكت ايمانهم » قيل في معناه

قولان :

احدهما - انهم لا يشركون عبيدهم في اموالهم وازواجهم حتى يكونوا فيه

سواء ، لانهم لا يرضون بذلك لانفسهم ، وهم يشركون عبيدي في ملكي وسلطاني ويوجهون العبادة والقربات اليهم ، مثل قريهم الى الله تعالى . ذكره ابن عباس وقتادة ومجاهد .

الثاني - انهم سواء في أني رزقت الجميع ، وأنه لا يمكن احد أن يرزق عبيده إلا برزقي إياه ، أفبهذه النعم التي عددها وذكرتها « يحددون » هؤلاء الكفار .

قوله تعالى :

(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَجَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) (٧٢) آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى: إني أنا الذي جعلت لكم ازواجاً « من انفسكم » يعني من البشر ، والذين يلدونهم ليكون ذلك آنس لهم وألبق بقلبيهم ، وخلقتم من هؤلاء الأزواج بنين تسرون بهم وتترينون بهم و « جفدة » اي وخلق لكم حفدة . وقيل في معناه اقوال :

قال مجاهد وطايروس : هم الخدم ، وقال ابن عباس : هم الخدم والاعوان ، وانشد قول جميل :

حفد الولائد حولها واستمسكت بأكفهن أزمة الأجمال (١)

وفي رواية اخرى عن ابن عباس : إنهم البنون وبنو البنين . وفي رواية اخرى أنهم بنو امرأة الرجل من غيره . وقال الحسن : من أعانك ، فقد حفدك من

(١) تفسير الطبري ٨٨/١٤ ، ٨٩ رواه مرتين مع اختلاف يسير ، وجمع البيان ٣/٣٨٣ . ولم أجده في ديوان جميل بثينة ، (دار بيروت) وهو في اللسان (حفد) غير منسوب وروايته (حولهن واسلت) بدل (وحولها واستمسكت) .

البنين وبني البنات والاعوان والاهل . وقال ابن مسعود ، وابوالضحى ، وابراهيم وسعيد بن جبير : هم الاختان ، وهم ازواج البنات .

وأصل الحفد الاسراع في العمل ، ومنه يسعى ويحفد ، ومر البعير يحفد حفداناً إذا مر يسرع في سيره ، وحفد يحفد حفداً وحفداناً ، قال الراعي :
كلفت مجهولها نوقاً يمانية إذا الحدأة على أكسائها حفدوا^(١)

والحفدة جمع حافد ، مثل كامل وكملة . وقوله « ورزقكم من الطيبات » اي جعل لكم أشياء تستطيبونها وأباحها لكم .

وانما دخلت (من) لانه ليس كل ما يستطعمه الانسان رزقاً له ، وانما رزقه ما له التصرف فيه ، وليس لغيره منعه منه .

ثم قال « أفعالباطل » يعني عبادة الأوثان والاصنام ، وما حرم عليهم الشيطان من البحائر والسائبة والوصيلة يصدقون ، وبنعمة الله التي عددها لهم « يكفرون » اي يحددون ما أحله الله ، وما حرم عليهم .

قوله تعالى :

(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٧٤) آيتان بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يحددون نعم الله ، بأنهم يوجهون عبادتهم من دون الله إلى « ما لا يملك لهم رزقاً » أي لا يقدر عليه ، يعني بها الأصنام التي لا تقدر لهم على نعمة ، ولا على ما يستحق به العبادة ، ولا على

(١) تفسير الطبري ٩٠/١٤ ومجمع البيان ٣٧٣/٣ واللسان (كسأ) وروايته (الحداد) بدل

(الحدأة) ،

رزق يرزقونهم من السموات والأرض ، ولا يستطيعون شيئاً مما ذكرنا. ويتركون عبادة من يقدر على جميع ذلك ويفعله بهم ، ورزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ، ورزق الأرض النبات والثمار التي تخرج منها .
وقوله «فلا تضربوا الله الأمثال» معناه لا تجعلوا الله الأشباه والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ، ولا أحد يستحق معه العبادة ، وذلك في اتخاذهم الأصنام آلهة ، ذكره ابن عباس وقتادة .

وقوله « شيئاً » نصب على أحد وجهين :

أحدهما - أن يكون بدلاً من (رزقاً) والمعنى ما لا يملك لهم رزقاً قليلاً ، ولا كثيراً .

والثاني - أن يكون منصوباً بـ « رزقاً » كما قال « أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً »^(١) كأنه قال لا يملك لهم رزق شيء .

وقوله « ان الله يعلم » أي يعلم أنه لا تحق العبادة إلا له « وأنتم لا تعلمون » ذلك بل تجهلون ، ولكن يجب عليكم أن تنظروا لتعلموا صحة ما قلناه .

قوله تعالى :

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٧٥) آية بلا خلاف .

قيل في معنى هذه الآية قولان :

أحدهما - أنه مثل ضرب للكافر الذي لا خير عنده ، والمؤمن الذي يكتسب الخير ، للدعاء إلى حال المؤمن ، والصرف عن حال الكافر ، وهو قول ابن عباس وقتادة .

الثاني - قال مجاهد : إنه مثل ضربه لعبادتهم الأوثان التي لا تملك شيئاً ، والعدول عن عبادة الله الذي يملك كل شيء ، والمعنى أن الإثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما قادراً على الإنفاق مالاً ، والآخر عاجزاً لا يقدر على الإنفاق لا يستويان ، فكيف يسوّى بين الحجارة التي لا تتحرك ، ولا تعقل ، وبين الله تعالى القادر على كل شيء ، الرازق لجميع خلقه ، فبين بذلك لهم أمر ضلالتهم وبعدهم عن الحق في عبادة الأوثان . ثم قال « الحمد لله » أي الشكر له تعالى ، على نعمه ، لا يستحقه من لا نعمة له ، « ولكن أكثرهم لا يعلمون » ذلك . وفي هذه الآية دلالة على أن المملوك لا يملك شيئاً ، لأن قوله « مملوكاً لا يقدر على شيء » ليس المراد به نفي القدرة ، لأنه قادر على التصرف ، وإنما المراد أنه لا يملك التصرف في الأموال ، وذلك عام في جميع ما يملك ويتصرف فيه .

قوله تعالى :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٧٦) آية بلا خلاف .

قيل في معنى ضرب هذا المثل قولان :

أحدهما - انه مثل ضربه الله في من يؤمل الخير من جهته ، وفي من لا يؤمل ؛ فيؤمل الخير كله من الله تعالى ، لا من جهة الأوثان والعباد ، فلا يذنب أي أن يسوّى بينها في العبادة .

الثاني - انه مثل للكافر والمؤمن ، ووجه التقابل في ضرب المثل بهذين الرجلين أنه على تقدير : ومن هو بخلاف صفته « يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » في تدبير الأمور بالحق ، وهذا زيادة في ضرب المثل من الله تعالى ، فإنه يقول : ان الرجلين إذا كان أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ، وهو الذي لا يسمع

شيئاً ولا يبصر ، ولا يعقل ، وهو مع ذلك « كلُّ على مولاه » أي وليته « أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل » مع كونه « على صراط مستقيم » والمراد أنها لا يستويان قط . والأبكم الذي يولد أخرس لا يفهم ولا يفهم . وقيل : أنه ضرب المثل للوثن مع إنهاكهم على عبادته ، وهو بهذه الصفة . وقيل : الأبكم هو الذي لا يمكنه أن يتكلم . والكتل الثقل : كلُّ عن الأمريكل كلاً إذا ثقل عليه ، فلم ينبعث فيه ؛ وكلت السكين كلولا إذا غلظت شفرتها ، وكل لسانه إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده ، فالأصل الغلظ الذي يمنع من النفوذ في الأمر .

وقوله « وهو على صراط مستقيم » أي هو مع أمره بالعدل ، على طريق من الحق في دعائه إلى العدل فأمره به مستقيم لا يعوج ولا يزول عنه .

قوله تعالى :

(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ
الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧) وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٧٨) آيتان بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أن له غيب السموات والأرض ومعناه أنه المختص بعلم ذلك ، وهو ما غاب عن جميع العالمين ، مما يصح أن يكون معلوماً ، فإنه تعالى يختص بالعلم به وقال الجبائي : ويحتمل أن يكون المعنى ، والله ملك ما غاب مما في السموات والأرض . ثم قال « وما أمر الساعة » أي مجيئها وهي يوم القيامة ، في السرعة وقرب المجيء ، « إلا كلمح البصر أو هو أقرب » من ذلك مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ، وأنه قادر عليه . ودخول « أو » في قوله « أو هو أقرب » لأحد أمرين .

أحدهما - الإبانة عن أنه ، على إحدى منزلتين إما كلمح بالبصر أو اقرب من ذلك .

والثاني - انه قال ذلك لشك المخاطب ، وإنما قرب امرها ، لأنه بمنزلة « كن فيكون » فمن ههنا صح انها كلمح البصر او اقرب ، ثم ذكر نعمه التي انعم بها على خلقه ، فقال « هو » تعالى « الذي اخرجكم من بطون امهاتكم » وانعم عليكم بذلك وانتم في تلك الحال « لا تعلمون شيئاً » ولا تعرفونه ، فتفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طريق العلم بالمدركات ، وجعل لكم قلوباً تفقهون بها الأشياء ، لأنها محل المعارف ، لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه على نعمه .

قوله تعالى :

(أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا
أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظَلَالًا وَجَعَلَ
لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْمِكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَاهِمُونَ) (٨١) ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ نافع وابن كثير وابو عمر «ويوم ظعنكم» بتحريك العين. الباقيون بتسكينها وهما لغتان ، مثل نهر ونهر ، وسمع وسمع . وقرأ ابن عامر وحمزة وخلف ويعقوب «ألم تروا» بالياء على الخطاب . الباقيون بالياء على وجه التذكير لما تقدم ذكره ، والتنبيه لهم .

يقول الله تعالى منبهاً خلقه على وجه الاستدلال على وحدانيته « ألم يروا » يعني هؤلاء الكفار الجاحدين لربوبيته « الى الطير » قد سخرها الله « في جو السماء » وسط الهواء، حتى مكنها ان تتصرف في جو السماء على حسب إرادتها، ويعلمون أن لها مسخراً ومدبراً، لا يشبه الاشياء، لان من المعلوم ان احداً من البشر لا يقدر على مثل ذلك، ولا يتأتى منه ذلك، وأن من مكن الطير من تلك الحال قد كان يجوز ان يمكنها منه ابتداء واختراعاً، من غير اسباب ادت الى أن صارت على تلك الأوصاف، لأنه قادر لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه شيء، وأنه إنما خلق ذلك ليعتبروا به وينظروا فيه، فيصلوا به الى الثواب الذي عرّضهم له، ولو كان فعل ذلك لمجرد الانعام به على العبد كان حسناً، لكن ضم الى ذلك التعريض للثواب على ما قلناه .

وانما قال « ما يسكنن الا الله » وهي تستمسك بالقدرة التي اعطاها الله مبالغة في الصفة بأن الله يمكنها بالهواء الذي تتصرف فيه، لأنه ظاهر انها بالهواء تستمسك عن السقوط، وأن الغرض من ذلك تسخير ما سخر لها. ثم قال « ان في خلق ذلك »، على ما وصفه، لدلالات لقوم يصدقون بتوحيد الله، ويصدقون انبياءه وخص المؤمنين بذلك لامرين :

احدهما - من حيث هم المنتفعون بها دون غيرهم .

الثاني - لانهم يدلون بها على مخالفي التوحيد، وهي دلالة من الله للجميع، والجو

- بالفتح - ما بين السماء والارض، قال الانصاري :

ويل امها في هواء الجوّ طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب (١)

ثم عدد في الآية الأخرى نعمه، فقال : « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً » أي مواضع تسكنون فيها « وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها » أي يخف عليكم حملها « يوم ظعنكم » أي ارتحالكم من مكان

(١) مجاز القرآن ٣٦٥/١ وخزانة الادب ٢١٢/٢ نسبة الى امرئ القيس بن حجر الكندي وهو موجود في ديوانه ٦٩ وروايته (لا كالتى) والطبري ٩٣ / ١٤ نسبة الى ابراهيم بن عمران الانصاري .

الى مكان « ويوم اقامتكم » يعني اليوم الذي تنزلون موضعاً تقيمون فيه ، ثم قال « وجعل لكم من أصوافها » من أصواف الضأن وأوبار الأبل وأشعار المعز « أثاناً » يعني متاع البيت الكثير ، من قولهم شعر أثيث اي كثير ، وأثّ النبت ينث أثثاً إذكثر والسنتف ، وكذلك الشعر ، ولا واحد للثلاث ، كما لا واحد للمتاع ، قال الشاعر :

أماجتك الظعائن يوم بانوا بندي الرئسي الجميل من الاثاث^(١)

وقوله « إلى حين » معناه . الى وقت يهلك فيه ، ثم قال « والله جعل لكم مما خلق ظللاً » يعني من الشجر وغيره ، ما تسكنون فيه من أذى الحر والبرد « وجعل لكم سراويل » يعني قمصاً من القطن والكتان - في قول قتادة - واحدها سربال ، ويقال للدروع سراويل ، وهي التي تقي البأس ، وقال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال .

وقوله « تقيكم الحر » اي تمنعكم من الحر ، وخص الحر بذلك مع ان وقايتها للبرد أكثر لامرين :

احدهما - إن الذين خوطبوا بذلك أهل حرّ في بلادهم فحاجتهم الى ما يقي الحر أشدّ في قول عطاء .

الثاني - انه ترك ذلك لانه معلوم ، كما قال الشاعر :

وما ادري اذا يمت وجهاً اريد الخير ايها بليبي^(٢)

فكنى عن الشر ، ولم يذكره ، لانه مدلول عليه ذكره الفراء .

وقوله « كذلك يتم نعمته عليكم » اي كما انعم عليكم بهذه النعم ينعم عليكم بجميع ما تحتاجون اليه ، وهو إتمام نعمه في الدنيا ، وبين انه فعل ذلك لتسلموا

(١) قاله محمد بن نمير الثقفي . تفسير القرطبي ١٠/١٥٣ ومجاز القرآن ١/٣٦٥ والكامل

للبرد ٣٧٦ واللسان والتاج (رأى) وروايته (اشاقتك) .

(٢) قائلة المثقب العبدى . اللسان (أمم) وتفسير القرطبي ١٠/١٦٠ وقد مر في ١١٣/٢ ،

٥٢٩/٥ من هذا الكتاب .

وتؤمنوا . وقرأ ابن عامر بفتح التاء ، والمعنى لتسلموا بتلك الدروع من الجراحات .

قوله تعالى :

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) (٨٣) آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ على وجه التسلية له عما كان يلحقه عند تولي الكفار عن الحق الذي يلزمهم ، واعراضهم عن القبول منه « فإن تولي » هؤلاء الكفار ، وأعرضوا عنك فإنه لا يلزمك تقصير من اجل ذلك ، لان الذي يلزمك « البلاغ المبين » يعني الظاهر الذي يتمكنون معه من معرفته ، وقد فعلته ، وقد حذف جميع ذلك لدلالة الكلام عليه ، ثم اخبر عنهم بأن قال هؤلاء الكفار « يعرفون نعمة الله » عليهم ، مما يجدون من خلق نفوسهم ، واقدارهم ، واكال عقولهم وما خلق الله من انواع المنافع ، التي ينتفعون بها ، ثم انهم مع ذلك ينكرون تلك النعم ان تكون من جهة الله ومذسوبة اليه ، وينسبونها الى الاصنام ثم قال : « واكثرهم الكافرون » وانما قال اكثرهم مع ان جميعهم كفار لامرين :

احدهما - لأن فيهم من لقنوه الكفر ، ممن لم يبلغ حد التكليف لصغره ، ولم تقم الحجة عليه ، أو من هو ناقص العقل مأووف (١) فلا يحكم عليهم بالكفر .

الثاني - إن منهم من ينكر النعمة ، في حال لم يقم عليه حجة للشواغل في قلبه التي تلهيه عن تأمل امره ، والفكر في حاله ، فيكون في حال حكم الساهي والصبي ، وإن كان مكلفاً بغير ذلك من الامور ، فلا يكون كافراً بالاسكار في

(١) معنى مأووف فيه آفة اي مرض في عقله .

تلك الحال . وقال الجبائي : هو وإن كان لفظاً خاصاً ، فهو عام في المعنى . وقال الحسن : المعنى ان جميعهم الكافرون ، وانما عزل البعض إحتقاراً له أن يذكره .

وفي الآية الثانية - دلالة على فساد مذهب الجبهة : من أنه ليس لله على الكافر نعمة ، وقولهم : إن جميع ما فعله بهم نقمة وخذلان ، حتى ارتكبوا المعصية ، لان الله تعالى قد بين خلاف ذلك نصاً في هذه الآية .

قوله تعالى :

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَإِذَاراً الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) (٨٥) آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى إن اليوم الذي يبعث فيه « من كل أمة شهيداً » يشهد عليهم بكفرهم وضلالهم وجميع معاصيهم هو يوم القيامة ، والشهيد في كل امة رسوله ، ويجوز أن يكون قوم من المؤمنين المرضيين عند الله ، وانما يقيم الشهادة عليهم مع أنه عالم بأحوالهم من حيث ان ذلك اهل في النفس واعظم في تصور الحال ، واشد في الفضيحة إذا قامت به الشهادة بحضرة الملائكة التي يكفرن من الله التصديق لها مع جلالة الشهود عند الله بالحق .

وقوله « ثم لا يؤذن للذين كفروا ، ولا هم يستعتبون » قيل في معناه قولان :

احدهما - انه لا يؤذن لهم في الاعتذار ، على أن الآخرة - واطن : فيها ما يمنعون وفيها ما لا يمنعون .

الثاني - انهم لم يؤذن لهم في الاعتذار بما ينتفعون ، ولا يعرضون للعتبي الذي هو الرضا . وقال الجبائي : المعنى ان الله يخلق فيهم العلم الضروري بانهم ان

اعتذروا لم تقبل معذرتهم ، وإن استعتبوا لم يعتبروا ولم يرد أنهم لا يؤمرون بالاعتذار ، ولا يمكثون منه ، لأن الأمر والتكليف قد زال عنهم .

ثم اخبر تعالى أن الظالمين إذا رأوا العذاب يوم القيامة وشاهدوه ، فلا يخفف عنهم ذلك العذاب إذا حصلوا فيه « ولا هم ينظرون » أي لا يؤخرون الى وقت آخر ، بل عذابهم دائم في جميع الأوقات ، ووقت التوبة والندم قد فات

قوله تعالى :

(وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) (٨٨) ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى مخبراً عن حال المشركين والكفار في الآخرة وأنهم إذا رأوا شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله . وقيل انما سموا « شركاءهم » لأمرين :

احدهما - لانهم جعلوا لهم نصيباً في أموالهم .

الثاني - لانهم جعلوهم شركاء في العبادة .

ومعنى قوله « هؤلاء شركائنا الذين كنا ندعوا من دونك » اعتراف منهم على

انفسهم بأنهم كانوا يشركون مع الله غيره في العبادة .

وقوله « فالقوا اليهم القول إنكم لكاذبون » قيل في معناه قولان :

احدهما - ألقى المعبودون القول « انكم لكاذبون » في أنا نستحق

العبادة .

والثاني - « انكم لكاذبون » في قولكم إنا دعوناكم الى العبادة .
وقيل : انكم لكاذبون بقولكم إنا آلهة .
والقاء المعنى الى النفس إظهاره لها ، حتى تدركه متميزاً من غيره ، فهو لاء
ألقوا القول حتى فهموا عنهم انهم كاذبون .

وقوله « وألقوا الى الله يومئذ السلم » معناه استسلموا بالذل لحكم الله - في
قول قتادة - « وضل عنهم ما كانوا يفترون » اي يضل ما كانوا يأملونه ويقدررون
من ان آلهتهم تشفع لهم . ثم أخبر تعالى ان الذين يكفرون بالله ويحجدون وحدانيته ،
ويكذبون رسله ، ويصدون غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله « زدناهم عذاباً
فوق العذاب » . قال ابن مسعود : أفاعي وعقارب النار لها أنياب كالنخل
الطوال جزاءاً « بما كانوا يفسدون » في الارض .

قوله تعالى :

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (٨٩) آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى إن اليوم الذي « نبعث في كل أمة شهيداً » اي من يشهد
« عليهم من أنفسهم » اي من أمثالهم من البشر . ويجوز ان يكون ذلك نبيهم
الذي بعث اليهم ، ويجوز ان يكونوا مؤمنين عارفين بالله ونبيه ، ويشهدون
عليهم بما فعلوه من المعاصي .

وفي ذلك دلالة على ان كل عصر لا يخلو ممن يكون قوله حجة على اهل عصره ،
عدل عند الله ، وهو قول الجبائي ، وأكثر أهل العدل ، وهو قولنا وإن خالفناهم
في من هو ذلك العدل والحجة .

« وجئنا بك يا محمد « شهيداً » على هؤلاء يعني كفار قريش وغيرهم ، من الذين كفروا بنبوته . ثم قال « ونزلنا عليك الكتاب » يعني القرآن « تبياناً لكل شيء » اي بياناً لكل أمر مشكل . والتبيان والبيان واحد . ومعنى العموم في قوله « لكل شيء » المراد به من أمور الدين : إما بالنص عليه او الاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ والحجج القائمين مقامه ، او اجماع الأمة او الاستدلال ، لان هذه الوجوه أصول الدين وطريق موصلة الى معرفته .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : الكلام لا يدل على شيء ، لان كلام الحكيم يدل من وجهين :

احدهما - أنه دليل على نفس المعنى الذي يحتاج اليه .

والآخر - أنه دليل على صحة المعنى الذي يحتاج الى البرهان عليه . ولو لم يكن كذلك لخرج عن الحكمة وجرى مجرى اللغو الذي لا فائدة فيه .

وقوله « وهدى ورحمة وبشرى » يعني القرآن دلالة ورحمة وبشارة للمسلمين بالجنة .

قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (٩١) آيتان

يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه « ان الله يأمر بالعدل » يعني الانصاف بين الخلق ، وفعل ما يجب على المكلف و« الاحسان » الى الغير ، ومعناه يأمركم بالاحسان ، فالأمر بالاول على وجه الإيجاب ، وبالاحسان على وجه الندب . وفي

ذلك دلالة على ان الامر يكون أمراً بالندوب اليه دون الواجب ، « وإيتاء ذي القربى » اي وأمرك باعطاء ذي القربى ، ويحتمل امرين :

احدهما - صلة الارحام ، فيكون ذلك عاماً في جميع الخلق .

والثاني - ان يكون أمراً بصلة قرابة النبي ﷺ وهم الذين أرادهم الله بقوله « فإن لله خمس وللرسول ولذي القربى »^(١) على ما بيناه فيما قبل

وقوله « وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى » انما جمع بين الاوصاف الثلاثة في النهي عنها مع ان الكل منكر فاحش ، ليبين بذلك تفصيل ما نهى عنه ، لان الفحشاء قد يكون ما يفعله الانسان في نفسه مما لا يظهر أمره ويعظم قبحه . والمنكر ما يظن للناس مما يجب عليهم إنكاره ، والبغى ما يتناول به من الظلم لغيره ، ولا يكون البغى إلا من الفاعل لغيره ، والظلم قد يكون ظلم الفاعل لنفسه . وروى عن ابي عبيدة ، أنه قال : العدل هو استواء السريرة والعلانية ، والاحسان ان تكون سريرته أحسن من علانيته ، والفحشاء والمنكر ان يكون علانيته أحسن من سريرته .

ثم بين تعالى أنه يعظ بما ذكره خلقه ، لكي يذكروا ويتفكروا ، ويرجعوا الى الحق .

ثم أمر تعالى خلقه بأن يفوا بعهده اذا عاهدوا عليه ، والعهود الذي يجب الوفاء به : هو كل فعل حسن اذا عقد عليه ، وعاهد الله ليفعله بالعزم عليه ، فانه يصير واجباً عليه ، ولا يجوز له خلافه ، ثم يكون عظم النقص بحسب الضرر به ، فأما اذا رأى غيره خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر ، عند الفقهاء . وقال اصحابنا : اذا وجد خيراً منه فعل الخير ، ولا كفارة عليه ، وهذا يجوز فيما كان ينبغي ان يشرط ، فأما اذا أطلقه وهو لا يأمن ان يكون غيره خيراً منه فقد أساء باطلاق العقد عليه .

(١) سورة الانفال آية ٤١ وقد بين معناها في ٥ : ١٤٣

ثم قال « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » نهي منه تعالى عن حنث الأيمان بعد عقدها وتأكيدها ، يقال أكدته تأكيداً ووكدته تأكيداً ، والأصل الواو . وإنما أبدلت الهمزة منها كما قالوا : وقيت في أوقيت .

وفي الآية دلالة على ان اليمين على المعصية غير منعقدة ، لأنها لو كانت منعقدة لما جاز نقضها ، وأجمعوا على أنه يجب نقضها ، ولا يجوز الوفاء بها ، فعلم بذلك ان اليمين على المعصية غير منعقدة .

والنقض في المعاني يمكن في ما لا يجوز ان يصح مع خلافه ، بل إن كان حقاً فخلافه باطل ، وإن كان باطلاً فخلافه حق ، نحو إرادة الشيء وكراهته ، والأمر بالشيء والنهي عنه والتوبة من الشيء والعود فيه وما أشبه ذلك .

وقوله « وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً » أي حسيباً فيما عاهدتموه عليه « إن الله يعلم ما تفعلون » من نقض العهد والوفاء به ، وذلك تهديد ووعيد بأن يجازي على ما يكون منكم على الطاعة بالشواب وعلى المعصية بالعقاب .

وقيل : إن الآية نزلت في الذين بايعوا النبي ﷺ على الإسلام . وقال بعضهم نزلت في الحلف الذي كان عليه أهل الشرك ، فأمروا في الإسلام بالوفاء به ذكره ابن زيد .

قوله تعالى :

(وَلَا تَكُونُوا كآلِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا
تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ
إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
(٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٩٣) آيتان بلا خلاف .

هذا نهي من الله تعالى للمكلفين ان يكونوا « كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً » فواحد الانكاث نكث ، وكل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث : حبلاً كان او غزلاً ، يقال منه : نكث فلان الحبلى ينكثه نكثاً ، والحبلى منتكث اذا انتقضت قواه . و (الدخل) ما أدخل في الشيء على فساد ، والمعنى تدخلون الايمان على فساد للغرور ، وفي نيتكم الغدر بمن حلقتم له ، لأنكم أكثر عدداً منهم أو ، لان غيركم أكثر عدداً منكم . وقيل الدخل الدغل والخديعة ، وإنما قيل الدخل ، لأنه داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء . وقيل (دخلاً) غلاً وغشاً ، ويقال : انا اعلم دخل فلان ودخله ودخلته ودخيلته ، والمعنى لا تنقضوا الايمان لكثرتكم ، وقلة من حلقتم له او لقلقتكم وكثرتهم ، فاذا وجدتم أكثر منهم نقضتم بل احفظوا عهدكم . و« دخلاً » منصوب بأنه مفعول له .

وقوله « ان تكون أمة هي أربا من أمة » اي أكثر عدداً لطلب العز بهم مع الغدر بالأقل ، وهو (أفعل) من الربا ، قال الشاعر :

واسمر خطي كأن كعوبه نوى العسيب قد اربا ذراعاً على عشر^(١)

ومنه أربا فلان للزيادة التي يزيدها على غريمه في رأس ماله (واربي) في موضع رفع . واجاز الفراء ان تكون في موضع نصب ، وتكون هي عماداً . وقال الزجاج : لا يجوز ذلك ، لان العماد لا يكون بين نكرتين ، لأن « أمة » نكرة ، ويفارق قوله « تجدوه عند الله هو خيراً »^(٢) لأن الهاء في تجدوه معرفة .

وقوله « انما يبلوكم الله به » معناه إنما يختبركم الله بالامر بالوفاء ، فالهاء في (به) عائدة على الأمر ، وتحقيقه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بالعمل « وليبين لكم » أي ويفصل لكم ويظهر لكم « ما كنتم تختلفون » في صحته يوم القيامة .

والتي نقضت غزلها من بعد إبرام قبيل : إنها ربيعة بنت عمرو بن كعب ابن سعيد بن تميم بن مرة ، وكانت حمقاء ، فضربه الله مثلاً ، فقال « او فوا بعهد الله إذا

(١) تفسير الطبري ١٤ : ١٠٢ وجمع البيان ٣ : ٣٨١

(٢) سورة المزمل آية ٢٠ .

عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، فتكونوا إن فعلتم ذلك كإمراة غزلت غزلاً ، وقوت قوته وأبرمت ، فلما استحکم نقضته ، فجعلته أنكاثاً أي انقاصاً ، وهو ما ينقض من اخلاق بيوت الشعر والوبر ليعزل ثانية ، ويعاد مع الجديد ، ومنه قيل : لم يبيع طائعاً ثم خرج عليك ناكثاً؟ لأنه نقض ما وكتده على نفسه بالايان والعهود كفعل الناكثة غزلها .

ومعنى « أن تكون » لأن تكون « أمة » أعزّ من أمة ، وقوم أعلى من قوم ، يريد لا تقطعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء ، فتجعلوها لهؤلاء . وقال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء ، فإذا وجدوا أكثر منهم نقضوا حلف هؤلاء ، وحالفوا أولئك الذين هم أعزّ ، فنهام الله عن ذلك .

وقوله « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » اخبار منه تعالى عن أن العباد إذا خالفوا أمره لم يعاجزوه ، ولم يغالبوه تعالى عن ذلك ، لأنه لو يشاء لأكرههم على أن يكونوا أمة واحدة ، لكنه يشاء أن يجتمعوا على الايمان ، على وجه يستحقون به الثواب . ومثله قوله « ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » (١) كذلك قال سبحانه - ههنا - ولكن ليمتحنكم ويختبركم لتستحقوا النعيم الذي أراد لكم ، فيضل قوم ، ويستحقوا الاضلال عن طريق الجنة ، والحكم عليهم بأنهم ضالون . ويهتدي آخرون ، فيستحقوا الهدى يعني الحكم لهم بالهداية ، وإرشادهم إلى طريق الجنة . ثم قال « ولتسالن » يا معشر المكلفين « عما كنتم تعملون » في الدنيا من الطاعات والمعاصي ، فتجازون عليه بقدره .

قوله تعالى

(وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا أَلْسُوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٩٤)

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ
 الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) ثلاث آيات
 بلا خلاف .

قرأ ابن كثير ، وعاصم « ولنجزين الذين صبروا » بالنون . الباقون بالياء .
 من قرأ بالنون فحجته إجماعهم على قوله « ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا
 يعملون » أنه بالنون . ومن قرأ بالياء ، فلقوله « وما عند الله باق » وليجزين الله
 الذين صبروا .

نهى الله عباده المكلفين ان يتخذوا ايمانهم دخلا بينهم ، وقد فسرنا معنى
 دخلا ، وبين تعالى انه متى خالفوا ذلك زلت اقدامهم بعد ثبوتها ، وهو مثل
 ضربه الله ، والمعنى أنهم بضل بعد ان كان على الهدى . وقال قوم : الآية نزلت في
 الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والنصرة ، نهوا عن نقض عهده ، وترك
 نصرته .

وقوله : « وتذوقوا السوء » يعني العذاب ، جزء على معاصيكم وما صدتكم
 عن اتباع سبيل الله ، ولكم مع ذلك عذاب عظيم تعذبون به . ثم نهاهم ، فقال :
 « ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ، أي لا تخالفوا عهد الله بسبب شيء يسير
 تنالونه من حطام الدنيا ، فيكون قد بعم ما عند الله بالشيء الحقير ، وبين ان
 الذي عند الله هو خير ، وأشرف لكم إن كنتم تعلمون حقيقة ذلك وتحققونه ، ثم
 قال : إن الذي عند الله لا ينفد ، هو باق ، والذي عندكم من نعم الدنيا ينفد
 ويفنى ، ثم أخبر بأنه يجزي الصابرين على بلائه وجهاد أعدائه أجرهم وثوابهم
 « بأحسن ما كانوا يعملون » وإنما قال بأحسن ما كانوا ، لأن احسن أعمالهم هو
 الطاعة لله تعالى ، وما عداه من الحسن مباح ليس بطاعة ، ولا يستحق عليه أجر .

ولا حمد ، وذلك يدل على فساد قول من قال : لا يكون حسن احسن من حسن .

قوله تعالى :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) أربع آيات .

هذا وعد من الله تعالى بأن من عمل صالحاً من الطاعات سواء كان فاعله ذكراً أو أنثى ، وهو مع ذلك مؤمن بتوحيد الله ، مقرر بصدق أنبيائه ، فإن الله يحييه حياة طيبة . وقال ابن عباس : الحياة الطيبة هو الرزق الحلال . وقال الحسن : هي القناعة . وقال قتادة : حياة طيبة في الجنة . وقال قوم : الأولى ان يكون المراد بها القناعة في الدنيا ، لأنه عقيب ما توعد غيرهم به من العقوبة فيها مع ان اكثر المؤمنين ليسوا بمتسعي الرزق في الدنيا .

ثم أخبر انه يجزيهم زيادة على الحياة الطيبة « أجرهم » وثوابهم « بأحسن ما كانوا يعملون » وقد فسرتاه ، وإنما قال : « ولنجزينهم » بلفظ الجمع ؛ لان (مَنْ) يقع على الواحد والجمع ، فرد الكناية على المعنى ، ثم خاطب نبيه ، فقال : يا محمد « إذا قرأت القرآن » والمراد به جميع المكلفين « فاستعذ بالله » والمعنى إذا اردت قراءة القرآن « فاستعذ بالله » كما قال : « إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا »^(١) والمعنى إذا اردتم القيام

اليها، لأن بعد القراءة لا يجب الاستعاذة إلا عند من لا يعتد بخلافه . وقال قوم: هو على التقديم والتأخير، وهذا لا يجوز لأنه ضعيف، لأنه لا يجوز التقديم، والتأخير في كل شيء، ولذلك حدود في العربية لا تتجاوز . وإنما يجوز ذلك مع ارتفاع اللبس والشبهة . والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة - بلا خلاف - « من الشيطان الرجيم » أي استعذ بالله من المبعث من رحمة الله المرجوم، من سخطه .

ثم أخبر أنه « ليس » للشيطان سلطان ولا حجة « على الذين آمنوا » بالله وحده ولم يشركوا به سواه . وفوضوا أمرهم إليه وتوكلوا عليه . وإنما سلطانه وقدرته على الذين يتولونه ويقبلون منه ، وعلى الذين يشركون في عبادة الله سواه .

وقال الجبائي : في الآية دلالة على ان الصرع ليس من قبل الشيطان ، قال : لأنه لو أمكنه أن يصرعه ، لكان له عليهم سلطان . وأجازه أبو الهذيل وابن الاخشاد، وقالوا: إنه يجري مجرى قوله « كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس »^(١) ولأن الله تعالى قال : « إنما سلطانه على الذين يتولونه » وإنما أراد سلطان الاغواء والاضلال عن الحق .

ومعنى قوله « والذين هم به مشركون » فيه قولان :

احدهما - قال الربيع : من أن الذين يطيعونه فيما يدعوا إليه من عبادة غير الله مشركون ، فلما كان من اطاعه فيما يدعوا إليه من عبادة غير الله مشركا ، كان به مشركا ، وهو من الايجاز الحسن .

والثاني - قال الضحاك : الذين هم بالله مشركون .

قوله تعالى :

(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا

أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ
مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ
(١٠٢) آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى : مخبراً عن احوال الكفار بأننا متى « بدلنا آية مكان آية »
بأن رفعنا آية ونسخناها، وأتينا بأخرى بدلها، نعم في ذلك من مصلحة الخلق،
وقد يكون تبديلها برفع حكمها مع ثبوت تلاوتها [وقد يكون برفع تلاوتها
دون حكمها]^(١) وقد يكون برفعها. والتبديل - في اللغة - رفع الشيء مع وضع
غيره مكانه، تقول : بدله تبديلاً وأبدله إبدالاً، واستبدل به استبدالاً . ثم قال :
« والله أعلم بما ينزل » مما فيه صلاح الخلق من غيره . وقوله : « قالوا إنما انت مفتر »
معناه يقول هؤلاء الذين جحدوا نبوتك وكفروا بآيات الله : إنما أنت يا محمد مفتر
كذاب في إدعائك الرسالة من الله . ثم أخبر عنهم ، فقال : « بل أكثرهم لا
يعلمون » انك نبي ، لتركهم النظر في معجزاتك، ولشبهه داخله عليهم، وان علمه
بعضهم وكابر، وجحد ما يعلمه . ثم امره بأن يقول لهم « نزله روح القدس » يعني
القرآن نزله جبريل (ع) « ليثبت الذين آمنوا » وتثبيتهم لهم هو استدعاؤه لهم به
وبالطافه ومعونته الى الثبات على الاسلام وعلى تصديق محمد ﷺ . ثم بين أن القرآن
هدى ودلالة وبشارة للمسلمين .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي
يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (١٠٣) آية بلا
خلاف .

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

قرأ حمزة والكسائي «يلحدون» بفتح الياء والحاء. والباقون بضم الياء وكسر الحاء، وهما لغتان، يقال: ألحد يلحد إلحاداً، فهو ملحد، ولحد يلحد فهو ملحد، وقيل لحد في القبر وألحد في الدين، والإلحاد الميل عن الصواب ويقال للذي يميل عن الحق ملحد، ومنه اللحد في جانب القبر.

ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ إنا «نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه» يعني الرسول «بشر» مثله. وقال ابن عباس الذي مالوا إليه بأنه يعلم محمداً ﷺ وكان أعجمياً هو (بلعام) وكان قيناً بمكة روميّاً نصرانياً. وقال الضحاك: أرادوا به (سلمان الفارسي). وقال قوم: أرادوا به إنساناً يقال له: عايش أو يعيش، كان مولى لحويطب بن عبد العزى، أسلم وحسن إسلامه، فقال الله تعالى رداعليهم «لسان الذي» يميلون إليه أعجمي «وهذا» القرآن «لسان عربي مبين» كما تقول العرب للقصيد هذا لسان فلان، قال الشاعر:

لسان السوء تهديها إلينا وحنث وما حسبتك ان تحينا (٢)

والاعجمي الذي لا يفصح، والمعجمي منسوب إلى المعجم، والاعرابي البدوي والعربي منسوب إلى العرب «ومبين» معناه ظاهر بيّن لا يشكّل.

قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (١٠٥) آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى «إن الذين» لا يصدقون «بآيات الله» التي اظهرها، والمعجزات التي يصدق بها قولك يا محمد «لا يهديهم الله» إلى طريق الجنة «وهم»

(٢) تفسير الشوكاني ٣ : ١٨٨ ومجمع البيان ٣ : ٣٨٥ وتفسير الطبري ١٤ : ١١١

مع ذلك « عذاب أليم » في النار . ويحتمل ان يكون المراد : لا يحكم الله تعالى بهدايتهم ، لأنهم كفار .

ثم اخبر إن الذي يتخرص الكذب ، ويفتري على الله ، هو الذي لا يؤمن بآيات الله ، ويحدها ، وهم الكاذبون ، وانما خص الذين لا يؤمنون بالله بالافتراء لانه لا يردعهم عن الكذب ايمان بالجزاء ، « واولئك هم الكاذبون » على رسوله فيما ادعوا عليه . وقيل : المعنى في ذلك تعظيم كذبهم ، كما يقول القائل : هؤلاء هم الرجال .

قوله تعالى :

(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١٠٦) آية بلا خلاف .

نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر (رحمه الله) اكرهه المشركون بمكة بأنواع العذاب ، وقيل : إنهم غطوه في بئر ماء على ان يلفظ بالكفر ، وكان قلبه مطمئناً بالايان ، فجاز من ذلك ، وجاء الى النبي ﷺ جزعاً فقال له النبي ﷺ كيف كان قلبك ؟ قال كان مطمئناً بالإيمان ، فأنزل الله فيه الآية . واخبر ان الذين يكفرون بالله بعد ان كانوا مصدقين به بأن يرددوا عن الاسلام « فعلیهم غضب من الله » ثم استثنى من ذلك من كفر بلسانه ، وكان مطمئن القلب بالايان في باطنه ، فانه بخلافه . و « من كفر » رفع بما دل عليه خبر الثاني الذي هو قوله « ولكن من شرح بالكفر صدراً » كأنه قيل فعلیه غضب من الله ، كما تقول من يأتنا فمن يحسن نكرمه ، فجواب الاول محذوف كفى فيه الثاني ، وقال الزجاج « من كفر » رفع بأنه بدل من قوله « واولئك هم الكافرون » وقال ابو علي : هذه معاريض يحسن من الله مثلها ، ولا يحسن من الخلق إلا عند التقية ، قال : إلا ان على أهل العقول أن يعلموا ان الله لم يفعل ذلك الا على ما يصح ويجوز ، وليس

ذلك للانسان الا في حال التقية ، لانه لا دليل يؤمن من الخطأ عليه ، فعلى هذا يلزمه في النبي ان يحسن منه من غير تقية ، لكونه معصوما لا يكذب في اخباره ولا خلاف بين أهل العدل أنه لا يجوز اظهار كلمة الكفر إلا مع التعريض بأن ينوي بقلبه ما يخرج عن كونه كاذبا ، فأما على وجه الاخبار ، فلا يجوز أصلا لانه قادر على التعريض الذي يخرج به عن كونه كاذبا .

قوله تعالى :

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (١٠٩) ثلاث آيات بلا خلاف .

قوله « ذلك » اشارة إلى ما تقدم ذكره من العذاب العظيم . أخبر الله تعالى ان ذلك العذاب العظيم إنما أعدّه لهم ، لأنهم آثروا الحياة الدنيا ، والتلذذ فيها ، والركون اليها على الآخرة ، والمعنى انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة . والعمل يجب أن يكون طلبا للآخرة ، أو للدنيا والآخرة . فأما أن يكون مجرد الدنيا دون الآخرة فلا يجوز ، لأنه إذا طلب الدنيا ترك الواجب من الطاعات لا محالة ، وكذلك لا ينبغي أن يختار المباح على النافلة لان النافلة طاعة لله . والمباح ليس بطاعة له . ثم أخبر تعالى « أن الله لا يهدي القوم الكافرين » ومعناه أحد شيئين :

احدهما - إنه لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب ، لكفرهم .

الثاني - إنه لا يحكم بهدايتهم لكونهم كفارا . وأما نصب الدلالة ، فقد هدى الله جميع المكلفين ، كما قال « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى »^(١) وقيل : إنهم لم يهتدوا بتلك الادلة ، فكأنها لم تكن نصبت لهم ، ونصبت

(١) سورة حم السجدة (فصلت) آية ١٧

للمؤمنين الذين اهدوا بها ، فلذلك نفاها عنهم فكأنها لم تكن لهم ، ويجوز ان يكون المراد انه لا يهديهم يهدى المؤمنين من فعل الألفاظ والمدح بالاهتداء ، لكونهم كفاراً . ثم اخبر ان اولئك الكفار هم «الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون» ، وبيننا معنى الطبع على القلوب والسمع والابصار في سورة البقرة (٢) وان ذلك سمة من الله جعلها للملائكة ليفرقوا بين الكافر والمؤمن ، جزاء وعقوبة على كفرهم ، وان ذلك غير محيل بينهم وبين اختيار الايمان لو ارادوه ، وانما وصفهم بعوم الغفلة مع الخواطر التي تزعمهم لأمرين :

احدهما - انهم بمنزلة الغافلين ذمًا لهم .

الثاني - لجهلهم عما يؤدي اليه حالهم ، وان كانت الخواطر الى النظر تزعمهم . وقوله «لاجرم انهم» معناه حق لهم «انهم في الآخرة هم الخاسرون» الذين خسروا صفقتهم لفوات الثواب وحصول العقاب وموضع (انهم) يحتتمل أمرين من الاعراب :

احدهما - النصب على معنى : لا بد انهم اي لا بد من ذا ، ويجوز على جرم فعلهم أن لهم النار اي قطع بذا وتكون (لا) صلة .

والثاني - الرفع والمعنى وجب قطعاً أن لهم النار و(لا) صلة أو ردة لكلام من قال : ماذا لهم ؟ فقبل وجب لهم النار .

قوله تعالى :

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا آغْفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠) يَوْمَ تَأْتِي

كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) آيتان بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وحده « فتنوا » جعل الفعل لهم . الباقيون « فتنوا » على ما لم يسم فاعله ، يقال : فتنت زيدا ، وهي اللغة الجيدة ، وحكي افتننت . وحجة من قرأ على ما لم يسم فاعله أن الآية نزلت في المستضعفين المقتنين بمكة : عمار وبلال ، وصهيب ، فانهم حملوا على الارتداد عن دينهم ، فمنهم من اعطى ذلك تقية منهم : عمار ، فانه اظهر ذلك تقية ، ثم هاجر . ومعنى قراءة ابن عامر : انه فتن نفسه ، والمعنى من بعد ما فتن بعضهم نفسه باظهار ما اظهره بالتقية قال الرماني : في الآية دلالة على انهم فتنوا في دينهم بمعصية كانت منهم ، لقوله « ان ربك من بعدها لغفور رحيم » لأن المغفرة الصريح عن الخطيئة ، ولو كانوا اعطوا التقية على حقها لم تكن هناك خطيئة . وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ، ولا في الكلام دلالة عليه ، وذلك ان الله تعالى إنما قال « ان ربك من بعدها » يعني بعد الفتنة التي فتنوا بها « لغفور رحيم » أي ستر عليهم ، لان ظاهر ما اظهره يحتل القبيح والحسن ، فلما كشف الله عن باطن امورهم ، واخبر انهم كانوا مطمئنين بالايمان كان في ذلك ستر عليهم ، وازالة الظاهر المحتمل إلى الأمر الجلي ، وذلك من نعم الله عليهم .

يقول الله تعالى: إن هؤلاء الذين هاجروا بعد ما فتنوا عن دينهم ، وجاهدوا في سبيله وصبروا على الأذى في جنب الله ، فان الله اقسم انه ضمن لهم أن يفعل بهم الثواب ، وستر عليهم ، ورحيم بهم منعم عليهم .

وقوله « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » (يوم) منصوب بأحد شيئين :
احدهما - على معنى إن ربك من بعدها لغفور رحيم (يوم) .

الثاني - على معنى واذكر يوم ، لان القرآن عظة وتذكير ، ومعنى تجادل عن نفسها تخاصم كل نفس عن نفسها ، وتحتج بما ليس فيه حجة عند الحساب ،

كما قال تعالى حكاية عنهم : « والله ربنا ما كنا مشركين »^(١) وقال الأتباع « ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار »^(٢) فهم يجادلون الملك السائل لهم بين يدي الله ، وقيل : تحتج عن نفسها بما تقدر به ازالة العقاب عنها .

ثم اخبر الله ان كل نفس توفى جزاء ما عملته على الطاعة الثواب وعلى المعصية العقاب ، ولا يظلم احد في ذلك اليوم أحداً .

قوله تعالى :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ
الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (١١٢) آية بلا خلاف .

التقدير ضرب الله مثلاً مثل قرية ، وقيل في القرية التي ضرب الله بها هذا المثل

قولان :

احدهما - قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : إنها مكة ، لأنها كانت بهذه الصفات التي ذكرها الله . وقال آخرون : اي قرية كانت على هذه الصفة ، فهذه صورتها .

وقوله « كانت آمنة مطمئنة » أي يأمن الناس فيها على نفوسهم واموالهم لا يخافون الغارة والنهب ، كما يخاف سائر العرب ، ويطمئنون فيها ، لا يحتاجون فيها ان ينتجعوا الى غيرها ، كما يحتاج غيرهم اليه ، وكان مع ذلك يحيوها رزقها ، اي رزق اهلها من كل موضع ، لأنه كان يجلب اليها تفضلاً منه تعالى « فكفرت بانعم الله » والمراد كفر اهلها ، « بانعم الله » . وانما اضاف الكفر الى القرية مجازاً ، ولذلك أنث الفعل . وقيل في واحد انعم الله ثلاثة اقوال :

(٢) سورة الاعراف آية ٣٧

(١) سورة الانعام آية ٢٣

أحدها - يقال نعمة وانعم كشدة وأُشدّ .

الثاني - في جمع النعم كما قالوا أيام طعم ونعم ومثله ودّ وأودّ .

الثالث - نعاء كما جمعوا بأساء و أبؤس وضراء واضر؛ وقالوا أُشد جمع 'شدّ قال الشاعر .

وعندي قروض الخير والشر كله فبؤس لدى بؤسى ونعمى بأنعم

وقوله « فأذاقها الله لباس الجوع » إنما سماه لباس الجوع ، لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوب اللون وسوء الحال ما هو كاللباس . وقيل انهم شملهم الجوع والخوف كما شمل اللباس البدن . وقيل ان القحط دام بهم سنين وبلغ بهم الى ان اكلوا القد والظهن ، وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ، ثم يؤكل ، وإنما يقال لصاحب الشدة : ذق ، لأنه يجده وجدان الذائق في تفقده له ، ولأنه يتجدد عليه إدراكه كما يتجدد على الذائق ، وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبي ﷺ واصحابه يغيرون على قوافلهم وتجاراتهم « جزاء بما كانوا يصنعون » من الكفر والشرك وتكذيب الرسل ، واجرى الخطاب من أول الآية الى هنا على التأنيث إضافة إلى القرية ، ثم قال - هنا - « بما كانوا يصنعون » على المعنى أي بما كان أهلها يصنعون . وروي عن أبي عمرو انه قرأ « لباس الجوع والخوف » بالنصب ، كأنه ضمن فعل إرزاقهم الله لباس الجوع ، قاذفاً في قلوبهم الخوف ، لأن الله تعالى لم يبعث النبي بالقحط والجوع والخوف ، فقد قذف في قلوبهم الرعب من النبي وسراياه .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ

ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) آيتان بلا خلاف .

قوله « ولقد جاءهم رسول منهم » يعني اهل مكة بعث الله منهم رسولا من صميمهم ، لا من غيرهم « فكذبوه » وجحدوا نبوته « فأخذهم العذاب وهم ظالمون » أي في حال كفرهم ظالمين اخذهم العذاب ، وعذابهم هو ما سطر الله تعالى النبي والمؤمنين حتى قتلوهم يوم بدر وغيره من الايام ، وما حل بهم من أنواع العذاب من جهته من الخوف والجوع الذي تقدم ذكره . ومن قال : المراد بالقرية غير مكة قال : هو صفة تلك القرية التي بعث الله رسولا منهم ، ثم خاطب المؤمنين ، فقال « كلوا » فصيغته وإن كان صيغة الأمر ، فالمراد به الإباحة ، لأن الأكل غير واجب إلا عند الخوف من تلف النفس ، ولا مندوب اليه إلا في بعض الاحوال « مما رزقكم الله » أي ملككم التصرف فيه على وجه ليس لاحد منعكم منه « حلالا » إي جعله لكم « حلالا طيبا واشكروا نعمة الله » واعترفوا بها « ان كنتم إياه تعبدون » اي ان كنتم تعبدون الله دون غيره وليس المعنى ان كنتم تعبدون غيره ، فلا تشكروه ، بل المعنى انه لا يصح لأحد أن يشكره إلا بأن يوجه العبادة اليه تعالى وحده .

قوله تعالى :

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)
(١١٥) آية بلا خلاف .

قد بينا تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة (١) وهو ان الله حرم الميتة ،

وهو ما لم يذكر مما فيه نفس سائلة . « ولحم الخنزير » وبيننا أن الخنزير جميعه حرام ، وإنما خص اللحم تغليظاً ، « وما أهل لغير الله به » والمعنى ما ذكر غير الله على تذكيتة ، لانهم كانوا يذبحونها للاصنام ، ثم استثنى المضطر الى تناول ذلك خوف التلف ، فأباح جميع ذلك له ، واستثنى من المضطرين البغاة ، فلم يباح لهم ، وقد بينا الخلاف فيه ، وان قول مجاهد وما ذهب اليه أصحابنا هو من خرج على امام عادل . وقال قوم : معناه غير باغ بذلك الشيع والتقوي به على معصية « ولا عاد » اي يتعدى فيه ما يجوز له . وفي تفسيرنا : أن معنى ولا عاد ما ذهب اليه الحسن ، وغيره ان الذي يخرج للاعتداء على الناس من قطاع الطريق ، فانهم لا يركزون ان يأكلوا ، ذلك على وجه . ثم اخبر « ان الله غفور رحيم » اي ستار على عباده معاصيهم « رحيم » بهم بأن يغفرها لهم ، بالتوبة تارة وتفضلامنه ابتداء تارة أخرى ، والمعنى إنه لا يعاقب من تناول ما حرّم عليه في حال الضرورة .

والاهلال رفع الصوت بالكلام ، ومنه الهلال لرفع الصوت بالتكبير عند رؤيته وشبهه به صوت الصبي عند الولادة وكل ما ذكر عليه اسم معبود غير الله لا يحل أكله .

قوله تعالى :

(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (١١٨) ثلاث آيات .

(ما) في قوله « لما تصف » مصدرية ، والتقدير : ولا نقولوا لوصف ألسنتكم الكذب

« هذا حلال وهذا حرام » وقال الزجاج : قرىء « الكذب » على أنه نعت الألسنة ، يقال لسان كذوب وألسنة كذب ، وحكي أيضاً بكسر الباء رداً على (ما) وتقديره للذي تصفه ألسنتكم الكذب ، وهذا إنما قيل لهم لما كانوا حرموه وأحلوه ، فقالوا « ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورتنا ومحرم على أزواجنا »^(١) وقد بيناه فيما تقدم . ثم أخبر عن هؤلاء الذين يقولون على الله الكذب بأنهم « لا يفلحون » أي لا ينجون ولا يفوزون بثواب الله .

وقوله تعالى « متاع قليل » معناه متاعهم هذا الذي فعلوه وتمتعوا به « متاع قليل » ويجوز في العربية (متاعاً) أي يتمتعون بذلك متاعاً قليلاً « ولهم عذاب أليم » أي في مقابلة ذلك يوم القيامة . وقوله « وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل » يعني ما ذكره في سورة الانعام في قوله « وعلى الذين هادوا حرمنا... »^(٢) الآية ، في قول قتادة والحسن وعكرمة . ثم أخبر تعالى أنه لم يظلمهم بذلك ولا يبخسهم حظهم « ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » بكفرهم بنعمة الله وجحودهم لأنبيائه ، فاستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم .

قوله تعالى :

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (١١٩)

آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى إن الذي خلقك يا محمد « للذين عملوا السوء » يعني المعصية « بجهالة » أي بداعي الجهل ، لأنه يدعو إلى القبيح ، كما أن داعي العلم يدعو إلى

(١) سورة الانعام آية ١٣٩ ، انظر ٣١٢:٤ - ٣١٦

(٢) سورة الانعام آية ١٤٦ ، انظر ٣٢٩:٤ - ٣٣٢

الخير ، فقد يكون ذلك للجاهل بالشيء وقد يكون للغافل الذي يعمل عمل الجاهل بتغليب هواه على عقله .

وقوله « ثم تابوا » يعني رجعوا عن تلك المعصية ، وندموا عليها ، وعزموا على أن لا يعودوا إلى مثلها في القبح « واصلحوا » نياتهم وافعالهم ، فإن الذي خلقتك من بعد فعلهم ما ذكرناه من التوبة « غفور » لهم ستار عليهم « رحيم » بهم ، منعم عليهم . وإنما شرط مع التوبة فعل الصلاح استدعاء إلى فعل الصلاح ولئلا يفتروا بما سلف من التوبة حتى يقع الإهمال لما يكون من الاستقبال .

قوله تعالى :

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
(١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)
وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) خمس
آيات بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن ابراهيم (ع) انه « كان أمة » واختلّفوا في معناه ، فقال ابن مسعود : معناه إنه معلم الخير قدوة « قانتاً لله » مطيعاً . قال بعضهم : كان ذا أمة « قانتاً لله » . وقال قتادة : معناه إنه امام هدى . والقانت الذي يدوم على العبادة لله ، وقيل : جعل « أمة » لقيام الامة به . والحنيف المستقيم على طريق الحق . وقوله « ولم يك » يعني ابراهيم « من المشركين » الذين يعبدون مع الله غيره ، بل كان موحداً « شاكراً لانعمه » اي بل كان شاكراً لانعمه

معتزلاً بها « اجتباها » يعني اختاره الله واصطفاه « وهداه الى صراط مستقيم » اي حكم بأنه على صراط مستقيم اي لطف له حتى اهتدى الى طريق الحق .
 وقوله « وآتيناه في الدنيا حسنة » اي اعطيناه جزاء على هدايته في هذه الدنيا حسنة ، وهي : تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه ، ومسارعته الى مرضاته ، وإخلاصه لعبادته ، حتى صار إماماً يقتدى به ، وعلماً يهتدى بسنته .
 قال قتادة : حتى ليس من اهل دين إلا وهو يتولاه ويرضاه . وقال الحسن : معنى « حسنة » يعني نبوته . وقوله « وإنه في الآخرة لمن الصالحين » اخبار منه تعالى انه مع إيتائه الحسنة في الدنيا هو في الآخرة من جملة الصالحين . وانما لم يقل : لفي اعلى منازل الصالحين ، مع اقتضاء حاله ذلك ، لمدح من هو منهم ، والترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنب ابراهيم ، وناهيك هذا الترغيب في الصلاح ، وهذا المدح لابراهيم أن يشرف جملة هو منها ، حتى يصير الاستدعاء اليها بأنه فيها .
 وقوله « اوحينا اليك ان اتبع ملة ابن ابراهيم حنيفاً » أي أمرناك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً مستقيم الطريق ، في الدعاء الى توحيد الله ، وخلع الانداد ، والعمل بسنته ، « وما كان » يعني ابراهيم « من المشركين » بعبادة الله غيره .

وقوله « انها جعل السبت على الذين اختلفوا فيه » اختلفوا في معناه ، قال الحسن : معناه انه جعله عليهم بأن لعنهم بالمسخ لاعتدائهم فيه . واختلفهم فيه كان بأن قال بعضهم : هو اعظم الايام حرمة ، لانه تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء كلها . وقال آخرون : بل الاحد أفضل ، لانه ابتدا أخلق الاشياء فيه . وقال مجاهد ، وابن زيد : عدلوا عمّا أمروا به من تعظيم الجمعة .

ووجه اتصال هذه الاية بما تقدم أنه لما أمر باتباع الحق ، حذر من الاختلاف فيه ، بما ذكره من حال المختلفين في السبت ، بما ليس لهم ان يختلفوا فيه ، فشدد عليهم فرضه ، وضيّق عليهم أمره . وقال قوم : معنى « اختلفوا فيه » اي خالفوا فيه ، لأنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ، ودخل فيها السمك يوم السبت ، فأخذوه يوم الاحد . ثم قال « وان ربك » يا محمد « ليحكم بينهم » أي يفصل بينهم يوم القيامة في الذي كانوا مختلفين فيه ، ويبين لهم الصحيح من الفاسد

قوله تعالى :

(أذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ
وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا
بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (١٢٨) أربع آيات
بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وإسماعيل عن نافع « ضيق » بكسر الضاد . الباقيون بفتحها ،
فمن فتح أراد « ضيق » فخفض مثل سيد وسيد ، وميت وميت وهين وهين .
ويحوز ان يكون أراد جمع ضيقة كما قال الشاعر :

كشف الضيقة عنا وفسح

ومن كسر يحوز أن يجعله لغتين، ويحوز أن يكون الضيق إسماء والضيق مصدرأ
والاختيار ان يقال : الضيق في المكان والمنزل ، والضيق في غير ذلك ، فان كان
كذلك « فالاختيار ولاتك في ضيق » لأنه تعالى لم يرد ضيق المعيشة ، ولا ضيق
المنزل . وأصل « ولاتك » ولا تكن ، فاستثقلوا الضمة على الواو فنقلوها إلى
الكاف ، فالتقى ساكنان : الواو ، والنون ؛ فحذفوا الواو ؛ لالتقاء الساكنين ، ومن
حذف النون أيضاً ، فلان النون ضارعت حروف المد واللين ، وكثر استعمال
(كان يكون) فحذفوها كذلك ألا ترى أنك تقول : لم يكونا . والأصل يكونان
فأسقطوا النون بالجزم وشبهوا لم يك في حذف النون بلم يكونا .

أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ أن يدعو عباده المكلفين بالحكمة ، وهو أن

يدعوهم إلى أفعالهم الحسنة التي لها مدخل في استحقاق المدح والثواب عليها ، لأن القبائح يزجر عنها ، ولا يدعو إليها ، والمباح لا يدعو إلى فعله ؛ لأنه عبث ، وإنما يدعو إلى ما هو واجب أو ندى ، لأنه يستحق بفعله المدح والثواب ، والحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد . وقيل لها : حكمة ، لأنها بمنزلة المانع من الفساد ، وما لا ينبغي أن يختار ، والأصل المنع كما قال جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم
إني أخاف عليكم أن أغضباً^(١)

أي امنعوه من السفه ، والفرق بين الحكمة والعقل : أن العاقل هو العاقد على ما يمنع من الفساد ، والحكيم هو العارف بما يمنع من الفساد ، والحكمة مشتركة بين المعرفة وبين العقل المستقيم ، لأن كل واحد منهما يمتنع من الفساد عارٍ منه . والقديم تعالى لم يزل حكيماً بمعنى لم يزل عالماً ، ولا يجوز لم يزل حكيماً فيما يستحق لأجل الفعل المستقيم ، وكل حكمة يكون بتركها مضيعاً لحق النعمة يجب على المكلف طلبها . معرفة كانت أو فعلاً . والموعظة الحسنة . معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والترهيد في فعله . وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع . وقيل : إن الحكمة النبوة . والموعظة القرآن « وجادلهم بالتي هي أحسن » فالجدال قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج « بالتي هي أحسن » وفيه الرفق والوقار والسكينة مع نصرة الحق بالحجة . ثم أخبر « إن ربك » يا محمد « اعلم بمن ضل عن سبيله » بأن عدل عنها و « أعلم » من غيره بمن اهتدى إليها وليس عليك غير الدعاء .

وقوله « وإن عاقبتم فعاقبوا » قيل : في سبب نزول هذه الآية قولان :

أحدهما - إن المشركين لما مثلوا بقتلى أحد . قال المسلمون : متى أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم أعظم مما مثلوا بنا . ذكره الشعبي وقتادة وعطاء .

(١) مر هذا البيت في ١ : ١٤٢ ، ٢ : ١٨٨ ، ٤ : ٤٩٦ ، ٥ : ٥١٢

الثاني - قال مجاهد وابن سيرين و ابراهيم : انه في كل ظالم بغصب او نحوه .
فإنما يجازى بمثل ما عمل .

وقيل : إن هذه الآية منسوخة بآية القتال ، لان هذا قبل ان يؤمروا بالجهاد . ثم قال « ولئن صبرتم » اي إن تركتم المجازاة والقصاص وتجرعتم مرارته « لهو خير للصابرين » في العاقبة . ثم قال لنبيه ﷺ والمراد به أمته معه « واصبر » يا محمد وليس صبرك « إلا بالله » اي إلا بتوفيق الله وإقداره وترغيبه فيه « ولا تحزن عليهم » يعني على المشركين ، لإعراضهم عنك . وقيل المراد لا تحزن على قتلى أحد لما اعطاهم الله من الخير « ولاتك في ضيق مما يمكرون » اي لا يكن صدرك ضيقاً مما يمكر به المشرك من الخديعة وغيرها ، وما فعلوا بقتلى أحد من المثلى « إن الله مع الذين اتقوا » معاصيه خوفاً من عقابه ، بالنصر لهم

والتأييد، ومع « الذين هم محسنون » في

افعالهم ، غير فاعلين للقبائح

يقذف في قلوب اعدائهم

الرعب ، خوفاً من

رسول الله

وسراياه



(١٧) سورة الأسراء

هي مكية في قول مجاهد وقتادة، وهي مئة واحد عشر آية في الكوفي ومئة وعشر آيات في البصري والمدني .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (٣) ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) (٣) ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو وحده « أَلَّا تَتَّخِذُوا » بالياء . الباقيون بالتاء ، والمعنى فيها قريب ، والتقدير ، « وجعلناه هدى لبني إسرائيل أَلَّا تَتَّخِذُوا » وقلنا لهم : لا تتخذوا ، كما تقول : قلت لزيد قم ، وقلت له ان يقوم . وقال تعالى « قل للذين

كفروا ستغلبون^(١) « بالتاء والياء . ومعنى « من دوني وكيلاً » أي كافيًا ورباً ، ونصب « ذرية » على النداء ، وهو خطاب لجميع الخلق ، لأن الخلق كله من نسل نوح من بنيه الثلاثة : حام : وهو أبو السودان ، ويافت : وهو أبو البيضان : الروم والترك والصقالبة وغيرهم ، وسام : وهو أبو العرب والفرس . وتقديره يا ذرية من حملنا ، ووزن « ذرية » فعلية ، من الذر ، ويجوز أن يكون (فعولة) من الذر واصله (ذروية) فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء ، قال أبو علي النحوي : ويجوز أن يكون نصبا على أنه مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين كقوله « واتخذ الله إبراهيم خليلاً »^(٢) وقال « اتخذوا أيمانهم جنة »^(٣) وعلى هذا يكون مفعولاً ثانياً على القراءتين ، ومتى نصبته على النداء ، فانما يتأتى ذلك في قراءة من قرأ بالتاء ، والاسهل أن يكون على قراءة من قرأ بالياء ، لأن الياء للغيبة ، والنداء للخطاب ، و(أن) في قوله « ألا تتخذوا » يحتمل ثلاثة أوجه : احدها أن تكون (أن) الناصبة للفعل ، والمعنى جعلناه هدى ، كراهة أن تتخذوا ، أو لان لا تتخذوا .

والثاني - أن تكون (أن) بمعنى أي ، لانه بعد كلام تام والتقدير أي لا تتخذوا .

والثالث - أن تكون (أن) زائدة ، ويضمّر القول .

والوكيل لفظه واحد ، والمراد به الجمع ، لأن معناه حينئذ (فعيلاً) فيكون مفرد اللفظ والمراد به الجمع ، نحو قوله « وحسن أولئك رفيقاً »^(٤) . قال أبو عبيد : أهل المدينة يقولون في نصب (سبحان) أنه اسم في موضع مصدر سبحت الله تسبيحاً ، والتسبيح هو المصدر ، وسبحان اسم منه ، كقولك كفرت اليمين تكفيراً ، أو كفراناً ، والتكفير المصدر ، والكفران الاسم ، قال أمية ابن أبي الصلت :

(٢) سورة ٤ النساء اية ١٢٥

(٤) سورة النساء اية ٦٩

(١) سورة آل عمران اية ١٢

(٣) سورة ٥٨ المجادلة اية ١٦

سبحانه ثم سبحاناً يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد^(١)
وقال بعضهم انه يجوز أن يكون نصباً على النداء، يريد: يا سبحان ومعناه:
التنزيه لله والتبعية له من كل ما لا يليق به، والتسبيح يكون بمعنى الصلاة،
كقوله «فلولا انه كان من المسبحين^(٢) أي من المصلين - ذكره اكثر المفسرين -
ومنه السبحة وهي النافلة. وروي أنه كان ابن عمر يصلي سبحته في موضعه الذي
يصلي فيه المكتوبة ويكون بمعنى الاستثناء، كقوله «فلولا تسبحون» أي
فلولا تستثنون، وهي لغة لبعض أهل اليمن، ولا وجه للكلام غيره، لأنه قال
«إنا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة» الى قوله «ولا يستثنون» ثم «قال: أوسطهم
الم أقل لكم لولا تسبحون»^(٣) فذكرهم تركهم الاستثناء. فأما سبحة النور التي
دون الله، قال المبرد: لا يعرف إلا من الخبر الذي روي (لولا ذلك لاحتقت
سبحات وجهه) بمعنى نور وجهه أي الذي إذا رأى الرائي قال سبحان الله.
وقال سيبويه (سبحان) براءة الله من سوء وهذا اسم لهذا المعنى معرفة
وقال الاعشى:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر^(٤)

أي براءة منه ولا ينزهه بلفظ سبحان غير الله، وإنما ذكره الشاعر نادراً على
الاصل واجراه كالمثل في قوله «وان من شيء الا يسبح بحمده»^(٥) معناه ليس
شيء إلا وفيه دلالة على تنزيه الله بما لا يليق به، وقولهم: سبح تسبيحاً أي قال
سبحان الله، والسبح في التعظيم الجري فيه. والاسراء سير الليل، اسرى اسراء
وسرى يسرى سرى لغتان، قال الشاعر:

وليلة ذات دجى سرىت ولم يلتني عن سراها ليت^(٦)

(١) مر هذا البيت في ٣ : ٨٢ ، ٥ : ٥٦٣ (٢) سورة ٣٧ الصافات آية ١٤٣

(٣) سورة ٢٧ القلم آية ١٧ - ٢٩

(٤) ديوانه (دار بيروت) ٩٤ وقد مر في ١ : ١٢٤ ، ٨١ ، ٥ : ٢٤١ ، ٣٩٥

(٥) سورة ١٧ الاسرى آية ٤٤

(٦) تفسير القرطبي ١٠ : ٢٠٥ ورايته (ندى) بسدل (دجى) وتفسير الطبري

(الطبعة الاولى) ١٥ : ٣ ، واللسان (ليت) ولم يعرف قائله. والمعنى: سرت

في ليلة ذات دجى، ولم يؤخرني، ولا منعتني عن السير مانع.

وقوله « ليلاً » معناه بعض الليل ، على تقليل وقت الاسراء ، ويقوي ذلك قراءة حذيفة ، وعبد الله « من الليل » وروى أم هاني بنت ابي طالب : أن النبي ﷺ كان في منزلها ليلة أسرى به . وقال الحسن وقتادة : كان في نفس المسجد الحرام . وروى عن أم هاني أن الحرم كله مسجد . والمسجد الأقصى هو بيت المقدس ، وهو مسجد سليمان بن داود - في قول الحسن وغيره من المفسرين - وإنما قيل له : الأقصى ، لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام . وقال الحسن : صلى النبي ﷺ المغرب في المسجد الحرام . ثم أسرى به الى بيت المقدس في ليلة ثم رجع ، فصلى الصبح في المسجد الحرام ، فلما اخبر به المشركين كذبوا ذلك ، وقالوا : يسير مسيرة شهر في ليلة واحدة؟! وجعلوا يسألون عن بيت المقدس وما رأى في طريقه ، فوصفه لهم شيئاً شيناً بما يعرفونه . ثم اخبرهم انه رأى في طريقه قعباً مغطاً مملوءاً ماء فشرب الماء كله ثم غطاه كما كان ، ووصف لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل المتاع ، فقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق ، ففعدوا في ذلك اليوم يستقبلونها ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت ، ولم تأت . وقال آخر هذا والله العير يقدمها جمل أورق ، كما ذكر محمد ، فكان ذلك معجزة له باهرة ، ودلالة واضحة لولا العناد ، وكان نفس الاسراء حجة له ﷺ لا انه يحتاج إلى دلالة كغيره ، ولذلك قال تعالى « لئله من آياتنا » فكان الاسراء من جملة الآيات التي تؤكد بها يقينه وازدادت به بصيرته ، لأنه كان قد علم نبوته بما تقدم له من الآيات ، فكان هذا على وجه التأكيد لذلك .

وعند أصحابنا وأكثر أصحاب التأويل ، وذكره الجبائي ايضاً : انه عرج به في تلك الليلة الى السماء وأت حتى بلغ سدره المنتهى في السماء السابعة ، وراه الله من آيات السموات والارض ما ازداد به معرفة ويقيناً ، وكان ذلك في يقظته دون منامه ، والذي يشهد به القرآن الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، والباقي يعلم بالخبر .

وقوله « الذي باركنا حوله » يعني بالثار ومجاري الانهار ، وقيل « باركنا »

حواله بمن جعلنا حوله من الانبياء والصالحين، ولذلك جعله مقدساً. «لنريه من آياتنا» من المعجائب التي فيها اعتبار.

وروي أنه كان رأى الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً .
وقوله « إنه هو السميع البصير » اخبار منه تعالى أنه يجب أن يدرك
المبصرات والمسموعات اذا وجدت ، لأنه حي ولا يجوز عليه الآفات .

وقوله « وآتينا موسى الكتاب » يعني التوراة « وجعلناه » يعني التوراة التي
انزلها « هدى » ودلالة لبني اسرائيل ، وقلنا لهم « لا تتخذوا من دوني وكيلاً »
أي رباً تتوكلون عليه وكافياً تسندون اموركم اليه . وقال مجاهد : معنى « وكيلاً »
شريكاً ، قال المبرد : هذا لا شاهد له في اللغة . وقلنا يا « ذرية نوح »
في سفينته وقت الطوفان « انه كان عبداً شكوراً » يعني نوحاً كان عبداً كان لله
شاكراً له على نعمه .

وروي انه اذا كان اراد أكل طعام أو شراب قال : بسم الله ، وإذا شبع
قال الحمد لله ، ومن قال : هو نصب على أنه مفعول ، فانه قال تقديره لا تتخذوا
ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً من دوني .

قوله تعالى :

(وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا
مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَيْنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) ثلاث آيات بلا خلاف .

القضاء على أربعة أقسام : بمعنى الخلق والاحداث ، كما قال « فقضاهن سبع

سموات»^(١) وبمعنى فصل الحكم كقوله « والله يقضي بالحق»^(٢) وبمعنى الأمر كقوله « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه»^(٣) وبمعنى الاخبار كقوله « وقضينا إلى بني اسرائيل» اي اخبرناهم واعلمناهم بما يكون من الامر المذكور، من انهم سيفسدون في الارض مرتين، ويعلون علواً كبيراً، اي عظيماً اي يتجبرون على عباد الله.

قال ابن عباس وقتادة: المبعوث عليهم في المرة الاولى جالوت الى ان قتله داود، وكان ملكهم طالوت.

وقال سعيد ابن المسيب: هو بخت نصر، وقال سعيد بن جبير: هو سنحاريب وقال الحسن: هم العمالقة، وكانوا كفاراً.

والفساد الذي ذكره: هو قتلهم الناس ظلماً وتغلبهم على اموالهم قهراً واخراب ديارهم بغياً.

والآية تدل على ان قضاء الله بالمعاصي هو اخباره انها تكون.

وقوله « فلما جاء وعد اولاهما» يعني وقت فناء آجالهم ووقت عقوباتهم. والوعد هو الموعد به - ههنا - ووضع المصدر موضع المفعول به.

وقوله « بعثنا عليكم عبداً لنا اولي باس شديد» قيل في معنى (بعثنا) قولان:

احدهما - قال الحسن: انا خلينا بينهم وبينكم، خاذلين لكم، جزاء على كفركم، ومعاصيكم، كما قال: « انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازاء»^(٤)

الثاني - قال ابو علي: امرناهم بقتالكم. وقوله « فجاسوا خلال الديار» اي تردوا وتخللوا بين الدور، يقال: جست أجوس جوساً وجوساناً، قال حسان:

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ١٢ (٢) سورة ٤٠ المؤمن (غافر) آية ٢٠

(٣) سورة ١٧ الاسرى آية ٢٣ (٤) سورة ١٩ مريم آية ٨٤

ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء عرض العساكر (١)
 معناه تخللهم قتلا بسيفه ، وقيل : الجوس طلب الشيء باستقصاء . وقوله « وكان
 وعداً مفعولاً » أي كائناً لا محالة على ما أخبرنا به ، ثم قال لهم « ردونا لكم الكرة
 عليهم » يعني الرجعة والنصرة عليهم « وأمددناكم بأموال وبنين » أي أعانكم
 وكثرناكم « وجعلناكم أكثر نفيراً » أي أكثر انصاراً ، ونصبه على التمييز ، قال
 الزجاج : يجوز أن يكون (نفيراً) جمع نفير كعبيد وضنين ومعين . قال الفراء :
 زعموا أن رجلاً من همدان بعثه الله على بخت نصر ، فقتله وعاد الملك إلى بني
 إسرائيل فعاشوا .

قوله تعالى :

(إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
 الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَلِيُتَبَّرُوا مَّا عَلَوْا تَتْبِيراً) (٧) آية بلا خلاف .

قرأ الكسائي « لنسو وجوهكم » بالنون وفتح الواو ، كما يقال : لن ندعو ،
 فعلاية النصب فتحة الواو . وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، وأبو بكر عن عاصم بالياء
 على واحد « ليسوي » الباقون بالياء والمد ، وعلامة النصب - هنا - حذف
 النون ، وإنما مدوا ، لتمكين الهمزة ، لأن كل واو سكنت وانضم ما قبلها وثبتت
 بعدها همزة ، فلا بد من مد ، في كلمة كانت أو كلمتين ، نحو « قالوا آمنا » (٢) وفي

(١) تفسير الطبري (الطبعة الأولى) ١٥ : ٢١ وتفسير الشوكاني ٣ : ٢٠٢ ولم أجده
 في ديوان حسان المطبوع في بيروت (دار صادر ، دار بيروت) . وهو أيضاً في تفسير
 القرطبي ١٠ : ٢١٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤

كلمة واحدة نحو « تبوء باثمي »^(١) « وتبوء بحمله » وفي قراءة أبي « ليسؤن وجوهكم » بنون خفيفة للتأكيد ، كقوله « لنسفعا بالناصية »^(٢) .

قال أبو علي الفارسي: لما قال « لتفسدن في الأرض مرتين » وبين المرة الأولى قال « فإذا جاء وعد الآخرة » أي المرة الآخرة بعثناهم « ليسوءوا وجوهكم » فحذف (بعثناهم) لأنه تقدم ذكره ، لأنه جواب (إذا) ، وشرطها يقتضيه ، فحذف للدلالة عليه فأما معنى « ليسؤوا » فقال أبو زيد: يقال: سؤته سأة وساءة ومساءة ومسائية وسوأية ، وقال « وجوهكم » على أن الوجوه مفعولاً لـ « يسؤوا » وعدتي إلى الوجوه ، لأن الوجوه قد يراد بها ذور الوجوه كقوله « وكل شيء هالك إلا وجهه »^(٣) وقال « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة »^(٤) وقال « وجوه يومئذ ضرة »^(٥) وقال النابغة :

أقارع عوفاً لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع^(٦)

فكان الوجوه إنما خصت بذلك ، لأنها تدل على ما كان من تغير الوجوه من الناس ، من حزن أو مسرة ، وبشارة وكآبة .

وحجة من قرأ بالياء والجمع انه أشبه بما قبله وما بعده ، لأن الذي جاء قبله « بعثنا عليكم رجالاً » وبعده « وليدخلوا المسجد » وهو بيت المقدس ، والمبعوثون في الحقيقة هم الذين يسؤونهم لقتلهم إياهم وأسرهم لهم ، فهو وفق المعنى .

ومن قرأ بالياء والتوحيد ، ففاعل « ليسوءوا » أحد شيتين .

أحدهما - أن يكون اسم الله ، لأن الذي تقدم « بعثنا » « ورددنا لكم » و « امددناكم » .

والآخر - ان يكون البعث والوعد ، ودل عليه « بعثنا المنقدم كقوله « لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم »^(٧) اي البخل .

- | | |
|-----------------------------|---|
| (١) سورة ه المائدة اية ٣٢ | (٢) سورة ٩٦ العلق اية ٢٥ |
| (٣) سورة ٢٨ القصص اية ٨٨ | (٤) سورة ٨٠ عبس اية ٤٠ |
| (٥) سورة ٧٥ القيامة اية ٢٣ | (٦) ديوانه (دار بيروت) ٨٠ واللسان (جدع) |
| (٧) سورة ٣ آل عمران اية ١٨٠ | |

ومن قرأ بالنون كان المعنى كقول من قدر أن الفعل ما تقدم من اسم الله وجزاء ان تنسب المساءة الى الله ، وإن كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة ، لانهم فعلوها بقدره الله وتمكينه ، فجزاء ان تنسب اليه ، كما قال « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (١) ويجوز ان يكون اللام في قوله « ليسؤوا » وليدخلوا « وليتبروا » لام العاقبة ، لان الله لا يريد منهم ذلك من حيث كان ذلك ظلماً وفساداً .

يقول الله تعالى لخلق من المكلفين « إن أحسنتم » اي فعلتم الافعال الحسنة من الإنعام الى الغير ، والافعال الجميلة التي هي طاعة « أحسنتم لانفسكم » ، لان ثواب ذلك ، واصل اليكم « وإن أسأتم » الى الغير وظلمتموه « أسأتم » لانفسكم لأن وبال ذلك وعقابه واصل اليكم ، وإنما قال « فلها » ليقابل قوله « احسنتم لانفسكم » والمعنى ان أسأتم فإليها ، كما يقال : احسن إلى نفسه ليقابل اساء الى نفسه ، على ان حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض اذا تقاربت معانيها ، قال تعالى « بأن ربك ارحم لها » (٢) والمعنى ارحم اليها . ومعنى انت في منتهى الاساءة ، وانت المختص بالاساءة ، متقارب .

« فإذا جاء وعد الآخرة » يعني وعد المرة الآخرة « ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد » يعني المبعوثين عليكم « كما دخلوه » في المرة الاولى يعني غيرهم ، لان هؤلاء بأعيانهم لم يدخلوها في الدفعة الاولى « وليتبروا ما علوا تتييرا » فالتبرار والهلاك ، والدمار واحد ، وكل ما انكسر من الزجاج والحديد والذهب تبر . ومعنى « ما علوا تتييرا » ما غلبوا عليه ، وجواب (اذا) محذوف وتقديره : فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم . وقيل : بعثناهم ليسؤوا .

قوله تعالى :

(عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ

(١) سورة الانفال اية ١٧ (٢) سورة الزلزال اية ٥ (٣) سورة الزلزال اية ٥

لِّلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)
ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ : بأن قل لبني اسرائيل «عسى ربكم أن
يرحمكم ، إن أقمتهم على طاعته وترك معاصيه (وعسى) من الله واجبة ، ويجوز
ان يكون بمعنى الاهتمام على المخاطب . وقوله « وإن عدتم » يعني في معاصي الله ،
والكفر به وجحد أنبيائه « عدنا » في عذابكم ، والتسليط عليكم ، كما فعلناه
أول مرة ، وقال ابن عباس وقتادة : عادوا فبعث الله عليهم المسلمين يذلونهم
بالجزية والحاربة إلى يوم القيامة . قوله « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » قال
ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة : محبساً ، والحصير الحبس ، ويقال للملك
حصير ، لأنه محبوب ، قال لبيد :

وقمام غلب الرقاب كأنهم جنّ لدى باب الحصير قيام^(١)

وقال الحسن : يعني مهاداً ، كما قال « لهم من جهنم مهاد »^(٢) والحصير البساط
المرمول ، يحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسيج ، ويقال للجنبين :
الحصيران ، لحصرهما ما أحاطا به من الجوف وما فيه . وقيل لأن بعض أضلاعه
حصر مع بعض ، ويسمى البساط الصغير حصيراً ، وحصير بمعنى محصور ، كرضي
بمعنى مرضي .

ثم أخبر تعالى أن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ « يهدي » أي يبدل

(١) ديوانه ٣٩/٢ وتفسير القرطبي ٢٢٤/١٠ ومجاز القرآن ٣٧١/١ وتفسير الطبري ١٥/٣
وسمط اللالي ٩٥٥ وروح المعاني ٢١/١٥ والصحاح ، والتاج ، واللسان (حصر)
(٢) سورة ٧ الاعراف آية ١٤

« التي هي أقوم » قال الفراء : لشهادة أن لا إله إلا الله . ويحتمل أن يكون المراد يهدي لجميع سبل الدين ، التي هي أصوب من غيرها : من توحيد الله ، وعدله ، وصدق انبيائه ، والعمل بشريعته ، وفعل طاعاته ، وتجنب معاصيه . ويبشر المؤمنين ، يعني القرآن يبشرهم « بأن لهم أجراً كبيراً » وثواباً عظيماً ، على طاعتهم ، ويبشرهم أيضاً بـ « أن الذين لا يؤمنون بالآخرة » ويحددون البعث والنشور أعد الله لهم « عذاباً أليماً » يعني مؤلماً موجعاً ، « واعتدنا » أصله أعدنا فقلبت لإحدى الدالين تاء ، فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال ، وتكون البشارة قد أوقعت على أن لهم الجنة ، وأن لعدوهم النار ، فذلك نصب (أن) في الموضعين . ويحتمل أن يكون نصب (أن) الثانية على حذف اللام ، والتقدير ، لأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعدنا لهم عذاباً أليماً ، ولو كسرت على الاستثناف جاز غير أنه لا يقرأ به احد .

قوله تعالى :

(وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)
 (١١) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
 وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) (١٢) آيتان بلا خلاف .

قيل في معنى قوله « ويدع الانسان » قولان :

احدهما - ما ذكره ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد انه يدعو على نفسه وولده عند غضبه ، فيقول : اللهم العنه واغضب عليه وما اشبهه ، فيمنعه الله ، ولو اعطاه لشق عليه .

والثاني - قال قوم : انه يطلب ما هو شر له لتعجيل الانتفاع به مثل دعائه بما هو خير له ، ويقوي ذلك قوله « وكان الانسان عجولا » ومعنى قوله « وكان

الانسان عجولا « قال مجاهد : لأنه يعجل بالدعاء بما لا يجوز . وقال ابن عباس : على طبع آدم لما نفخ فيه الروح فبلغت إلى رجليه ، قبل ان تجري فيها ، رام النهوض .

والعجلة طلب الشيء قبل وقته الذي لا يجوز تقديمه عليه او ليس بأولى فيه والسرعة عمل الشيء في أول وقته الذي هو أولى به .

ثم أخبر أنه تعالى جعل « الليل والنهار آيتين » يريد الشمس والقمر في هذا الموضع - عند قوم - وقال الجبائي : هما الليل والنهار ، وهو الظاهر ، وهما دليلان على توحيد الله ، لأن احداً لا يقدر على الاتيان بالنهار ، ولا على اذهابه والاتيان بالليل ، وانما يقدر عليه القادر لنفسه الذي لا يتعذر عليه شيء .

ثم اخبر انه جعل احدي الآيتين محوطة وهي الليل اي لا تبصر فيها المرثيات كما لا يبصر ما يمحي من الكتاب ، وهو من البلاغة العظيمة .

وقال ابن عباس : محو آية الليل السواد الذي في القمر ، وروي عن علي (ع) أنه اللطخة التي في القمر .

وقوله « وجعلنا آية النهار مبصرة » قيل في معناه قولان : أحدهما - مضيئه للابصار .

الثاني - جعلنا أهله بصراء فيه كما يقال : رجل مخبث أي أهله خبيثاء ورجل مضعف أي أهله ضعفاء ، فكذلك النهار مبصراً أي أصحابه بصراء . ثم بين الغرض بذلك ، وانما جعله كذلك « لتبتغوا فضلا » أي تطلبوا فضلا من ربكم « ولتعلموا عدد السنين والحساب » في موافيتكم ومعاملاتكم ومعرفة سنينكم وغير ذلك ، فيكثر بذلك انتفاعكم « وكل شيء فصلناه تفصيلا » أي ميزنا كل شيء تمييزاً ظاهراً بيناً لا يلتبس ، وبيناه بياناً لا يخفى .

قوله تعالى :

(وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر « ويخرج » بضم الياء ، وفتح الراء ، وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وضم الراء . الباقون بالنون ، وضمها ، وكسر الراء . واتفقوا على نصب « كتاباً » وقرأ ابن عامر وأبو جعفر « يلقاه » بضم الياء ، وفتح اللام وتشديد القاف . الباقون بفتح الياء وسكون اللام وفتح القاف وتخفيفها ، ونصب كل انسان بفعل يفسره « ألزمناه » وتقديره ألزمتنا كل انسان ألزمتناه ، كما قال « والقمر قدرناه » (١) فيمن نصب . ومعنى طائره قال ابن عباس ، وبجاهد وقتادة : عمله من خيراً أو شر كالطائر الذي يجيء من ذات اليمين ، فيتبرك به ، والطائر الذي يجيء من ذات الشمال فيتشام به ، وطائره عمله . والزمامه طائره في عنقه : الحكم عليه بما يستحقه من ثواب أو عقاب . وقيل : معناه ان يحكم بأن عمله كالطوق في عنقه . ثم اخبر تعالى أنه يخرج للانسان المكلف يوم القيامة كتاباً فيه جميع أفعاله مثبتة ما يستحق عليه ثواب أو عقاب .

وقوله « يلقاه » قرأه ابن عامر بضم الياء وفتح اللام ، وتشديد القاف ، بمعنى ان الملائكة يستقبلونهم . الباقون بفتح الياء والقاف ، بمعنى أنهم يلقونه ويرونه .

فمن قرأ بالتخفيف ، فمن لقيت الكتاب ، فاذا ضاعفت قلت لقائيه ، وقد يتعدى بتضعيف العين الى مفعولين بعد ان كان متعدياً الى مفعول واحد ، فاذا بني للمفعول به نقص مفعول واحد من المفعولين ، لأن أحدهما يقول مقام الفاعل ،

لاسناد الفعل اليه، فيبقى متعدياً الى مفعول واحد، وعلى هذا قوله « ويلقون فيها تحية وسلاماً »^(١) وفي البناء للفاعل « ولقنهم نضرة وسروراً »^(٢) وحكي عن الحسن ومجاهد أنهما قرءا « ويخرج » بفتح الياء وضم الراء، والمعنى يخرج طائره له « كتاباً » نصب على التمييز، وقيل في (طائره) أنه عمله . وقيل : أنه حظه، وما قدمه من خير أو شر. قال المؤرج : الطائر العمل، بلغة الانصار، ويكون المعنى على هذا ويخرج عمله له كتاباً أي ذا كتاب، ومعناه أنه مثبت في الكتاب الذي قال فيه « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها »^(٣) وقال « هاؤم اقرؤا كتابيه »^(٤) وانما قيل لعمله طائره - وطيره في بعض القراءات - على تعارف العرب، يقولون: جرى طائره بكذا، ومثله قوله « قالوا طائركم معكم »^(٥) وقوله « انما طائركم عند الله »^(٦) وقال ابو زيد: ما مر من طائر أو ظبي أو غيره، كل ذلك عندهم طائر، قال ابو زيد: قولهم: سألت الطير، وقلت للطير، انما هو زجر، وقولهم زجرني الطير ومعناه وقع زجري عليهما، على كذا وكذا، من خير أو شر، ومنه قول الكميت :

ولا أنا ممن يزجر الطير همه
أصاح عزاب أو تعرّض ثعلب^(٧)

وقال حسان :

ذريني وعلمي بالامور وشيمتي
فما طائري فيها عليك بأخيلا^(٨)

اي ليس رأيي بمشوم، وقال كثير :

أقول إذا ما الطير مرّت نخيلة
لعلك يوماً فانتظر ان تنالها^(٩)

معنى نخيلة مكروهة من الاخيل، ومعنى « في عنقه » لزوم ذلك له وتعلقه

(١) سورة الفرقان آية ٧٥

(٢) سورة الدهر آية ١١

(٣) سورة الكهف آية ٥٠

(٤) سورة الحاقة آية ١٩

(٥) سورة ٣٦ يس آية ١٩

(٦) امالي الشريف المرتضى ١ : ٦٧ وجمع البيان ٣ : ٤٠٣

(٧) ديوانه ٢٠٦ واللسان (خيل) وجمع البيان ٣ : ٤٠٣

(٨) جمع البيان ٣ : ٤٠٣

به ، ومثله قولهم : طوقتك كذا ، وقد تذك كذا اي الزمته إياك ومثله ، قلده السلطان كذا ، اي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ، وإنما خصّ إلزام الطائر بالعنق ، لأنه إضافة ما يزين من طوق ، او ما يشين من عمل يضاف الى الاعناق ، ولأن في عرف الناس ان يقولوا : هذا في رقبتك . وقد يضاف العمل الى اليد ايضاً كما قال « ذلك بما قدمت ايديكم » (١) وإن كانت كسبه بفرجه ولسانه ، وغير ذلك ، وإنما يذم بذلك على وجه التقريع والتبكييت بما فعله من المعاصي ، ويكون في العلم بذلك لطف في دار الدنيا ، وان كان الله عالماً بتفصيل ما فعلوه .

وقوله « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » اي حسبك نفسك اليوم حاكماً عليك في عملك وما تستحقه من ثواب على الطاعة ومن عقاب على المعصية ، لانه أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك بعملك . وقيل معنى « حسيباً » شاهداً وشهيداً .

وقوله « من اهتدى » يعني فعل الخيرات والطاعات وانتفع بهداية الله إياه « فإنما يهتدي لنفسه » وأن ثواب ذلك واصل اليه « ومن ضلّ » اي جار عن الحق وعدل عن الصواب وارتكب المعاصي « فإنما يضل عليها » اي يحور عليها لأن عقاب ذلك ووباله واصل اليه ، لأن الله تعالى قال « لا تزر وازرة وزر أخرى » اي لا يأخذ احداً بذنب غيره ، والوزر الإثم ، وقيل معناه لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم ، لأن غيره عمله ، والأول أقوى .

وقوله « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » اخبار من الله أنه لا يعاقب احداً على معاصيه ، حتى يستظهر عليه بالحجج وانفاذ الرسل يذبهونه على الحق ، ويهدونه اليه ويرشدونه الى سلوكه ، استظهاراً في الحججة ، لانه اذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع الى الحق ، تأكد الامر وزال الريب فيما يلزم العبد ، وليس في ذلك دلالة على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب اذا ارتكب العبد

القبائح العقلية، اللهم إلا أن يفرض أن في بعثه الرسول لطفاً، فإنه لا يحسن من الله تعالى مع ذلك أن يعاقب احداً إلا بعد أن يعرفه ما هو لطف له ومصلحة لتزاح علته . وقيل : معناه « وما كنا معذبين » بعذاب الاستئصال والاهلاك في الدنيا « حتى نبعث رسولا » .

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجهرة : من ان الله يعذب اطفال الكفار بكفر آبائهم ، لانه بين أنه لا يأخذ احداً يجرم غيره .

قوله تعالى :

(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا) (١٦) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب « أمرنا » بمد الهمزة . وعن الحسن « أمرنا » بالتشديد ، وروي عنه « أمرنا » بكسر الميم خفيفة وهي ردية .
ذكر في هذه الآية وجوه أربعة :

أحدها - ان مجرد الاهلاك لا يدل على أنه حسن أو قبيح ، بل يمكن وقوعه على كل واحد من الأمرين ، فإذا كان واقعا على وجه الظلم ، كان قبيحاً ، وإذا كان واقعا على وجه الاستحقاق أو على وجه الامتحان ، كان حسناً ، فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها على الوجه القبيح . وإذا علمنا أن القديم لا يفعل القبيح ، علمنا أن إرادته الاهلاك على الوجه الحسن .

وقوله « أمرنا مترفيها » المأمور به محذوف ، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وان وقع بعده الفسق ، بل لا يمتنع أن يكون التقدير : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرناهم بالطاعة ، ففسقوا فيها فحق عليها القول ، وجرى ذلك مجرى قولهم : أمرته فعصى ودعوته فأبى ، والمراد أمرته بالطاعة ودعوته إلى الاجابة والقبول ، فعصى .

فإن قيل : أي معنى لتقدم الارادة ؟ فإن كانت متعلقة بإهلاك يستحق بغير
الفسق المذكور في الآية ، فلا معنى لقوله « إذا أردنا ... أمرنا » ، لأن أمره بما
يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال ، وإن كانت الارادة
متعلقة بالهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية ، فهو الذي تأبونه ، لأنه
يقتضي أنه تعالى يريد لإهلاك من لم يستحق العقاب !! .

قلنا : لم تتعلق الارادة إلا بالإهلاك المستحق بما تقدم من الذنوب ، وإنما حسن
قوله « إذا أردنا ... أمرنا » أن في تكرار الأمر بالطاعة بالايان إغذاراً للعصاة
وإنذاراً لهم وإيجاباً للحجة عليهم ، ويقوي ذلك قوله قبل هذه الآية « وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولاً » منبهاً بذلك أنه أراد إثبات الحجة وتكررها عليهم

الثاني - أن يكون قوله « أمرنا مترفيها » من صفة القرية وصلتها ، ولا يكون
جواباً لقوله « وإذا أردنا » ويكون تقدير الكلام : « وإذا أردنا أن نهلك قرية
من صفتها أنا « أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » ولا يكون لـ (إذا) جواب ظاهر
في اللفظ ، للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ، ومثله قوله « حتى إذا
جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم » إلى قوله « فنعم أجر
العاملين »^(١) ولم يأت لـ (إذا) جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ، وقال
الهدلي :

حتى إذا أسلكوهم في قنائة شلاً كما يطرد الجمالة الشردا^(٢)

فحذف جواب (إذا) ولم يأت به ، لأن هذا البيت آخر القصيدة .
الثالث - أن يكون الكلام على التقديم والتأخير ، وتقديره إذا أمرنا مترفي
قرية بالطاعة ، فعصوا ، واستحقوا العقاب ، أردنا إهلاكهم ، ويشهد بهذا التأويل
قوله « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم »^(٣) فالطهارة إنما

(١) سورة الزمر آية ٧٣ - ٧٤

(٢) تفسير روح المعاني ٣: ١٥ وقد مر في ١٢٨: ١ ، ١٤٩

(٣) سورة ه المائدة آية ٦

تجب قبل القيام الى الصلاة . ومثله قوله « واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك » (١) وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هو الاتيان بجميعها على الكمال . ومثله قوله « ما إن مفاطحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » (٢) والتقدير ما إن مفاطحه لتنوء بها العصبة أي يثقلون بها ، ومثله قول الشاعر :

ذعرت القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين (٣)

أراد مقام الذئب اللعين ، وقد فصلوا بين المضاف والمضاف اليه قال الشاعر :

بين ذراعي وجبهة الأسد (٤)

أراد بين ذراعي الأسد وجبته .

والرابع - أن يكون ذكر الارادة في الآية مجازاً واتساعاً وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وأنهم متى أمروا فسقوا وخالفوا ، وجرى ذلك مجرى قولهم : إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل وجه ، وجاء الخسران من كل طريق ، وإذا أراد العليل ان يموت خلط في مأكله ، ومعلوم أن احداً ممن ذكرناه لم يرد ذلك ؛ لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ، ومن حال ذاك الهلاك ، حسن هذا الكلام ، وكان أفصح وأبلغ ، لما فيه من الاستعارة والمجاز الذي لا يكون الكلام بليغاً من دونهما . ويكون تلخيص الكلام : إذا اردنا اهلاك قرية كقوله « جداراً يريد ان ينقض » (٥) أمرناهم بالطاعة ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول .

وانما خص المترفون بذكر الأمر ، لأنهم الرؤساء الذين من عداهم تبع لهم ، كما أمر فرعون ومن عداه تبع له من القبط . ومن حمله على ان المراد به أكثرنا قال : لأن الأمر بالطاعة ليس بمقصود على المترفين ، بل هو عام لجميعهم ، فلذلك شدد الميم أو مدد الهمزة .

(١) سورة ٤ النساء اية ١٠٢

(٢) سورة ٢٨ القصص اية ٧٦

(٣) مر هذا البيت في ١ : ٣٤٣ ، ٢ : ٤٧

(٤) تفسير الطبري ١٥ : ٣٤ (الطبعة الاولى)

(٥) سورة ١٨ الكهف اية ٧٧

وانما قال « ففسقوا فيها » ولم يقل : فكفروا ، لأن المراد فتمردوا في كفرهم لأن الفسوق في الكفر الخروج إلى افحشه ، فكأنه قال ففسقوا بالخروج عن الأمر إلى الكفر .

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : المعنى أمرناهم بالطاعة ، ففسقوا ، ومثله امرتك فعصيتني .

ومن قرأ « أمرنا مترفيها » بتشديد الميم من التأمير بمعنى التسليط ، وقد يكون بمعنى أكثرنا . ويجوز ان يكون المعنى أكثرنا عددهم أو مالهم ، وقرئ (أمرنا) بمدوداً ، والمعنى أكثرنا مترفيها ، وإنما قيل في الكثرة أمر القوم ، لأنهم يحتاجون إلى أمير يأمرهم وينهاهم ، فقد أمروا لذلك ، قال لبيد :

ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا يوماً يصيروا للهلاك والفند^(١)

وروى والكند . وقال بعضهم أمرنا بمعنى أكثرنا ، وقال ابو عمرو : ولا يكون من هذا المعنى (أمرنا) قال ابو عبيد : يدل على هذه اللغة قولهم : سكة مأبورة ومهرة مأمورة ، أي كثيرة الولد . ومن قال بالأول قال هذا لمكان الازدواج ، كما قالوا الغدايا والعشايا ، والغداء لا يجمع على غدايا ، ولكن قيل ذلك ليزدوج الكلام مع قولهم : العشايا ، وقال قوم : يقال أمر الشيء وأمرته أي كثر وكثرته لغتان ، مثل رجع ورجعته . والمشهور الاول . وإنما تعدى اما بالتضعيف أو الهمزة ، وإذا كان مخففاً فهو من الأمر الذي هو خلاف النهي ، على ما بيناه . وقال المبرد : « أمرنا » خفيفة بمعنى أكثرنا ، وروى الجرهمي : فعلت وأفعلت^(٢) - عن ابي زيد - بمعنى واحد ، قال وقرأته على الاصمعي . « ودمرنا » معناه أهلكتنا ، والدمار الهلاك .

(١) تفسير الطبري ١٥ : ٦١ والشوكاني (الفتح القدير) ٣ : ٢٠٧ ولكن الكذب والفند اخلالك .

(٢) هذا ما في المخطوطة ، وكان في المطبوعة (ثقلت واثقلت) .

قوله تعالى :

(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا
لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَذْهُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (١٩) ثلاث آيات بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأنه اهلك من القرون من بعد نوح ، أممًا كثيرة ، لأن
« كم » يفيد التكثير ضد (رب) الذي يفيد التقليل ، (والقرن) قيل : مئة
وعشرون سنة - في قول عبدالله ابن أبي أوفى - وقال محمد بن القاسم المازني : هو
مئة سنة ، وقال قوم : هو اربعون سنة . وادخلت الباء في قوله « كفى بربك »
للمدح : كما تقول : ناهيك به رجلاً ، وجاد بثوبك ثوباً ، وطاب بطعامك طعاماً
واكرم به رجلاً ، وكل ذلك في موضع رفع ، كما قال الشاعر :

ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدى عما غيب المرء مخبراً^(١)

فرفع لما اسقط الباء . والمعنى : كفى بربك عالمًا وحسيبًا بذنوب عباده بصيراً
بها ، ثم قال « من كان يريد » المنافع « العاجلة » في الدنيا « عجلنا له فيها »
يعني في الدنيا القدر الذي نريده لمن نريد ، لا على قدر ما يريدون ، لأن ما
يريدونه ربما كانت فيه مفسدة ، لا يجوز إعطاؤهم إياه ، ثم بين انه إذا اعطاهم ما
طلبوه عاجلاً جعل لهم جهنم جزاء ، على معاصيهم وكفرهم يصلونها مذمومين
مدحورين ، اي في حال ذمنا إياهم ، يقال : ذأمته ، وذمته ، وذمته بمعنى واحد

(١) مجمع البيان ٣ : ٤٠٧ وتفسير الطبري ١٥ : ٤٢

فهو مذموم ومذموم، ويكون ذامته اي طردته، فهو مذموم. و«مدحوراً» اي متباعداً من رحمة الله دحرته أدحره دحراً اي باعدته .

ثم قال « ومن أراد الآخرة » اي خير الآخرة ، ثواب الجنة « وسعى لها سعيها » بأن فعل الطاعات وتجنب المعاصي ، وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله ومقر بأنبيائه ، فإن أولئك يكون « سعيهم مشكوراً » اي تكون طاعتهم مقبولة . وقال قتادة : شكر الله حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم . والمعنى أحلهم محلاً يشكر عليه في حسن الجزاء كما قال : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » (١) .

قوله تعالى :

(كَلَّا نُمِدُّ هُوْلَاءَ وَهُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُومًا (٢٢) ثلاث آيات بلا خلاف .

قوله « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء » نصب (كلا) بـ « نمد » (وهؤلاء) بدل منه والمعنى إنانعطي البر والفاجر ، والمؤمن والكافر في الدنيا . واما الآخرة فللمتقين خاصة « وما كان عطاء ربك محظوراً » اي لم يكن عطاء الله ممنوعاً ، ثم قال لنبيه والمراد به أمته معه « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » بأن جعلنا بعضهم اغنياء ، وبعضهم فقراء ، وبعضهم موالي ، وبعضهم عبيداً ، وبعضهم اصحاء ، وبعضهم مرضى ، بحسب ما علمنا من مصالحهم . ثم قال « وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلاً » لانهم معطون على مقدار طاعتهم ؛ فمن كان كثير الطاعة

حصلت له الدرجات العالية من الثواب . وإنما اراد يبين أن التفاضل في الدنيا إذا كان يتنافس عليه ، فالتفاضل في الجنة اولى بأن يرغب فيه .

ثم قال لنبيه والمراد به امته « لا تجعل مع الله إلهاً آخر » توجه إليه عبادتك وتستدعي الحوائج من قبله فإنك إن فعلت ذلك قعدت مذموماً مخذولاً ، وإذا كان الخطاب عاماً كان التقدير ، فلا تجعل ايها الانسان مع الله إلهاً آخر . ونصب « فتقعد » لأنه جواب النهي .

قوله تعالى :

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تُنهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَأَخْفِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (٢٤) آيتان بلا خلاف .

قرا حمزة والكسائي وخلف « يبلغان » بألف وكسر النون على التثنية . الباقون يبلغن على الوحدة . وقرأ ابن كثير ، وابن عباس ، ويعقوب « أف » بفتح الفاء من غير تنوين . وقرأ اهل المدينة وحفص بكسر الفاء مع التنوين . الباقون بكسر الفاء من غير تنوين . ومثله في الاحقاف .

قال ابو علي الفارسي قوله « احدهما » مرتفع بالفعل ، وقوله « او كلاهما » معطوف عليه ، والذكر الذي عاد من قوله « احدهما » يعني عن إثبات علامة الضمير في (يبلغن) ، فلا وجه لمن قال : إن الوجه إثبات الالف ، لتقدم ذكر الوالدين . ويجوز ان يكون رفع (احدهما) على البدل من الضمير في (يبلغان) ويجوز ان يرفعه بفعل مجدد على تقدير إما يبلغان عندك الكبير : يبلغ احدهما او كلاهما ،

ويكون رفعاً على السؤال والتفسير كقوله « واسروا النجوى الذين ظلموا »^(١) ومن اثبت الألف ، فعلى وجه التأكيد ، ولو لم يذكر لم يخل بالكلام نحو قوله « أموات غير أحياء »^(٢) فقوله « غير أحياء » توكيد ، لأن قوله « أموات » دل عليه ، قال : وقول ابن كثير (أف) بيني الفاء على الفتح ، لأنه وان كانت في الأصل مصدرأ من قولهم (أفه وتفه) يراد به نقلأ وذفرأ ، لقد سمي الفعل به فبني ، وهذا في البناء على الفتح كقولهم (سرعان ذا إهالة) لما سار اسماً لـ (سرع) ، فكذلك (أف) لما كان اسماً لـ (كره) ، ومثله ريدأ ، في أنه سمي به الفعل ، فبني ولم يلحق التنوين إلا ان هذا للأمر والنهي ، واف في الخبر . وقول نافع في البناء على الكسر مع التنوين ، مثل (أف) في البناء على الفتح : إلا أنه بدخول التنوين دل على التنكير مثل إيه ومه وصه ، ومثله قولهم صه ، فبنوه على الكسر ، وإن كان في الأصل مصدرأ ، كما كان (أف) في الأصل كذلك ، ومن كسر ولم ينون جعله معرفة ، فلم ينون ، كما أن من قال : صه وضاف ، فلم ينون اراد به المعرفة .

وموضع (أف) على اختلاف القراءات موضع الجمل ، مثل (رويد) في أن موضعه موضع الجمل وكذلك لو قلت : هذا فدا^(٣) قال أبو الحسن . وقول من قال (اف) أكثر وأجود ولو جاء (أفأ لك) أحتمل أمرين : احدهما - أن يكون الذي صار إسماً للفعل لحقه التنوين لعلامة التنكير . والآخر أن يكون نصباً معرباً ، وكذلك الضمير ، فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً ، كما انك لا تقول ويل حتى تقرن به لك ، فيكون في موضع الخبر و (أف) كلمة يكتنى بها عن الكلام القبيح وما يتأفف به ، لأن التف وسخ الظفر و (الاف) وسخ الاذن . وقيل التف كل ما رفعت بيدك من حقير من الأرض ، وقيل معنى الأف الثوم ، وقيل

(١) سورة ٢١ الانبياء اية ٣
(٢) سورة ١٦ النحل اية ٢١
(٣) في المخطوطة (هذا قفا) ونسخة اخرى (هذا فداء لك) وقد تركنا ما في المطبوع على حاله فلم نغير فيه شيء .

الشر، وقد جرى مجرى الاصوات، فزال عنه الاعراب مثل (صه) ومعناه اسكت، ومه ومعناه كف^١ وهيئات هيئات اي بعيد بعيد، فاذا نونت أردت النكرة أي سكوفا وقبحاً، واذا لم تنون أردت المعرفة. وإنما جاز تحريك الفاء بالضم والفتح والكسر، لان حركتها ليست حركة إعراب، وإنما هي حركة التقاء الساكنين فتفتح لحنه الفتحة، وتضم اتباعاً للضم قبله، وقيل تضم تشبيهاً بقبل وبعد وتكسر على أصل حركة التقاء الساكنين.

وفي (أف) سبع لغات: أف^١ واف^٢ واف^٣ واقاوا في ماله، وزاد ابن الانباري بسكون الفاء. وروى عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد (ع) انه قال (لو علم الله لفظ أوجز في ترك عقوق الوالدين من (أف) لاتي به). فان قيل هل اباح الله أن يقال لها أف قبل أن يبلغا الكبر؟ قلنا: لا، لأن الله أوجب على الولد إطاعة الوالدين على كل حال، وحظر عليه أذاهما وإنما خص الكبر، لأن وقت كبر الوالدين مما يضطر فيه الوالدان إلى الخدمة اذا كانا محتاجين عند الكبر، وفي المثل يقال فلان أبر من النسر، لان النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه، كما كان أبواه يزقانه، ومثله قوله «ويكلم الناس في المهد وكهلاً»^(١) والوجه في قوله «وكهلاً» مع ان الناس يكلمون كلهم حال الكهولة ان الله اخبر أن عيسى يكلم في المهد أعجوبة وأخبر أنه يعيش حتى يكتهل ويتكلم بعد الكهولة، ونحوه قوله «والامر يومئذ لله»^(٢) وإنما خص ذلك اليوم بأن الأمر لله، لأن في الدنيا مع أنه يملك، قد ملك اقواماً جعلهم ملوكاً وخلفاء، وذلك اليوم لا يملك سواه.

معنى قوله «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» أمر، في قول ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد. فإن قيل: الامر لا يكون أمراً بالآلة يكون الشيء، لأنه يقتضي إرادة المأمور به، والإرادة لا تتعلق بالآلة يكون الشيء، وإنما تتعلق بحدوث الشيء.

قلنا: المعنى انه كره ربكم عبادة غيره وأراد منكم عبادته على وجه الإخلاص

وسمى ذلك أمراً بـ « أن لا تعبدوا إلا إياه » لأن معناهما واحد . وقوله « وبالوالدين احساناً » العامل في الباء يحتمل شيئين: أحدهما - وقضى بالوالدين إحساناً . والثاني - وأوصى ، وحذف لدلالة الكلام عليه ، والمعنى متقارب ، والعرب تقول : أمر به خيراً وأوصى به خيراً ، وقال الشاعر :

عجبت من دهاء إذ تشكونا ومن أبي دهاء إذ يوصينا
خيراً بها كأننا جافونا^(١)

فأعمل «يوصينا» في الخير ، كما أعمل في الاحسان . وقوله « إنا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما » معناه متى بلغ واحد منهما أو هما الكبر « فلا تقل لها أف » أي لا تؤذها بقليل ولا كثير « ولا تنهرها » أي لا تزجرها بإغلاظ وصياح يقال : نهره ينهره نهراً ، وانتهره انتهاراً إذا أغلظ له « وقل لها قولا كريماً » أي شريفاً تكرمها به . وتوقرهما « واخفض لهما جناح الذل » أي تواضع لهما واخفض لهما .

وقرأ سعيد بن جبير « الذل » بكسر الذال . والذل والذلة مصدر الذليل ، والذل مصدر الذلول ، مثل الدابة والارض تقول : جل ذلول ، ودابة ذلول « وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » أي ادع لهما بالمغفرة والرحمة كما ربياني في حال صغرك . وقال قوم الاستغفار لهما منسوخ إذا كانا مشركين بقوله « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين »^(٢) . وقال البلخي : الآية تختص بالمسلمين .

قوله تعالى :

(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ

(١) تفسير الطبري ١٥ : ٤٤ (الطبعة الاولى)

(٢) سورة ٩ التوبة آية ١١٤

لِلْأَوَّابِينَ غُفُوراً (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ
الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧) ثلاث آيات .

يقول الله تعالى مخاطباً للمكلفين من عباده إنه أعلم بهم ، ومعناه إن معلوماته
أكثر من معلوماتكم ، وقد يقال : أعلم بمعنى أثبت فيما به يعلم ، فيجيء من هذا إن
الله تعالى أعلم بأن الجسم حادث من الانسان العالم به . وكذلك كل شيء يمكن
ان يعلم على وجوه متغايرة ، فالله تعالى عالم به على تلك الوجوه وإن خفي على
الواحد منا بعضها .

ومعنى « بما في نفوسكم » اي بما تضمرونه وتخفونه عن غيركم ، فالله أعلم به
منكم ، وفي ذلك غاية التهديد . ثم قال « ان تكونوا صالحين » اي تفعلون الأفعال
الصالحة الحسنة الجميلة ، فان الله « كان للأوابين غفورا » معنى « الأوابين » التوابين
وهم الذين يتوبون مرة بعد مرة - في قول سعيد بن المسيب - كلما أذنب ذنباً
بادر بالتوبة . وقال سعيد بن جبير ، ومجاهد : الأواب هو الراجع عن ذنبه
بالتوبة . وأصل الرجوع يقال : آب يؤوب أوباً إذا رجع من سفره ، قال عبيد
بن الأبرص .

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب^(١)

ثم قال « وآت ذبا القربى حقه » وهو أمر من الله لنبيه ﷺ ان يعطي ذوي
القربى حقوقهم التي جعلها الله لهم ، فروي عن ابن عباس والحسن : انهم قرابة
الانسان . وقال علي بن الحسين (ع) : هم قرابة الرسول ، وهو الذي رواه ايضاً
اصحابنا . وروي انه لما نزلت هذه الآية استدعى النبي ﷺ فاطمة (ع) وأعطاهما
فدكا وسلمه اليها ، وكان وكلاؤهما فيها طول حياة النبي ﷺ ، فلما مضى النبي ﷺ

(١) ديوانه (دار بيروت) ٢٦ وتفسير الطبري ١٥ : ٢٨

أخذها ابو بكر ، ودفعها عن النحلة . والقصة في ذلك مشهورة ، فلما لم يقبل بينتها ، ولا قبل دعواها طالبت بالميراث ، لأن من له الحق إذا منع منه من وجه جاز له ان يتوصل اليه بوجه آخر ، فقال لها : سمعت رسول الله ﷺ يقول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) فمنعها الميراث أيضاً وكلامهما في ذلك مشهور ، لا نطول بذكره الكتاب .

وقوله « والمسكين وابن السبيل » أي واعطوا هؤلاء أيضاً حقوقهم التي جعلها الله لهم من الزكوات وغير ذلك . ثم نهام عن التبذير بقوله « ولا تبذر تبذيراً » والتبذير التفريق بالاسراف . وقال عبد الله : التبذير إنفاق المال في غير حقه ، وهو قول ابن عباس وقتادة . وقال مجاهد لو انفق مداً في باطل كان تبذيراً .

ثم قال « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » وقيل في معناه قولان .

احدهما - إن الشيطان أخوهم باتباعهم آثاره وجريمهم على سنته .
والثاني - انهم يقرنون بالشيطان في النار . ثم أخبر عن حال الشيطان بأنه كفور لنعم الله تعالى وجاحد لآلائه .

قوله تعالى

(وَإِذَا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (٣٠)

ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى « وإما تعرضن » وتقديره ، وإن تعرض و (ما) زائدة . والمعنى : ومتى ما صرفت وجهك عنهم ، يعني عن الذين أمروا بإعطائهم حقوقهم ممن تقدم ذكره ، لأنه قد يعرض عند عوز ما طلبوه ، ليبتغي الفضل من الله ، والسعة التي يمكنه معها البذل ، والتقدير وإذا أتتك قرابتك أو سواهم من المحتاجين يسألونك فأعرضت عنهم ، لأنه لا شيء عندك ، فقل لهم قولا حسنا ، أي عدمهم عدة جميلة . والاعراض صرف الوجه عن الشيء ، وقد يكون عن قلى ، وقد يكون للاشتغال بما هو الأولى ، وقد يكون لاذلال الجاهل مع صرف الوجه عنه ، كما قال « وأعرض عن الجاهلين »^(١) وقوله « ابتغاء رحمة من ربك ترجوها » والابتغاء الطلب . وقوله « ترجوها » معناه تأملها ، والرجاء تعلق النفس بطلب الخير ممن يحوز منه ، ومن يقدر على كل خير وصرف كل شر ، فهو أحق بأن يرجأ ، ولذلك قال أمير المؤمنين (ع) (ألا لا يرجون احدكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه) .

وقوله : « وقل لهم قولا ميسورا » المعنى إذا أعرضت ابتغاء رزق من ربك ، فقل لهم قولا اينأ سهلا ، مثل : زقنا الله تعالى ، وهو قول الحسن ومجاهد و ابراهيم وغيرهم . وقال ابن زيد : تعرض عنهم إذا خشيت أن ينفقوا بالعطية على معاصي الله ، فيكون تبتغي رحمة من الله لهم بالتوبة ، وأصل التيسير التسهيل ، واليسر خلاف العسر ، وقد يكون التيسير بالتقليل ، فيسهل عليه لقلته ، ويكون بمنزلة المعونة على عمله .

ثم قال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » أي لا تكن ممن لا يعطي شيئا ولا يهب ، فتكون بمنزلة من يسهده مغلولة إلى عنقه ، لا يقدر على الاعطاء وذلك مبالغة في النهي عن الشح والامساك « ولا تبسطها كل البسط » أي ولا تعط ايضاً جميع ما عندك ، فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وذلك كناية عن الاسراف . وقوله « فتقعد ملوماً محسوراً » معناه إن امسكت

قعدت ملوماً عند العقلاء مذموماً ، وإن اسرقت بقيت محسوراً ، أي مغموماً متحسراً ، وأصل الحسر الكشف من قولهم ، حسر عن ذراعيه يحسر حسراً ، إذا كشف عنها . والحسرة الغم لا نحسار ما فات ، ودابة حسير إذا كلت لشدة السير ، لانحسار قوتها بالكلال . وكذلك قوله « ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير »^(١) والمحسور المنقطع به لذهاب ما في يده ، وانحساره انقطاعه عنه ، قال الهذلي :

إن العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور^(٢)

ثم قال « إن ربك » يا محمد « يبسط الرزق لمن يشاء » فيوسعه عليه على حسب ما يعلم له من المصلحة فيه « ويقدر » أي يضيق عليه لعلمه بما فيه من الصلاح ، كما قال « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض »^(٣) وقوله « أنه كان بعباده خبيراً بصيراً » أي وهو عالم بأحوالهم ، لا يخفى عليه ما يصلحهم ، وما يفسدهم ، فيفعل معهم بحسب ذلك .

قوله تعالى :

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) (٣٣) ثلاث آيات .

(١) سورة ٦٧ الملك (تبارك) اية ٤

(٢) الشاعر هوقيس بن خويلد الهذلي ، الكامل ١٠٩ ، ١٠٠ ، واللسان والتاج (حسن).

(٣) سورة ٤٢ الشورى اية ٢٧ (شطر) ومجاز القران ١ : ٣٧٥

قرأ ابن كثير «خطاء» بكسر الخاء وبالف بعد الطاء بمدوداً . وقرأ ابو جعفر وابن ذكوان - بفتح الخاء والطاء - من غير ألف بعدها وبغير مد . الباقون بكسر الخاء من غير مد ، إلا ان الداغوني عن هشام روى وجهين : أحدهما - مثل أبي عمرو ، والآخر - مثل أبي جعفر . وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً « فلا تسرف » بالتاء . الباقون بالياء . قال ابو علي الفارسي : قول ابن كثير (خطاء) يجوز ان يكون مصدر خاطأ ، وان لم يسمع (خاطأ) ولكن قد جاء ما يدل عليه ، لأن ابا عبيدة انشد :

تخاطأت النبل أحشاه^(١)

وانشدنا محمد بن السدي في وصف كماء :

وأشعث قد ناولته أحرس القرى أدرت عليه المدجنات الهواضب

تخاطاه القنص حتى وجدته وخرطومه من منقع الماء راسب^(٢)

فتخاطأت مما يدل على خاطأ ، لأن (تفاعل) مطاوع (فاعل) كما ان (تفعّل) مطاوع ففعل ، وقول ابن عامر (خطأ) ، فان الخطأ ما لم يتعمد ، وما كان المأثم فيه موضوعاً عن فاعله ، وقد قالوا : اخطأ في معنى خطيء ، كما ان خطيء في معنى اخطأ ، قال الشاعر :

عبادك يخطئون وأنت ربّ كريم لا تليق بك الذموم^(٣)

ففحوى الكلام أنهم خاطئون ، وفي التنزيل « لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا » فالأخذة من المخطيء موضوعة ، فهذا يدل على ان اخطأ في قوله :

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا^(٤)

«١» تفسير القرطبي ١٠ : ٢٥٣ واللسان « خطيء » وعجزه :

واخر يوم فلم اعجل

«٢» تفسير القرطبي ١٠ : ٢٥٣ وتفسير روح المعاني ١٥ : ٦٧ (٣) اللسان «خطأ»

(٤) قائله امرؤ القيس : ديوانه « الطبعة الرابعة » ١٧٥ واللسان « خطأ » . وهو مطلع

رجز قاله عند ما اغار على بني اسد لما نزلوا على بني كنانة وبعده :

تالله لا يذهب شيخي باطلا حتى ابير مالك وكاهلا

القاتلين الملك الخلاص

وفي قول آخر :

والناس يلحون الأمير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد^(١)
اي اخطؤه، وكذلك قول ابن عامر (خطأ) في معنى أخطأ، وجاء الخطأ في
معنى الخطاء، كما جاء خطيء في معنى اخطأ . وقال ابو الحسن : هذا خطاء من
رايك؛ فيمكن أن يكون خطأ لغة فيه أيضاً. ومن قرأ «خطأ» فلانه يقال خطيء
يخطأ خطأ إذا تعمد الشيء حكاة الاصمعي ، والفاعل منه خاطيء ، وقد جاء
الوعيد فيه في قوله « لا يأكله إلا الخاطئون »^(٢) ويجوز أن يكون الخطأ لغة في
الخطأ مثل المثل والمثل ، والشبه والشبهه ، والبدل والبدل ، قال الفراء : لغتان
مثل قتب وكتب ، وبدل وبدل ، وحكى ابن دريد عن أبي حاتم ، قال تقول :
مكان نخطؤ فيه من خطئت ومكان نخطأ فيه من اخطأ يخطيء ، ومكان نخطو
بغير همزة من تخطى الناس فيخطيء ، ومن همزه نخطيت الناس ، فقد غلط
وقال المبرد : خطأه وخطاه بمعنى ، عند ابي عبيدة والفراء والكسائي ، إلا ان
(الخطأ) بكسر الخاء أكثر في القرآن (والخطأ) بالفتح افشى في كلام الناس ولم
يسمع الكثير في شيء من اشعارهم الا في بيت قاله الشاعر :

الخطأ فاحشة والبر فاضلة كمجوة غرست في الأرض توير^(٣)

قال ابو عبيد : وفيه لغتان ، خطئت وأخطأت ، فمن قال : خطئت قال خطأ
الرجل يخطأ خطأ ، وخطاء ، يكون الخطأ بفتح الخاء هو المصدر ، وبكسرها
الاسم . ومن قال اخطأت كان الخطأ بالفتح والكسر ، جميعاً اسمين والمصدر
الإخطاء .

وقال أبو علي : قوله « فلا يسرف في القتل » فاعل يسرف يجوز أن يكون
أحد شيئين :

أحدهما - أن يكون القاتل الأول ، فيكون التقدير فلا يسرف القاتل في القتل

(١) قائله عبيد ابن اليرص . ديوانه « دار بيروت » ٥٨ وروايته (إذا غوى خطب)

وقد مر في ٢ : ٣٨٧

(٣) تفسير الطبري ١٥ : ٥٤

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ٣٧

وجاز أن يضم ، وإن لم يجر له ذكر ، لأن الحال تدل عليه ، ويكون تقديره بالاسراف جارياً مجرى قوله في أكل مال اليتيم « ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا »^(١) ، وإن لم يجر أن تأكل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره ، لقوله « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نسراً »^(٢) فحظر أكل مال اليتيم حظراً عاماً وعلى كل حال ، فكذلك لا يمتنع أن يقال للقاتل الأول لا تسرف في القتل ، لأنه يكون بقتله مسرفاً ، ويؤكد ذلك قوله « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم »^(٣) فالقاتل داخل في هذا الخطاب - بلا خلاف - مع جميع مرتكبي الكبائر ، ويكون الضمير على هذا في قوله « انه كان منصوراً » على قوله « ومن قتل مظلوماً » [وتقديره ، فلا يسرف القاتل الأول بقتله في القتل ، لأن من قتل مظلوماً كان منصوراً]^(٤) بأن يقتص له وليه أو السلطان إن لم يكن له ولي غيره ، فيكون هذا ردعاً للقاتل عن القتل ، كما أن قوله « ولكم في القصاص حياة »^(٥) كذلك ، فالولي إذا اقتص ، فإنما يقتص للمقتول ، ومنه انتقل إلى الولي بدلالة أن المقتول يبرىء من السبب المؤدي إلى القتل ، ولم يكن للولي أن يقتص ، ولو صالح الولي من العمد - على مال كان - للمقتول أن يؤديه منه ديناً عليه أن يقتص منه دون المقتول ، ولا يمتنع أن يقال في المقتول منصور ، لأنه قد جاء قوله « ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا » .

والآخر - أن يكون في يسرف ضمير الولي ، وتقديره فلا يسرف الولي في القتل ، وإسرافه فيه أن يقتل غير من قتل أو يقتل أكثر من قاتل وليه ، لأن مشركي العرب كانوا يفعلون ذلك ، والتقدير فلا يسرف في القتل ان الولي كان منصوراً بقتل قاتل وليه . والاقتصاص منه .

ومن قرأ بالتاء احتمل ايضاً وجهين :

- | | |
|-------------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة النساء آية ٥ | (٢) سورة النساء آية ٩ |
| (٣) سورة الزمر آية ٥٣ | (٤) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة |
| (٥) سورة البقرة آية ١٧٩ | |

احدهما - ان يكون المستثنى القاتل ظمناً، فقيل له لا تسرف ايها الإنسان فتقتل ظمناً من ليس لك قتله، اذ من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له .
والآخر - ان يكون الخطاب للولي ، والتقدير لا تسرف في القتل ايها الولي فتتعدى قاتل وليك الى من لم يقتله ، لان المقتول ظمناً كان منصوراً، وكل واحد من المقتول ظمناً ومن ولي المقتول قد تقدم في قوله « ومن قتل مظلوماً » الآية .
وقوله « ولا تقتلوا » يحتمل موضعه شينين من الاعراب :

احدهما - ان يكون نصباً بـ « قضى ربك ان لا تعبدوا إلاياه... ولا تقتلوا »
ويحتمل ان يكون جزماً على النهي ، فيكون الله تعالى نهى الخلق عن قتل اولادهم خشية الاملاق .

و (الاملاق) الفقر ، وهو قول ابن عباس ، و قتادة ، ومجاهد ، وانما نهاهم عن ذلك لانهم كانوا يثدون البنات بدفنهم احياء فنهاهم الله عن ذلك .

وقوله « نحن نرزقهم وإياكم » إخبار منه تعالى انه الذي يرزق الاولاد والآباء فلا ينبغي قتلهم خوف الفقر ، واخبر ان قتلهم في الجاهلية « كان خطأ كبيراً » وهو الآن خطأ وإثم كبير ، ثم قال « ولا تقربوا الزنى » ومعناه لا تزنا ، والزنا هو وطؤ المرأة حراماً بلا عقد ولا شبهة عقد مختاراً ، ثم اخبر ان الزنا فاحشة اي معصية كبيرة « رساء سبيلاً » اي بئس الطريق ذلك . وفي الناس من قال : الزنا قبيح بالعقل لما في ذلك من ابطال حق الولد على الوالد ، وفساد الانساب .
وقوله « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله » نهى من الله تعالى عن قتل النفوس المحرم قتلها، واستثنى من ذلك من يجب عليه القتل إما لكفره ، اوردته ، او قتله قصاصاً ، فان قتله كذلك حق ، وليس بظلم ، وقد فسرنا تمام الآية .

والسلطان الذي جعله الله للولي، قال ابن عباس ، والضحاك : هو القودأ والدية او العفو . وقال قتادة الهاء في قوله « انه كان منصوراً » عائدة على الولي . وقال مجاهد عائدة على المقتول . ونصرة الله له بذلك حكمه له بذلك . وقيل نصره النبي والمؤمنين ، ان يعينوه . وقيل الولي هم الوراث من الرجال من الاولاد الذكور ومن الاقارب من كان من قبل الاب .

قوله تعالى :

(وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا
(٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
كُلُّهُ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) ثلاث آيات .

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر عن عاصم « بالقسطاس » بكسر القاف . الباكون
بالضم ، وهما لغتان . وقال الزجاج : القسطاس هو الميزان صغر أو كبر . وقال
الحسن : هو القبان . وقال مجاهد : هو العدل بالرومية وهو القرصطون . وقال
قوم : هو الشاهين . وقرأ أبو بكر عن عاصم « بالقسطاس » بالصاد قلبت السين
صاداً مثل (صراط ، وسراط) لقرب مخرجهما .

في الآية الأولى نهي من الله تعالى لجميع المكلفين أن يقرّبوا مال اليتيم إلاّ بالتي
هي أحسن ، وهو أن يحفظوا عليه ويشمروه أو ينفقوا عليه بالمعروف على ما لا
يشك أنه أصلح له ، فأمّا لغير ذلك ، فلا يجوز لأحد التصرف فيه . وإنما خصّ
اليتيم بذلك وإن كان التصرف في مال البالغ بغير إذنه لا يجوز أيضاً ، لأن اليتيم
إلى ذلك أحوج والطمع في مثله أكثر .

وقوله « حتى يبلغ أشده » قال قوم : حتى يبلغ ثمانية عشرة سنة . وقال آخرون :
حتى يبلغ الحلم . وقال آخرون - وهو الصحيح - حتى يبلغ كمال العقل ويؤنس
منه الرشد .

وقوله « وأوفوا بالعهد » أمر من الله تعالى بالوفاء بالمعهود ، وهو العقد الذي
يقدم للتوثق من الأمر ، ومتى عقد عاقد على ما لا يجوز ، فعليه نقض ذلك العقد

الفاسد والتبرؤ منه . وانما يجب الوفاء بالعقد الذي يحسن . وقيل المعنى في الآية اوفوا بالعهد في الوصية بمال اليتيم وغيرها . وقيل كل ما امر الله به ونهى عنه ، فهو من العهد ، وقد يجب الشيء للنذر ، وللعهد ، والوعد به ، وان لم يجب ابتداء ، وانما يجب عند العقد .

وقوله « ان العهد كان مسؤولاً » قيل في معناه قولان :

احدهما - انه كان مسؤولاً عنه للجزاء عليه ، فحذف (عنه) لانه مفهوم .

والثاني - كأن العهد يسأل فيقال له : لم نقضت ؟ كما تسأل الموؤدة بأي ذنب قتلت . ثم امرهم ان يوفوهم الكيل اذا كالواهم ؛ ولا يبخسوم ولا ينقصوم ، وان يوفوا ، بالميزان المستقيم الذي لا غبن فيه ؛ فإن ذلك خير واحسن تأويلاً ، اي احسن عاقبة ، وهو ما يرجع اليه امره . ثم نهى نبيه ﷺ ان يقفو ما ليس له به علم ، وهو متوجه الى جميع المكلفين ، ومعناه لا تقل : سمعت ، ولم تسمع ؛ ولا رايت ولا علمت ، ولم تر ، ولم تعلم - في قول قتادة - واصل القفو اتباع الاثر ، ومنه القيافة ، وكأنه يتبع قفا الاثر المتقدم قال الشاعر :

ومثل الدمي شم العرائن ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا^(١)

أي التقاذف . وقال أبو عبيد والمبرد : القفو العضية ، « ولا تقف » - بضم القاف وسكون الفاء - من قاف يقوف ، ويكون من المقلوب مثل جذب وجبذ . « ومسؤولاً » نصب على أنه خبر كان .

واستدل بهذه الآية ، على أنه لا يجوز العمل بالقياس ولا بنجر الواحد ، لأنهما لا يوجبان العلم ، وقد نهى الله تعالى أن يتبع الانسان ما لا يعلمه . وقوله « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً » أي يسأل عما يفعل بهذه الجوارح من الاستماع لما لا يحل ، والإبصار لما لا يجوز . والارادة لما يقبح . وإنما قال « كل اولئك » ولم يقل كل ذلك ، لأن اولئك وهؤلاء للجمع القليل من المذكر والمؤنث فإذا أراد الكثير جاء بالتأنيث . فقال : هذه وتلك ، قال الشاعر :

(١) قاله النابغة الجعدي . شواهد الكشاف ٣٢٧ وتفسير الطبري ٥٨/١ ومجاز القرآن ٣٧٩/١

ذم المنازل بعد منزلة النوى والعيش بعد أولئك الأيام^(١)

قوله تعالى :

(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) (٣٩) ثلاث آيات .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع «سيء» منوناً غير مضاف . الباقون على الاضافة فمن قرأ على الاضافة قال : لأنه قد تقدم ذكر حسن وسيء في قوله « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » فخص من ذلك السيء بأنه مكروه عند الله ، لأنه تعالى لا يكره الحسن ، وقوتوا ذلك بقراءة أبي « كان سيئاته » بالجمع مضافاً . وقال آخرون إنما أراد بذلك المنهي عنه فقط ، وقالوا : ليس فيما نهى الله تعالى عنه حسن بل جميعه مكروه ، « وكل » وإن كان لفظه لفظ الواحد فمعناه معنى الجميع ، فلذلك قال كان بلفظ الواحد . ومثله قوله « وكل أتوه داخرين »^(٢) وقال « ان كل من في السموات والأرض إلا آتني الرحمن عبداً »^(٣) و« مكروهاً » على هذه القراءة نصب على الحال من الضمير في « عند ربك » أو يكون بدلاً من قوله « سيئه » .

وفي ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة من أن الله تعالى يريد المعاصي ، لان هذه الآية صريحة بأن السيء من الافعال مكروه عند الله .

(١) تفسير القرطبي ٢٦٠/١٠ وتفسير الشوكاني (الفتح القدير) ٢١٩/٣ وروح المعاني

(٢) سورة ٢٧ التمل آية ٨٧ (٣) سورة ١٩ طريم آية ٩٤

وقوله « ولا تمش في الارض مرحاً » نهي للنبي ﷺ والمراد به الأمة أن يمشوا في الأرض مرحين .

وقيل في معنى المرح أربعة أقوال : اولها - انه البطر والأشر. والثاني - التبخر في المشي والتكبر. الثالث - تجاوز الانسان قدره مستخفاً بالواجب عليه والرابع - شدة الفرح بالباطل .

وقوله « انك لن تحرق الارض » مثل ضربه الله بانك يا انسان لن تحرق الأرض من تحت قدمك بكبرك « ولن تبلغ الجبال » بتناولك . والمعنى انك لن تبلغ بما تريد كثير مبلغ، كما لا يمكنك ان تبلغ هذا، فما وجه المكابرة على ما هذه سبيله مع زجر الحكمة عنه . وأصل الحرق القطع ، حرق الثوب تحريقاً أي قطعة ورجل حرق أي يقطع الأمور التي لا ينبغي ان يقطعها . والحرق الفلاة، لانقطاع اطرافها بتباعدها قال رؤبة :

وقائم الاعماق خاو المحترق مشتبه الاعلام لماع الحقيق^(١)

أي خاو المنقطع ، والمرح شدة الفرح ، ومرح يمرح مرحاً ، فهو مرح . وقال قتادة : مرحاً خيلاً وكبراً . وقوله « ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة » أي ذلك الذي ذكرناه وقصصناه من جملة ما اوحى اليك يا محمد ربك من الحكمة أي الدلائل التي تؤدي إلى المعرفة بالحسن والقبيح ، والفرق بينهما ، والواجب مما لا يجب ، وذلك كله مبين في القرآن ، فهو الحكمة البالغة . ثم نهاه ان يتخذ مع الله معبوداً آخر يشركه في العبادة مع الله ، فانك متى فعلت ذلك ألقيت في « جهنم ملوماً » أي مذموماً « مدحوراً » مطروداً - في قول ابن عباس .

قوله تعالى :

(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ

(١) ديوانه ١٠٨ وقد مر قسم من هذا الرجز في ١ : ٢٩٦ وفي ٤ : ٢٩٧

قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) ثلاث آيات بلا خلاف .

الألف في « أفصفاكم » ألف استفهام ، والمراد بها الإنكار لانه لا جواب لمن سئل إلا بما فيه أعظم الفضيحة ، وفي ذلك تعليم سؤال المخالفين للحق ، وهذا خطاب لمن جعل لله بنات ، وقال الملائكة بنات الله ، فقال الله تعالى لهم : أخلص لكم البنين واختار لكم صفوة الشيء دونه؟ وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه ، فاخترتكم بالأرفع وجعل لنفسه الادون؟! ثم أخبر أنهم يقولون في ذلك «قولا عظيما» أي عظيم الوبال والوزر .

وقوله « لقد صرفنا في هذا القرآن ليتذكروا » وقرأ حمزة والكسائي في جميع القرآن خفيفاً، من ذكر يذكر . والباقون بالتشديد في جميع القرآن بمعنى ليتذكروا، فادعموا التاء في الذال . وفي ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه أراد التصريف في القرآن، ليذكر المشركون ما يردهم إلى الحق ، وهذا مما علقته الارادة الفعل فيه بالمعنى من التذكر . ولولاها لم يتعلق . ثم اخبر انه وان اراد منهم الإيمان والهداية بتصريف القرآن لا يزدادون هم إلا نفورا عنه .

فان قيل كيف يجوز أن يفعل تعالى ما يزدادون عنده الكفر؟ وهل ذلك الا استفساد ومنع اللطف؟!

قلنا: ليس في ذلك منع اللطف، بل فيه إظهار الدلائل، مما لا يصح التكليف إلا معه ولو لم تظهر الدلائل، لازدادوا فسادا بأعظم من هذا الفساد، وفي إظهار الدلائل صلاح حاصل لمن نظر فيها وأحسن التدبر لها . وإنما جاز أن يزدادوا بما يؤنس من الدلائل نفورا، باعتقادهم أنها حيل وشبه ، فنفروا منها أشد النفور لهذا الاعتقاد الفاسد ، ومنعهم ذلك من التدبر لها وادراك منزلتها في عظم الفائدة ، وجلالة المنزلة .

ثم قال لنبيه ﷺ « قل » يا محمد لهؤلاء المشركين « لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعمون « لا بتغوا » ما يقرهم اليه لعلوهم وعظمتهم عندهم - في قول قتادة والزجاج - وقال الحسن والجبائي : لا تبغوا سبيلا إلى مغالبتهم ومضادته ، كما قال « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا » (١)

قوله تعالى :

(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ
السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
حِجَابًا مَسْتُورًا) (٤٥) ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ أهل العراق إلا أبا بكر « تسبح » بالتاء . وقرأ ابن كثير وحفص « عما
يقولون » بالياء . وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر « عما تقولون » بالتاء .
قال أبو علي : فمن قرأ « عما يقولون » بالياء فالمعنى على ما يقول المشركون . ومن
قرأ بالتاء يحتمل شيئين :

أحدهما - أن يعطف على قوله « كما تقولون » كما عطف قوله « يحشرون » على
« ستغلبون » .

والثاني - أن يكون نزه نفسه عن دعواهم ، فقال « سبحانه عما يقولون » . وقرأ
عاصم ونافع وابن عامر وابن عباس : بالياء عطف على ما تقدم . وقوله « عما يقولون »

(١) سورة ٢١ الانبياء اية ٢٢

على أنه نزه نفسه عن قولهم أو على معنى قل لهم سبحانه عما يقولون فأما قوله «يسبح» بالياء والتاء، فحسنان. وقد بينا في غير موضع معناه، ويقوي التأييد قراءة عبد الله فسبحت له السموات .

لما أخبر الله تعالى أنه «لو كان معه آلهة» سواء على ما يدعيه المشركون «ليبتغوا إلى ذي العرش سبيلاً» ونزه نفسه عن ذلك، فقال «سبحانه» ويحتمل أن يكون أمر نبيه أن يقول «سبحانه» أي تنزيهاً له تعالى «عما يقولون» أي عن قولهم، ويجوز أن يكون المراد عن الذي يقولونه من الأقوال الشنيعة فيه بأن معه آلهة «علواً كبيراً» وإنما لم يقل تعالياً، لأنه وضع مصدراً مكان مصدر نحو «وتبتل إليه تبتيلاً»^(١) ومعنى «تعالى» أي صفاته في أعلى المراتب، فإنه لا مساوي له فيها، لأنه قادر، ولا أحد أقدر منه، وعالم لا أحد أعلم منه، ولا مساوي له في ذلك .

ثم أخبر أنه «يسبح له» أي ينزهه عن ذلك «السموات السبع والأرض ومن فيهن» يعني في السموات والأرض من العقلاء، وتنزيه السموات والأرض هو ما فيها من الدلالة على توحيده وعدله، وأنه لا يشركه في الإلهية سواء. وجرى ذلك مجرى التسييح باللفظ، وتسييح العقلاء يحتمل ذلك: تسييحهم باللفظ، غير أن ذلك يختص بالموحدين منهم دون المشركين .

وقوله «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» أي ليس شيء من الموجودات إلا يسبح بحمد الله؛ يعني كل شيء يسبح بحمده، من جهة خلقته، أو معنى صفته إذ كل موجود سوى القديم تعالى حادث، يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع، صنعه أو صنع من صنعه، فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواء، لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، وما عداه الحادث يدل على تعظيمه بمعنى حادثه من معدوم لا يصح إلا به، لدخوله في مقدوره أو مقدور

مقدوره . ومما سبحه من يسبح بحمده من جهته ، معنى صفة في قوله ، فهو على العموم في كل شيء .

وقال بعضهم : سل الارض من شق أنهارك ؟ وغرس أشجارك ؟ وجنى ثارك ؟ فان لم تجيبك حواراً أجابتك اعتباراً .

وقال الحسن : المعنى وإن من شيء من الاحياء إلا يسبح بحمده . وقال علي ابن ابراهيم وغيره من اهل العلم : كل شيء على العموم يسبح بحمده حتى صرير الباب .

وقوله « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » اي لستم تفقهون تسبيح هذه الاشياء ، من حيث لم تنظروا فيها ، فتعلموا كيفية دلالتها على توحيدده .

وقوله « إنّه كان حليماً غفوراً » اي كان حليماً حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على كفركم ، وأمهلكم إلى يوم القيامة ، وستره عليكم ، لأنه ستار على عباده ، غفور لهم إذ تابوا وأتابوا اليه .

وقوله « وإذا قرأت القرآن » خطاب لنبيه محمد ﷺ انه متى قرأ القرآن « جعلنا بينك » يا محمد « وبين » المشركين « حجاباً مستوراً » اي كان بينك وبينهم حجاباً من أن يدرکوا ما فيه من الحكمة وينتفعوا به . وقيل : « مستوراً » عن أبصار الناس . وقيل « مستوراً » - ههنا - بمعنى ساتراً عن إدراكه ، كما يقال : مشؤم عليهم أو ميمون في موضع شائم ويامن ، لأنه من شؤمهم ويمنهم . والأول أظهر . وقيل قوله « وجعلنا بينك » وبينهم « حجاباً مستوراً » نزل في قوم كانوا يأذونه باللسان إذا تلا القرآن ، فحال الله بينهم وبينه حتى لا يؤذوه . والأول - قول قتادة : والثاني - قول ابو علي ، والزجاج . وقال الحسن : معناه إن منزلتهم فيما أعرضوا عنه منزلة من بينك وبينه حجاب .

قوله تعالى :

(وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا

ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) ثلاث آيات .

معنى قوله « وجعلنا على قلوبهم أكنة » أي حكمنا بأنهم بهذه المنزلة ذمماً لهم على الامتناع من تفهم الحق ، والاستماع اليه ، لتأمل معانيه ، مع الإعراض عنه عداوة له ونفوراً منه . وقال الجبائي : إنه تعالى منعهم من ذلك وحال بينهم وبينه في وقت مخصوص ، لئلا يؤذوا النبي ﷺ وإنما قال « وجعلنا » ولم يقل وجعلناهم « على قلوبهم أكنة » لأنه ابلغ في الذم مع قيام الدليل من جهة التكليف أنه ليس على جهة المنع ، وإنما لم يجز المنع والحيلولة بينهم وبين ان يفقهوه ، لأن ذلك تكليف مالا يطاق ، وذلك قبيح لا يجوز ان يفعله الله تعالى ، على انه لا يصح ان يريد تعالى ما يستحيل حدوثه ، وإنما يصح ان يراد ما يصح ان يحدث او يتوهم ذلك منه ، لأن استحالة صارفة عن ان يراد ، ولا داع يصح أن يدعو إلى ارادته ، وتجري استحالة ذلك مجرى استحالة ان يراد كون الشيء موجوداً معدوماً في حال واحده .

(والأكنة) جمع كنان ، وهو ما ستر . وقوله « وفي آذانهم وقرأ » أي وجعلنا في آذانهم وقرأ . (والوقر) - بفتح الواو - الثقل في الأذن ، وبالكسر الحمل . والأصل فيه الثقل إلا انه خولف بين البنائين للفرق .

وقوله « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده » يعني إذا ذكرته بالتوحيد وانه لا شريك له في الإلهية « ولو » عنك ولم يسمعه « على ادبارهم نفوراً » نافرين عنك . وقال بعضهم : إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولتوا .

ثم اخبر تعالى عن نفسه انه « اعلم » من غيره « بما يستمعون اليك » في حال ما « يستمعون اليك » اي يصغون إلى سماع قراءتك ويعلم أي شيء غرضهم فيه

وقوله: «وإذ هم نجوى» معناه اذ يتناجون بأن يرفع كل واحد سره الى الآخر، ووصفوا بالمصدر، لأن نجوى مصدر، ونجواهم زعمهم انه مجنون، وانه ساحر وانه اتى بأساطير الأولين - في قوله قتادة - وكان من جملتهم الوليد بن المغيرة. وقوله «إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً» قيل في معناه قولان:

أحدهما - إنكم ليس تتبعون إلا رجلاً قد سحر، فاختلط عليه أمره، يقولون ذلك للتنفير عنه، كما يقال: سحر فلان، فهو مسحور إذ اختلط عقله. وقيل «مسحوراً» أي مصروفاً عن الحق، يقال: ما سحرك عن كذا؟ أي ما صرفك. الثاني - ان له سحراً أي رئة، لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم. والعرب تقول للجبان: انتفخ سحره قال لبيد:

فان تسلينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر^(١)
وقال آخر:

ونسحر بالطعام وبالشراب^(٢)

وقيل: إن «نفوراً» جمع نافر، كقاعد وقمود، وشاهد وشهود، وجالس وجلوس. وقيل: مسحور معناه مخدوع. ومعنى الآية البيان عما يوجب له حال الجاحد للحق المعادي لأهله وذمه بأن قلبه كأنه في أكنة عن تفهمه، وكان في أذنيه وقرأ عن استماعه فهو مولّ على دبره، نافر عنه يجهله ينجي بالانحراف عنه جهالاً مثله، قد تعبوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى أنه مسحور، لما لم يكن إلى مقاومة ما أتى به سبيل، ولا على كسره دليل.

(١) ديوانه ٨٠/١ وتفسير القرطبي ٢٧٢/١٠ ومجاز القرآن ٣٨١/١ وتفسير الطبري ٦٣/١٥

واللسان (سحر) وروح المعاني ٩٠:١٥ وقد مر في ٣٧٢:١

(٢) قائله امرؤ القيس. ديوانه (الطبعة الرابعة) ٦٣ القصيدة ٣ وهو مطلعها. وتفسير

القرطبي ٢٧٣:١٠ ومجاز القرآن ٣٨٢:١ واللسان (سحر) وتفسير الشوكاني ٢٢٣:٣

وتفسير روح المعاني ٩٠:١٥ وغيرها، وقد مر في ٣٧٢:١، ٢٦٨:٥ من هذا

الكتاب، وصدّه:

وقوله « انظر » أمر للنبي ﷺ بأن ينظر « كيف ضربوا لك الامثال » أي كيف ضرب هؤلاء المشركون له المثل بالمسحور وغير ذلك ، فجاروا بذلك عن طريق الحق ، فلا يسهل عليهم ولا يخف الرجوع اليه ولا اتساع سبيل الدين ، ويحتمل أن يكون المعنى إنهم لا يقدرّون على تكذيبك ، وإن ما ذكره فيك من قولهم مسحور وكذاب صرفهم ولا يستطيعون على ذلك .

قوله تعالى :

(وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا ءإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا
يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
يَكُونَ قَرِيبًا) (٥١) ثلاث آيات بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين أنكروا البعث ، والنشور ، والثواب والعقاب : أنهم يقولون « إذا كنا عظاماً » أي إذا متنا وانتثرت لحومنا وبقينا « عظاماً ورفاتاً » قال مجاهد : الرفات التراب . وبه قال الفراء وقال : لا واحد له من لفظه ، وهو بمنزلة الدقاق ، والحطام ، قال المبرد : كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتي انسحق ، فهو رفات ، يقال : رفت رفاتاً ، فهو مرفوت إذا صير كالحطام .

و(إذا) في موضع نصب بفعل يدل عليه « لمبعوثون » وتقديره أنبعث « إذا كنا عظاماً . ورفاتاً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً » وصورته صورة الاستفهام وإنما هم منكرون لذلك متعجبون منه وكل ما تحطم وترضض يحيى أكثره على (فعال) مثل (حطام ، ورضاض ودقاق وغبار وتراب) والخلق الجديد : هو المجدد أي يبعثهم الله أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ، أنكروا ذلك وتعجبوا منه ، فقال الله لنبيه ﷺ « قل ، لهم « كونوا حجارة أو حديداً » أي لو كنتم حجارة أو حديداً

بعد موتكم لأحياءكم وحشركم ولم تفوتوا الله ، إلا أنه خرج مخرج الأمر ، لأنه أبلغ في الإلزام ، كأن أكثر ما يكون منهم مطلوب حتى يروا أنه هين حقير « أو خلقاً مما يكبر في صدوركم » ف قيل في معناه ثلاثة أقوال :

قال مجاهد: السموات والأرض والجبال . وقال قتادة : أي شيء استعظموه من الخلق . وقال ابن عباس . وسعيد بن جبير والفراء : انه الموت . قال الفراء قالوا للنبي ﷺ أرأيت لو كنا الموت من كان يمتننا؟! فأ نزل الله « او خلقاً مما يكبر في صدوركم » يعني الموت نفسه اي لبيعته الله عليكم من يمتكم ثم يحييكم .

« فسيقولون من يعيدنا » اخبار منه حكاية عن هؤلاء الكفار انهم يقولون من يعيدنا احياء ؟ فقال الله لنبيه ﷺ « قل الذي فطركم اول مرة » اي الذي خلقكم ابتداء يقدر على إعادةكم ، لأن ابتداء الشيء اصعب من إعادته ، كما قال « وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »^(١) وقال لما قالوا « من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم »^(٢) وإنما قال لهم ذلك ، لانهم كانوا يقرون بالنشأة الأولى .

وقوله « فسينغضون اليك رؤوسهم » معناه انهم إذا سمعوا لهذا حركوا رؤوسهم مستبعدين لذلك . وقال ابن عباس يحركون رؤوسهم مستهزئين ، يقال: انغضت رأسي انغضه انغاضاً ، ونغض براسه ينغض نغضاً إذا حركه والنغض تحريك الراس بارتفاع وانخفاض . ومنه قيل للظلم نغض ، لانه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج :

اصك نغضاً لا يني مستهدجاً^(٣)

ونغضت سنه إذا تحركت من اصلها قال الراجز :

ونغضت من هرم اسنانها^(٤)

(١) سورة الروم آية ٢٧

(٢) سورة ٣٦ آية ٧٩

(٣) تفسير الطبري ٦٥:١٥ وتفسير الشوكاني ٢٢٦:٣

(٤) تفسير الطبري ٦٥/١٥ وتفسير الشوكاني ٢٢٦:٣ وتفسير القرطبي ١٠: ٢٧٤ ومجاز

القرآن ٣٨٢:١

وقال آخر :

لما رأني أنغضت لي الرأس^(١)

« ويقولون » هؤلاء الكفار « متى هو » يعنون بعثهم وإعادتهم أحياء فقال الله تعالى « قل » لهم يا محمد « عسى ان يكون قريبا » وعسى من الله واجبة ، وكل ما هو آت قريب ، ومن كلام الحسن انه قال : كأذك بالدينا لم تكن وكأذك بالآخرة لم تزل .

قوله تعالى :

(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُرْحِمَكُم أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) (٥٤) ثلاث آيات بلا خلاف .

« يوم » يتعلق بقوله « قل عسى ان يكون » بعثكم ايها المشركون « قريبا يوم يدعوكم » وقيل في معنى قوله « يوم يدعوكم » قولان :

احدهما - انهم ينادون بالخروج إلى ارض المحشر بكلام تسممه جميع العباد ، وذلك يكون بعد ان يحييهم الله ، لأنه لا يحسن ان ينادى المردوم ولا الجماد .

الثاني - انهم يسمعون صيحة عظيمة ، فتكون تلك داعية لهم إلى الاجتماع إلى ارض القيامة ، ويجوز أن يكون ذلك عبارة عن البعث ويكون اجري صرخة ثانية

(١) مجاز القرآن ٣٨٢:١ وتفسير الطبري ٦٥٥:١ والشوكاني ٢٢٦:٣

بسرعة فأجرى مجرى، دعي فأجاب في الحال « فيستجيبون بحمده » قيل في معناه قولان :

احدهما - تستجيبون حامدين ، كما يقول القائل : جاء فلان بغضبه اي جاء غضبان .

الثاني - تستجيبون على ما يقتضيه الحمد لله (عزوجل) ، وقيل : معناه يستجيبون معترفين بأن الحمد لله على نعمه ، لا ينكرونه ، لأن معارفهم هناك ضرورة قال الشاعر :

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع^(١)

والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه بفعله من اجل دعائه، وهي الإجابة واحدة إلا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة بالإرادة بأوكد من الإجابة . وقوله « وتظنون إن لبثتم إلا قليلا » قيل في معناه قولان :

احدهما - انهم لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث .

الثاني - انه يراد بذلك تقريب الوقت ، كما حكي عن الحسن انه قال : كأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل . وقال قتادة : المعنى احتقاراً من الدنيا حين عاينوا يوم القيامة . وقال الحسن ان « لبثتم إلا قليلا » في الدنيا لطول لبثكم في الآخرة .

وقوله « وقل لعبادي يقول التي هي احسن » قال الحسن : معناه « قل » يا محمد « لعبادي » يأمرها بما امر الله به ، وينها عما نهى عنه . وقال الحسن : معناه قل لعبادي يقل بعضهم لبعض احسن ما يقال ، مثل رحمك الله ويغفر الله لك . ثم أخبر تعالى فقال « إن الشيطان ينزع بينهم » اي يفسد بينهم ويلقي بينهم العداوة والبغضاء وقال « إن الشيطان كان » في جميع الأوقات عدواً مبيناً « للإنسان » آدم وذريته .

وقوله « وربكم أعلم بكم » معناه التحذير لعباده من إضمار القبيح ، والترغيب

(١) تفسير القرطبي ٢٦٦:١٠ وتفسير الشوكاني ٢٢٦:٣ وتفسير روح المعاني ٩٣:١٥

في الجميل ، لأنه عالم به يقدر أن يجازي على كل واحد منه بما هو حقه « إن يشأ يرحمكم ، بالتوبة » وإن يشأ يعذبكم ، بالاقامة على المعصية .
 ر قوله « وما أرسلناك عليهم وكيلا » معناه إنا ما وكتلناك بمنعمهم من الكفر بل أرسلناك داعياً لهم إلى الايمان وزاجراً عن الكفر ، فإن أجابوك ، وإلا ، فلا شيء عليك واللائمة والعقوبة يحلان بهم .

قوله تعالى :

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
 بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا
 الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا
 تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ
 أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
 مَحْذُورًا) (٥٧) ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه « إن ربك » يا محمد « أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » وإنما قال ذلك ليدل على أن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض وقع موقع الحكمة ، لأنه من عالم بباطن الأمور ، وإذا ذكر ما هو معلوم فأنما يذكره ليدل به على غيره . والانبیاء وان كانوا في أعلى مراتب الفضل ، لهم طبقات بعضهم أعلى من بعض ، وإن كانت المرتبة الوسطى لا تلحق العليا ولا يلحق مرتبة النبي من ليس بنبيّ أبداً . وقوله « وآتينا داود زبوراً » أي خصصناه بالذكر ، وفيه لغتان فتح الزاي ، وضمها . والفتح أفصح . ثم قال لنبيه « قل » لهم « ادعوا الذين زعمتم من دونه » يعني الذين زعمتم انهم أرباب وآلهة من دون الله ادعوه إذا نزل بكم ضرر ، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك أم لا .

وقال ابن عباس والحسن « الذين من دونه » الملائكة والمسيح وعزير . وقال ابن مسعود : أراد به ما كانوا يعبدون من الجن : وقد أسلم أولئك النفر من الجن لان جماعة من العرب كانوا يعبدون الجن ، فأسلم الجن وبقي الكفار على عبادتهم . وقال أبو علي : رجع الى ذكر الانبياء في الآية الاولى . والتقدير إن الانبياء يدعون الى الله يطلبون بذلك الزلفة لديه ويتوسلون به اليه والى رضوانه وثوابه ، أيهم كان أفضل عند الله ، واشد تقرباً اليه بالأعمال . ثم قال « فلا يملكون » يعني الذين تدعون من دون الله « كشف الضر » والبلاء « عنكم » ولا تحويله الى سواكم .

ثم قال « أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب... » الآية قوله « أولئك » رفع بالابتداء و« الذين » صفة لهم و« يبتغون الى ربهم » خبر الابتداء . والمعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون الى ربهم « أيهم » رفع بالابتداء و« أقرب » خبره . والمعنى يطلبون الوسيلة ينظرون ايهم اقرب فيتوسلون به ، ذكره الزجاج . وقال قوم : الوسيلة هي القربة والزلفة . وقال الزجاج : الوسيلة والسؤال والسؤل والطلبة واحد ، والمعنى إن هؤلاء المشركين يدعون هؤلاء الذين اعتقدوا فيهم انهم ارباب و يبتغى المدعوون ارباباً الى ربهم القربة والزلفة لأنهم اهل إيمان به . والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ، ايهم اقرب عند الله بصالح اعماله واجتهاده في عبادته ، فهم يرجون بأفعالهم رحمته ويخافون عذابه بخلافهم إياه « إن عذاب ربك كان محذوراً » اي متقى .

قوله تعالى :

(وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً (٥٨) وَمَنْعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَاهَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً (٥٩))

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّثْيَا
 آلِيَّ أُرْيَانَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ
 فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) ثلاث آيات .

اخبر الله تعالى انه ليس «من قرية إلا» والله تعالى مهلكها «قبل يوم القيامة» .
 بكفر من فيها من معاصيهم جزاء على افعالهم القبيحة «او معذبوها عذابا شديدا»
 والمعنى ان يكون إما الإهلاك والإستئصال أو العذاب ، والمراد بذلك قرى
 الكفر والضلال دون قرى الإيمان . وقيل إن ذلك يكون في آخر الزمان ،
 فهلك الله كل قرية بمعقوبة بعض من فيها ، ويكون امتحانا للمؤمنين الذين فيها .
 وقيل : ان المعنى ما من قرية إلا والله مهلكها إما بالموت لأهلها او عذاب يستأصلهم
 ثم اخبر أن ذلك كائن لا محالة ، ولا يكون خلافا ، لان ذلك مسطور في الكتاب
 يعني في اللوح المحفوظ ، والمسطور هو المكتوب يقال : سطر سطرأ ، قال العجاج :

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف الاولى التي كان سطر^(١)

ثم قال « وما منعنا ان نرسل بالآيات » يعني الآيات التي اقترحتها قريش من
 قولهم : حول لنا الصفا ذهباً وفجر لنا من الارض ينبوعا ، وغير ذلك ، فأنزل
 الله الآية إني إن حولته ، فلم يؤمنوا لم امهاتهم كسنتي فيمن قبلهم ، وهو قول قتادة
 وابن جريج . والمنع وجود مالا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه فكأنه
 قد منع منه ، ولا يجوز إطلاق هذه الصفة في صفات الله . والحقيقة إننا لم نرسل
 بالآيات لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب من قبلهم ، فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة .
 وقال قوم : يجوز أن يكون قوله تعالى « إلا أن كذب بها الأولون » تكون
 (إلا) زائدة ، ونقديره ما منعنا ان نرسل بالآيات « ان كذب بها الأولون » أي لم
 يمنعنا ذلك من إرسالها بل أرسلناها مع تكذيب الأولين . ومعنى « ان كذب »

(١) ديوان ١٩ ومجاز القرآن ١ : ٣٨٣ وتفسير الطبري ١٥ : ٩٩ واللسان والتاج (نتر)

هو التكذيب ، كما تقول : أريد ان تقوم بمعنى أريد قيامك . ويحتمل ان يكون « إلا » بمعنى (الوار) كما قال « لتلايكون للناس عليكم حجة ، إلا الذين ظلموا »^(١) معناه والذين ظلموا منهم ، فلا حجة لهم عليهم . ويكون المعنى وما منعنا أن نرسل بالآيات وإن كذب بها الأولون أي لسنا نمتنع من إرسالها ، وإن كذبوا بها و (أن) الأولى في موضع نصب بوقوع « منعنا » عليها . و (أن) الثانية رفع والمعنى ، وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين من الامم ، والفعل لـ (أن) الثانية .

وقوله « وآتينا ثمود الناقة مبصرة » معناه مبصرة تبصر الناس بما فيها من العبر ، والهدى من الضلالة والشقاء من السعادة ، ويجوز أن يكون المراد انها ذات إبصار ، حكى الزجاج : مبصرة بمعنى مبينة ، وبالكسر معناه تبين لهم ، قال الفراء : مبصرة مثل مجبنة و منحلة ، وكل (مفعلة) وضعته موضع (فاعل) أغنت عن الجمع والتأنيث ، تقول العرب : هذا عشب ملبنة ، مسمنة . والولد مجبنة منحلة . وان كان من البياء والوار ، فآظهرها ، تقول سراب مبولة ، وكلام مهيبة للرجال قال عنتره :

والكفر مخبئة لنفس المنعم^(٢)

ومعنى مبصرة مضيئة ، قال الله تعالى « والنهار مبصرأ »^(٣) اي مضيئاً . وقوله « فظلموا بها » يعني بالناقة [لأنهم نحروها وعصوا الله في ذلك ، لانه نهاهم عن ذلك ، فخالفوا ونحروها . وقيل : ظلموا بها]^(٤) معناه ظلموا بتكذيبهم إياها بانها معجزة باهرة .

وقوله « وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً » اي لم نبعث الآيات ونظهرها إلا

(١) سورة البقرة آية ١٥٠

(٢) من معلقته المشهورة ديوانه (دار بيروت) ٢٨ و صدره :

نبئت عمراً غير شاكر نعمتي

(٣) سورة ١٠ يونس آية ٦٧ وسورة ٢٧ النمل آية ٨٦ وسورة ٤٠ المؤمن (غافر) آية ٦١

(٤) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

لتخويف العباد من عقوبة الله ومعاصيه .

وقوله « واذا قلنا لك » اي اذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمد « ان ربك احاط بالناس » اي احاط علماً باحوالهم ، وما يفعلونه من طاعة او معصية ، وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب ، وقادر على فعل ذلك بهم ، فهم في قبضته ، لا يقدرون على الخروج من مشيئته .
وقوله « وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس » قيل في معنى ذلك قولان :

احدهما - انه اراد رؤية عين ؛ ليلة الاسراء الى البيت المقدس ، فلما اخبر المشركين بما رأى كذبوا به ، ذكره ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وابراهيم ، وابن جريج ، وابن زيد ، والضحاك ، ومجاهد .

الثاني - في رواية اخرى عن ابن عباس: انه رؤيا نوم ، وهي رؤيا انه سيدخل مكة ، فلما صده المشركون في الحديدية شك قوم ودخلت عليهم الشبهة ، فقالوا يا رسول الله: أو ليس قد اخبرتنا انا ندخل المسجد؟ فقال: قلت لكم انكم تدلوننا السنة؟! فقالوا: لا ، فقال سندخلها إن شاء الله ، فكان ذلك فتنة وامتحاناً وروي عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) ان ذلك رؤيا رآها في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل ، فساءه ذلك . وروى مثل ذلك سهل بن سعد الساعدي عن أبيه ان رسول الله ﷺ رأى ذلك . ومثله عن سعد بن بشار ،^(١) فأنزل الله عليه جبرائيل واخبره ما يكون من تغلب أمر بني أمية على مقامه وصعودهم منبره .
وقوله « والشجرة الملعونة في القرآن » قال ابن عباس والحسن وأبو مالك وسعيد بن جبير وابراهيم ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد : إنها شجرة الزقوم التي ذكرها الله في قوله « ان شجرة الزقوم طعام الايثم »^(٢) والمعنى ملعون آكلها ، وكانت فتنتهم بها قول ابي جهل وذويه النار تأكل الشجرة وتحرقها ، فكيف ينبت فيها الشجر . وعن أبي جعفر ان الشجرة الملعونة هم بنو أمية ،

(١) في المخطوطة (سعيد بن يسار)
(٢) سورة ٤٤ : الدخان آية ٤٣

وقال البلخي: يجوز ان يكون المراد به الكفار . وقوله «ونخوفهم» أي نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك من مضى بها، فما يزدادون عند ذلك «إلا طغياناً كبيراً» أي عتواً عظيماً وتمادياً وغيماً .

قوله تعالى :

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَآحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً (٦٢) قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً) (٦٣) ثلاث آيات .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ واذكر «إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس» وقد بينا أن أمر الله تعالى بأن اسجدوا لآدم تعظيم لآدم وتفضيله عليهم وإن كانت القريبى^(١) بذلك السجود الى الله تعالى ، وفي الناس من قال : انه كان بمنزلة القبلة لهم وإن كان فيه تشريف له .

ثم اخبر تعالى ان الملائكة امتثلت امر الله فسجدت له «إلا إبليس» فقد قلنا ان اخبارنا تدل على ان إبليس كان من جملة الملائكة ، وانما كفر بامتناعه من السجود ، ومن قال ان الملائكة معصومون فان إبليس لم يكن من جملة الملائكة والاستثناء في الآية استثناء منقطع و (إلا) بمعنى (لكن) وانما ضمه الى الملائكة من حيث جمعهم في الأمر ، والتكليف بالسجود ، فلذلك استثناءه من جملتهم .

ثم اخبر تعالى عن إبليس أنه قال «أأسجد لمن خلقت طيناً» على وجه الإنكار

(١) في المخطوطة (وان كان الغرض)

لذلك ، وأن من خلق من نار أشرف وأعظم ، من الذي خلق من طين ، وآدم اذا كان مخلوقاً من طين كيف يسجد له من هو مخلوق من نار ، وهو إبليس ، وذلك يدل على ان إبليس فهم من ذلك الأمر تفضيله عليه ، ولو كان بمنزلة القبلة لما كان لامتناعه عليه وجه ، ولا لدخول الشبهة بذلك مجال .

و« طيناً » نصب على التمييز ، ويجوز ان يكون نصباً على الحال . والمعنى إنك إنشأته في حال كونه من طين .

ووجه الشبهة الداخلة على إبليس ان الفرع ترجع الى الاصول فتكون على قدرها في التكبر أو التصغر ، فلما اعتقد أن النار اكرم أصلاً من الطين جاء منه انه أكرم من خلق من طين ، وذهب عليه يجمله أن الجواهر كلها متائلة ، وان الله تعالى بصرفها بالاعراض كيف شاء مع كرم جوهر الطين وكثرة ما فيه من المنافع التي تقارب منافع النار او توفى عليها .

وانما جاز ان يأمره بالسجود له ، ولم يجوز ان يأمره بالعبادة له ، لأن السجود يترتب في التعظيم بحسب ما يراد به ، وليس كذلك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع ، لأنه يترتب في التعظيم بحسب نيته ؛ بين ذلك أنه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من افعال الجوارح . قال الرماني : الفرق بين السجود لآدم والسجود الى الكعبة ، ان السجود لآدم تعظيم له باحسانه ، وهذا يقارب قولنا في أنه قصد بذلك تفضيله بأن امره بالسجود له .

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن المعنى ما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً محققين ظن إبليس فيهم مخالفين موجب نعمة ربهم على أمتهم وعليهم . ثم حكى تعالى عن إبليس أنه قال « أرايتك هذا الذي كرمت عليّ » ومعناه اخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ لم كرمته عليّ؟ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين ! فحذف لدلالة الكلام عليه .

وإنما قال « أسجد » بلا حرف عطف ، لأنه على قوله « أسجد لمن خلقت طيناً » والكاف في قوله « أرايتك » لا موضع لها من الاعراب ، لأنها ذكرت في

المخاطبة توكيداً ، و(هذا) نصب بـ (أرأيتك) ، والجواب محذوف . والمعنى ما قدمناه .

وقوله « لئن اخرجتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلاً » ، ومعنى لاحتنكن لاقطعنيهم الى المعاصي ، يقال منه : احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ، قال الشاعر :

أشكو اليك سنة قد أجهفت جهداً إلى جهد بنا وأضعفت
واحتنكت أموالنا وجلفت^(١)

وقال ابن عباس : معنى « لاحتنكن » لأستولين ، وقال مجاهد : لأحتون ، وقال ابن زيد : لاضلنهم ، وقال قوم : لاستأصلن ذريته بالاغواء ، وقال آخرون : لأقودنهم إلى المعاصي ، كما تقاد . الدابة بحنكها إذا شدت فيها حبل تجر به .

وقوله « الا قليلاً » استثناء من ابليس القليل من ذرية آدم الذين لا يتبعونه ولا يقبلون منه . فقال الله تعالى عند ذلك « اذهب يا ابليس فمّن تبعك » من ذرية آدم واقتفى أثرك وقبل منك » فان جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً ، أي كاملاً ، يقال منه : وفرته أفره وفرأ ، فهو موفور ، وقال زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم^(٢)

ووفرته توفيراً ، ويقال : موفوراً بمعنى وافر ، في قول مجاهد ، كأنه ذو وفر ، كقولهم : لابن أي ذو لبن ، وقد دل على انهم لا ينقصون من عقابهم الذين يستحقونه شيئاً ، وفي ذلك استخفاف به وهوان له . وانما ظن ابليس هذا الظن الصادق ، بأنه يغوي اكثر الخلق ، لان الله تعالى كان قد أخبر الملائكة أنه سيجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فكان قد علم بذلك . وقيل :

(١) تفسير الطبري ١٥ : ٧٥

(٢) ديوانه (دار بيروت) ٨٧ وتفسير الشوكاني (الفتح القدير) ٢٣٣/٣ وتفسير روح

المعاني ١١٠/١٥

انما قال ذلك ، لانه وسوس الى آدم فلم يجد له عزماً ، فقال : بنو هذا مثله في ضعف العزيمة ، ذكره الحسن . وهذا الوجه لا يصح على اصلنا ، لان عندنا ان آدم لم يفعل قبيحاً ، ولا ترك واجباً ، فلو ظن ابليس ان اولاده مثله لانتقض غرضه ، ولم يخبر بما قال .

و (لئن) حرف شرط ، ولا يليه الا الماضي ، والشرط لا يكون الا بالمستقبل والعملة في ذلك ان اللام في (لئن) تأكيد يرتفع الفعل بعده و (ان) حرف شرط ينجزم الفعل بعده ، فلما جمعوا بينها ، لم يجوز ان يجزم فعل واحد ويرفع ، فغير المستقبل الى الماضي ، لان الماضي لا يبين فيه الاعراب ، ذكر هذه العملة ابن خالوية .

قوله تعالى :

(وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (٦٦) ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ حفص وحده « ورجلك » بكسر الجيم . الباقون بتسكينها

من سكتن أراد جمع (راجل) مثل صاحب وصاحب ، وراكب وركب . ومن كسر اراد قولهم : رجل يرجل ، فهو راجل .

قوله : « واستفزز ... واجلب » صورته صورة الأمر والمراد به التهديد ، وجرى

يجرى قوله « اعملوا ما شئتم » (١) وكما يقال للانسان : اجهد جهديك ، فسترى ما ينزل بك ، وانما جاء التهديد بصيغة الامر ، لأنه بمنزلة من امر باهانة نفسه ، لان هذا الذي يعمله هو ان له وهو مأمور به . ومعنى (استفزز) استزل ، يقال : استفزه واستزله بمعنى واحد ، وتفزز الثوب اذا تمزق ، وفززه تفزراً ، وأصله القطع ، فعنى استفزه استزله بقطعه عن الصواب « من استطعت منهم » فالاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل ، ومنه الطوع والطاعة ، وهو الانقياد للفعل .

وقيل في الصوت الذي يستفزهم به قولان :

احدهما - قال مجاهد : صوت الغناء واللهو .

الثاني - قال ابن عباس : هو كل صوت يدعا به الى معصية الله . وقيل : كل صوت دعي به الى الفساد ، فهو من صوت الشيطان .

وقال : « واجلب عليك بخيلك » فالاجتلاب السوق يجلبه من السائق . وفي المثل (اذا لم تغلب فاجلب) يقال : جلب يجلب جلباً واجلب لاجلاباً ، واجتلب اجتلاباً ، واستجلب استجلاباً ، وجلبت تجلبياً مثل صوت ، واصل الجلبة شدة الصوت ، وبه يقع السوق .

وقوله : « بخيلك ورجلك » قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : كل راكب او ماشٍ في معصية الله من الانس والجن ، فهو من خيل ابليس ورجله ، والرجل جمع راجل مثل تجر وتاجر ، وركب وراكب .

وقوله : « وشاركهم في الاموال والاولاد » فشاركته إياهم في الاموال كسبها من وجوه محظورة او إنفاقها في وجوه محظورة ، كما فعلوا في السائبة والبحيرة والحام ، والاهلال به لغير الله ، وغير ذلك . ومشاركته في الاولاد ، قال مجاهد والضحاك : فهم اولاد الزنا . وقال ابن عباس : المؤودة . وقيل : من هودوا ونصروا ، في قول الحسن وقتاده . وقال ابن عباس في رواية : هو تسميتهم عبد

الحارث ، وعبد شمس ، وما اشبه ذلك . وقيل : ذلك واحد من هذه الوجوه ، وهو أعم .

وقوله : « وعدهم » أي منتهم البقاء وطول الأمل . ثم قال تعالى « وما يعدهم الشيطان » أي ليس يعدهم الشيطان « الا غروراً » ونصب على انه مفعول له [أي ليس يعدهم الشيطان الا لأجل الغرور] (١) . ثم قال تعالى « ان عبادي » يعني الذين يطيعوني ويقرّون بتوحيدي ويصدقون أنبيائي ، ويعملون بما اوجبه عليهم ، وينتهون عن معاصي « ليس لك » يا ابليس « عليهم » حجة ولا سلطان . قال الجبائي : معناه ان عبادي ليس لك عليهم قدرة ، على ضرّ ونفع اكثر من الوسوسة ، والدعاء الى الفساد ، فأماً على كفر أو ضرر ، فلا ، لانه خلق ضعيف متخلخل ، لا يقدر على الاضرار بغيره .

ثم قال « وكفى بربك » أي حسب ربك « وكيلاً » أي حافظاً ، ومن يسند الامر اليه ويستعان به في الامور .

ثم خاطب تعالى خلقه فقال : « ربكم الذي خلقكم » هو الذي « يزجي لكم الفلك في البحر » قال ابن عباس : معناه يجرها ، وبه قال قتادة ، وابن زيد يقال : أزجى يزجي ازجاء إذا ساق الشيء حالاً بعد حال « لتبتغوا من فضله » أي لتطلبوا فضل الله في ركوب البحر من الارياح وغيرها « انه كان بكم رحيماً » أي منعماً عليكم راحم لكم ، يسهل لكم طرق ما تنتفعون بسلوكه ديناً ودنياً .

قوله تعالى :

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَأَمَّا
تَحْسَبُكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ
يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

وَكَيْلًا (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ
تَبِيعًا (٦٩) ثلاث آيات .

قرأ ابن كثير وابو عمرو « أن يخسف... او نرسل... أن نعيدكم... فترسل»
بالنون فيهن. الباقون بالياء . الا ابا جعفر ، وورش ، فانها قرأا «فتغرقكم» بالتاء
يردانه الى الريح . ومن قرأ بالنون اراد الاخبار من الله عن نفسه . ومن قرأ
بالياء اراد أن محمداً اخبر عن الله، والمعنيان متقاربان. وقال ابو علي: من قرأ بالياء
فلانه تقدم «ضل من تدعون الا اياه، فلما نجاكم الى البر... أفأمنتكم ان يخسف بكم»
ومن قرأ بالنون ، فلان مثله قد ينقطع بعضه عن بعض . والمعنى واحد ، يقول
الله تعالى لخلقه : انه اذا نالكم الضر ، وانتم ركاب البحر بان أشرفتم على الهلاك
وخبء بكم البحر وماجت الامواج «ضل من تدعون» اي يكون بمنزلة من يضل
عنكم، ولا ينجيكم من احواله الا الله تعالى . وانما خص البحر بذكر النجاة ، لان
له احوالاً هيجانية وخبية ، لا يطمع عاقل في ان ينجيه احد منه الا الذي خلق
النفس وانعم بما وهب من العقل والسمع والبصر . وقال : اذا دعوتوه في تلك
الحال ، ونجاكم ، وخلصكم ، واخرجكم منه الى البر اعرضتم عن ذكر الله ،
والاعتراف بنعمه .

ثم قال تعالى : «وكان الانسان كفوراً» لنعم الله تعالى ، ثم قال مهدداً لهم :
«أفأمنتكم» اي هل أمنتكم اذا ضربتم في البر «أن يخسف بكم» جانبه ويقلب اسفله
اعلاه فتهلكون عند ذلك ، كما خسفنا بمن كان قبلكم من الكفار نحو قوم لوط
وقوم فرعون «أو يرسل عليكم حاصباً» بمعنى حجارة تحصبون بها او ترمون بها.
والحصباء الحصى الصفار ، ويقال : حصب الحصى يحصبه حصباً اذ رماه رمياً
متتابعاً، والحاصب ذو الحصب . والحاصب فاعل الحصب «ثم لا تجدوا لكم
وكيلاً» أي من يدفع ذلك عنكم .

ثم قال : « أم » اي هل « أمنتهم أن يعيدكم » في البحر دفعة اخرى بان يجعل لكم الى ركوبه حاجة « فيرسل عليكم قاصفاً من الريح » فالقاصف الكاسر بشدة قصفه يقصفه قصفاً ، فهو قاصف ، وتقصف شعره تقصفاً ، وانقصف الرجل انقصافاً . وقصف الشيء تقصيفاً ، « فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » اي من يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم او يأخذ بثأركم ، وقيل ان القاصف الريح الشديدة تقصف الشجر بشدتها . وانما قيل : حاصب على وزن فاعل لامرين :

احدهما - ريح حاصب أي تحصب الحجارة من السماء ، قال الشاعر :

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منشور^(١)

وقال الآخر :

ولقد علمت إذا العشار تروححت حتى تبيت على العصاة حفلا^(٢)

الثاني - حاصب ذو حصب .

قوله تعالى :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (٧٢) ثلاث آيات بلا خلاف .

(١) قائله الفرزدق ديوانه (دار بيروت) ٢١٣:١ وتفسير الطبري ٧٩/١٥ وتفسير القرطبي

٢٩٢/١٠ والشوكاني ٢٣٥/٣ وروح المعاني ١١٦/١٥

(٢) تفسير الطبري ٩٧/١٥

اخبر الله تعالى : انه كرم « بني آدم » وانما عنى بني آدم بالتكريمة مع ان فيهم كفاراً ، لان المعنى كرمناهم بالنعمة على وجه المبالغة في الصفة . وقال قوم : جرى ذلك بجرى قوله « كنتم خير أمة اخرجت للناس ^(١) » فاجرى الصفة على جماعتهم من اجل من فيهم على هذه الصفة . ثم بين تعالى الوجوه التي كرم بها بني آدم بأنه حملهم في البرّ والبحر على ما يحملهم من الابل وغيرها ، كما قال : « والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ^(٢) » والبحر ، والسفن التي خلقها لهم واجراها بالرياح فوق الماء ليلغوا بذلك حوائجهم « ورزقناهم من الطيبات » يعني من الثمار والفواكه وطيبات الاشياء ، وملاذها التي خص بها بني آدم ولم يشرك شيئاً من الحيوان فيها من فنون الملاذ . وقيل : من تفضيل بني آدم ان يتناول الطعام بيديه دون غيره ، لان غيره يتناوله بفيه ، وانه ينتصب ، وما عداه على اربع او على وجهه .

وقوله : « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » وليس المراد بذلك تفضيلهم بالثواب ، لان الثواب لا يتفضل به ابتداء ، وانما فضلهم ابتداء بان خلق لهم من فنون النعم وضروب الملاذ ما لم يجعله لشيء من الحيوان ، وانما فعل ذلك تفضلاً منه تعالى ، ولما في ذلك من اللطف للعاقل ، والصلاح الذي ينتظم ويتم بهذا التأويل ، واستدل جماعته بقوله « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا » على تفضيل الملائكة على الانبياء ، قال لان قوله « على كثير ممن خلقنا » يدل على ان ههنا من لم يفضلهم عليهم ، وليس الا الملائكة ، لان ابن آدم افضل من كل حيوان سوى الملائكة بلا خلاف . وهذا باطل بما قلناه من ان المراد بذلك تفضيلهم بالنعم الدنياوية ، والالطاف ، وليس المراد بذلك الثواب بدلالة ابتدائهم بهذا التفضيل . والثواب لا يجوز الابتداء به .

وقوله « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » قال الزجاج : يتعلق بقوله « يعيدكم ... يوم ندعو » وقيل : تقديره اذكر يوم . وقيل انه يتعلق بقوله « وفضلناهم على

(٢) سورة ١٦ النحل آية ٨

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

كثير ممن خلقنا تفضيلاً... يوم ندعو، لأن ما فعله بهم من اللطاف في الدنيا، لأن يطيعوا ويفعلوا من الأفعال ما يدعون به يوم القيامة .

واختلفوا في الإمام الذي يدعون به يوم القيامة ، فقال مجاهد وقتادة: إمامه نبيه . وقال ابن عباس : إمامه كتاب علمه . وروي عنه أيضاً أن إمامهم كتابهم الذي أنزل الله اليهم فيه الحلال والحرام والفرائض والأحكام . وقال البلخي : بما كانوا يعبدونه ، ويجعلونه إماماً لهم . وقال أبو عبيد : بما كانوا يأتون به في الدنيا . وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) .

وقوله « فمن أرتي كتابه بيمينه فأرلئك يقرأون كتابهم... » الآية، جعل الله تعالى إعطاء الكتاب باليمين من علامة الرضا والخلاص ، وأن من أعطي كتابه باليمين تمكن من قراءته وسهّل له ذلك ، وكان فحواه أن من أعطي كتابه بشماله أو وراء ظهره ، فإنه لا يقدر على قراءة كتابه ، ولا يتأتى له ، بل يتلجلج فيه ، لما يراه من المعاصي الموبقات .

وقوله « ولا يظلمون قتيلاً » معناه لا يبغض أحد حقه ، ولا يظلم شيئاً ، سواء كان مستحقاً للثواب أو العقاب ، فإن المستحق للثواب لا يبغض منه شيئاً والمستحق للعقاب لا يفعل به أكثر من استحقاقه ، فيكون ظالماً له . (والقتيل) هو المفتول الذي في شق النواة - في قول قتادة - وقيل القليل في بطن النواة ، والنقير في ظهرها ، والقطمير قشر النواة ، ذكره الحسن .

وقوله « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » قرأ أهل العراق إلا حفصاً والأعشى « ومن كان في هذه أعمى » بالأمانة . الباقر بالتفخيم وقرأ حمزة والكسائي إلا نصيراً ، وخلفاً ، وأبا بكر إلا الأعشى والبرجمي « فهو في الآخرة أعمى » بالأمانة : الباقر بالتفخيم .

وقيل في معنى الآية قولان :

أحدهما - قال ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، وابن زيد : من كان في أمر هذه

الدنيا، وهي شاهدة له من تدبيرها وتوثقها وتقلب النعم فيها أعمى عن اعتقاد^(١) الصواب الذي هو مقتضاها ، فهو في الآخرة التي هي غائبة^(٢) عنه « أعمى وأضل سبيلا » وقال قوم : من كان في هذه الدنيا أعمى عن طريق الحق ، فهو في الآخرة أعمى عن الرشد المؤدي إلى طريق الجنة . وقال أبو علي : فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة . ومن فخم في الموضوعين ، فلأن الياء فيها قد صارت ألفاً لانتفاخ ما قبلها . والأصل فمن كان في هذه اعمى ، فهو في الآخرة أعمى ، ومن كان فيما وضعناه من نعم الدنيا اعمى ، فهو في نعم الآخرة اعمى . وأما تفريق أبي عمرو وبين اللفظين فلاختلاف المعنى ، فقال ومن كان في هذه اعمى ممالاً ، فهو في الآخرة اعمى بالفتح اي أشدّ عمياً ، فجعل الأول صفة بمنزلة أحمر وأصفر ، والثاني بمنزلة أفعال منك ، كقوله « وأضل سبيلا » اي اعمى قلباً . والعمى في العين لا يتعجب منه بلفظة (أفعل) ، ولا يقال ما أعماه ، بل يقال ما أشدّ عماء ، وفي القلب ما أعماه بغير أشدّ ، لأن عماء القلب حمق ، كما قال الشاعر لمرور ما أحمره وأبيضه ، فقال :

أما الملوك فانت اليوم الأمهم لؤماً وأبيضهم سر بال طبائح^(٣)

وقال بعضهم : لا وجه لتفريق أبي عمرو ، لأن الثاني ، وإن كان بمعنى (أفعل منك) فلا يمنع من الامالة ، كما لم يمنع بالذي هو ادنى ، قال ابن خالويه ابو عبدالله إنما اراد ابو عمرو ان يفرق بينهما لما اختلف معنهما ، واجتمعا في آية واحده ، كما قرأ « ويوم القيامة يردون » يعني الكفار ، ثم قال في آخرها « عما تعملون »^(٤) اي أنتم وهم ، ولو وقع مفرداً ، لأجاز الامالة والتفخيم فيهما ، قال ابو علي : ومن أفعال الجميع كان حسناً ، لانه ينحو نحو الياء بالالف ليعلم انها منقلبة الى الياء وان كانت فاصلة او مشبهة للفاصلة ، فالامالة حسنة فيها ، لأن الفاصلة موضع

(١) في المخطوطة (اعتقاد)

(٢) أثبتنا ما في المخطوطة ، وكان في المطبوعة (غايته)

(٣) تفسير القرطبي ٢٩٩/١٠ وتفسير الشوكاني ٢٣٨/٣

(٤) سورة البقرة آية ٨٥

وقف، والالف تخفى في الوقف، فأما إذا أمالها، نحا بها نحو الكسرة وليكون أظهر لها وأبين.

قوله تعالى

(وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) (٧٥) ثلاث آيات .

قال الزجاج : معنى الكلام كادوا يفتنونك، ودخلت (ان واللام) للتوكيد ومعنى (كاد) المقاربة . وقوله « وإن كادوا » قال الحسن : معناه قارب بأن هم من غير عزم . وروي عن النبي ﷺ (ان الله وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها إلا من عمل شيئاً أو تكلم به) وقيل انهم قالوا : لا ندعك تستلم الحجر حتى تسلم بأهتنا . وقال مجاهد ، وقتادة : الفتنة التي كاد المشركون ان يفتنوا النبي ﷺ بها الإمام بأهتهم ان يمسه في طوافه ، لما سألوه في ذلك ، ولاطفوه .

وقال ابن عباس : هم بإنظار ثقيف بالإسلام حتى يقبضوا ما يهدى لأهتهم ثم يسلّموا فيها .

امتن الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بأنه لولا انه ثبته بلطفه ، وكثرة زواجه وتواتر نبيه ، لقد كاد يركن اي يسكن ، ويميل إلى المشركين قليلاً ، على ما يريدون يقال : ركن يركن ، وركن يركن ، ثم قال « إذا لأذقناك ضعف الحياة ، وضعف المائة » اي لو فعلت ذلك ، لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب المائة لعظم ذلك منه لو فعله ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك . وإنما كان يعظم عذابه بالركون اليهم لكثرة زواجه وفساد العباد به .

وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ (اللهم لا تكلفني إلى نفسي طرفة عين) روى ذلك قتادة . ومعنى الفتنة - ههنا - الضلال ، والتقدير وإن كادوا ليفتنونك ليضلوك عن الذي اوحينا اليك ، في قول الحسن وأصل الفتنة المحنة التي يطلب بها خلاص الشيء مما لابسه ، فطلبوا إخراجهم إلى الضلالة .

وقوله « لتفتري علينا غيره » اي لتكذب علينا غير ما اوحينا اليك وإن فعلت ذلك لا تحذرك خليلاً وديداً .

وقوله « ثم لا تجد لك علينا نصيراً » اي لو فعلت الركوت اليهم لأذقناك ما قلناه من العذاب ، ثم لا تجد لك علينا ناصرأ يدفع عنك ما نريد فعله بك .

قوله تعالى :

(وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (٧٨) ثلاث آيات .

قرأ ابن عامر واهل الكونة الا ابا بكر « خلافاً » . الباقون « خلفك » فمن قرأ « خلفك » فلقوله « فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها »^(١) . وقوله « بمقدم خلاف رسول الله »^(٢) اي لمخالفتهم إياه ، ومن قرأ « خلافاً » قال بعدك وخلفك وخلافك بمعنى واحد ، يقول الله تعالى « وإن كادوا » يعني المشركين « ليستفزونك من الارض » قال الحسن : معناه ليقتلونك ، وقال غيره : الاستخفاف بالانزعاج .

(٢) سورة ٩ التوبة آية ٨٢

(١) سورة البقرة آية ٦٦

وقال ابو علي : هموا بأن يخرجوه من ارض العرب لا من مكة فقط ، إذ قد أخرجوه من مكة ، وقال المعتمر ابن ابي سليمان عن ابيه : الارض التي ارادوا استزلاله منها: هي ارض المدينة ، لان اليهود قالت له : هذه الارض ليست ارض الانبياء ، وانما ارض الانبياء الشام . وقال قتادة ومجاهد: هي مكة ، لان قريشاً همت بإخراجه منها. ثم قال تعالى : انهم لو اخرجوك من هذه الارض لما لبثوا ، لما اقاموا بعدك فيها إلا قليلا . وقال ابن عباس والضحاك : المدة التي لبثوا بعده هو ما بين خروج النبي من مكة ، وقتلهم يوم بدر . ومن قرأ خلافاً اراد بعدك ، كما قال الشاعر :

عقب الرذاذ خلافاً فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيراً^(١)

الرذاذ المطر الخفيف ، يصف روضة وأرضاً غب مطرها ، وكانت حضراء ، وقال ، الحسن الاستفزاز - ههنا - الفتل .

وقوله « وإذاً لا يلبثون » بالرفع ، لان (إذأ) وقعت بعد الواو ، فجاز فيها الالغاء ، لانها متوسطة في الكلام ، كما انه لا بد من ان تلغى في آخر الكلام .
وقوله « سنة من قد ارسلنا » انتصب (سنة) بمعنى لا يلبثون . وتقديره : لا يلبثون لعذابنا إياهم كسنة من قبلك ، إذ فعلت امهم مثل ذلك . ثم قال « لا تجد لسنتنا تحويلاً » اي تغييراً وانتقالاً من حالة إلى حالة اخرى . بل هي على وتيرة واحدة . ثم امر نبيه ﷺ فقال « اقم الصلاة » والمراد به أمته معه « لدلوك الشمس » اختلفوا في دلوك ، فقال ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن زيد : هو الغروب والصلاة المأمور بها - ههنا - هي المغرب ، وقال ابن عباس في رواية اخرى والحسن ، ومجاهد ، وقتادة : دلوكها زوالها ، وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) . وذلك ان الناظر اليها يدلك عينيه ، لشدة شعاعها . واما عند غروبها فيبدلك عينيه لقلّة تبينها ، والصلاة المأمور بها عند هؤلاء الظهر ، وقال الراجز :

(١) مجاز القرآن ٣٨٧/١ وتفسير الطبري ١٢٧/١٠ ، ٨٤/١٥ واللسان والتاج (خلف) وتفسير الشوكاني ٣: ٢٣٩ وقد روي (عقب الربيع) وفي رواية اخرى (عفت الديار).

هذا مقام قدمي رباح للشمس حتى دلكت براح^(١)

ورباح اسم ساقى الابل . من روى بكسر الباء اراد براحته ، قال الفراء : يقال : بالراحة على العين ، فينظر هل غابت الشمس بعد ، قال الفراء هكذا فسروه لنا ، ومن رواه بفتح الباء جعله اسماً للشمس مبنياً على (فعال) مثل قطام وحذام وقال العجاج :

والشمس قد كادت تكون دنفا اذفعها بالراح كي تزحلقا^(٢)

وغسق الليل ظهور ظلامه ، ويقال غسقت القرحة إذا انفجرت ، فظهر ما فيها . وقال ابن عباس وقتادة : هو بدؤ الليل ، قال الشاعر :

إن هذا الليل اذ غسقا^(٣)

وقال الجبائي غسق الليل ظلمته ، وهو وقت عشاء الآخرة . وقوله « وقرآن الفجر » قال قوم يعني قرآن الفجر في الصلاة ، وذلك يدل على أن الصلاة ، لا تتم إلا بالقراءة ، لأنه أمر بالقراءة وأراد بها الصلاة ، لأنها لا تتم إلا بها .

وقوله : « إن قرآن الفجر كان مشهوداً » معناه يشهده ملائكة الليل ، وملائكة النهار ، ذهب اليه ابن عباس ، وقتادة ومجاهد وابراهيم . وروى عن امير المؤمنين (ع) وأبي بن كعب أنها الصلاة الوسطى ، وقال الحسن : « لدلوك الشمس » لزوالها : صلاة الظهر ، وصلاة العصر الى « غسق الليل » صلاة المغرب والعشاء

(١) البيت من نوادر ابي زيد . تفسير القرطبي ٣٠٣:١٠ ومجاز القرآن ١: ٣٨٧ وتهذيب الالفاظ ٣٩٣ والمجالس للشعالبي ٣٧٣ وتفسير الشوكاني ٢٤١:٣ وتفسير الطبري ٨٥:١٥ وغيرها . وقد روى (عدوة) بدل للشمس) وروى ايضاً (ذبيب) في رواية اخرى .

(٢) ديوانه ٨٢ وتفسير القرطبي ٣٠٣:١٠ وتفسير الطبري ٨٦:١٥ وتفسير القرطبي ١: ٢٦١

(٣) قائله عبد الله بن قيس الرقيبات . ديوانه (دار بيروت) ١٨٨ وتفسير روح المعاني

١٣٢:١٥ وتفسير القرطبي ٣٠٤:١٠ وتفسير الطبري ٨٧:١٥ ومجاز القرآن

٣٨٨:١ واللسان والتاج (غسق) وتفسير الشوكاني ٢٤١:٣ وعجزه :

واستكن الهم والارقا

الآخرة، كأنه يقول من ذلك الوقت الى هذا الوقت على ما يبين لك من حال الصلوات الأربع، ثم صلاة الفجر، فأفردت بالذكر. وقال الزجاج: سمي صلاة الفجر «قرآن الفجر»، لتأكد أمر القراءة في الصلاة، ومعنى «لدلوك الشمس» أي عند دلوها . واستدل قوم بهذه الآية على أن وقت الاولي موسم الى آخر النهار ، لأنه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوك الشمس الى وقت غسق الليل ، وذلك يقتضي ان ما بينها وقت . وهذا ليس بشيء ، لأن من قال : إن الدلوك هو الغروب لا دلالة فيها عليه عنده ، لان من قال ذلك يقول : انه يجب إقامة المغرب من عند المغرب الى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ، وما بين ذلك وقت المغرب . ومن قال : الدلوك هو الزوال يمكنه أن يقول : المراد بالآية البيان لوجوب الصلوة الخمس على ما ذكره الحسن، لا بيان وقت صلاة واحدة ، فلا دلالة له في الآية .

(و مشهوداً) قيل في معناه قولان :

احدهما - تشهد ملائكة الليل ، والنهار .

والثاني - قال الجبائي : فيه حث للمسلمين على ان يحضروا هذه الصلاة ويشهدوها للجماعة .

قوله تعالى :

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (٨١) ثلاث آيات .

هذا خطاب للنبي ﷺ يقول الله تعالى له : « ومن الليل فتهجد وانهجد

التيقظ بما ينفي النوم ، والهجود النوم ، وهو الأصل ، هجد بهجد هجوداً ، فهو هاجد إذا نام ، قال ليبيد :

قلت هجدنا فقد طال السرى (١)

وقال الشاعر :

ألا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود (٢)

وقال الحطيئة :

ألا طرقت هند الهنود وصحبي بحوران حوران الجنود هجود (٣)

وقال علقمة ، والاسود : التهجد يكون بعد نومة . وقال المبرد : - التهجد عند أهل اللغة - السهر للصلاة ، أو لذكر الله ، فإذا سهر للصلاة قيل تهجد ، وإذا أراد النوم قال هجدت . والنافلة فعل ما فيه الفضيلة مما رغب الله فيه ، ولم يوجبه . والنافلة . الغنيمة ، قال الشاعر :

إن تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ربني والعجل (٤)

أي خير غنيمة . والحسن من أفعال العباد على ثلاثة أقسام : واجب ، وندب ، ومباح . وقال الرماني : يجوز أن يكون نافلة أكثر ثواباً من فريضة إذا كان ترك الفريضة صغير ، لأن نافلة النبي ﷺ أعظم من هذه الفريضة ، من فرائض غيره . وقد تكون نعمة واجبة أعظم من نعمة واجبة ، كنعم الله تعالى ، لأنه يستحق بها العباد من نعمة الانسان التي يستحق بها الشكر فقط .

وقوله : « نافلة لك » وجه هذا الاختصاص هو أنه أتم ، للترغيب لما في ذلك من صلاح أمتة في الابتداء به والدعاء الى الاستئناس بسنته . وروي أنها فرضت عليه ، ولم تفرض على غيره ، فكانت فضيلة له ، ذكره ابن عباس ، فيجوز ذلك

(١) ديوانه ١٣/٢ ومجاز القرآن ٣٨٩/١ والاعتضاب ٤٠٨ وروح المعاني ١٣٨/١ واللسان (هجود)

(٢) تفسير القرطبي ٣٠٨:١٠ وتفسير الشوكاني (الفتح القدير) ٢:٣٢٤ وتفسير الطبري ١٥:٨٩

(٣) تفسير الطبري ١٥:٨٩

(٤) قائله ليبيد بن ربيعة وقد مر هذا الرجز في ٨٦:٥ من هذا الكتاب

بترغيب يخصه في شدته . وقال مجاهد : لانها فضيلة له ولغيره كفارة ، لان الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا ايضاً من اختصاصه بما ليس لغيره .

وقوله : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » معناه متى فعلت ما ندبناك اليه من التهجد يبعثك الله مقاماً محموداً ، وهي الشفاعة ، في قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة . وقال قوم : المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد . و (عسى) من الله واجبه . وقد أنشد لابن مقبل في وجوبها :

ظني بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الامثال (١)

يريد كيقين ، ثم أمر الله نبيه ﷺ أن يقول : « ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق » قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : إدخاله المدينة حين أخرج من مكة . وقيل ادخلني فيما أمرتني واخرجني عما نهيتني بلطف من أطا فاك . وقال الفراء : قال ذلك حين رجع من معسكره الذي أراد أن يخرج الى الشام ، حين قالوا له : ليست المدينة أرض الانبياء ، و«أخرجني مخرج صدق» يعني الى مكة .

وقال أيضاً : يا محمد قل « واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » قال الحسن وقتادة : معناه اجعل لي عزاً امتنع به ممن يحاول صدي عن إقامة فرائض الله في نفسه وغيره . وقال مجاهد : حجة بينة . ثم قال : « وقل جاء الحق » يعني التوحيد وخلع الانداد والعبادة لله وحده لا شريك له « وزهق الباطل » قال ابن عباس : معناه ذهب الباطل ، وزهقت نفسه زهوقاً إذا خرجت ، فكأنه خرج الى الهلاك . وقيل امر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر او خرج من امر . ثم قال تعالى وأخبر « ان الباطل كان زهوقاً » باطلاً هالِكاً لا ثبات له ، وانه يضمحل ويتلاشى . وروي عن ابن مسعود أنه قال : دخل النبي ﷺ يوم الفتح مكة ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما بعود ، ويقول : « جاء الحق

وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، وجاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد .

قوله تعالى :

(وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُسًا (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) (٨٤) ثلاث آيات بلا خلاف .

أخبر الله تعالى : أنه أنزل القرآن وفيه شفاء ، ووجه الشفاء فيه من وجوه :

أحدها - ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك .

وثانيها - أنه من جهة نظمه وتأليفه يدل على انه معجز دال على صدق من ظهر على يده .

وثالثها - انه يتبرك به فيدفع به كثيراً من المكروه والمضار ، على ما يصح ويجوز في مقتضى الحكمة .

ورابعها - ما في العبادة بتلاوته من الصلاح الذي يدعو الى امثاله بالمشاركة التي بينه وبينه الى غير ذلك . ثم قال : « ولا يزيد الظالمين » يعني القرآن لا يزيد الظالمين بمعنى انهم لا يزدادون عنده « الا خساراً » يعني يخسرون ثوابهم ويستحقون العقاب لكفرهم به وحرمان أنفسهم تلك المنافع التي فيه ، صار كأنه يزيد هؤلاء خساراً بدل زيادة المؤمنين تقى وإيماناً . ثم قال : « واذا أنعمنا على الانسان أعرض »

أي ولسى عرضه، كأنه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهاال، وباعد عن انعامنا عليه بضروب النعم، فلا يشكرها، كما اعرض عن النعمة بالقرآن.

وقوله: «ونأى يجانبه» أي بعد بنفسه عن القيام بحقوق نعم الله. وقال مجاهد: معناه تباعد منا «وإذا مسه الشر كان يؤسأ» يعني إذا لحق الإنسان شر وبلاء «كان يؤسأ» أي قنوطاً من رحمة الله، فقال الله لنبيه ﷺ قل لهم: «كل» يعمل على شاكلته» أي على طريقته التي تشاكل أخلاقه. وقال مجاهد: على طبيعته. وقيل على عادته التي ألفها. والمعنى انه ينبغي للإنسان ان يحذر إلف الفساد فلا يستمر عليه، بل يرجع عنه. ثم قال: «وربكم اعلم بن هو أهدي سبيلاً» يعني انه عالم بمن يهتدي الى الحق ممن يسلك طريق الضلال، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

وأمال حمزة والكسائي «ونأى يجانبه» بكسر النون والهمزة، وأمالوا الياء، وأمالوا النون لمجاورة الهمزة، لأنها من حروف الحلق، كما يقولون: رغيف وشعير وبعير بكسر أولهن. وقرأ ابن عامر «وناء يجانبه» من ناء ينوء، فانقلبت الواو الفاً لانفتاح ما قبلها، ومدت الالف تمكيناً للهمزة.

وقرأ ابو عامر عن عاصم وابو عمرو - في رواية عياش - «ونئي» بفتح النون وكسر الهمزة ممالاً ومثل ذلك رأى ورئي، وراء ورأه في القلب، فاذا قالوا فعلت، قالوا رأيت بلا خلاف. وانشد المبرد حاكياً عن ابي عبيد:

أغلام معلل راء رؤياً فهو يهذي بما رأى في المنام^(١)

قوله تعالى:

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (٨٥) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَنْزِلَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ

كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) ثلاث آيات .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ « يسألونك عن الروح » يا محمد . واختلفوا في الروح الذي سألوها عنه . فقال ابن عباس : هو جبرائيل . وروي عن علي (ع) أن الروح ملك من الملائكة له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان يسبح الله بجميع ذلك . وقيل : هو روح الحيوان ، وهو الاظهر في الكلام . وقال قتادة : الذي سأله عن ذلك قوم من اليهود . وقيل : الروح هو القرآن ، ذكره الحسن ، لقوله : « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا » (١) واختاره البلخي ، وقوى ذلك بقوله بعدها : « ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك » يعني القرآن ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهم « الروح من أمر ربي » فعلى قول من قال : انهم سألوها عن القرآن أو عن جبرائيل أو الملك أو روح الحيوان ، فقد أجاب عنه لانه قال : « من أمر ربي » أي من خلق ربي وفعله . وعلى قول : من قال انهم سألوها عن ماهية روح الانسان ، لم يجب ، وانما عدل عن جوابهم ، لانهم وجدوا في كتابهم انه إن أجاب عن الروح ، فليس بنبي ، فاراد ﷺ ان يصدق نبوته بموافقة امتناعه من الجواب ، لما في كتابهم . ويقوي ذلك قوله : « وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً » اي لم أعط من العلم الا شيئاً يسيراً ، والاكثر لا اعلمه ، لان معلومات الله تعالى لا نهاية لها . والروح من الامور المتروكة التي لا يصلح النص عليها ، لانه ينافي الحكمة ، لما فيه من الاستفساد . وانما اعلم ما نص لي عليه مما يقتضي المصلحة ، وهو قليل من كثير .

وقيل ايضاً انهم لم يجابوا عن الروح ، لان المصلحة اقتضت ان يحالوا على ما في عقولهم من الدلالة عليه ، لما في ذلك من الرياضة على استخراج الفائدة ، وان ما طريقه السمع ، فقد اتى به ، وما طريقه العقل ، فانما يأتي به مؤكداً لما في العقل لضرب من التأكيد ، ولما فيه من المصلحة . والروح جسم رقيق هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة ، ذكره الرماني . وقال : كل حيوان ،

فهو روح وبدن الا أنت فيهم من الاغلب عليه الروح ، وفيهم من الاغلب عليه البدن . ثم قال : « ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا اليك » ومعناه اني اقدر ان آخذ ما أعطيتك ، كما منعتك من غيرك ، لكنني دبرتك بالرحمة لك ، فأعطيتك ما تحتاج اليه ومنعتك ما لا تحتاج اليه والى النص عليه . وان توهم قوم أنه بما يحتاج اليه ، فتدبر أنت بتدبير ربك وارض بما اختاره لك ، ولو فعلنا ذلك لم تجد لك علينا وكيلا يستوفي ذلك منا . وقال قوم : معنى « وان شئنا لنذهبنّ » اي لنمحونّ - هنا - القرآن من صدرك وصدرا أمّتك . وقوله : « الا رحمة من ربك » اعطاك ما اعطاك من العلوم ومنعك ما منعك منها « إن فضل الله كان » فيما مضى وفيما يستقبل « عليك كبيراً » عظيماً ، فقابله بالشكر .

قوله تعالى :

(قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً (٨٩) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً) (٩٠) ثلاث آيات .

قرأ اهل الكوفة « تفجر » بالتخفيف . الباكون بالتشديد ، يقال : فجر يفجر بالتخفيف إذا شق الأنهار ، ومن شدد ، فلقوله « وفجّرنا خلالها نهراً » (١) اي مرة بعد مرة ، ولقوله « فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً » فالتفجير لا يكون إلا من فجر .

في الآية الاولى ، تحدي للخلق ان يأتوا بمثل هذا القرآن وأنهم يعجزون عن

ذلك ولا يقدرّون على معارضته، لأنه تعالى قال «قل» يا محمد لهؤلاء الكفار «لئن اجتمعت الانس والجن» متعاونين متعاضدين «على أن يأتوا بمثل هذا القرآن» في فصاحته وبلاغته ونظمه، على الوجه الذي هو عليه، من كونه في الطبقة العليا من البلاغة وعلى حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت، لما أتوا بمثله، ولعجزوا عنه «ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» اي معيناً، والمثلية التي تحدوا بالمعارضة بها معتادة بينهم، كمعارضة علقمه لامرئ القيس، ومعارضة الحرث ابن حلزة عمرو بن كلثوم، ومعارضة جرير الفرزدق. وما كان ذلك خافياً عليهم.

ثم قال «ولقد صرّفنا في هذا القرآن من كل مثل» وتصريفه إياه هو توجيهه إياه في معانٍ مختلفة. وقال الرماني: هو تصيير المعنى دائراً فيما كان من المعاني المختلفة. وذلك أنه لو أدير في المعاني المتفقة لم يعد ذلك تصريفاً، فالتصريف تصيير المعنى دائراً في الجهات المختلفة.

وقوله «لا يأتون بمثله» انما رفعه لانه غلب جواب القسم على جواب (إن) لوقوعه في صدر الكلام، وقد يجوز أن يجزم على جواب (إن) إلا أن الرفع الوجه، وقال الاعشى:

لئن منيت بنا عن غب معركة
لاتلقنا من دماء القوم ننتقل^(١)

وقوله «فأبى أكثر الناس إلا كفوراً» معناه إنما «صرّفنا في هذا القرآن من كل مثل» ليستدلوا به على كونه من قبل الله تعالى ومع ذلك يأبى أكثر الناس إلا الجحد به، وإنكاره، فالكفور - ههنا - هو الجحود للحق بالاستكبار. ويقولون مع ذلك «لن نؤمن لك» يا محمد «حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً» ومعناه حتى تشقق من الارض عيناً ينبع بالماء أي يفور، فهو على وزن

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٤٩ وروايته (تلقنا) بدل (تلقنا) والمعنى واحد. وهو

في تفسير روح المعاني ١٥ : ١٣٦ وتفسير الطبري ١٥ : ١٠٠

(مفعول) من (نبع)، يقال نبع الماء ينبع، فهو نابع، وجمعه ينابيع، وإنما طلبوا عيوناً ببلدهم - في قول قتادة - والتفجير التشقيق عما يجري من ماء او ضياء، ومنه سمى الفجر، لانه ينشق عن عمود الصبح، ومنه الفجور، لأنه خروج الى الفساد لشق عمود الحق.

قوله تعالى :

(أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا
تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي
بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ
تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) (٩٣) ثلاث آيات بلا
خلاف .

قرأ ابن عامر «قال سبحان ربي». الباقون «قل سبحان ربي» وقرأ اهل المدينة
وابن عامر وعاصم «كسفا» بفتح السين . الباقون باسكانها من قرأ «قال
سبحان» معناه إن الرسول قال ذلك عند إقتراحهم ما تقدم ذكره، مما لا يدخل
تحت مقدور البشر . ومن قرأ «قل» فعلى أنه أمر بأن يقول لهم ذلك . ويقويه
قوله «قل إنما انا بشر مثلكم»^(١)

قال ابو زيد : يقال : كسفت الثوب أكسفه كسفا إذا قطعه قطعاً ، والكسف
القطع واحده كسفة مثل قطعة . قال ابو عبيد : كسفا قطعاً . ومن فتح السين
جعل جمع كسفة ، قال كسفاً مثل قطعة وقطع . ومن سكنه جاز ان يريد

الجمع ، مثل وسدره . ويجوز ان يريد به المصدر . والمعنى اطبق علينا السماء كسفا اي طبقا .

نزلت هذه الآية في أقوام اقترحوا على النبي ﷺ هذه الآيات ؛ قالوا ولنا نؤمن لك ، اي لن نصدقك في أنك رسول الله ﷺ حتى تأتي بها ، وهم كانوا جماعة من قريش ، منهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابو سفيان ، والاسود ابن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وابو جهل ابن هشام ، وعبدالله بن أبي أمية ، وأمية بن خلف ، والعاص بن ابل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان . على ما ذكر ابن عباس .

فمن الآيات التي اقترحوها ما ذكره في الآية المتقدمة بأن قالوا « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً » اي تشقق لنا من الارض عيون ماء في بلادنا « او تكون لك جنة » يعني بستاناً من نخيل وعنب ، وتشقق الانهار خلاها اي في خلاها ، ووسطها تشقيقاً « او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا » وقرىء بسكون السين ، وفتحها ، والكسف القطع ، في قول ابن عباس وبجـاهد وقتادة . ويحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون جمع كسفة وكسف بسكون السين كسدره وسدر بسكون الدال ، وهو للجنس يصلح ، للكثير والقليل ، ويقول العرب : اعطني كسفة من هذا الثوب أي قطعة منه ، حكى ذلك الفراء ، انه سمعه من بعض العرب ؛ ومن ذلك الكسوف ، لانقطاع نوره .

والثاني - يجوز ان يكون الكسّف مصدرأ من كسفت الشيء إذا غطيته بالغطاء عمن يراه ، فكأنهم قالوا : تسقطها طبقا علينا .

وقوله « أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً » فيه دلالة على أنهم كانوا مشبهة ، لأن العارف بالله على الحقيقة لا يقول هذا ، لأنه لا يجوز عليه تعالى المقابلة ، ولا لهم استعمال هذا على معنى دلائل وآيات الله إذ لدلائل تدل على ذلك ، فلا يشترط في الظاهر ما ليس فيه ، لأنه لم يثبت معرفتهم وحكمتهم ، فيصرف ذلك عن

ظاهره . ومعنى « قبيلة » قال الفراء : معناه كقبيلة بذلك ؛ يقال قبلت وكفلت ، وزعمت وحملت قبيلته . وقال غيره : يعني مقابلة . وقال قتادة وابن جريج والزجاج : معناه نعاينهم معاينة ، قال الشاعر :

نصالحكم حتى تبؤوا بمثلها كصرخة حبلى بشرتها قبيلها^(١)

اي قابلتها ، وهي مقابلة لها ، والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث .

وقوله « او يكون لك بيت من زخرف » قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والفراء : يعني بيتاً من ذهب « او ترقى في السماء » اي تصعد إليها أمامنا بجذائنا بسم ، قال الفراء إنما قال في السماء ، ولم يقل الى ، لأن المراد او ترقى في سلم الى السماء ، فأتى بـ(في) ليدل على ما قلناه يقال : رقيت في السلم أرقياً رقياً ، ورقيت من الرقياء أرقوه رقياً ورقية « ولن تؤمن لرقيتك » اي لصعودك حتى تنزل علينا كتاباً مكتوباً نقرأه كما أنزل على موسى الألواح ، فقال الله تعالى له « قل يا محمد « سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً » وإنما أجايبهم بذلك ، لان المعنى انكم تقترحون على الآيات وليس أمرها اليّ وإنما أمرها الى الذي أرسلني والذي هو أعلم بالتدبير مني وما ينص عليه من الدليل ، فلا وجه لطلبكم هذا مني مع ان هذه صفتي ، لاني رسول أؤدي اليكم ما أوحى اليّ وأمرت بان أؤديه اليكم . ومن قرأ « قال سبحان » حمله على أن النبي ﷺ قال ذلك ابتداء من قبل نفسه ، قبل ان يؤمر به ، لعلمه بأن الآيات لا تتبع الشهوات ، والاقتراحات ،

(١) قائله الاعشى ديوانه (دار بيروت) ١٣٥ وقد مر تخريجه في ١ : ٣٥٠ ورواية

الديوان

أصالحكم حتى تبؤوا بمثلها كصرخة حبلى يسرتها قبولها

وكان على هامش المطبوعة حاشية هي (كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها، ويروي قبولها اي يلمت منها والقبيل والقبول كلاهما بمعنى الغالبة - هنا - سميت بذلك لقبولها الولد ، وتلقيها اياه عند الولادة) انتهى . وعلى هذه الحاشية المذكورة علامة تدل على انها وجدت في بعض المخطوطات .

وانما تتبع المصالح ، ولو تبعت الشهوات لكان كل واحد يقترح غير ما يقترحه الآخر فيؤدي الى الفساد .

قوله تعالى :

(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ
يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥) قُلْ
كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (٩٦)
ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى وما صرف الناس ، يعنى المشركين الذين لم يؤمنوا ، وانما أخبر عنه بالمنع مبالغة له في الصرف ، لان المنع يستحيل معه الفعل ، والصرف يمكن معه الفعل ، لكنه لشدة صرفه شبه بالمنع . وقوله « أن يؤمنوا » اي ما صرفهم عن التصديق بالله ورسوله حين جاءهم الهدى ، يعنى الحجج والبيانات ، وطريق الحق إلا قولهم « أبعث الله بشراً رسولاً » فدخلت عليهم الشبهة في أنه لا يجوز من الله أن يبعث رسولاً إلا من الملائكة ، كما دخلت عليهم الشبهة في أن عبادتهم لا تصلح لله ، فوجهوها إلى الاصنام ، فعظموا الله تعالى يحلمهم ، بما ليس فيه تعظيم . وهذا فاسد ، لأن تعظيم الله إنما يكون بأن يشكر على نعمته بغاية الشكر ويحمد غاية الحمد ، ويضاف اليه الحق دون الباطل ، وهم عكسوا فأضافوا الباطل اليه وما يتعالى عن فعله أو إرادته . وإنما عدلوا عن الهدى إلى الضلال تقليداً لرؤسائهم . واعتقاداً للجهل بالشبهة .

فان قيل لم جاز ان يرسل الله إلى النبي - وهو من البشر - ملكاً ليس من جنسه ؟ ولم يميز أن يرسل إلى غير النبي مثل ذلك ؟!

قلنا : لانه صاحب معجزة ، وقد اختير للهداية والمصلحة ، فصارت حاله بذلك مقاربة لحال الملك ، وليس كذلك غيره من الأمة ، مع ان الجماعة الكثيرة ينبغي ان يتخير لها ما تجتمع عليه همها بما لا يحتاج اليه في الواحد منا إذا اريد صلاح الجميع . وقيل : لأنهم لا يجوز ان يروا الملك ، وهم على هذه الهيئة التي هم بها ، على أنه يلزمهم على الامتناع من اتباع النبي - لأنه بشر مثلهم - الامتناع من اتباع الملك ، لانه عبد ومحدث مثلهم في العبودية والحدوث ، فان جاز ذلك ، لان الله تعالى عظمه وشرّفه واختاره ، جاز ايضاً في البشر لمثل هذه العلة .

ثم قال لنبيه ﷺ « قل » لهم « لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين » قال الحسن معنى « مطمئنين » قاطنين فيها . وقال الجبائي : « مطمئنين » عن امر الله الذي يلزم بالاعراض عنه الذم ، كما قال تعالى « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه »^(١) . ثم قال له « قل » لهم كفى بالله ، أي حسبي الله شهيداً وعالماً بيني وبينكم « انه كان بعباده خبيراً بصيراً » أي عالماً بكم وبني ، مدرك لنا . ونصب « شهيداً » على التمييز ، وتقديره حسبي الله من الشهداء ، ويجوز ان يكون نصباً على الحال ، وتقديره كفى الله في حال شهادته . وإنما قال هذا جواباً لهم حين قالوا : من يشهد لك بأنك رسول الله ؟ فقال الله له « قل كفى بالله شهيداً » .

قوله تعالى :

(وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِدَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) ثلاث آيات .

قيل في معنى قوله « من يهد الله فهو المهتد » قولان :
 أحدهما - من يحكم الله بهدايته وتسميته بها بإخلاصه الطاعة ، فهو المهتدي في الحقيقة ، وفيه دعاء الى الاهتداء ، وترغيب فيه وحث عليه . وفيه معنى الامر به .
 الثاني - من يهديه الله الى طريق الجنة ، فهو المهتدي اليها .
 وقوله « ومن يضل » يحتمل ايضاً أمرين :
 احدهما - من يحكم الله بضلالة وتسميته ضالاً بسوء اختياره للضلالة فإنه لا ينفعه ولاية ولي له ، فلو تولاه لم يعتد بتولييه ، لأنه من اللغو الذي لا منزلة له ،
 ولذلك حسن أن ينفى ، بمنزلة ما لم يكن .
 والثاني - من يضل الله عن طريق الجنة ، وأراد عقابه على معاصيه لم يوجد له ناصر يمنع من عقابه .

ثم أخبر عن صفة حشرهم الى أرض القيامة ، يعنى الكفار ، إنه يحشرهم « يوم القيامة » مجرورين « على وجوههم عمياً » كما عموا عن الحق في الدنيا « بكماً » جزاء على سكوتهم عن كلمة الاخلاص « وصماً » لتركهم سماع الحق واصغائهم الى الباطل « كلما خبت » النار ، والخبوة هدوء النار عن الالتهاب خبت النار تجبو خبواً اذا سكنت ، والمعنى : كلما سكنت التهب واستمرت ، وذلك من غير نقصان آلام أهلها ، قال عدي بن زيد :

وسطه كالسراج أو سرح المجدل حيناً يجبو حيناً يغير^(٢)

فان قيل : كيف يحشرهم الله يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ، مع قوله « ورأى المجرمون النار ، فظنوا انهم واقعوها »^(٣) وقوله « سمعوا لها تغيظاً

(٢) تفسير الطبري ١٥ : ١٠٥

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٧٦

(٣) سورة ١٨ الكهف آية ٥٤

وزفيرا^(١) « وقوله « دعوا هنالك ثبورا »^(٢)

قلنا عنه جوابان :

أحدهما - انهم يحشرون كذلك ، ثم يجعلون يبصرون ويشهدون وينطقون .
الثاني - قال ابن عباس والحسن : إنهم عمي عمّا يسرهم ، بكم عن التكلم بما ينفعهم
صم عما يمتنعهم « ما واهم جهنم » أي مستقرهم .

فإن قيل : لم جاز أن يكونوا عمياً عن العذاب يوم القيامة ، ولم يجز أن
يكونوا جهالاً به ؟ .

قلنا : لان الجاهل به لا يجد من ألمه ما يجده العالم ، ولأن الحكمة تقتضي
إعلامه أن عقابه من أجل جرمه ، لانه واقع موقع التوبيخ له ، وموقع الزجر
في الخبر به .

وقوله « ذلك » يعني ما قدم ذكره من العقاب « جزاؤهم » استحقاقه بكفرهم
بآيات الله .

وقوله « إذا كنتا عظاماً ورفاتاً » مثل التراب متحطمين مترضضين « أننا
لمبعوثون خلقاً جديداً » وإنما قالوا ذلك ، لانكارهم الحشر والبعث يوم القيامة
والثواب والعقاب . ثم قال « أو لم يروا » يعني هؤلاء الكفار « ان الله الذي
خلق السموات والأرض » لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها ، « قادر على ان
يخلق مثلهم » لأن القادر على الشيء قادر على أمثاله إذا كان له مثل وأمثال في
الجنس « وجعل لهم أجلاً » يعيشون اليه ويحشرون عنده ، لا شك فيه . وقال
الجبائي : جعل الله لهم أجلاً لمعادهم وحشرهم لا شك فيه .

ثم أخبر تعالى فقال « فأبى الظالمون » لنفوسهم الباخسون حقها بفعل
المعاصي « إلا كفوراً » أي كفروا وجحدوا بآيات الله ونعمه .

وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء قادر على جنس مثله إذا كان له مثل .
وفيه دلالة على أنه يجب أن يكون قادراً على ضده ، لأن منزلته في المقدور منزلة

مثله . وفيه دلالة على انه يقدر على إعادته إذا كان مما يبقى وتصح عليه الاعداد .

قوله تعالى :

(قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) (١٠٠) آية بلا خلاف .

يقول الله لنبيه ﷺ « قل » لهؤلاء الكفار: لو انكم ملكتم «خزائن رحمة ربي» أي ما يقدر عليه من النعم قدرتم على مثله لما انفقتموه في طاعة الله، وامسكتموه خوفا من الفقر . ثم اخبر بأن الانسان كان قتورا ، يعني مضيقا سيء الظن بالله وبالخلف عن الانفاق ، وهو جواب لقولهم « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا » (١) فاعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الله ، لأمسكوا بخلاها وشحاً خشية نفادها ، يقال : نفقت نفقات القوم إذا نفدت ، وانفقتها صاحبها أي انفدها حتى افتقر ، وقال قتادة : خشية الانفاق أي خشية الفقر . والمراد بالانسان في الآية . - قول ابن عباس والحسن : هو الكافر . والقنور المضيق للنفقة ، يقال قنر يقنر وأقنر إذا قدر النفقة . و (أنتم) مرفوع بفعل مضمر ، والمعنى قل لو تملكون أنتم ، لأن (لو) يقع بعدها الشيء ، لوقوع غيره ، فلا يليها إلا الفعل ، وإذا وليها اسم يعمل فيه الفعل المضمر قال الشاعر :

لو غيركم علق الزبير بجبله أدى الجوار الى بني العوام (٢)

والقنور البخيل - في قول ابن عباس - قال أبو داود :

لا أعدّ الاقتار عدماً ولكن فقد من قدر رزقته الأعدام (٣)

وظاهر قوله « وكان الانسان قتورا » العموم ، وقد علمنا أن في الناس الجواد ، والوجه فيه أحد أمرين :

(٢) مر هذا البيت في ٤ : ٣٥١

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٩١

(٣) تفسير الطبري ١٥ : ١٦

أحدهما - ان الأغلب عليهم من ليس بجواد ، ومن مقتصد أو بخيل ، فجاز تغليب الأكثر .

والثاني - أنه لا أحد إلا وهو يجر إلى نفسه نفعاً بما فيه ضرر على الغير ، فهو بخيل بالإضافة إلى جود الله تعالى .

قوله تعالى :

(وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) آيتان بلا خلاف .

قرأ الكسائي وحده « لقد علمت » بضم التاء . الباقيون بفتحها .

حجة من فتح أنه قال : إن فرعون وملاه ممن تبعه قد علموا صحة أمر موسى وأن ما أتى به ليس بسحر بدلالة قوله « لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك^(١) » وقوله « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً »^(٢) وقولهم « يا أيها الساحر ادع لنا ربك »^(٣) ومن قرأ بضم التاء فمن علم موسى .

فان قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه ، وعلمه لا يكون حجة على فرعون وملائته ؛ وانما يكون علم فرعون ما علمه من صحة أمر موسى حجة عليه ؟ . نقول : إنه لما قيل له « إن رسولكم الذي أرسل اليكم مجنون »^(٤) كان ذلك قدحاً في علمه ، لأن المجنون لا يعلم ، فكانه نفى ذلك ، فقال لقد علمت صحة

(٢) سورة ٢٧ النمل اية ١٣ - ١٤

(٤) سورة ٢٦ الشعراء اية ٢٧

(١) سورة الاعراف اية ١٣٣

(٣) سورة ٤٣ الزخرف اية ٤٩

ما أتيت به ، وأنه ليس بسحر ، علماً صحيحاً كعلم العقلاء ، فصارت الحجة عليه من هذا الوجه . ورويت هذه القراءة عن أمير المؤمنين (ع)

يقول الله تعالى مخبراً عما أعطى موسى من الآيات وذكر أنها تسع آيات معجزات بينات ظاهرات دالات على صحة نبوته . واختلفوا في هذه التسع : فقال ابن عباس والضحاك : هي يد موسى ، وعصاه ، ولسانه ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم «آيات مفصلات» . وقال محمد ابن كعب القرظي : الجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والبحر ، وعصاه والطمسة ، والحجر . والطمسة دعاء موسى وتأمين هرون ، فقال الله تعالى « قد اجيبت دعوتكما^(١) » ، وفي رواية عكرمة عن ابن عباس ، ومطر الوراق : الطوفان والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والسنون ، ونقص من الثمرات . وبه قال الشعبي ومجاهد . وقال الحسن مثل ذلك ، غير أنه جعل الأخذ بالسنين ونقص الثمرات آية واحدة . وجعل التاسعة تلفف العصا ما يافكون .

وقال صفوان ابن عسال : سأل يهودي رسول الله ﷺ عن التسع آيات ، فقال : (هن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تاكلوا النفس التي حرمها الله الا بالحق ، ولا تمشوا بيريء إلى السلطان يقتله ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربو ، ولا تقذفوا المحصنة ، ولا تولوا الفرار يوم الزحف ، وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعدوا في السبت)^(٢) فقبل يده ، وقال أشهد أنك نبي الله . وقوله « فاسأل بني اسرائيل » أمر النبي أن يسأل بني اسرائيل « اذ جاءهم موسى » . وقال الحسن عن ابن عباس ، قال : معناه سؤالك إياهم ، نظرك في القرآن . وروي عن ابن

(١) سورة ١٠ يونس اية ٨٩

(٢) في بعض المخطوطات (لا تسخروا في السبت) وفي بعضها (لا تصيدوا في السبت) وقد اثبتنا ما في المطبوعة لموافقته لقوله تعالى « لا تعدوا في السبت » في سورة النساء آية ١٥٤ ، وفي سورة البقرة آية ٦٥ « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت » وفي سورة الاعراف اية ١٦٢ « اذ يعدون في السبت »

عباس أنه كان يقرأ «فسأل بني إسرائيل» يعني فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه .

وقوله «فقال له فرعون» حكاية عما قال فرعون لموسى «إني لأظنك يا موسى مسحوراً» أي معطاً علم السحر بهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ، وقد يجوز أن يكون المراد «إني لأظنك يا موسى» ساحراً ، فوضع (مفعول) موضع (فاعل) ، مثل مشؤم وميمون موضع شائم وبامن . وقيل معناه : إنك سحرت ، فانت تحمل نفسك على ما يقوله السحر الذي بك وقيل مسحور بمعنى مخدوع .

وقوله «قال لقد علمت» حكاية عما أجاب به موسى فرعون فإنه قال «لقد علمت» يا فرعون أن ما جئت به ليس بسحر وإني صادق . ومن قرأ بضم التاء معناه إنه لما قال له فرعون «إني لأظنك يا موسى مسحوراً» قال له موسى «لقد علمت» اني لست كذلك وأنه ما أنزل هذه الآيات «إلا رب السموات والارض» الذي خلقهم وجعلهم «بصائر» أي حججاً واضحة واحداً بصيرة «واني لأظنك يا فرعون مشبوراً» أي ملعوناً ممنوعاً من الخير ، تقول العرب ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما منعك منه ، وما صرفك عنه ، وثبره الله ، فهو يشبره ويشبره لغتان . ورجل مشبور محبوس عن الخيرات . قال الشاعر :

إذا جرى الشيطان في سنن السفي فمن مال ميده مشبور^(١)

وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير ، وقال قوم : معناه مغلوباً ، روي ذلك عن ابن عباس في رواية أخرى ، وبه قال الضحاك . وقال مجاهد : هالكاً ، وبه قال قتادة . وقال عطية العوفي : مفيراً مبدلاً . وقال ابن زيد : معناه مخبولاً لاعقل له .

قوله تعالى :

فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (١٠٣)

وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) آيتان بلا خلاف .

قوله «فأراد» يعني فرعون «أن يستفزهم» يعني موسى وبني اسرائيل «من الأرض» أي يخرجهم منها بالنفي والقتل والازعاج كرهاً، من أرض مصر . وأصله القطع بشدة ، فزّز الثوب إذا قطعه بشدة تحريق .

فأخبر الله تعالى إنا أغرقناه عند ذلك في البحر، «ومن معه» من جنده وأتباعه ونجينا بني اسرائيل مع موسى (ع) وقلنا لهم من بعد هلاك فرعون «اسكنوا الأرض» يعني أرض الشام، «فإذا جاء وعد الآخرة» يعني يوم القيامة وهي الكرة الآخرة «جئنا بكم لفيفاً» أي حشرناكم إلى أرض القيامة، مختلطين من كل قوم ومن كل قبيلة، قد التف بعضهم على بعض لا تتعارفون، ولا ينحاز منكم أحد إلى قبيلة، ومن ذلك قولهم : لفتت الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع ، وكل شيء اختلط بشيء فقد لف به ، وقال مجاهد: معناه جئنا بكم من كل قوم . وقال قتادة: جئنا بكم أجمع أولكم وآخركم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد - في رواية - والضحاك . و (لفيف) مصدر تقول لفتته لفاً ولفيفاً، فلذلك أخبر به عن الجميع ولفيفاً نصب على الحال .

قوله تعالى :

(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا) (١٠٦) آيتان بلا خلاف .

قوله « وبالحق أنزلناه » يعني القرآن أنزله الله يأمر فيه بالعدل وبالانصاف ، والأخلاق الجميلة والأمور الحسنة الحميدة ، وينهي فيه عن الظلم وأنواع القبائح والأخلاق الذميمة . « وبالحق نزل » معناه بما ذكرناه من فنون الحق نزل القرآن من عند الله على نبيه ﷺ . قال البلخي : يجوز أن يكون أراد موسى ، ويكون ذلك كقوله « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد »^(١) ويجوز أن يكون أراد الآيات فكفى عنها بالهاء وحدها ، دون الهاء والألف ؛ ويريد أنزلنا ذلك ، كما قال أبو عبيدة قال أنشدني رؤبة :

فيه خطوط من سواد وبلق كأنه في العين توليع البهق^(٢)

فقلت له : إن أردت الخطوط فقل كأنها ، وإن أردت السواد والبياض فقل كأنها ، قال : فقال لي : كأن ذلك وتلك .

ثم قال « وما أرسلناك » يا محمد « إلا مبشراً » للمطيعين بالجنة « ونذيراً » أي مخوفاً للعصاة من النار .

وقوله « وقرآناً فرقنا » قرأه أهل الأمصار بالتخفيف . وحكي عن ابن عباس بتشديد الراء ، بمعنى نزلناه شيئاً بعد شيء ، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة . ومعنى « فرقناه » فصلنا فيه الحلال والحرام ، وميزنا بينها ، وهو قول ابن عباس . وقال أبي بن كعب معناه بيناه . وقال الحسن وقتادة : فرق الله فيه بين الحق والباطل . ومن قرأ بالتشديد ، قال ابن عباس وقتادة وابن زيد : إن معناه أنزل متفرقاً لم ينزل جميعاً ، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة . ونصب « قرآناً » على معنى وأحكنا قرآناً « فرقناه » أو آتينك قرآناً . وقال بعضهم : نصب بمعنى ورحمة كأنه قال « وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً » ورحمة ، قال لأن القرآن رحمة .

وقوله « لتقرأه على الناس على مكث » معناه على توثدة ، فترتله وتبينه ولا تعجل

(١) سورة ٥٧ الحديد آية ٢٥

(٢) مر هذا الرجز في ٢٩٦/١

في تلاوته ، فلا يفهم عنك ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد ، ويقال في المكث لغات : مكث بضم الميم وعليه القراء ، وبفتح الميم وسكون الكاف ، وبفتح الميم وكسر الكاف ، وحكي مكثى مقصور ومكثاء ممدود .

وقوله « ونزلناه تنزيلاً » أي أنزلناه شيئاً بعد شيء ، وهو قول الحسن وقتادة وقوله « ونزلناه تنزيلاً » يدل على أن القرآن محدث ، لأن القديم لا يجوز وصفه بالمنزل والتنزيل ، لأن ذلك من صفات المحدثين .

وقيل في معنى « على مكث » أنه كان ينزل منه شيء ثم يكثون ماشاء الله وينزل شيء آخر .

قوله تعالى :

(قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) (١٠٩) ثلاث آيات في الكوفي خاصة ، تمام الأولى سجداً ، وآيتان فيما سوى ذلك .

يقول الله تعالى لنبيه « قل » لهؤلاء الذين اقترحوا عليك الآيات ؛ وقالوا « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً »^(١) على وجه التبكيت لهم في عدو لهم عن نبيه وكفرهم به ، وأنه لا يستضر بترك إيمانهم ، لأن عيبه راجع عليهم « آمنوا » بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ، وتعاونوا عليه لما

قدروا عليه «أولا تؤمنوا» وتجدوه ، فإن إيمانكم لن يزيد في خزائن الله شيئاً ، ولا ترككم الايمان به ينقص ذلك ، وإن تكفروا به ، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتاب ، وهم الذين أسلموا «إذا يتلى عليهم» من القرآن «يخرون» تعظيماً له وتكريماً ، لعلمهم بأنه من عند الله ، لاذقانهم سجداً بالأرض واختلفوا في المعنى بقوله «يخرون للاذقان» فقال بعضهم : أراد به الوجوه روى ذلك عن ابن عباس وقتادة . وقال قوم يعني بذلك اللحي ، حكى ذلك عن الحسن . وقوله «ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً» حكاية من الله عن هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن خروا للاذقان سجوداً عند استماعهم القرآن يتلى عليهم تنزيهاً لله تعالى وتبرئة له مما يضيف اليه المشركون ، ويقولون لم يكن وعد ربنا من ثواب وعقاب إلا مفعولاً حقاً يقيناً إيماناً بالقرآن وتصديقاً له . والأذقان جمع ذقن ، وهو جمع اللحين . وقال مجاهد وابن زيد : «الذين أوتوا العلم من قبله» إلى قوله «خشوعاً» ناس من أهل الكتاب حيث سمعوا ما أنزل الله على محمد «قالوا سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً» وقال ابن جريج : إذا يتلى عليهم كتابهم . وقال قوم «الذين أوتوا العلم» يعني به محمد ﷺ والمؤمنين . ويراد بقوله «إذا يتلى عليهم» يعني القرآن ، لأنه من سياق ذكر القرآن ، ولم يكن يجري لغيره من الكتب ذكر ، وهو الاقوى ، لأن الآية فيها مدح لمن وصف بما فيها ، وذلك لا يليق بالكفار إلا أن يراد بذلك من آمن منهم وكان عالماً قبل ذلك بصحة القرآن اذ علموا بما أنزل الله على محمد ﷺ من التوراة والإنجيل ويحتمل ذلك اذاً على ما بيناه .

وقوله «ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً» يقول الله يخرون هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان اذا يتلى عليهم القرآن «لاذقانهم يبكون ويزيدهم» ما في القرآن من المواعظ والمعبر «خشوعاً» يعني خضوعاً لأمر الله وطاعته واستكانة له .

قوله تعالى :

(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا
(١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا) (١١١)
آيتان بلا خلاف .

هذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن «قل» يا محمد لمشركي قومك المنكرين
لنبوتك الجاحدين لدعائك وتسميتك الله تعالى بالرحمن «ادعوا الله وادعوا الرحمن»
أيها القوم «أيما تدعوا فله الاسماء الحسنی» معناه بأي أسمائه تعالى تدعون
ربكم به، وإنما تدعون واحد، فله الاسماء الحسنی، وإنما أمره بذلك؛ لأن مشركي
قومه لما سمعوا النبي ﷺ يدعو الله تارة بأنه الله وتارة بأنه الرحمن، فظنوا أنه يدعو
إلهين حتى قال بعضهم: الرحمن رجل باليامة، فأنزل الله هذه الآية احتجاجاً
لنبيه ﷺ بذلك، وأنه شيء واحد، وإن اختلفت أسماءه وصفاته، وبه قال
ابن عباس ومكحول ومجاهد وغيرهم .

(وما) في قوله «أيما» يحتمل أن يكون صلة، كقوله «عما قليل ليصبحن
نادمين»^(١)، ويحتمل أن يكون بمعنى أي كررت لاختلاف لفظها، كما قالوا:
ما رأينا كالليلة ليلة .

وقوله «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا» نهي من الله
تعالى عن الجهر العظيم في حال الصلاة، وعن المخافتة الشديدة وأمر بأن يتخذ بين

ذلك سبيلاً. وحدث أصحابه الجهر فيما يجب الجهر فيه بأن يسمع غيره، والخافته بأن يسمع نفسه .

واختلفوا في الصلاة التي عنى بها بالآية في قوله « ولا تجهر بصلاتك » فقال الحسن لا تجهر بإشاعتها عند من يؤذيك ، ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك . وقال قوم : لا تجهر بدعائك ولا تخافت ، ولكن بين ذلك ، قالوا : والمراد بالصلاة الدعاء ، ذهب إليه عائشة ، وابن عباس ، وأبو عياض ، وعطاء ، وبجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن شداد ، والزبير ، ومكحول . وروي عن ابن عباس - في رواية أخرى - أن النبي ﷺ كان إذا صلى يجهر في صلاته ، فسمعه المشركون فشتموه وآذوه وآذوا أصحابه ، فأمر الله بترك الجهر ، وكان ذلك بمكة في أول الأمر ، وبه قال سعيد بن جبير . وقال قوم : أراد لا تجهر بتشهدك في الصلاة ولا تخافت به ، روي ذلك عن عائشة - في رواية أخرى - وبه قال ابن سيرين . وقال قوم : كان النبي ﷺ يصلي بمكة جهراً فأمر بإخفائها ، ذهب إليه عكرمة والحسن البصري ، وقال قوم : معناه لا تجهر بصلاتك تحسنها مراآة ، في العلانية ، ولا تخافت بها ، تثني في القيام بها في السريرة ، روي ذلك عن الحسن وقتادة وابن عباس في رواية . وبه قال ابن زيد وابن وهب . وقال الطبري : يحتمل أن يكون المراد لا تجهر بصلاتك صلاة النهار العجاء ، ولا تخافت بها ، يعني صلاة الليل التي تجهر فيها بالقراءة ، قال : وهذا محتمل غير انه لم يقل به أحد من أهل التأويل .

ثم قال لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » فيكون مربوباً لا رباً ، لأن ربّ الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد « ولم يكن له شريك » في ملكه فيكون عاجزاً محتاجاً الى غيره ليعينه فيكون ضعيفاً ، ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة « ولم يكن له ولي من الدل » معناه لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه ، لان ذلك صفة ضعيف عاجز ، ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة ، ثم أمره بأن يعظمه تعظيماً لا يساويه تعظيم ، ولا يقاربه لعلو منزلته .

وروي عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أهله هذه الآية . وما قلناه هو قول مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس . وقال محمد بن كعب القرظي : في هذه الآية ردّ على اليهود والنصارى حين قالوا اتخذ الله الولد - وعلى مشركي العرب حيث قالوا: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك . وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا : لولا اولياء الله لذل الله . فأنزل الله ردّاً لقولهم أجمعين .

وليس لأحد أن يقول : كيف يحمد الله على ان لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، والحمد إنما يستحق على فعل ماله صفة التفضل ، وذلك أن الحمد في الآية ليس هو على أن لم يفعل ذلك . وإنما هو حمد على أفعاله المحموده ، ووجه الى من هذه صفته ، لا من أجل أن ذلك صفته ، كما تقول : أنا أشكر فلاناً الطويل الجميل ، ليس انك تشكره على جماله وطوله ، بل على غير ذلك من فعله .

ومعنى « وكبره تكبيراً » صفة بصفاته التي لا يشر كه فيها أحد .

وقيل : كبره عن كل ما لا يليق وصفه به .

تمّ المجلد السادس من تفسير التبيان

ويليه المجلد السابع وأوله :

اول سورة الكهف

في ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ . آب سنة ١٩٦١ م

The first part of the paper is devoted to a general
 discussion of the problem. It is shown that the
 problem is equivalent to the problem of finding
 the minimum of a certain functional. This
 functional is defined as follows:

$$J(u) = \int_{\Omega} |\nabla u|^2 dx + \int_{\Omega} f(x) u dx$$

where Ω is the domain of interest, ∇ is the gradient operator, and $f(x)$ is a given function.

The second part of the paper is devoted to the
 construction of a numerical algorithm for the
 solution of the problem. It is shown that the
 algorithm is based on the finite element method.

The third part of the paper is devoted to the
 analysis of the algorithm. It is shown that the
 algorithm is stable and convergent.

The fourth part of the paper is devoted to the
 numerical results. It is shown that the algorithm
 is efficient and accurate.

REFERENCES

1. G. Birkhoff, *Journal of the American Mathematical Society*, 1970.

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات المستشهد بها في غير موضعها .
- ٢ - فهرس الاحاديث .
- ٣ - فهرس الردود والاجوبة والادلة .
- ٤ - فهرس المباحث اللغوية .
- ٥ - فهرس الامثال .
- ٦ - فهرس المواضيع .
- ٧ - الخطأ والصواب .

Handwritten title or header, possibly in Arabic script.

Handwritten line of text, possibly a date or introductory phrase.

Handwritten line of text.

Handwritten line of text.

Handwritten line of text.

Handwritten line of text.

Handwritten line of text.

Handwritten line of text.

Vertical handwritten text or signature on the right side of the page.

١ - فهرس الآيات المستشهد بها في غير موضعها

آية	صفحة	آية	صفحة
		(١) سورة الفاتحة	
٢٨٢	وكانوا من قبل يستفتحون	١١	إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا ٥-٦
٨٩	على الذين كفروا	(٢) سورة البقرة	
٣٦٤	ولا تلقوا بأيديكم	٤١	ولا تنكحوا المشركين حتى
١٩٥	هدى للمتقين	٢٢١	يؤمنوا
٢	٣٩٨	٦٦	صم بكم عمي فهم لا يعقلون ١٧١
٤٢٥	كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان	١١١	فما ربحت تجارتهم ١٦
٢٧٥	من المس	١١٤	ولبئس ما شروا به انفسهم
١٤	٤٤٩	١٠٢	لو كانوا يعلمون
٤٦٣	من ذا الذي يقرض الله قرضاً	١٦٤	فليؤدي الذي اؤتمن امانته ٢٨٣
٢٤٥	حسناً	١٩٧	خاوية على عروشها ٢٥٩
١٧٩	٤٧٤	٢٠٣	أفتؤمنون ببعض الكتاب
٤٩٣	لئلا يكون للناس عليكم حجة		وتكفرون ببعض فما جزاء
١٥٠	إلا الذين ظلموا		من يفعل ذلك منكم إلا خزي
٥٠٥	ويوم القيامة يردون... عما		في الحياة الدنيا ويوم القيامة
٨٥	تعملون		يردون إلى اشد العذاب ٨٥
٥٠٧	فجعلناها نكالا لما بين يديها	٢١٥	اسكن انت وزوجك الجنة ٣٥
٦٦	وما خلفها	٢٢٥	فمن شهد منكم الشهر فليصمه ١٨٥
		٢٣٦	وقالت اليهود ١١٣
		(٣) سورة آل عمران	
		١٢٠	إذ همت طائفتان منكم ان
١٢٢	تفشلا والله وليها		

آية	صفحة	آية	صفحة
يوصيكم الله في أولادكم للذكر	١٢٦	والكاظمين الغيظ	١٨٢
مثل حظ الانثيين	١١	فرحين بما آتاهم الله من فضله	١٧٠
ورثه ابواه	١٩٦	إنما نملئ لهم ليزدادوا إثماً	١٧٨
إنا أوحينا إليك كما أوحينا	٢٠٦	عضوا عليكم الأنامل من الغيظ	١١٩
إلى نوح	١٦٣	قل للذين كفروا استغلبون	٤٤٤، ٣٠٧
فإن كان له اخوة	٢١٤	وتحشرون	١٢
رأيت المنافقين يصدون عنك	٢٥٧	وإذ قالت الملائكة	٤٥٤، ٤٢
صدوداً	٦١	ان مثل عيسى عند الله كمثل	٣٨٢
الذين كفروا وصدوا عن	٢٥٧	آدم خلقه من تراب ثم قال	
سبيل الله	١٦٧	له كن فيكون	٥٩
وأشدّ تشبهاً	٦٦	لا يحسبن الذين يبخلون بما	٤٥٠
واتخذ الله إبراهيم خليلاً	٤٤٤	آتاهم الله من فضله هو خير لهم	١٨٠
وحسن أولئك رفيقاً	٦٩	ذلك بما قدمت أيديكم	١٨٢
وإذا كنت فيهم فأقمت لهم	٤٦٠	ويكلم النار في المهد وكهلاً	٤٦٦
الصلاة فلتقم طائفة منهم معك	١٠٢	كنتم خير أمة أخرجت للناس	١١٠
ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً	٤٧٤		
أن يكبروا	٥		
إنت الذين يأكلون أموال	٤٧٤		
اليتامى ظلماً	٩		
		(٤) سورة النساء	
		ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم	٦٩
		من النساء إلا ما قد سلف	٢٢
		فانكحوا ما طاب لكم من	٧٥
		النساء	٣
		وان منكم من ليبطن	٧٢
		أخلصوا دينهم	١٢٠
			١٤٦
(٥) سورة المائدة			
إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم	١٢٠		
أيديهم	١٢		
وقالت اليهود	٢٣٦		
	٦٥، ١٩		

آية	صفحة	آية	صفحة
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ١١١	٣١٩	إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ٣٠	٣٧٣
اتحاجتوني ٨٠	٣٤١	لايجر منكم شأن قوم على	٣٩٧
أو من كان ميتاً فأحييناه ١٢٢	٣٥٩	ألا تعدلوا ٩	
فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا	٣٩٢	إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ٦	٤٢٤
لشر كائنا ١٣٦		تبؤ بإثمي ٣٠	٤٥٠
عذاب الهون ٩٣	٣٩٤	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم	٤٥٩
يوحي بعضهم إلى بعض	٤٠٣	إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ٦	
زخرف القول غروراً ١١٢			
(٦) سورة الانعام			
(٧) سورة الاعراف			
ان رحمة الله قريب من المحسنين ٥٦	٨٤	دار السلام ١٢٧	٢٤
ولقد ذرأنا لجهنم ١٧٩	٨٤	والله ربنا ما كنا	٤٣٢ ، ٦٥
وإما ينزغناك من الشيطان	١٩٨	مشركين . انظر كيف كذبوا	
نزغ فاستعذ بالله ٢٠٠		على أنفسهم وضل عنهم ما	
اسكن انت وزوجك الجنة ١٩	٢١٥	كانوا يفترون ٢٤ - ٢٥	
واذ قالت أمة ١٦٤	٢٣٦	ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ٦٢	٨٩
افيضوا علينا من الماء او مما	٣٠٠	مكنهم في الارض ما لم	١٥٨
رزقكم الله ٥٠		نمكن لكم ٦	
وكادوا يقتلونني ١٥٠	٣٤١	عالم الغيب والشهادة ٧٣	٢٠٠
حقيق على ان لا اقول ١٠٥	٣٤٢	جن عليه الليل ٧٦	٢٤٦
ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً	٤٢٢	فسوف يعلمون من تكون	٢٦٦
ضعفاً في النار ٣٨		له عاقبة الدار ١٣٦	
لهم من جهنم مهاد ٤١	٤٥٢	فالق الاصبح وجعل الليل	٢٨٦
انما طائرکم عند الله ١٣١	٤٥٦	سكناً ٩٦	
		يا ليتنا نرد ولا نكذب ٢٧	٣١٥

آية	صفحة	آية	صفحة
وممن حولكم من الاعراب	٢٣٩	٤٧٠ وأعرض عن الجاهلين	١٩٩
١٠١ منافقون		٥٢٢ ولكنه اخلد إلى الارض	١٧٦
قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم	٢٧٣	٥٢٦ لان كشفت عنا الرجز لنؤمنن	١٣٤
ويتوب الله على من يشاء ١٤-١٦		(٨) سورة الانفال	
٣٠٢ فلما تبين له انه عدو لله تبرأ		٤٢ وأعدوا لهم ما استطعتم	٦١
١١٤ منه		١٢٠ ومن يولهم يومئذ دبره إلا	
٣٠٧ ليظهره على الدين كله ٣٤		متحرفاً لقتال أو متحيزاً	
٣٣٦ فزادتهم رجسا الى رجسهم ١٢٦		إلى فئة فقد باء بغضب	١٦
٤٦٧ وما كان للنبي والذين آمنوا		١٥٧، ٤٥١ وما رميت اذ رميت	
أن يستغفروا للمشركين ١١٤		ولكن الله رمى	١٧
٥٠٧ بمقعدهم خلاف رسول الله ٨٢		٢٢١ أمطر علينا حجارة من السماء	
(١٠) سورة يونس		او اقتنا بعذاب اليم	٣٢
١٠ فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم		٤١٩ فان لله خمسة وللرسول ولذي	
لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم		القربى	٤١
اقضوا اليّ ولا تظرون ٧١		(٩) سورة التوبة	
٢٤ دار السلام ٢٥		٢٠٠، ٩٠ عالم الغيب والشهادة ١٠٥، ٩٤	
٥٨ وآخر دعواهم ان الحمد لله		١٠٥ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا	
رب العالمين ١٠		نخوض ونلعب ٦٥	
٨٣ ان الله لا يظلم الناس شيئاً ٤٤		١٣٣ حتى يعطوا الجزية عن يد	
٨٦ وان كذوبك فقل لي عملي ولكم		وهم صاغرون ٢٩	
عملكم انتم بريئون مما اعمل		١٨٧ ولا يضيع أجر المحسنين ١٢١	
وأنا بريء مما تعملون ٤١		٢٣٦ وقالت اليهود	٣٠
٣١٥ آلاّن وقد عصيت ٩١			

آية	صفحة	آية	صفحة
٣٣	١٣٧ حتى يأتي وعد الله	٩٣	٣٨٣ بو أنابني اسرائيل مبوءاً صدق
١٠	٢٠٠، ٩٠ عالم الغيب والشهادة	٦٧	٤٩٣ والنهار مبصراً
	(١٥) سورة الحجر	٨٩	٥٢٧ قد أجبت دعوتكما
	٧١ وأرسلنا الرياح لواقح		(١١) سورة هود
٧٣	٣٤٦ فأخذتهم الصيحة مشرقين	٤٨	٧٦ وعلى امم ممن معك
٩	٣٥٩ إنا نحن نزلنا الذكر	٨٥	٨٥ وما كان ربك ليهلك للقرى
٥٤	٣٧٣ فم تبشرون	١١٨	بظلم وأهلها مصلحون
	(١٦) سورة النحل	١٤٧	١٤٧ إن ابراهيم حلیم أوامنيب
٦٥	٦٥ يوم تأتي كل نفس تجادل عن	٤٥	١٨٦ ان ابني من أهلي
١١١	نفسها	١١٦	١٨٧ لا يضيع أجر المحسنين
٩٠	٧٤ والبغي يعضكم	٣٦	٢٠٦ وأوحى الى نوح
٢٧	١٦٤ ابن شركائي	٨٩	٣٩٧ لا يجرمنكم شقاقى
١٢٤	٢٠٨ ان ربك ليحكم بينهم		(١٢) سورة يوسف
٢٥٧	٢٥٧ الذين كفروا وصدوا عن	٢٥	٢٥ فصبر جميل
٨٨	سبيل الله	١٥٨	١٥٨ للرؤيا تعبرون
٦٠	٢٥٩ والله المثل الاعلى	٩٠	١٨٧ لا يضيع اجر المحسنين
٣٢٩	٣٢٩ نسقيكم مما في بطونه من بين	٣٠	٢٣٦ وقال نسوة
	فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً		(١٣) سورة الرعد
٦٦	للشاربين	٢٥	٢٥ سلام عليكم بما صبرتم
٣٥٨	٣٥٨ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر	١٣٦	١٣٦ وما دعاء الكافرين الا في
٧٧	أو هو أقرب		ضلال
٤٤	٣٥٩ وأنزلنا إليك الذكر	١٥	

آية	صفحة	آية	صفحة
١٠٨	٣٣٤	(٢٠) سورة طه	
٢٠	٣٦٤	٢٥ والسلام على من اتبع الهدى ٤٧	
١٤	٣٦٩	٣٠٩ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ١٠٧	
٤٠	٥٣٣	(٢١) سورة الانبياء	
	(٢٤) سورة النور	١٠٥ أجنثنا بالحق ام انت من	
	١٢٢ ولولا فضل الله عليكم	اللاعبين	٥٥
٢٠، ١٠	ورحمته	٢٦٤ ولقد كتبنا في الزبور من	
٤٠	٢٨٤ لم يكذبها	بعد الذكر	١٠٥
	٣٦٨ أو الطفل الذين لم يظهروا	٤٦٥ واسروا النجوى الذين ظلموا ٣	
٣١	على عورات النساء	٤٨١ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ٢٢	
	(٢٥) سورة الفرقان	(٢٢) سورة الحج	
	٢٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٩٤، وإذا خاطبهم	١٩٧ خاوية على عروشها ٤٥	
٦٣	الجاهلون قالوا سلاما	١٩٧ خر من السماء فتخطفه الطير ٣١	
	٨٥ هو الذي جعل الليل والنهار	٣٥٣، ٢٠٠ اجتنبوا الرجس من	
٦٢	خلفة	الأوثان	٣٠
٦٠	٢٥٢ وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا	٢٥٧ إن الذين كفروا ويصدون	
	٢٨٦ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل	عن سبيل الله والمسجد	
٢٣	فجعلناه هباء منثوراً	الحرام	٢٥
٢٥	٣١٩ ونزل الملائكة تنزيلاً	٢٧٣ لنبين لكم ونقر في الأرحام ٥	
٧٥	٤٥٦ ويلقون فيها تحية وسلاماً	(٢٣) سورة المؤمنون	
	٥٢٤ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ..	٢٠٠، ٩٥ عالم الغيب والشهادة ٩٢	
١٣-١٢	دعوا هنالك ثبوراً	٩٩ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ٥٠	

آية	صفحة	آية	صفحة
١٠	٣٢٥	١٢	٣١٥
	إلا من خطف الخطفة		فارجعنا نعمل صالحاً
	٣٦٨		(٣٣) سورة الأحزاب
٦			٢٦٤ والحافظين فروجهم والحافظات
	الكواكب		(٣٤) سورة سبأ
٩	٣٩٠	٢٠	٢٠ بل مكر الليل والنهار
	ولهم عذاب واصب		(٣٥) سورة فاطر
١٤٣	٤٤٥	١	٢٨٦ فاطر السماوات والأرض
	فلولا أن كان من المسبحين		(٣٦) سورة يس
	(٣٨) سورة (ص)	٧٦	٧٦ وان كل لما جميع لدينا محضرون
٦	٨٠	٣٠	١١٣ يا حسرة على العباد
	واصبروا على آهتكم	٣٩	١٩٣ كالمرجون القديم
٧٥	٢٦٨	٣٩	٤٥٥، ٣٢٦ والقمر قدرناه
	لما خلقت بيدي	١٩	٤٥٦ قالوا طائركم معكم
	(٣٩) سورة الزمر	٤٨٧	٤٨٧ من يحيي العظام وهي رميم .
٧			قل يحييها الذي انشأها اول
	خلقكم من نفس واحدة ثم		مرة وهو بكل خلق علم
٦			(٣٧) سورة الصافات
	جعل منها زوجها	٧٩	٢٥ سلام على نوح
٥٤	٣٦	١٠٩	٢٥ سلام على ابراهيم
	وانيبوا الى ربكم	٤٥	٣٠ يطاق عليهم
٤٦	٢٠٠، ٩٠		٣٦٩، ٣٣ اتدعون بعلاً وتذرون
	عالم الغيب والشهادة		أحسن الخالقين
	٢١٦		١٢٥
	يكور الليل على النهار		٦٥ وقفوهم انهم مسئولون
	ويكور النهار على الليل		
٦٠	٢٨٥		
	وجوههم مسودة		
	٣١٦		
	ونفخ في الصور فصعق من		
٦٨			
	في السماوات ومن في الارض		
٧٣	٣١٦		
	وسيق الذين اتقوا		
٦٤	٣٤١		
	تأمروني		
	٣٥٣		
	الله نزل أحسن الحديث		
٢٣			
	كتاباً متشابهاً مثاني		
٧٤	٤٥٩		
	فنعم أجر العاملين		
	٤٧٤		
	يا عبادي الذين اسرفوا على		
٥٣			
	أنفسهم		

آية	صفحة	آية	صفحة
وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه		(٤٠) سورة المؤمن (غافر)	
فريق في الجنة وفريق في		وما دعاء الكافرين إلا في	١٣٦
السعير	٧	ضلال	٥٠
حم عسق . كذلك يوحي	٢٠٦	اذ الاغلال في أعناقهم	٧١
اليك	٢-١	وكذلك زين لفرعون سوء	٢٥٨
تري الظالمين مشفقين مما كسبوا	٣٠٦	عمله وصدت عن السبيل	٣٧
وهو واقع بهم	٢٢	يلقي الروح من أمره على من	٣٥٩
من بعد ما قنطوا	٢٨	يشاء من عباده	١٥
وكذلك أوحينا اليك روحاً	٣٦٠	ومنها تأكلون	٧٩
من أمرنا	٥٢	والله يقضي بالحق	٢٠
إلا وحياً او من وراء حجاب	٤٠٣	والنهار مبصراً	٦١
او يرسل رسولا فيوحي		(٤١) حم السجد (فصلت)	
بأذنه	٥١	٤٩٩، ٨٨	٤٠
ولو بسط الله الرزق لعباده	٤٧١	٢٨٠، ١٨٩	٨
لبغوا في الارض	٢٧	وابشروا بالجنة التي كنتم	١٩٤
وكذلك اوحينا اليك روحا	٥١٥	توعدون	٣٠
من امرنا	٥٢	واما ينزغناك من الشيطان	١٩٨
(٤٣) سورة الزخرف		نزغ فاستعد بالله	٣٦
فاصفح عنهم وقل سلام	٢٥	لا ياتيه الباطل من بين يديه	٣٢٠
يطاف عليهم	٧١	ولا من خلفه	٤٢
وإن كل ذلك لما متاع الحياة	٧٦	٤٢٩، ٣٧٩	
الدنيا	٣٥	فاستحبوا العمى على الهدى	١٧
انا وجدنا آباءنا على أمة	٨٣	٤٤٨	١٢
ولولا أن يكون الناس أمة	٨٣	(٤٢) سورة الشورى	
واحدة	٢٣	لتنذر أم القرى ومن حولها	٨٥

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٥	المسجد الحرام	٢٨٥	لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
٢٨	ليظهره على الدين كله	٣٣	لبيوتهم
	(٤٩) سورة الحجرات	٣٩٣	وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
١٤	قالت الاعراب	١٩	الرحمن إناثا
	(٥٠) سورة ق	٥٢٦	يا أيها الساحر ادعوا لناربك
١٩	وجاءت سكرة الموت بالحق		(٤٤) سورة الدخان
٣١٦	وجاءت كل نفس معها سائق	٤٩٤	إن شجرة الزقوم طعام الأثيم
٢١	وشهيد		(٤٦) سورة الاحقاف
	(٥١) سورة الذاريات	١٥٨	مكناهم فيما أن مكناكم فيه
٤٥	انزل عليهم حجارة من طين	٢٣٤	حملته أمة كرها ووضعته كرها
٨٥	وما خلقت الجن والإنس إلا	٢٥٦	فاصبر كما صبر اولو العزم من
٥٦	ليعبدون	٣٥	الرسل
٣٤٩	حجارة من طين مسومة عند	١٧	اتعداني
٣٤	ربك	٢٠	عذاب الهون
	(٥٣) سورة النجم		(٤٧) سورة محمد
٥٣	والمؤتفة أهوى	٢١٤	ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين
١	والنجم إذا هوى	٣١	منكم والصابرين
	(٥٤) سورة القمر	٢٥٧	الذين كفروا وصدوا عن
١	اقتربت الساعة		سبيل الله
٤٧	ان المجرمين في ضلال	٣٤٠، ٣٢٠، ٣١	وسقوا ماء حميماً فقطع
	(٥٥) سورة الرحمن	١٥	أمعاءهم
١١	فيؤخذوا بالنواصي والاقدام	٤٢٢	ولو يشاء الله لنتصر منهم
٦٦، ٦٥	فيومئذ لا يسأل عن ذنبه		ولكن ليبلو بعضهم ببعض
٣٩	انس ولا جان		(٤٨) سورة الفتح
		٢٥٧	هم الذين كفروا وصدوا عن

آية	صفحة	آية	صفحة
قل ان الموت الذي تفرون	٣٩١	خلق الانسان من صلصال	٣٣١
منه فانه ملائكم	٨	كالفخار	١٤
(٦٣) سورة المنافقون		والنجم والشجر يسجدان	٦
فاصدق واكن	١٨٩	(٥٦) سورة الواقعة	
(٦٤) سورة التغابن		حق اليقين	٩٥
عالم الغيب والشهادة	٢٠٠,٩٠	وتجعلون رزقكم انكم تكذبون	٨٢
(٦٥) سورة الطلاق		فروح وريحان	٨٩
ومن يتق الله يجعل له مخرجا	٨	(٥٧) سورة الحديد	
ويرزقه من حيث لا يحتسب	٢-٣	وأنزّلنا الحديد فيه بأس شديد	٢٥
(٦٧) سورة الملك (تبارك)		(٥٨) سورة المجادلة (قد سمع)	
هل ترى من فطور	٦	اتخذوا أيمانهم جنة	١٦
إن الكافرون إلا في غرور	٢٠	(٥٩) سورة الحشر	
ينقلب اليك البصر خاسئا	٤٧١	عالم الغيب والشهادة	٢٣
وهو حسير	٤	(٦٠) سورة الممتحنة	
(٦٨) سورة القلم		إلا قول ابراهيم لابيه	٣٠٢
ولا يستثنون	١٧ - ٢٩	لأستغفرن لك	٤
(٦٩) سورة الحاقة		(٦١) سورة الصف	
ظننت اني ملاق حسابه	٢٠	ليظهره على الدين كله	٩
لحقّ اليقين	٥١	(٦٢) سورة الجمعة	
هاؤم اقروا كتابيه	١٩	عالم الغيب والشهادة	٨
لا يأكله الا الخاطئون	٣٧		

آية	صفحة	آية	صفحة
٦٦، ٦٥	هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتدون ٣٥ - ٣٦	(٧٠) سورة المعارج	
(٧٨) عم (النبا)		١٥ يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون	٤٣
٦٨	لا بثين فيها احقابا ٢٣	(٧١) سورة نوح	
(٧٩) النارعات		١٥ أنبتكم من الارض نباتا ١٧	
٣٩٨	إنما انت منذر من يخشاها ٤٥	٣٠٧ ومكروا مكرا كبارا ٢٢	
(٨٠) عبس		(٧٢) سورة الجن	
٤٥٠	وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ٣٩	٢٠٦ قل اوحى الي ١	
(٨٢) الانفطار		(٧٣) سورة المزمل	
٦	اذا السماء انفطرت ١	٣٨٦ ان لك في النهار سبحا طويلا ٧	
٤٦٦	والأمر يومئذ لله ١٩	٤٢١ تجدوه عند الله هو خيرا ٢٠	
(٨٣) المطففون		٤٨٢ وتبتل اليه تنبيلا ٨	
٤٦	كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ٧ - ٩	(٧٥) سورة القيامة	
(٨٤) الانشقاق		٤٥٠ وجوه يومئذ ناضرة ٢٣	
٢٨٠، ١٨٩	لهم أجر غير ممنون ٢٥	(٧٦) سورة الانسان (الدهر)	
(٨٦) الطارق		٣٠ يطاف عليهم ١٥	
٧٤	ان كل نفس لمار عليها حافظ ٤	٤٥٦ ولقاهم نضرة وسرورا ١١	
٣٦٨	النجم الثاقب ٣	(٧٧) سورة المرسلات	
		١٠ فان كان لكم كيد فكيدهم ٣٩	

آية	صفحة	آية	صفحة
(٩٩) سورة الزلزال		(٨٩) الفجر	
بأن ربك أوحى لها ٥	٤٥١، ٤٥٣	وتأكلون التراث أكلاً لما	٧٥
(١٠٢) سورة التكاثر		(٩٠) سورة البلد	
كلا لو تعلمون علم اليقين ٥	١٢٢	أو إطعام في يوم ذي مسغبة	٤٠٨
(١٠٣) سورة العصر		يتيماً	١٤ - ١٥
ان الانسان لفي خسر ٢	٢٦٦	(٩٥) سورة التين	
(١٠٩) سورة الكافرون		فلهم أجر غير ممنون ٦	٢٨٠، ١٨٩
قل يا أيها الكافرون لا أعبد	٨٦	(٩٦) سورة العلق	
ما تعبدون ولا انتم عابدون		لنسفعاً بالناصية	٤٥٠
ما أعبد	١ - ٢	(٩٧) القدر	
		تنزل الملائكة والروح ٤	٣١٩

٢ - فهرس الأحاديث

	صفحة
عن النبي ﷺ : إن الشقي "شقي" في بطن أمه .	٦٧
عن النبي ﷺ : يخرج قوم من النار .	٦٨
عن النبي ﷺ : فهلا بكر تلاعبها وتلاعبك .	١٠٦
عن النبي ﷺ : إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، إن المبتت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .	١٠٦
عن أبي عبد الله (ع) : الدراهم التي باعوا بها يوسف كانت ثمانية عشر درهماً	١١٥
عن علي (ع) : قيمة كل امرئ ما يحسنه .	١٣٨
عن النبي ﷺ : العين حق . وانه عوذ الحسنين منها .	١٦٧
عن النبي ﷺ : أنا فرطكم على الحوض .	٣٩٦، ١٧٨
عن أبي جعفر (ع) : ان يعقوب (ع) أختَر الدعاء إلى ليلة الجمعة .	١٩٥
عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) : ان الهادي هو إمام كل عصر ، معصوم يؤمن عليه الخطأ وتعمد الباطل .	٢٢٣
عن النبي ﷺ : أنه وضع يده على صدره وقال : أنا المنذر ، وأوماً بيده إلى منكب علي (ع) فقال : أنت الهادي يا علي بك	٢٢٣
يهتدي المهتدون بعدي .	
عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) : ان « من عنده علم الكتاب » هم أهل البيت (ع) .	٢٦٨
عن النبي ﷺ : كذب النسابون .	٢٧٨
عن النبي ﷺ : في قوله تعالى « يتجر عنه ولا يكاد يسيغه » يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوي وجهه ...	٢٨٤

- صفحة
- ٢٩٤ عن علي (ع) : ان الذين بدّلوا نعمة الله كفراً، هم كفار قريش: أما بنو المغيرة فأبادهم الله يوم بدر ، وأما بنو أمية فقد أمهلوا إلى يوم ما .
- ٣٣٠ عن النبي ﷺ : إن الله يصلي على الصف الأول .
- ٣٣٨ عن علي (ع) : إن أبواب جهنم أطباق بعضها فوق بعض لكل باب جزء من المستحقين للعقوبة على قدر ...
- ٣٥٣ عن النبي ﷺ : السبع المثاني أمّ القرآن .
- ٣٧٢ عن النبي ﷺ : أيما داع دعا إلى الهدى فاتبعه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، وأيما داع دعا إلى الضلالة فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء .
- ٣٨٤ عن أبي جعفر (ع) : نحن أهل الذكر .
- ٣٩٦ عن النبي ﷺ : أنا والنبليون فراط العاصين .
- ٤٢٨ عن النبي ﷺ : انه قال لعمار : كيف كان قلبك ؟ فقال عمار : كان مطمئناً بالايان .
- ٤٥٤ عن علي (ع) : في قوله تعالى « فمحوون آية الليل » انه اللطخة التي في القمر
- ٤٦٦ عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد (ع) : لو علم الله لفظ أوجز - في ترك عقوق الوالدين - من (أف) لأتى به .
- ٤٦٩ رواية أبي بكر: أن النبي ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة .
- ٤٧٠ عن أمير المؤمنين (ع) : ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه
- ٤٩٤ عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) : أن النبي صلى الله عليه وآله رأى في منامه قروداً تصعد على منبره ...

- ٥٠٤ عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) : ان معنى « يوم ندعو كل اناس بإمامهم » هو إمامهم الذي كانوا يأتمون به في الدنيا .
- ٥٠٦ عن النبي ﷺ : إن الله وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها إلا من عمل شيئاً او تكلم به .
- ٥٠٧ عن النبي صلى الله عليه وآله : اللهم لا تكلفني إلى نفسي طرفة عين .
- ٥٠٨ عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) : ان دلوك الشمس زوالها .
- ٥٠٩ عن امير المؤمنين (ع) : ان « قرآن الفجر » هو الصلاة الوسطى .
- ٥١٢ روي ان النبي صلى الله عليه وآله : أنه دخل مكة يوم الفتح ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنها بعود ، ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . وجاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد .
- ٥١٥ عن علي (ع) : ان الروح ملك له سبعون الف ... يسبح الله في جميع ذلك .
- ٥٢٧ عن النبي صلى الله عليه وآله : ان يهودياً سأله عن الآيات التسع ، فقال (هن) : لا تشرکوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرمها الله إلا بالحق

٣ - فهرس الردود والاجوبة والادلة

	صفحة
دليل على صحة نبوة محمد <small>صلى الله عليه وسلم</small>	١٠
رد على من حرم المكاسب	١٦
رد على من يستدل بقوله تعالى « وما امر فرعون برشد » على أن الأمر مشترك بين القول والفعل .	٥٩
جواب على سؤال مقدر، وهو كيف قال تعالى « يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه » وفي موضع آخر « هذا يوم لا ينطقون » وما شاكل ذلك!؟	٦٥ - ٦٦
استدلال بقوله تعالى « فلو لا كان .. ألو بقية ينهون عن الفساد » على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن ترك ذلك مهلك .	٨١ - ٨٢
دفع الشبه التي ترد على ظاهر قوله تعالى « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ... ولذلك خلقهم ... » رد على من يقول : إن اخوة يوسف كانوا انبياء .	٨٣ - ٨٦
دفع ما أوردوه على قوله تعالى « وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ... »	١٠١، ١٧٦
رد على من يقول ان قوله تعالى « ما هذا بشر إن هذا إلا ملك » يدل على أن الملك أفضل من البشر بما فيهم الانبياء .	١٢١ - ١٢٤
يرد على البلخي في استدلاله بأنه لا ينصرف احد عن معصية إلا بلطف لقوله تعالى « وإلا تنصرف عني كيدهن أصبوا اليهن » .	١٣١ - ١٣٢
رد على الرماني في تفريقه بين الصرف والزجر .	١٣٥
	١٣٦

	صفحة
رد على من يقول إن الرؤيا على ما عبرت به أولاً .	١٥١
يستدل على جواز تقلد الامر من قبل السلطان الجائر إذا تمكن معه من ايصال الحق الى مستحقه .	١٥٦
يرد على الجبائي في إنكاره العين ويستدل على ثبوتها .	١٦٧
جواب من يسأل : إذا كانت رؤية الانبياء لا تكون إلا صادقة فهلا تسلى يعقوب (ع) بأن تأويل رؤيا يوسف (ع) ستكون ؟ .	١٩٨
رد على من يقول بالطبع .	٢١٩
٢٢٨، ٢٣٧، ٢٧١، ٢٧٩، ٣٠٥، ٣١٢، ٣٦٩، ٣٧٨، ٤١٥، ٤٥٨، ٤٧٨، ٤٨٠	
ردود على المجرية وابطال مذهبهم من أساسه وإفساد جميع معتقداتهم الباطلة وتنزيه الله تعالى عن كل ما ينسبوه اليه من الجبر والظلم والاستبداد وأخذ الولد يجرم أبيه وغير ذلك من اقوالهم المستهجنة .	
إستدلال بأن أبوي ابراهيم لصلبه مؤمنان . وان آزر لم يكن ابوه لصلبه .	٣٠٢
رد على النجار ومن حذا حذوه من المجرية في قولهم بالتكليف في الآخرة	٣٠٥
رد على اصحاب المعارف، وعلى المجرية وعلى اليهود والنصارى .	٣١٢
رد على الملحدين ، واستدلال على حكمة الخالق بأوضح الأدلة .	٣٦١
دفع شبهة من توهم تحليل النبيذ ، وبيان الدليل الواضح الجلي على حرمة .	٤٠١ - ٤٠٢
استدلال على ان كل عصر لا يخلو ممن قوله حجة على اهل عصره عدل عند الله	٤١٧
رد على من يقول : الكلام لا يدل على شيء	٤١٨

	صفحة
استدلال على ان اليمين لا تنعقد على المعصية . وتعريض بن يقول بانعقادها	٤٢٠
رد على من يقول : لا يكون حسن أحسن من حسن	٤٢٤
استدلال على ان الصرع ليس من قبل الشيطان .	٤٢٥
رد على الرماني في استدلاله بان الذين عذبوا بمكة من قبل المشركين ومنهم عمار قد رقت منهم معصية لأن المغفرة لا تقع إلا لمن فعل قبيح .	٤٣١
دفع الشبهة التي ترد على قوله تعالى « واذا أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ... »	٤٥٨ - ٤٥٩
استدلال على ان العمل بالخبر الواحد والعمل بالقياس غير جائزين	٤٧٧
رد على حسن البصري في تفسيره قول الشيطان « لاحتنكن ذريته »	٤٩٨
رد على من يستدل على تفضيل الملائكة على الانبياء .	٥٠٣
رد على من يستدل بـ « اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل » على أن وقت الصلاة الاولى موسم الى آخر النهار	٥١٠
جواب من يسأل عن جواز ارسال الملك للنبي وعدم جواز ارساله الى غير النبي .	٥٢٢

٤ - فهرس المباحث اللغوية

	صفحة
الفرق بين السؤال والطلب .	٦
بحث في (مفعال) مثل مدرار ، ومِعْطَار .	٨
الفرق بين الإنظار والتأخير .	١٠
الفرق بين الشكّ والرّيبة .	١٧
بحث في اسم الحيّ واسم القبيلة وفي المنوع من الصرف منها وغير المنوع .	٢٢ - ٢٣
بحث في ماده (سَلِمَ ، سَلِمَ ، سَلَام) ومعانيها واستعمالها .	٢٤ - ٢٦
في معنى (حنيد) وفي مجيء (فَعِيل) بمعنى (مفعول) .	٢٧
الفرق بين الدَفْع والرَّدّ .	٣٧
الفرق بين السوء ، والقبيح .	٣٨
بحث في (سَجِيل وُ مَسْوَمَة) .	٤٥ - ٤٦
الفرق بين (البخس ، والظلم) .	٤٨
بحث في (فَعَل) مثل (وَرَدٍ ، رَفَنَدٍ) .	٦٠ - ٦١
الفرق بين (لَأَجَلٍ) وبين (إِلَى أَجَلٍ) .	٦٤
بحث في انواع الاستثناء بـ (إِلَّا) وأشباهاها .	٦٩
بحث في (سَعِدُوا ، سَعِيد ، مسعود) وأمثال ذلك .	٧٠
بحث في (لَمَّا) واصلها ومعناها وكيفية استعمالها .	٧٤ - ٧٦
بحث في (زُلْفَاء) .	٧٩
الفرق بين الانتظار والترجي .	٨٨
بحث في (رؤيا) وأمثالها وأشباهاها .	٩٦ - ٩٧

	صفحة
بحث في (الحب) مثلث الحاء . والفرق بين المحبة والشهوة .	١٠١
بحث في (تَأَمَّنَا) والقراءات فيها .	١٠٤
١٠٥-١٠٦ بحث في (ترتع ، ترتعي) ومشتقاتها .	١٠٥-١٠٦
بحث في (ذئب) وتخفيف الهمز والقلب فيه .	١٠٧
١١١-١١٢ بحث في جواز وقوع (مفعول) موقع المصدر .	١١١-١١٢
١١٨-١١٩ بحث في (هيت لك) واللغات في (هيت) .	١١٨-١١٩
١١٩-١٢١ بحث في (هَمَّ بِهِمْ) ومشتقاتها .	١١٩-١٢١
١٢٨ ، ٤٧٢ الفرق بين (خطيء) وبين (اخطأ) ومشتقاتها .	١٢٨ ، ٤٧٢
١٢٠ ، ١٩٠ بحث في (الشَّعَاف ، والسعاف) وامثالها .	١٢٠ ، ١٩٠
بحث في (حشى ، حشا ، حاش ، حاشا) .	١٣٠
بحث في (حتى) وموارد استعمالها .	١٣٧
الفرق بين (أحد ، وبعض) .	١٤٣
بحث في (ادكر) وفي (أمة) ووزنها واصلها .	١٤٧
بحث في (دأب ، يدؤب) ومشتقاتها وأمثالها .	١٤٩
١٥٠-١٥١ بحث في (الغوث ، والغيث) .	١٥٠-١٥١
١٥٣-١٥٤ بحث في (حصحص) وامثاله واشباهه .	١٥٣-١٥٤
الفرق بين الحيانة ، والغدر ، والكيد .	١٥٥
١٦١-١٦٢ الفرق بين العامل ، والفاعل ، والجاعل ، والمغير .	١٦١-١٦٢
بحث في (كم ، كآين) واستعمال (من) معها .	٢٠٢
٢٠٧-٢٠٨ بحث في (كذب) و (ننجي) .	٢٠٧-٢٠٨
٢١٨ بحث في (فُعَلان ، فَعَلان ، فِعَلان) مثل صنوان .	٢١٨
٢٢٣-٢٢٤ بحث في الاسم المنقوص مثل (القاضي) .	٢٢٣-٢٢٤
٢٣٩-٢٤٠ بحث في الاسم المقصور والممدود .	٢٣٩-٢٤٠
٣١٠-٣١١ بحث في (قَطْران) واللغات فيه .	٣١٠-٣١١

	صفحة
بحث في (ضيف) وجمعه وتثنيته .	٣٤١
بحث في الاستثناء وانواعه ومفاده	٣٤٤
بحث في القسم وما يتعلق به	٣٤٨
الفرق بين العقاب ، والانتقام	٣٥٠
بحث في (عضين) واصله وواحداه وامثاله	٣٥٤
بحث في (سبحان) وما لها من معاني	٣٥٨
بحث في (روح) واصلها	٣٦٠-٣٥٩
بحث في (دفع) ومشتقاتها	٣٦٢-٣٦١
بحث في (شَق ، شِق)	٣٦٢
بحث في (نبت ، انبت)	٣٦٤
بحث في (النجم) وما يستعمل فيه	٣٦٨
بحث في (إيان ، اين ، متى ، أيان)	٣٧١
بحث في (وَصَب ، وِصَب ، يَصَب ، يوصب) ومشتقاتها	٣٩٠
بحث في (الهون ، والهون) بضم الهاء وفتحها	٣٩٤
بحث في (فرط ، فرط ، افراط) وجمعها	٣٩٦-٣٩٥
بحث في (جرم ، لا جرم)	٣٩٧
بحث في (سقى ، اسقى)	٣٩٩
بحث في ان الاسم الواحد قد يأتي على (افعال)	٤٠٠
الفرق بين (وحى ، واوحى) وان لمادة (وحى) خمسة معاني	٤٠٣
بحث في (حفدة ، الحفد) وجمعه	٤٠٧-٤٠٦
بحث في (لقبه ، لقتاه ، لقاء) وما اشتق منها	٤٥٥
بحث في (أمر ، أمر ، أمر ، أمر)	٤٥٨-٤٦١
بحث في (أف) واللغات فيه ، وما جرى مجراه من اسماء الافعال	٤٦٥-٤٦٦

	صفحة
٤٧٢-٤٧٣ بحث في (خطيء، خطأ، خاطاً) وفي (تفاعل، فاعل، تفعّل)	٤٧٢
٤٨٦ بحث في ما يجيء على (فعال) مثل (رُفات، رضاض، دقاق)	٤٨٦
٤٩٨ بحث في (لئن) وعلة مجيء الماضي بعدها	٤٩٨
٤٩٣ بحث في (مبصرة) وكل (مفعلة) يأتي موضع (فاعل)	٤٩٣
٥١٤ بحث في (نأى، ينوء، وينأ، وينوء)	٥١٤
٥١٨ بحث في (فجر، فجر)	٥١٨
٥١٨، ٥١٩ بحث في (كسف) واللغات فيها	٥١٨، ٥١٩
٥٢١ الفرق بين الصرف والمنع	٥٢١
٥٢٨ بحث في (ثبر، يثبير، ويثبر)	٥٢٨
٥٣١ بحث في (مكث) واللغات فيها	٥٣١

٥ - فهرس الأمثال

	صفحة
أحمر ثمود (مثل في الشؤم)	١٩
من عزّ بزّ (أي من غلب سلب)	٢١
الرائد لا يكذب أهله	١٦١
سرعان ذا اهالة (مثل في السرعة)	٤٦٥
فلان أبرّ من النسر (مثل في برّ الوالدين)	٤٦٦
إذا لم تغلب فاجلب (أي إذا ليس لك قوّة فأكثر من الصياح)	٩٤٩

٦ - فهرس المواضع

(١١) سورة هود

آية	صفحة
٥٠	٥ وإلى عادٍ اخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله
٥١	٦ يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني
٥٢	٧ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً
٥٣	٨ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك
٥٤	٩ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا
٥٥	١٠ من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون
٥٦	١١ إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها
٥٧	١٢ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً
٥٨	١٣ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من
٦٠-٥٩	١٤ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار
٦١	١٥ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
٦٣-٦٢	١٧ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً ... قال يا قوم ارايتم ان
٦٤	١٨ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله
٦٥	١٩ فمقرها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب
٦٦	٢٠ فلما جاء امرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا
٦٧	٢١ واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين
٦٨	٢٢ كأن لم يغنوا فيها الا إن ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود
٦٩	٢٤ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام
٧٠	٢٨ فلما رأى ايديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا

آية	صفحة
وامراته قائمة فضحككت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ٧١	٢٩
قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ٧٢	٣٢
قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ٧٣	٣٤
فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط ٧٤	٣٥
ان ابراهيم حلیم اواه منيب ٧٥	٣٦
يا إبراهيم اعرض عن هذا ... ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم ٧٧-٧٦	٣٧
وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ٧٨	٣٩
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك ... قال لو ان لي بكم قوة ٧٩-٨٠	٤١
قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر بأهلك ٨١	٤٢
فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة ٨٢-٨٣	٤٤
وإلى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ٧٤	٤٧
ويا قوم أوفوا المكيال والميزان . بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ٨٥-٨٦	٤٨
قالوا يا شعيب أصلاتكم تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او أن نفعل ٨٧	٤٩
قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً ٨٨	٥٠
ويا قوم لا يجر منكم شقاقي ... واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ٨٩ - ٩٠	٥٢
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك ٩١	٥٣
قال يا قوم أرهطي أعزّ عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً ٩٢	٥٤
ويا قوم اعملوا على مكانتكم ... من يأتيه عذاب يخزيه ٩٣-٩٤	٥٥
ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ٩٥	٥٦
كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود . ٩٦	٥٧
ولقد ارسلنا موسى ... الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون ٩٧-٩٨	٥٨
يقدموا قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورد ٩٩	٥٩
واتبعوا في هذه لعنة ، ويوم القيامة بئس الرفود المرفود ١٠٠	٦٠
ذلك من انباء القرى ... وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم ١٠١-١٠٢	٦١

آية	صفحة
١٠٣	٦٢ وكذلك اخذ ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه أليم
١٠٦-١٠٤	٦٣ إن في ذلك لآية لمن خاف... وما نؤخره إلا لأجل معدود
١٠٨-١٠٧	٦٦ فأما الذين شقوا ففي النار... خالدين فيها ما دامت
١٠٩	٧٠ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
١١١-١١٠	٧٢ فلاتك في مرية بما يعبد هؤلاء... ولقد آتينا موسى الكتاب
١١٢	٧٣ وان كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير
١١٣	٧٧ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير
١١٥-١١٤	٧٨ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار... وأقم الصلاة
١١٦	٨٠ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .
١١٧	٨١ فلولا كان من القرون من قبلك ألوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض
١١٨	٨٢ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون
١١٩	٨٣ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين
١٢٠	٨٦ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك
١٢٢-١٢١	٨٨ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم... وانتظروا إنا
١٢٣	٨٩ والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده

(١٢) سورة تايوسف

١	٩١ بسم الله الرحمن الرحيم . الر تلك آيات الكتاب المبين
٢	٩٢ إنا أنزلنا قرآناً عربياً لعلكم تعقلون
٣	٩٣ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن
٤	٩٤ إذ قال يوسف لآبيه يا أبت إني رايت أحد عشر كوكباً والشمس
٥	٩٦ وقال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً
٦	٩٨ وكذلك يحتببك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته

آية	صفحة
٧	٩٩ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين
٨	١٠٠ إذ قالوا ليوسف واخوه احب إلى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي
٩-١٠	١٠٢ اقتلوا يوسف او اطرحوه ... قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف
١١	١٠٣ قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون
١٢	١٠٤ ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون
١٣	١٠٧ قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه
١٤-١٥	١٠٨ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة ... فلما ذهبوا به واجمعوا
١٦-١٧	١١٠ وجاءوا اباهم عشاء يبكون . قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
١٨	١١١ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امراً
١٩	١١٢ وجاءت سيارة فأرسلوا واردم فأدلى دلوه قال يا بشرى
٢٠	١١٤ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين
٢١	١١٥ وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان
٢٢	١١٧ ولما بلغ اشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين
٢٣	١١٨ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
٢٤	١١٩ ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف
٢٥	١٢٥ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيها سيدها لدى الباب
٢٦-٢٨	١٢٦ قال هي راودتني عن نفسي ... فلما رأى قميصه قد من دبر
٢٩	١٢٧ يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين
٣٠	١٢٨ وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه
٣١	١٣٠ فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئاً وآتت
٣٢	١٣٢ قالت فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
٣٣	١٣٣-١٣٤ قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف
٣٤	١٣٥ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم
٣٥	١٣٧ ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين

آية	صفحة
٣٦ ودخل معه السجن فتبان قال احدهما اني اراني اعصر خمراً	١٣٨
٣٧ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتأويله قبل ان يأتيكما	١٣٩
٣٨ واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك	١٤٠
٣٩ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار	١٤١
٤٠ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله	١٤٢
٤١ يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمراً واما الآخر فيصلب	١٤٣
٤٢ وقال للذي ظن انه ناج منها اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان	١٤٤
٤٣ وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع	١٤٥
٤٤ قالوا اضغات احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين	١٤٦
٤٥ وقال الذي نجا منها وادكر بعد امة انا انبؤكم بتأويله فارسلون	١٤٧
٤٦ يوسف ايها الصديق افتناني سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف	١٤٨
١٤٨-١٤٩ قال تزرعون سبع سنين... ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ٤٧-٤٨	
٤٩ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون	١٥٠
٥٠ وقال الملك اتتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك	١٥٢
٥١ قال ما خطبك كن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلنا حاش لله! ما علمنا	١٥٣
٥٢ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين	١٥٤
٥٣ وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي	١٥٥
٥٤ وقال الملك اتوني به استخلصه... قال اجعلني على خزائن	١٥٦
٥٦ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب	١٥٧
٥٧ ولأجر الآجرة خير... وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه	١٥٩
٥٩ ولما جهزهم يبهازم قال اتتوني بأخ... فإن لم تأتوني به فلا كيل	١٦٠
٦١ قالوا سنراود عنه اباه وإنالفاعلون	١٦١
٦٢ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا	١٦٢
٦٣ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل... قال هل	١٦٣

آية	صفحة
٦٥	١٦٤
٦٦	١٦٥
٦٧	١٦٦
٦٨-٦٩	١٦٨
٧٠	١٦٩
٧١-٧٢	١٧٠
٧٣	١٧١
٧٤-٧٥	١٧٢
٧٦	١٧٣
٧٧	١٧٥
٧٨	١٧٦
٧٩	١٧٧
٨٠	١٧٨
٨١	١٧٩
٨٢	١٨٠
٨٣-٨٤	١٨١
٨٥	١٨٢
٨٦	١٨٣
٨٧-٨٨	١٨٥
٨٩	١٨٧
٩٠	١٨٨
٩١-٩٢	١٩٠
٩٣	١٩١
٩٤	١٩٢

آية	صفحة
٩٦-٩٥	١٩٣ قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم . فلما ان جاء البشير القاه
٩٧	١٩٤ قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
٩٨	١٩٥ قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
٩٩	١٩٦ فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
١٠٠	١٩٧ ورفع ابويه على العرش وخرروا له سجداً وقال يا ابت هذا تأويل
١٠١	١٩٩ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات
١٠٢	٢٠٠ ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذا جمعوا امرهم
١٠٣-١٠٤	٢٠١ وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه
١٠٥	٢٠٢ وكأين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون
١٠٦	٢٠٣ وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
١٠٧	٢٠٤ أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة بغتة
١٠٨-١٠٩	٢٠٥ قل هذه سبيلي ادعوا الى الله . . . وما ارسلنا من قبلك
١١٠	٢٠٧ حتى اذا استيأس الرسل . . . جاءهم نصرنا فنجى من نشاء
١١١	٢٠٩ لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثاً يفترى

(١٣) سورة الرعد

١	٢١١ بسم الله الرحمن الرحيم . الر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك
٢	٢١٢ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر
٣	٢١٥ وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات
٤	٢١٦ وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخل صنوان
٥-٦	٢١٩ وان تعجب فعجب قولهم : اإذا كنا تراباً اإنا لفي خلق جديد
٧	٢٢١ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلاث
٨	٢٢٢ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل

آية	صفحة
الله يعلم ما تحمل كل انثى ... وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب ٩-١٠	٢٢٣
سواء منكم من أسرت القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل ١١	٢٢٥
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله ١٢	٢٢٧
هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ... ويسبح الرعد بحمده ١٣-١٤	٢٢٩
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ١٥	٢٣٢
والله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو ١٦	٢٣٤
قل من رب السموات والارض قل الله قل أفتخذتم من دونه أولياء ١٧	٢٣٥
أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق ١٨	٢٣٦
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً ١٩	٢٣٨
للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ٢٠	٢٤١
أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يذكر ٢١	٢٤٢
الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ٢٢	٢٤٣
والذين يصلون ما أمر الله به ... والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ٢٣-٢٤	٢٤٤
جنات عدن يدخلونها ومن صلح ... سلام عليكم بما صبرتم فنعم ٢٥-٢٦	٢٤٥
والذين ينقضون عهد الله ... الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ٢٧-٢٨	٢٤٧
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من ٢٩	٢٤٨
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ٣٠	٢٤٩
الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ٣١	٢٥٠
كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم ٣٢	٢٥١
ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى ٣٣	٢٥٢
ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم ٣٤	٢٥٥
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموم ٣٥	٢٥٦
لهم عذاب في الحياة الدنيا ... مثل الجنة التي وعد المتقون ٣٦-٣٧	٢٥٩
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ٣٨	٢٦٠

آية	صفحة
٣٩	٢٦١ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك
٤٠	٢٦٢ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية
٤١	٢٦٣ يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
٤٢	٢٦٤ وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإتينا عليك البلاغ
٤٣	٢٦٥ أو لم يروا أننا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب
٤٤	٢٦٦ وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس
٤٥	٢٦٧ ويقول الذين كفروا لست مرسلنا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم

(١٤) سورة إبراهيم

٢-١	٢٦٩ بسم الله الرحمن الرحيم . الر كتاب أنزلناه إليك .. الله الذي له
٣	٢٧٢ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
٤	٢٧٣ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم
٥	٢٧٤ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات
٦	٢٧٥ وإذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذا أنجاكم من آل فرعون
٧-٨	٢٧٦ وإذا تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم... وقال موسى إن تكفروا
٩-١٠	٢٧٧ ألم يأتكم نبيؤ الذين من قبلكم ... قالت رسلهم أفي الله شك
١١-١٢	٢٨٠ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر.. وما لنا ألا نتوكل على الله
١٣-١٤	٢٨١ وقال الذين كفروا الرسلهم لنخرجنكم... ولنسكننكم الأرض
١٥-١٦	٢٨٢ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . من ورأته جهنم ويسقى من
١٧-١٨	٢٨٤ يتجرعه ولا يكاد يسيغه.. مثل الذين كفروا بربههم اعماهم كرماد
١٩-٢٠	٢٨٦ ألم تر أن الله خلق السموات... وما ذلك على الله بعزيز
٢١	٢٨٧ وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً
٢٢	٢٨٨ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم

آية	صفحة
٢٥-٢٣	٢٩٠
وأدخل الذين آمنوا ... ألم ترى كيف ضرب الله مثلاً	
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ... يثبت الله الذين آمنوا	٢٩٢
٢٦-٢٧	
ألم ترى الذين بدلوا نعمة الله كفراً .. وجعلوا لله انداداً	٢٩٣
٢٨-٣٠	
قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم	٢٩٥
٣١	
الله الذي خلق ... وسخر لكم الشمس والقمر ... وآتاكم من	٢٩٨
٣٢-٣٤	
واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ... رب إنهن أضللنا	٢٩٨
٣٥-٣٦	
ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد ... ربنا انك تعلم ما نخفي	٢٩٩
٣٧-٣٨	
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ... رب اجعلني مقيم الصلاة	٣٠١
٣٩-٤١	
ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ... مهطعين مقمعي	٣٠٢
٤٢-٤٣	
وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا	٣٠٥
٤٤	
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا ... وقد مكروا مكرهم	٣٠٦
٤٥-٤٦	
فلا تحسبن الله مخلف وعده ... يوم تبدل الأرض غير الأرض	٢٠٨
٤٧-٤٨	
وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد. سراويلهم من قطران	٦٠٩
٤٩-٢٠	
ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاع للناس	٣١١
وليئذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكروا ألو الألباب	٥١-٥٢

(١٥) سورة الحجر

٢-١	٣١٣
بسم الله الرحمن الرحيم . الر . تلك آيات الكتاب ...	
٩-٣	٣١٨
ذرمم يأكلوا ويتمتعوا ... انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	
١٣-١٠	٣٢٠
ولقد أرسلنا من قبلك في شيع ... لا يؤمن به وقد خلت	
١٥-١٤	٣٢٢
ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ... لقالوا إنما سكرت أبصارنا	
١٨-١٦	٣٢٤
ولقد جعلنا في السماء بروجاً ... وحفظناها من كل شيطان	
٢١-١٩	٣٢٦
والأرض مددناها ... وان من شيء إلا عندنا خزائنه	

آية	صفحة
٢٥ - ٢٢	٣٢٧ وأرسلنا الرياح لواقح ... وان ربك هو يحشرهم إنه حكيم
٢٧ - ٢٦	٣٣٠ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ... والجان خلقناه من
٣١ - ٢٨	٣٣٢ واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من
٣٣ - ٣٢	٣٣٣ قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين . قال لم أكن
٣٨ - ٣٤	٣٣٤ قال فأخرج منها فإنك رجيم ... قال فإنك من المنظرين
٤٠ - ٣٩	٣٣٦ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ... إلا عبادك
٤٤ - ٤١	٣٣٧ قال هذا سراط علي مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم
٤٨ - ٤٥	٣٣٨ ان المتقين في جنات... ادخلوها... ونزعنا ما في صدورهم
٥٤ - ٤٩	٣٤٠ نبيء عبادي اني انا الغفور الرحيم . وإن عذابي هو
٥٦ - ٥٥	٣٤٢ قالوا بشرناك بالحق ... قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا
٦٠ - ٥٧	٣٤٣ قال فما خطبكم ... قالوا إنا أرسلنا ... الا آل لوط ...
٦٦ - ٦١	٣٤٥ فلما جاء آل لوط المرسلون . قال انكم قوم منكرون .
٧١ - ٦٧	٢٤٦ وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال ان هؤلاء ضيفي فلا
٧٨ - ٧٢	٣٤٧ لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ... فجعلنا عاليها
٨٤ - ٧٩	٣٥٠ فانتقمنا منهم وانها لبإمام مبين . ولقد كذب أصحاب
٨٦ - ٨٥	٣٥١ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينها الا بالحق وان
٩١ - ٨٧	٣٥٢ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم . لا تمدن
	٣٥٥ فوربك لنسألنهم اجمعين... فاصدع بما تؤمر... ان كفييناك المستهزئين
	الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى فسوف يعلمون. ولقد نعلم انك يضيق صدرك
	بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الشاكرين واعبد ربك حتى يأتيك
	اليقين
٩٩ - ٩٢	

١٦ - سورة النحل

٣٥٧ بسم الله الرحمن الرحيم . أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه

آية	صفحة
٢	٣٥٨
٣ - ٤	٣٦٠
٥ - ٧	٣٦١
٨ - ٩	٣٦٣
١٠ - ١١	٣٦٤
١٢ - ١٣	٣٦٥
١٤ - ١٦	٣٦٦
١٧ - ١٨	٣٦٨
١٩ - ٢١	٣٧٠
٢٢ - ٢٣	٣٧١
٢٤ - ٢٥	٣٧٢
٢٦ - ٢٧	٣٧٣
٢٨ - ٣٠	٣٧٥
٣١ - ٣٢	٣٧٦
٣٣ - ٣٤	٣٧٧
٣٥	٣٧٨
٣٦	٣٧٩
٣٧	٣٨٠
٣٨ - ٣٩	٤٨١
٤٠	٣٨٢
٤١ - ٤٤	٣٨٤, ٣٨٣
٤٥ - ٤٧	٣٨٥
٤٨ - ٥٠	٣٨٦
٥١ - ٥٢	٤٨٩

آية	صفحة
وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضرّ فإليه تجأرون ٥٣-٥٥	٣٩٠
ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم ٥٦-٥٧	٣٩٢
واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسود وهو كظيم . ٥٨-٦٠	٣٩٣
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن ٦١-٦٣	٣٩٥
وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ٦٤-٦٥	٣٩٨
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم ... ومن ثمرات النخيل ٦٦-٦٧	٣٩٩
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ... ثم ٦٨-٦٩	٤٠٢
والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي ٧٠	٤٠٤
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادّي ٧١	٤٠٥
والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً وجعل لكم من ازواجكم ٧٢	٤٠٦
ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والارض ٧٣-٧٤	٤٠٧
ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً ٧٥	٤٠٨
وضرب الله مثلاً رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على ٧٦	٤٠٩
والله غيب السموات والارض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ٧٧-٧٨	٤١٩
الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله ٧٩-٨١	٤١١
فان تولوا فإنما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ٨٢-٨٣	٤١٤
ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ... واذا رأى الذين ظلموا ٨٤-٨٥	٤١٥
واذا رأى الذين اشرکوا شرکاءهم قالوا ربنا هؤلاء شرکائنا ٨٦-٨٨	٤١٦
ويوم نبعث في كل امة شهيداً من انفسهم وجئنا بك شهيداً على ٨٩	٤١٧
إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن ٩٠-٩١	٤١٨
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها .. ولو شاء الله لجعلكم أمّة ٩٢-٩٣	٤٢٠
ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ... ولا تشتروا بعهد الله ثمناً ٩٤-٩٦	٤٢٢
من عمل صالحاً من ذكر أو انثى .. فاذا قرأت القرآن فاستعذ ٩٧-١٠٠	٢٢٤
واذا بدلنا آية مكان آية .. قل نزله روح القدس من ربك ١٠١-١٠٣	٤٢٦

آية	صفحة
١٠٣	٤٢٦
١٠٤ - ١٠٥	٤٢٧
١٠٦	٤٢٨
١٠٧ - ١٠٩	٤٢٩
١١٠ - ١١١	٤٣٠
١١٢	٤٣٢
١١٣ - ١١٥	٤٣٤
١١٦ - ١١٨	٤٣٥
١١٩	٤٣٦
١٢٠ - ١٢٤	٤٣٧
	٤٣٩
	٤٤٠
	٤٤١
	٤٤٢
	٤٤٣
	٤٤٤
	٤٤٥
	٤٤٦
	٤٤٧
	٤٤٨
	٤٤٩
	٤٥٠
	٤٥١
	٤٥٢
	٤٥٣
	٤٥٤
	٤٥٥

(١٧) سورة الاسراء

١ - ٣	٤٤٣
٤ - ٦	٤٤٧
٧	٤٤٩
٨ - ١٠	٤٥٢
١١ - ١٢	٤٥٣
١٣ - ١٥	٤٥٥

آية	صفحة
وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول ١٦	٤٥٨
وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده ١٧ - ١٩	٤٦٢
كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك	٤٦٣
وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً اماً يبلغن ٢٣ - ٢٤	٤٦٤
ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فإنه كان للاوابين ٢٥ - ٢٧	٤٦٨
واماً تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم ٢٨ - ٣٠	٤٦٩
ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وايامكم ان قتلهم ٣١ - ٣٣	٤٧١
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده ٣٤ - ٣٦	٤٧٦
ولا تمشي في الأرض مرحاً انك لن تحرق الأرض ولن ٣٧ - ٣٩	٤٧٨
أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً انكم لتقولون ٤٠ - ٤٢	٤٧٩
سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . تسبح له السموات ٤٣ - ٤٥	٤٨١
٤٨٣ - ٤٨٤ وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً ٤٦ - ٤٨	٤٨٣
وقالوا إذا كنا عظاماً ورفاتاً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً ٤٩ - ٥١	٤٨٦
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمد وتظنون إن لبثتم الا قليلاً . ٥٢ - ٥٤	٤٨٨
وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض ٥٥ - ٥٧	٤٩٠
٤٩١ - ٤٩٢ وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او ٥٨ - ٦٠	٤٩١
٤٩٥ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ٦١ - ٦٣	٤٩٥
٤٩٨ واستفز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ٦٤ - ٦٦	٤٩٨
٥٠٠ - ٥٠١ واذا مسك الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما ٦٧ - ٦٩	٥٠٠
٥٠٢ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من ٧٠ - ٧٢	٥٠٢
٥٠٦ وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفترى علينا ٧٣ - ٧٥	٥٠٦
٥٠٧ وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها واذا ٧٦ - ٧٨	٥٠٧
٥١٠ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً ٧٩ - ٨١	٥١٠

آية	صفحة
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد	٥١٣
٨٤ - ٨٢	
ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من	٥١٤
٨٧ - ٨٥	
قل لأن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن	٥١٦
٩٠ - ٨٨	
او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها	٥١٨
٩٣ - ٩١	
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا	٥٢١
٩٦ - ٩٤	
ومن يهدى الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء	٥٢٢
٩٩ - ٩٧	
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذاً لأمسكنم خشية الإنفاق	٥٢٥
١٠٠	
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل	٥٢٦
١٠٢ - ١٠١	
فأراد ان يستفزه من الارض فأغرقناه ومن معه جميعاً	٥٢٨
١٠٤ - ١٠٣	
وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً	٥٢٩
١٠٦ - ١٠٥	
قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله	٥٣١
١٠٩ - ١٠٧	
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيتاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى	٥٣٣
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً . وقل	
الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن	
له ولي من الذل وكبره تكبيراً	
١١١ - ١١٠	

المخطأ والصواب

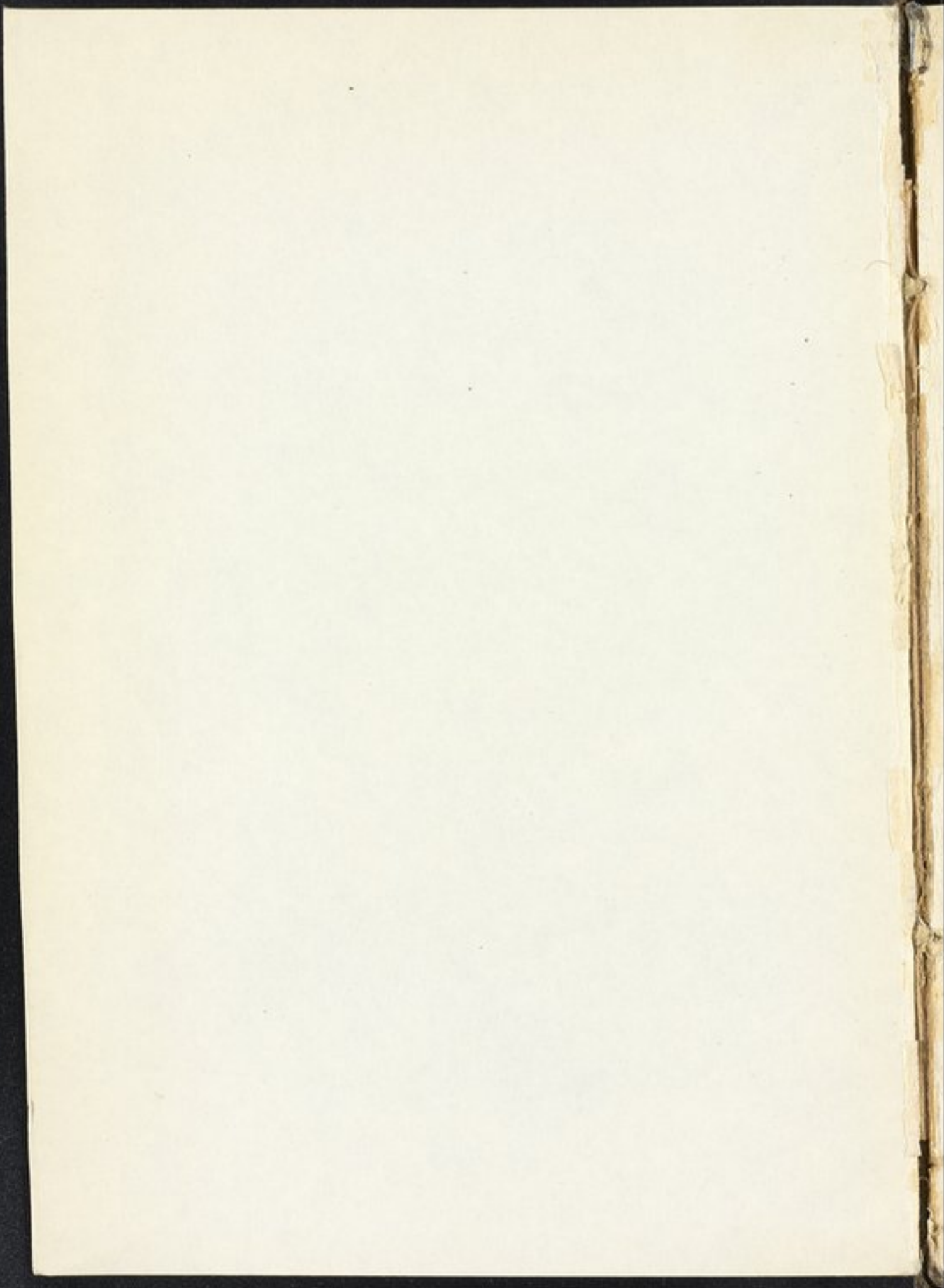
صوابه	خطأ	سطر	صفحة
منكم لمن لبيطن	منكم لبيطن	٦	٧٥
للفصل	للفصل	١٤	٧٥
الله	الله	٩	٨٠
أمانته	أمانة	٥	١٦٤
ذى	ذت	١٨	١٨٦
الشعراء	القصص	حاشية	١٨٨
المضروب	ضروب	١٥	٢١٤
الكبير	الكبيرة	١١	٢٢٥
يقال	يقالى	٩	٢٢٦
التوبة ٣٠	التوبة ٣١١	حاشية	٢٣٦
النمل	النحل	حاشية	٢٣٨
لمن يشاء	لما يشاء	١٨	٢٤٧
وزين	واذرين	٢	٢٥٨
البيت	البيت	حاشية (٢)	٢٦٤
يومئذ ناضرة	يومئذ ضرة	١٠	٤٥٠
١٥	٢٥	حاشية (٢)	٤٥٠
٣٠	٣٢	حاشية (١)	٤٥٠

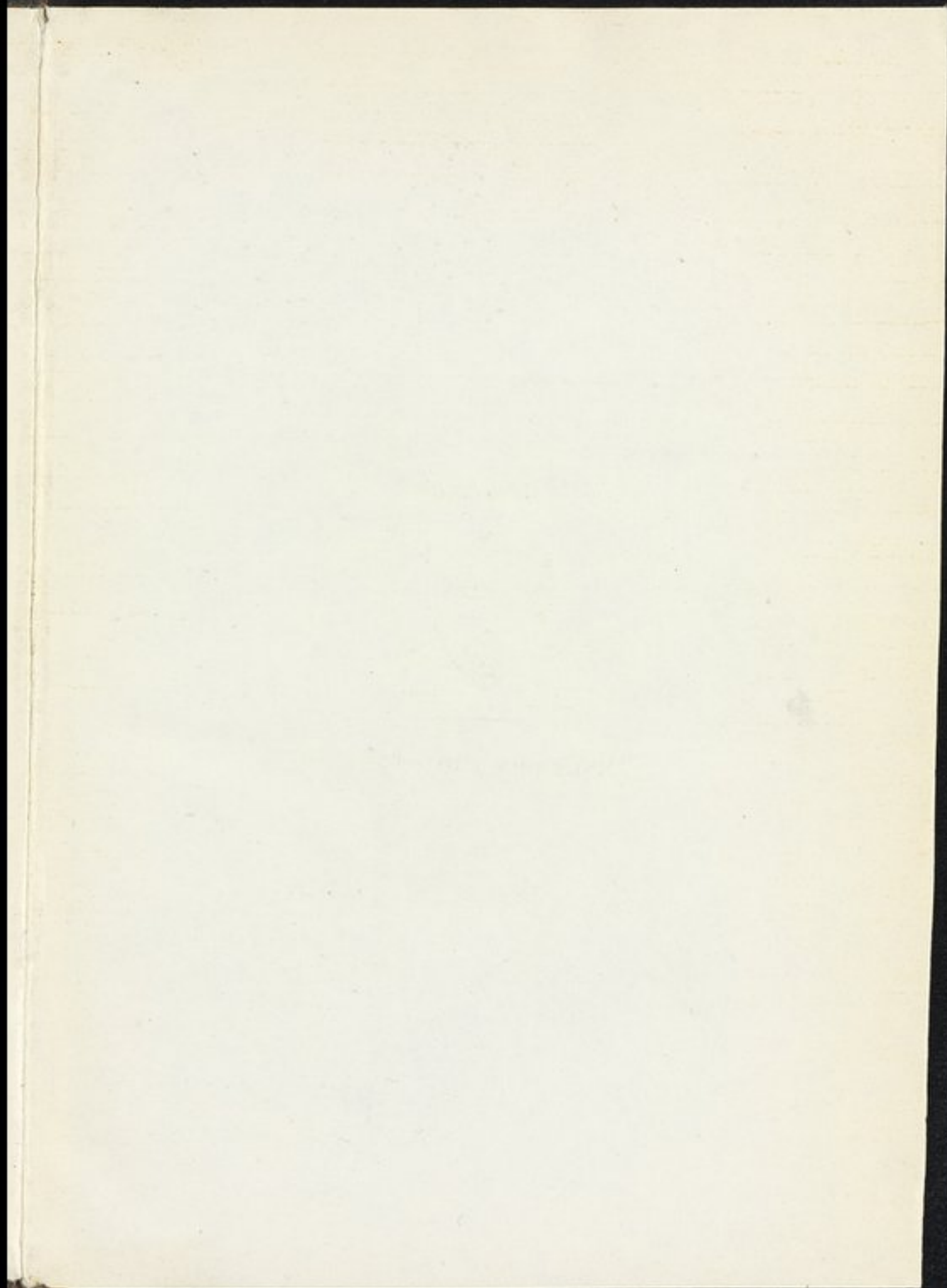


دا الثمالي للطباعة

بيروت - شارع الصناعة الأول - الجعيتاري - تلفون : ٢٣٩٦٠٦







Library of



Princeton University.

